عبد الله ناصح علوان

تربية الأولاد في الإسلام

الجزء الأول

الناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
حلب . ص.ب : ١٨٩٣ – بيروت . ص.ب : ١٣٥٣٣٧

الطبعة الثالثة المزيدة
مصححة – مفهرسة – مزيدة

قالَ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلام :
«إنَّ اللهَ سائِلٌ كُلَّ راعٍ عمَّا
استرعاهُ حفِظَ أمْ ضَيَّعَ»

الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م
الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م
الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م
الطبعة الثالثة المزيدة
١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

حلب . ص.ب : ١٨٩٣ ـ بيروت . ص.ب : ١٣٥٢٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي ابـان للعبـاد منهـج التربيـة القويمة في قرآنه المجيد ، واوضح للعالمين مبادىء الخير والهدى والإصلاح في احكام شرعه الحنيف .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بعثه الله للانسانية مؤدباً ومربياً، وانزل عليه تشريعاً يحقق للبشرية اسمى آيـات عزها ومجدها ، واعظم غايـات سؤددها ومكانتهـا ، ورفعتها واستقرارها . وعلى آلـه واصحـابه الطيبين الأطهـار ، الذين اعطوا الأجيـال المتعاقبة نماذج فريدة في تربية الأبناء وتكوين الأمم . وعلى من نهج نهجهم ، واقتفى اثرهم بإحسان الى يوم الدين ، وبعد :

١ ـ فمن فضل هذا الاسلام على البشرية أن جاءها بمنهاج شامل قويم في تربية النفوس ، وتنشئة الأجيال ، وتكوين الأمم ، وبناء الحضارات ، وإرساء قواعد المجد والمدنية .. وما ذاك إلا لتحويل الانسانية التائهة من ظلمات الشرك والجهالة والضلال والفوضى ، الى نور التوحيد والعلم والهـدى والاستقرار . وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله : ((**قد جـاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم**)) .

(المائـدة : ١٦)

٢ ــ ويكفي شريعة الاسلام فخراً وفضلا أن شهد الخصوم بنمائها واستمرارها، واعترف الأعداء بحيويتها وخلودها ، وإليكم ــ يامن تستهويكم شهادات الغربيين ــ طائفة من اقوالهم ، وطاقة من اريج مدحهم ، وطيب ثنائهم ؛ لتعرفوا ماذا يقول المنصفون من غير المسلمين عن رسالة الاسلام الخالدة، وتعاليمه السامية ؟ :

■ نقل الأستاذ « غوستاف لوبون » عن الأستاذ « ليبري » قوله :
(لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتاخرت نهضة اوربة الحديثة عدة قرون) .

■ وقال « لين بول » في كتابه « العرب في إسبانيا » : (فكانت اوربة الأمية تزخر بالجهل والحرمان ، بينما كانت الاندلس تحمل إمامة العلم ، وراية الثقافة في العالم) .

■ وقال « إلياس ابو شبكة » في كتابه « روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة » : (إن زوال الحضارة العربية كان شؤماً على إسبانيا واوربا، فالأندلس لم تعرف السعادة إلا في ظل العرب ، وحالما ذهب العرب حل الدمار محل الثراء والجمال والخصب ..) .

■ وقال « سيديلوت » في كتابه « تاريخ العرب » : (كان المسلمون في القرون الوسطى متفردين في العلم والفلسفة والفنون ، وقد نشروها اينما حلت اقدامهم ، وتسربت عنهم إلى اوربة ، فكانوا سبباً لنهضتها وارتقائها) .

■ والكثير من المثقفين يعلمون شهادة الفيلسوف الانكليزي المشهورة « برناردشو » ، اسمعوا إلى ما يقوله بالحرف الواحد :

(لقد كان دين محمد موضع تقدير سام لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة،

وإنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة ، وارى واجباً أن يدعى محمد منقذ الانسانية ، وإن رجلا كشاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته . .) .

فهذه الأقوال ، واقوال غيرها ، تعطي لكل ذي فهم وبصيرة البرهان تلو البرهان على ما انطوى عليه نظام الاسلام من قوة دفع حضارية ، ومبادىء تطويرية شاملة ، وتعاليم حيوية خالدة . . والفضل كل الفضل بما اعترف به المنصفون ، وشهد به الأعداء :

شهد الأنام بفضله حتى العدا

والفضل ما شهدت به الأعداء

٣ ــ وإذا كانت الشريعة الاسلامية تتصف بالربانية ، وتتسم بالشمول ، وتختص بالتجدد والاستمرار ، فهل مبادئها الشاملة ، ومعطياتها المتجددة . . فكرة مجردة في الأذهان ، ونظريات مدونة في الكتب ، أم هي متحققة في امة تلمسها الأيدي ، وتراها العيون ؟.

فلنحل الجواب إلى شهيد الاسلام سيد قطب ــ رحمه الله ــ ولنسمع منه ما يقول : « وانتصر محمد بن عبد الله يوم صنع أصحابه ــ عليهم رضوان الله ــ صوراً حية من إيمانه ، تأكل الطعام ، وتمشي في الأسواق ، يوم صاغ من كلٍّ منهم قرآناً حياً يدبّ على الأرض ، يوم جعل من كل فرد نموذجاً مجسماً للاسلام ، يراه الناس فيرون الاسلام .

إن النصوص وحدها لاتصنع شيئاً ، وإن المصحف وحده لايعمل حتى يكون رجلا ، وإن المبادىء وحدها لاتعيش إلا أن تكون سلوكاً .

ومن ثمّ جعل محمد ﷺ هدفه الاول ان يصنع رجالا لا ان يلقي مواعظ ،

وان يصوغ ضمائر لا ان يدبّج خطباً ، وان يبني امة لا ان يقيم فلسفة ؛ اما الفكرة ذاتها فقد تكفل بها القرآن الكريم ، وكان عمل محمد ﷺ أن يحوّل الفكرة المجردة إلى رجال تلمسهم الايدي ، وتراهم العيون . . .

ولقد انتصر محمد بن عبد الله ﷺ ، يوم صاغ من فكرة الاسلام شخوصاً ، وحوّل إيمانهم بالاسلام عملا ، وطبع من المصحف عشرات من النسخ ثم مئات والوفاً ، ولكنه لم يطبعها بالمداد على صحائف الورق ، إنما طبعها بالنور على صحائف من القلوب . واطلقها تعامل الناس وتاخذ منهم وتعطي ، وتقول بالفعل والعمل ما هو الاسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله ﷺ من عند الله »(1) .

ومن اراد ان يعرف شيئاً عن تربية الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ، ومن جاء بعدهم بإحسان ؛ فليستقر التاريخ ليسمع الكثير عن جليل مآثرهم . وكريم فضائلهم . .

فهل عرفت الدنيا انبل منهم واكرم ، او اراف او ارحم ، او اجل او اعظم ، او ارقى او اعلم ؟ !

يكفيهم شرفاً وفخراً وخلوداً أن يقول القرآن العظيم في حقهم : **« محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من اثرالسجود . . »**

(الفتح : ٢٩)

ويقول : **« كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالاسحار هم يستغفرون ، وفي اموالهم حق للسائل والمحروم »** .

(الذاريات : ١٧)

---

(1) من كتاب « دراسات إسلامية » للشهيد سيد قطب فصل « انتصار محمد بن عبد الله » .

ويقول : ((**والذين تبوّؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يُوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون**)) .

(الحشر : ٩)

ويقول : ((**من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا**)) .

(الاحزاب : ٢٣)

هذا غيض من فيض مما نزل في كريم مآثرهم ، وجميل محامدهم ، وقد تحقق بهم فعلا إقامة المجتمع الفاضل الذي كان حلم المفكرين ، وأمنية الفلاسفة منذ القدم ... وكيف لا ، والقاضي يجلس بينهم سنتين ولا يتخاصم إليه اثنان ؟ ولماذا يتخاصمون وبين أيديهم القرآن ؟ ولماذا يختلفون وهم يحبون لإخوانهم ما يحبون لانفسهم ؟ ولماذا يتباغضون والاسلام يامرهم بالمحبة والاخاء، ويحضهم على التعاطف والإيثار ؟

وإليكم ما قاله الصحابي الجليل « عبد الله بن مسعود » رضي الله عنه في تعداد محامدهم وفضائلهم ، ووجوب التأسي بأفعالهم الحميدة ، واخلاقهم الكريمة .. : « من كان متأسياً فليتأسّ بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا ابر هذه الأمة قلوباً ، واعمقها علماً ، واقلها تكلفاً ، واقومها هدياً ، واحسنها حالا ، اختارهم الله لصحبته نبيه ﷺ ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، فانهم كانوا على الهدى المستقيم » .

٤ ــ وظلت الاجيال المسلمة عبر القرون تستقي من معين فضائلهم ، وتستضيء بنور مكارمهم ، وتنهج في التربية نهجهم ، وتسير في بناء المجد سيرهم ... حتى العصر الذي انحسر فيه عن المجتمع الاسلامي حكم الاسلام ، وزالت في الأرض معالم الخلافة الاسلامية .. واستطاع اعداء الاسلام أن يصلوا

إلى هدفهم الخبيث وغرضهم الدفين في تحويل العالم الاسلامي إلى امم متناحرة، ودول متخاصمة متنابزة .. تتقاذفهم الاهواء ، وتجتذبهم المطامع ، وتفرقهم المبادىء . وينساقون وراء الشهوات والملذات ، ويتخبطون في أوحال التحلل والإباحية ..ويسيرون بلا هدف ولا غاية ، ويعيشون من غير ما سعي إلى مجد ولا وحدة ولا كيان .. تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، وتظنهم قوة ولكنهم غثاء كغثاء السيل ، حتى إن كثيراً من رجالات الاصلاح ، وارباب الدعوة إلى الله قد اعتراهم اليأس ، واستحوذ عليهم القنوط ، اعتقاداً منهم ان لاسبيل إلى إصلاح هذه الأمة ، وان لا امل إلى استعادة مجدها ، واسترجاع عزتها وكيانها ... بل وجد من هؤلاء الدعاة من ينادي بالعزلة الكاملة ، والتزام احلاس البيوت ، لظنهم أن هذا العصر هو آخر الزمان ، وآن الأوان ان يخرج المسلم بنفسه ببضع غنيمات يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن[1] حتى يدركه الموت .

وهذا التصور اليائس للاصلاح ناتج عن اسباب ثلاثة :

آ ــ ناتج عن الجهل بطبيعة هذا الدين .

ب ــ وناتج عن حب الدنيا وكراهية الموت .

ج ــ وناتج عن الجهل بالغاية التي من اجلها خلق المسلم .

---

(١) روى البخاري عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » . الحديث محمول على من يفتن بدينه ويجبر على الردة ، أما أنه مادام يوجد مسلمون يؤدون الشعائر ، ويطبقون على انفسهم احكام الاسلام ، وما دام أنه ثمة مجال للتعاون ، وتحقيق العز الاسلامي فإنه يحرم على المسلمين العزلة والانزواء ، لأنه مالا يتحقق الواجب إلا به فهو واجب ، لهذا وجب على المسلمين اليوم أن يحققوا حكم الله . ويقيموا دولة الاسلام ، وإلا فهم آثمون .

٦ — ويوم يفهم المسلمون ان الاسلام دين القـوة ، وان شعاره في ذلك :
« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . . » (الانفال : ٦٠)

ويوم يفهمون ان الاسلام دين العلم : العلم الشرعي ، والعلم الكوني عـلى السـواء ، وان شعاره في ذلك : **« وقل ربّ زدني علماً »** . (طه : ١١٤)

ويوم يفهمون ان الاسلام اعتبر الانسان خليفة الله في الأرض ليملك زمامها، ويستخرج دفائنها ، ويطلع على كل سر فيها ، وان شعاره في ذلك : **« هو الذي جعلكم خلائف الأرض »** . (الأنعام : ١٦٥)

ويوم يفهمون ان الاسلام كرم الانسان ، وفضله على كثير مما خلق الله . . ليضطلـع بمسؤولياته ، ويؤدي المهمـة الموكـل بها ، وان شعـاره في ذلـك :
« ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهـم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا » . (الإسراء : ٧٠)

ويوم يفهمون ان الاسلام يعتبر الانسانمسؤو لا عن عقله ، ومسؤولا عـن حـواسه إذا هو قـام بدور الإهمـال والتعطيل ؛ وإن شعـاره في ذلـك :
« ولا تقفُ ماليس لك به علم ؛ إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا » . (الإسراء : ٣٦)

ويوم يفهمون ان الاسلام اعتبر هذا الكون كله مسخراً للانسان ، ليستعمله في خدمة العلم ، وخدمة الانسانية ، وان شعاره في ذلك : **« وسخّر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه . . »** . (الجاثية : ١٢)

ويوم يفهمون ان الاسلام دين التأمل والتفكر في خلق السموات والأرض للوصول إلى الحقائق الثابتة ، وان شعاره في ذلك : **« قـل انظروا مـاذا فـي السموات والأرض . . »** . (يونس : ١٠٢)

ويوم يفهمون ان الاسلام دين العمل والنشاط والحيوية ، وأن شعاره في ذلك : ((**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا ، فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور**)) . (الملك : ١٥)

ويوم يفهمون ان الاسلام يحرم اليأس ، وينهى عن القنوط وان شعاره في ذلك : ((**إنه لا ييأس من رَوح الله إلا القوم الكافرون**)) . (يوسف : ٨٧)

ويوم يفهمون ان الاسلام دين العزة والكرامة ، فيجب ان يتوجوا رؤوسهم بها ، ويرفعوا في العالم لواءها ، وأن شعاره في ذلك : ((**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين لايعلمون**)) . (المنافقون : ٨)

يوم يفهم المسلمون عن دينهم كل هذا ، ويعرف الناس — وعلى راسهم الدعاة إلى الله — طبيعة هذا الدين ، وحقيقة هذا الاسلام فلا يتملكهم يأس ، ولا يدبّ في نفوسهم قنوط .. بل ينطلقون في مضمار الدعوة والاصلاح والبناء .. ليعودوا — كما كان سلفهم — اساتذة للدنيا ، وهداة للأمم ، ومنارات متلألئة في ظلمات الحياة .. فتستقي البشرية من علومهم ، وتنهل من معين معارفهم وحضارتهم على مر العصور ، إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها .



ب — ويوم يتحرر المسلمون — وعلى راسهم العلماء ورجال الدعوة إلى الله — من حب الدنيا ، والركون إليها ، والتمتع الزائد بلذائذها وطيباتها .. ويجعلون هداية الناس ، وإصلاح المجتمع ، والسعي إلى إقامة حكم الله في الأرض .. اكبر همهم ، ومبلغ علمهم ، وغاية الغايات ، ومنطلق العزائم والنيات .

ويوم يتحررون من الجبن ، والخوف ، وكراهية الموت ، ويوقنون من قرارة نفوسهم ان الأرزاق بيد الله ، وأن الذي يضر وينفع هو الله ، وان ماأصابهم

لم يكن ليخطئهم ، وان ما اخطاهم لم يكن ليصيبهم ، وان الأمة لو اجتمعت على ان ينفعوهم بشيء لم ينفعوهم إلا بشيء قد كتبه الله لهم ، وإن اجتمعوا على أن يضروهم بشيء ، لم يضروهم إلا بشيء قد كتبه الله عليهم .

يوم يوقن المسلمون بهذا ، ويتحررون من اسباب الضعف والوهن ، فعندئذ يطلقون في ميادين الدعوة إلى الله ، وفي مجالات التربية والتوجيه والاصلاح . . غير هيّابين ولا وجلين ، مبلغين رسالات ربهم لايخشون احداً إلا الله . بل واثقين كل الثقة ان الله سبحانه سينصرهم، ويمكن لهم في الأرض ، ويبدلهم من بعد خوف أمناً ، ومن بعد ذلة عزاً ، ومن بعد تفرق وحدة . وما ذلك على الله بعزيز ، إنهم صحّحوا النيات ، وعقدوا الهمة والعزيمة ، وتحرروا من اليأس والخوف وحب لدنيا !!..



ج ـ ويوم يعرف المسلمون انهم خلقوا في الحياة لأجل هدف سام ، وغاية نبيلة ، هذه الغاية قد قررها الله لهم في محكم تنزيله حين قال :ـ

« وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون » (الذاريات : ٥٦)

ولكن ما هي هذه العبودية التي يريدها الله منا ، ويأمرنا بها ، ويحضنا عليها ؟.

إنها الخضوع والانقياد لمنهجه الثابت ، وصراطه المستقيم .

إنها حمل الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال ، فأبين ان يحملنها واشفقن منها .

إنها التكليف المستمر في إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام .

إنها اعطاء الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين .

إنها رفض المبادىء والافكار التي لاتنبثق من شريعة الاسلام .

هذه هي مهمة المسلم في الارض ؛ وهذه هي غايته في الحياة ، فحين يعطي المسلم ولاءه لله ورسوله والمؤمنين ، يكون عبداً لله ؛ وحين يحمل الأمانة بنفس مؤمنة وعزيمة صادقة يكون عبداً لله ؛ وحين لا يقبل هدياً إلا هديه ، ولا تشريعاً إلا تشريع دينه يكون عبداً لله ؛ وحين يستمر في حركية دائمة وجهاد دائب ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الاسلام يكون عبداً لله .

وإلا .. فإنه يكون هملاً من سقط المتاع ، عبداً للهوى ، وعبداً للطاغوت، وعبداً لليأس والجمود والقنوط .. يسير بلا غاية ، ويتخبط بلا هدى ، ويتعثر بلا دليل .. **« أوَمن كان ميتاً فاحييناه ، وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ، كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، كذلك زُيّن للكافرين ما كانوا يعملون »**
(الأنعام : ١٢٢)

إذن فليعلم المسلمون طبيعة دينهم .

وليتحرروا من حب الدنيا وكراهية الموت .

وليعرفوا الغاية التي من اجلها خلقوا ، وعلى اساسها وجدوا ..

حتى ينهضوا بالاسلام من جديد ، ويستعيدوا مجدهم الداثر ، وعزيمتهم المنيعة ، وقوتهم الهائلة ، ووحدتهم الشاملة ، وما ذلك على الله بعزيز .

٥ ـ ولكن ما السبيل إلى الإصلاح ؟ وما البداية الصحيحة في تكوين المجتمع الصالح ؟ وما المهمة الملقاة على كاهل الآباء والمربين ، ورجالات التربية والاصلاح في هذا العصر ؟ كل هذه التساؤلات في الحقيقة تدور حول منطلق واحد ، وترمي إلى غاية واحدة .

اما انها تدور حول منطلق واحد فلأن كل من يهمه امر الإصلاح ، وكل من

يعتني بقضية التربية .. يسعى جهده لتغيير هذا الواقع المرير الذي يتخبط اكثر الناس فيه ، ويبذل كل ما يملك من وسائل وإمكانات لبرى هذا المجتمع في المستوى اللائق ، والحياة الهانئة الكريمة .

واما انها ترمي إلى غاية واحدة : فلأن كل العاملين في حقل التربية والتوجيه والاصلاح .. يجندون قواهم ، ويشحذون عزائمهم لإقامة المجتمع الفاضل ، وإيجاد الأمة القوية في إيمانها . والقوية في اخلاقها ، والقوية في جسمها ، والقوية في علومها ، والقوية في نفسيتها .. لتستطيع ان تصل إلى النصر المؤزر ، والوحدة الشاملة ، والمجد الضخم العريض !!..

ولكن ما ملاك هذا كله ؟ وما وسائل تطبيقه ، ومراحل تنفيذه ؟

الجواب يكمن في كلمة واحدة ، الا وهي : كلمة التربية . ولكن لهذه الكلمة مدلولات كثيرة ، ومجالات واسعة ، ومفهومات شاملة !!..

فمن مدلولاتها ومفهوماتها : تربية الفرد ، وتربية الأسرة ، وتربيةالمجتمع، وتربية الانسانية .. وتحت كل صنف من هذه الأصناف تتفرع انواع ، وتندرج اقسام .. وكلها تهدف إلى إقامة المجتمع الفاضل ، وإيجاد الأمة المثلى .

وما تربية الأولاد إلا فرع من تربية الفرد الذي يسعى الاسلام إلى إعداده وتكوينه ليكون عضوا نافعاً ، وإنساناً صالحاً في الحياة .

بل تربية الولد إن احسنت ووجهت ما هي في الحقيقة إلا اساس متين في إعداد الفرد الصالح ، وتهيئته للقيام بأعباء المسؤولية ، وتكاليف الحياة .

٦ ــ وما هذا الكتاب الذي بين يديك ــ اخي القارىء ــ إلا تبيان للمنهج الكامل الصحيح **في تربية الأولاد في الاسلام** . وحين يوفقك الله سبحانهلقراءته

تعلم انمنمزايا هذا التشريعالاسلامي **مزية الشمول** ، الشمولالكاملكلمايسعد الانسانية في دينها ودنياها وآخرتها ؛ ويتبين لك كذلك ان للاسلام **طريقته في التربية ، ومنهجه في الاصلاح** ، فحينما يأخذ المربون بطريقته ومنهجه ..

يحل في الأمة الاستقرار والأمن والسعادة ، محل الفوضى والخوف والشقاء.. ويتضح لناظريك ايضاً ان هذا الاسلام **هو دين الحياة ، ودين الانسانية ، ودين الوعي والتربية والاصلاح** . وحينما تهتدي البشرية بهديه ، وتستقي الأمم من معينه ، وتأخذ الدول بمبادئه وتشريعه ، فإن السلام في العالم يسود ، ومعالم المجتمع الفاضل تتراءى للأعين بجلاء ووضوح ، ويعيش الناس في ظلال الاسلام سعداء آمنين !!..

لماذا ؟ لأنه دين رب العالمين ، ورسالة فخر الانسانية صلى الله عليه وسلم والتشريع الشامل الكامل الذي ارتضاه الله للبشرية ليكون لها دستوراًومنهاجاً .

٧ ــ ومن الملاحظ ان المكتبة الاسلامية فقيرة في كل ما كتب عن تربية الاولاد في الاسلام ، وحتى الآن لم اعثر ــ فيما اطلعت عليه ــ على كتاب جامع شامل مستقل يبحث عن تربية الولد منذ ولادته إلى ان يبلغ سن التكليف ، اللهم إلا كتاب « تحفة المودود في احكام المولود » لابن القيم الجوزية رحمه الله، فإنه يبحث فقط في المولود ، وما يتعلق به من احكام ، وقد استفدت منه كثيراً في كتابة الفصل الثالث وما بعده في القسم الأول ، فجزى الله مؤلفه افضل الجزاء ، واجزل مثوبته ، ورفعه في الدار الآخرة مقاماً علياً .

والله يعلم كم بذلت من جهد ! وكم بحثت في مراجع ! لاخرج لقراء العربية كتاباً جامعاً شاملا مستقلا يتناول تربية الولد منذ الولادة إلى التمييز إلى المراهقة إلى سن التكليف .. ويتناول كذلك المنهج الكامل الذي يجب ان يسير عليه الآباء والمربون، وكل من له فيعنقه حق التوجيه والتربية ؛ وقد جاءالكتاب ــ والحمد لله ــ موفياً بالغرض ، محققاً للهدف ، مفصلا الوسائل والغايات ..

هذا ولا ادعي الكمال فيما كتبت ، والعصمة فيما بحثت ، والاستيعاب فيما الفت ، ولكن أرجو من الله سبحانه ان تكون هذه البداءة **حافزاً لرواد الفكر الاسلامي** في هذا العصر في أن يشحذوا أقلامهم ويحركوا هممهم وعزائمهم .. ليكتبوا في حقل تربية الأولاد ، ويستوعبوا البحث فيها ، ويكثروا من البحوث والتآليف لتبيان وسائلها وغاياتها .. لنرى بعد قليل أن المكتبة الاسلامية قد فاضت بالكتب التربوية ، والبحوث الإرشادية .. ليكون عند كل من يهمه امر التربية المراجع الوافية لاتباع افضل الطرق في إعداد الولد إسلامياً ، وتكوينه روحياً وخلقياً وفكرياً .. ويوم تتضافر جهود العاملين في الكتابة عن التربية الاسلامية ، ويؤدون ما عليهم من واجب ومسؤولية في هذا المضمار .. يكونون قد ابانوا للجيل الحاضر طريق العز والقوة ، ووضحوا لكل ذي عينين من أبناء الانسانية الوسائل العملية التي تؤدي إلى إقامة المجتمع الفاضل ، وتكوين الجيل المثالي .

٨ ـ ولقد رايت ان اخرج كتاب « تربية الأولاد في الاسلام » في ثلاثة اقسام متتابعة ، كل قسم يتناول عدة فصول ، وكل فصل يندرج تحته عدة موضوعات ، وستكون عناوين الفصول في كل قسم على النحو التالي :

القسم الأول : ويتناول اربعة فصول :

الفصل الأول : الزواج المثالي وارتباطه بالتربية .

الفصل الثاني : الشعور النفسي نحو الأولاد .

الفصل الثالث : احكام عامة تتعلق بالمولود ، ويشمل هذا الفصل اربعة مباحث :

الأول : ما يفعله المربي عند الولادة .

الثاني : تسمية المولود واحكامها .

الثالث : عقيقة المولود واحكامها .

الرابع : ختان المولود واحكامه .

الفصل الرابع : اسباب الانحراف عند الأولاد ومعالجته .



القسم الثاني : وهو بحث واحد تحت عنوان « المسؤوليات الكبرى لـدى المربين » ويتناول سبعة فصول :

الفصل الأول : مسؤولية التربية الإيمانية .
الفصل الثاني : مسؤولية التربية الخلقية .
الفصل الثالث : مسؤولية التربية الجسمية .
الفصل الرابع : مسؤولية التربية العقلية .
الفصل الخامس : مسؤولية التربية النفسية .
الفصل السادس : مسؤولية التربية الاجتماعية .
الفصل السابع : مسؤولية التربية الجنسية .



القسم الثالث : ويتناول ثلاثة فصول وخاتمة :

الفصل الأول : وسائل التربية المؤثرة .
الفصل الثاني : القواعد الأساسية في تربية الولد .
الفصل الثالث : اقتراحات تربوية لابد منها .
واخيراً : خـاتمة المطـاف .



تلكم هي الخطوط العريضة لفصول كل قسم من اقسام الكتاب . وستجد اخي القارىء ان تحت كل فصل من هذه الفصول بحوثاً هامـة ، وموضوعات مفيدة ، وكلها تستهدف توضيح المنهج الافضل في التربية القويمة للأبنـاء ، وإعدادهم اعضاء صالحين للحياة ، وجنوداً اقوياء للاسـلام ، وشباباً وثابـاً يحملون في نفوسهم انبل معاني الكرامة والتضحية والفداء .

وفي الختام اسال الله سبحانه ان يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يتقبله مني يوم العرض عليـه ، وان يجعل من هـذه السلسلة اداة نفـع للعباد ، وشعلة نور وهداية لكل من يريد ان يسير في الحياة على هدى وصراط مستقيم ، إنه افضل مأمول ، وبالإجابة جدير .

المؤلف
عبد الله ناصح علوان

مقدمة لفضيلة العالم الكبير
الشيخ وهبي سليمان الغاوجي الألباني

١ ـ لقد عرفت الاستاذ الشيخ عبد الله علوان من خلال رسالته الاولى (الى ورثة الأنبياء) ثم من خلال رسائله وكتبه مثل : « التكافل الاجتماعي في الاسلام» «حتى يعلم الشباب» «صلاح الدين الأيوبي» ، كما عرفته من خلال حديثه والعمل المشترك حينا من الدهر في مجال التربية والتعليم . لقد عرفته في ذلك ، وفيما سمعت عنه ، ولو سئلت ان أقول في الشيخ عبد الله علوان قولا وجيزاً لقلت : الرجل مؤمن عالم يعيش وبين عينيه وفي جوانحه، وفي قلبه ودمه قوله، صلى الله تعالى عليه وسلم (.. من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) .

لذا تجده حينا يخاطب العلماء أن يقوموا بواجب تبليغ الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة فيكتب لهم (الى ورثة الانبياء) وحينا يخاطب العامة فيحذرهم من المرناة (الرائي) ويبين لهم اخطاره وسيّء آثاره في رسالته « حكم الاسلام في التلفزيون »، التي طوّرها الى كتاب اسماه (حكم الاسلام في وسائل الاعلام) وحينا يخاطب الطلاب فيكتب لهم رسالة « شبهات وردود » .

وحينا يخاطب الشباب فيكتب لهم (حتى يعلم الشباب) .

وحينا يخاطب القائمين على شؤون المجتمع فيكتب لهم (التكافل الاجتماعي في الاسلام) .

وحينا يثير فينا أشواق الماضي ، ويذكرنا بعظمة الماضي فيكتب (صلاح الدين الأيوبي) .

وحينا يخاطب المسلمين باسلوب العلم والفقه فيكتب لهم (احكام الصيام) و (احكام الزكاة ..) .

وحينا يدل على وسيلة تخليص المجتمع من اوضار الراسمالية فيكتب لهم (احكام التامين) ، ويذكر اخطاره واضراره .. ويبين بديله الحق في التكافل الاسلامي .

ونجده الآن يكتب في (تربية الاولاد في الاسلام) لاولئك جميعا ، فجزاه الله تعالى خيراً ، وزاده توفيقا ، وبارك له في عمره وفي عمله .

٢ ـ لقد كتب كتابه الأخير هذا ، وجعله في اربعة اجزاء ، وقد بلغ ما كتبه في

هذا الموضوع (١٣٧٦) صفحة من القطع المتوسط . وهو امر يدل حقا على عنايته العظيمة بتربية اجيال المستقبل فضلا عن غير ذلك من العلم والمعرفة .

□ ما اعلم احداً كتب في تربية الاولاد من وجهة النظر الاسلامية على سعة وبسط وصدق مجموعا كما فعل الاستاذ الشيخ عبد الله علوان .

□ ما اعلم كاتبا اكثر من الشواهد الاسلامية في القرآن والسنة وآثار السلف الصالح على ما يقرره من احكام ووصايا وآداب ، كما فعل الاستاذ الشيخ عبد الله علوان .

□ ما اعلم كاتبا اكتفى في هذه البحوث التربوية الهامة بكتابات المسلمين الأصيلة ، دون العروج الى ما قاله الآخرون « الا عند الحاجة الماسة لغاية خاصة » كما فعل الاستاذ الشيخ عبد الله ، ذلك لانه يكتب لمسلمين يوجهون مسلمين ، فهو يختصر الطريق ، ولان له من الثقافة الاسلامية القائمة على اصول الاسلام وتجارب المسلمين الماضين والمعاصرين ، ما يجد بها غنية عما عند الآخرين .

□ ما اعلم كاتبا كتب بحرقة وقوة في موضوع تربية الاولاد كما فعل الاستاذ الشيخ عبد الله .

٣ ـ اما بعد ، فلقد هممت بان اثبت عناوين بعض بحوث هذا الكتاب القيم ، وان أعرض لما من نقاط نيرة مفيدة منه ، « وما اكثرها » لتكون نموذجا . واعلانا ينبي عن كنه الكتاب وحقيقته ، لكني تركت ذلك كيلا اطيل على القارىء الكريم في هذه الكلمة ، وكي يصل هو بنفسه الى ما كنت أودّ عرضه وزيادة .

لكني انقل كلمة الاستاذ الشيخ عبد الله في نهاية الكتاب التي جعلها تحت عنوان : اقتراحات تربوية لابد منها .

يرى الاستاذ انها تنحصر في الأمور التالية : تشويق الولد الى أشرف الكسب ـ مراعاة استعدادات الولد الفطرية ـ ترك المجال للولد في اللعب والترويح ـ ايجاد التعاون بين البيت والمسجد والمدرسة ـ تقوية الصلة بين المربي والولد ـ السير على منهج تربوي في اليوم والليلة ـ تهيئة الوسائل الثقافية للولد ـ تشويق الولد الى المطالعة الدائمة ـ استشعار الولد الدائمة بمسؤولية الاسلام ـ تعميق روح الجهاد في نفسية الولد . لقد كتب في شرح هذه المقترحات (١٧٧) صفحة ، فهل ترى أن الكاتب الفاضل ترك مزيدا لمستزيد في واجب تربية الاولاد والعناية بهم ؟

فما اجدر الآباء والأمهات ، ما اجدر المربين والعاملين في ميدان التربية ، ما اجدرهم جميعا بقراءة كتاب (تربية الاولاد في الاسلام) ، وان يسيروا مع كتابنا هذا في تربية من يلون امرهم فكفى بالمرء اثما ـ كما يقول رسولنا صلى الله عليه وسلم ـ ان يضيع من يقوت) رواه مسلم .

وايّ ضياع اشد واخطر من إضاعة القلوب وتحريفها عن الجادة او تركها تضيع هكذا بسبب الاهمال ؟!

ايّ ضياع اشد من ضياع هو الخروج على الاسلام والتنكر لأحكامه ؟

ايّ ضياع اشد من ضياع قلوب الأولاد وعقولهم واخلاقهم ، ثم بقاء اجسادهم كانها خشب مسندة لاتحمل عقيدة عظيمة ولا تعيش لغاية عظيمة ؟!

اقر الله عينك ياشيخ عبد الله ، وعيون امثالك ، فينشأ الجيل ، الجيل المثالي يعيش عيش اول جيل مثالي على الأرض ، ويوفقه الله تعالى كما وفقذلك الجيل الأول ، جيل رسوله صلى الله عليه وسلم وصحبه البررة الأخيار رضي الله تعالى عنهم فيستخلفه في الارض ويمكن له دينه الذي ارتضى ، ويبدله من بعد خوفه امنا ، ويرفع رايته على كل صقع ورابية ، ويجعل الدين كله لله .

وما ذلك على الله بعزيز **(ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم) .**

وهبي سليمان الألباني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

للمؤلف

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على معلّم الناس الخير، وهادي البشرية الى نور الحق المبين، والصراط المستقيم .. ورضي الله عن آله واصحابه والتابعين .. ممّن حملوا إلى العالم رسالة الإسلام، وتعاليم القرآن .. ورضي ايضاً عمّن سار على دربهم، ومشى على طريقتهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد : فاحمده سبحانه اولا وآخراً على ما منّ ووفّق في إنجاز كتاب « تربية الأولاد في الاسلام » باقسامه الثلاثة .

وقد جاء الكتاب بعد اكتماله ــ كما شهد اهل الاختصاص ــ موفياً بالغرض، موضّحاً للوسائل، مرشداً للطريقة، مستوعباً للمبادىء، منوّعاً للمسؤوليات، ملبياً للحاجة، مناسباً لروح العصر، متلائما مع واقع الجيل، وحالة الأمة الاسلامية الراهنة ..

واملي وطيد ان يجد قرّاء العربية في هذا الكتاب امنيتهم الغالية في كل ما يحتاجونه لأولادهم في الحاضر او في المستقبل.. من مبادىء توجيهية عامة، وقواعد تربوية شاملة ..

كما آمل ان قد سددت بإخراج هذا الكتاب ثغرة كبيرة في عالم الكتب، ومجال التربية .. حيث اصبح المربّي يجد في المكتبة الاسلامية الحاضرة كتاباً تربوياً شاملا . يعالج **((تربية الولد))** من جميع الجوانب، ويضع بين يديه القواعد الأساسية في إعداد الولد روحيا وعقلياً وجسمياً، وفي تكوينه خلقيا ونفسيا واجتماعيا ..

كما ارجو ان يكون الكتاب هذا مناراً متلألئاً يستهدي به كل من يريد أن يربّي ولده على اصالةالعقيدة الربانية ، وسنن الإسلام ، وهدي القرآن ، ومعالم السنة ، وطرائق السَّلف ، ومنهجية الشريعة الاسلامية الغراء !!..

وابشر المربيّن على اختلاف مستوياتهم باني اضفت إلى هذه الطبعة في قسم « مسؤولياتالمربّين » بحثاً جديداً بعنوان **« مسؤولية التربية الجنسية »** الذي يعالج ميل الولد الى الجنس ، وكفّه عن الفاحشة في سن المراهقة ، وارشاده الى اصول الاتصال الجنسي اذا بلغ سن البلوغ، ودخلعتبة الزواج!!.

واريد في هذه المناسبة ان اذكر إخوتي المربّين بأن يوافوني بملاحظاتهم واقتراحاتهم اذا رأوا في الكتاب ثمة نقص أو نقد .. وأنا شاكر لهم سلفا حسن صنيعهم ، وكريم اهتمامهم ، لأن الكمال لله تعالى وحده ، والعصمة لأنبيائه ورسله ، وما منّا إلا مَن ردّ ورُدّ عليه .. عسى ان استدرك ذلك فيالطبعات القادمة اذا يسّر الله لي بقاء الصحة وطول العمر !!..

وإن مما يثلج الصدر ، ويفرح القلب ان ارى في شبابنا وشاباتنا ظاهرة التلهف الى شراء الكتاب الاسلامي لمطالعته والاستفادة منه .. وما ان نزل القسم الأول والثاني والثالث من كتاب التربية الى السوق حتى تزاحم الشباب والمربون على اقتنائه ، وما كنت اتوقع ان تنفد النسخ بهذه السرعة العجيبة .

وهذه الظاهرة تدل على أن جيلنا المسلم بدأ يتجه نحو الاسلام لما تولّد عنده من قناعة عقليةوقلبية .. هذه القناعة تتجسد في أن هذا الاسلامبتشريعه الشامل ، ومبادئه الخالدة هو المنقذ الوحيد مما يعانيه من آفات نفسية ، وانحرافات خلقية ، وضغوط سياسية ، وتفسّخ اجتماعي ..

« قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين ، يهدي الله به من اتبّع رضوانه سبُل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » . (المائدة : ١٦)

وإني لألمح في خيالي ان طلائع الاسلام بداتتتحركنحو المستقبل لتقيم في مجتمعنا الاسلامي مجداً إسلامياً عريضاً يضاهي الأمم الكبيرة في عزتها وشموخها .. وان من اعظم العوامل التي تحقق للإسلام دولته ، وللمسلمين

عزتهم .. ان تتضافر جهود العاملين للاسلام في تكوين جيل قرآني مؤمن ، وإعداد امة اسلامية مجاهدة ، وتهيئة مجتمع رباني فاضل ..

وما ذلك على الله بعزيز اذا اخذ العاملون بالوسائل ، وسار المسلمون نحو الغايات !!.

وها أنذا اقدم لجيلنا المسلم المعاصر على اختلاف مستوياته وثقافاته .. الطبعة الثانية من كتاب التربية بتنقيحاتها وزياداتها .. عسى ان يجدوا في الكتاب ما ينشدونه من اسس في الإعداد متينة ، ومن قواعد في التربية راسخة، ومن مبادىء في التكوين سامية .. فلا يرون من بدّ سوى ان يأخذوا بمنهجية التربية الاسلامية الشاملة التي وضّحت معالمها شريعة الاسلام ووضع اصولها النبي عليه الصلاة والسلام !..

وختاماً اذكّر القراء الكرام بان يشملوني بدعوة صالحة في ظهر الغيب القى فيها ربّي إن راوا في هذا الكتاب خيراً وانا لهم من الشاكرين ..

الله اسأل ان يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ، وان يتقبّله مني يوم العرض عليه ، وان يوفقني دائماً لنصرة هذا الدين الحق ، وتوضيح فكرة الاسلام الكلية عن الكون والحياة والانسان .. إنه أكرم مأمول وبالإجابة جدير.

المؤلف

عبد الله ناصح علوان



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثالثة المزيدة للمؤلف

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى دعاة الحق ، وقادة الخير باحسان الى يوم الدين وبعد :

فما كنت أحسب أن يلقى كتابى [تربية الأولاد فى الاسلام] من الاعجاب والتقدير ، والثناء العطر .. من كل من اجتمعت به من أساتذة وعلماء وتربويين ، ومن كل من راسلونى من أقطاب فكر ، ورجال أدب ، وقادة دعوة .. والحمد لله أولا وآخراً فهو الذى من ووفق ، وأعطى ووهب ، وألهم ويسر .. فمنه نستمد العون ، وعليه نتوكل ، واليه يرجع الفضل كله .. وها هو ذا الكتاب أقدمه للطبعة الثالثة مع زيادتين هامتين :

الأولى ـ تبيان الأدلة القاطعة فى وجوب ستر وجه الفتاة المسلمة .

الثانية ـ تدعيم الوقائع فى انحرافات الجنس على ضوء ما جد من أحداث . وأرجو من الله العلى القدير أن يخرج الكتاب فى طبعته الثالثة فى أجمل طباعة ، وأبهى حلة ، وأفضل اخراج .. ليكون عوناً وسنداً لكل من يهمه تربية أولاده على قواعد الاسلام ، ولكل من يسعى فى تكوين جيل على أساس الأخلاق والايمان .. وفى اسلامنا والحمد لله أفضل الأسس فى التربية ، وأقوى الدعائم فى التوجيه والأخلاق .. فهو يفى بحاجات الأمة الاسلامية فى كل زمان ومكان فى كل ما تتطلع اليه من غد مشرق أفضل ، ومستقبل متفائل بسام ..

الله أسأل أن يوفق جيل الاسلام اليوم الى أن يجعل الاسلام رائده فى الفكر والعقيدة وغايته فى التطبيق والعمل والتربية ، ومقصده فى التطلع الى عزة سامقة ، وكرامة منشودة ، ووحدة اسلامية شاملة .. انه خير مسؤول وبالاجابة جدير ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف
عبد الله ناصح علوان

القسم الأول

الزواج المثالي وارتباطه بالتربية

الشّعور النّفسي نحو الأولاد

أحكام عامّة تتعلّق بالمولود

أسباب الانحراف عند الأولاد ومعالجته

الفصل الأول

الزواج المثالي وارتباطه بالتربية

قبل أن أشرع في بيان الأسس التي وضعهـا الاسلام في تربية الأولاد يحسن أن أتعرض ــ ولو باختصار ــ للزواج من نواح ثلاثة :

آ ــ الزواج فطرة انسانية

ب ــ الزواج مصلحة اجتماعية

ج ــ الزواج انتقـاء واختيـار

لأن التعرض لمثل هذه النواحي توضح وجـه ارتباط التربيـة بتحمل المسؤولية وإنجاب الذرية ، والاعتراف بنسب الولد ، وسلامة جسمه وأخلاقه، وتأجيج عاطفة أبويه نحوه ، وتعاون الزوجين على تربيته ، وتقويم اعوجاجه ، وإعداده إنساناً صالحاً للحياة .

وإليكم بعض التفاصيل في كل ناحية من هذه النواحي الثلاثة :

ا ــ الزواج فطـرة انسانيـة

من الأمور البديهية في مبادىء الشريعة الاسلامية أن الشريعة حـاربت

الرهبانية لكونها تتصادم مع فطرة الانسان ، وتتعارض مع ميـولـه وأشواقه وغرائزه .

فد روى البيهقي في حـديث سعد بن أبي وقـاص رضي الله عنـه : (إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفيّة السمحة) .

وروى الطبراني والبيهقي عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم أنه قال : (من كان موسراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس مني) .

فأنت ترى من هذه الأحاديث وغيرها أن شريعة الاسلام تحرم على المسلم أن يمتنع عن الزواج ، ويزهد فيه بنية الرهبانية ، والتفرغ للعبادة ، والتقرب إلى الله ، ولا سيما إن كان المسلم قادراً عليه ، متيسراً له أسبابه ووسائله .

ونحن إذا تأملنـا مواقف رسول الله ﷺ في مراقبـة أفراد المجتمع ، ومعالجة النفس الانسانية ، ازددنا يقينـا بأن هذه المراقبة وتلك المعالجـة مبنيتان على إدراك حقيقة الانسان ، وراميتان إلى تلبية أشواقه وميوله ، حتى لايتجاوز أي فرد في المجتمع حـدود فطرته ، ولا يعمل ما ليس بامـكانه واستطاعته ، بل يسير في الطريق السوي سيراً طبيعياً متلائماً معتدلا ، لايتعثر وقد سار الناس ، ولا يتقهقر وقد تقدم البشر ، ولا يضعف وقد قوي أبنـاء الحياة ((**فطرة الله التي فطر الناس عليها، لاتبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن اكثر الناس لا يعلمون**)) . (الروم : ٣٠)

وإليكم هذا الموقف من رسول الله ﷺ ، فهو يعد من أعظم المواقف الاصلاحية والتربوية في معالجة الطبـائع السلبية ، وفهم حقيقة الانسان .

روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه : (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها (وجدوها قليلة) فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ، قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فاني أصلي الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني) .

فمن هذه النصوص يتبين لكل ذي عقل وبصيرة **أن الزواج في الاسلام فطرة انسانية ، ليحمل المسلم في نفسه امانه المسؤولية الكبرى تجاه من له في عنقه حق التربية والرعاية ..** حينما يلبي نداء هذه الفطرة ، ويستجيب لأشواق هذه الغريزة ، ويساير سنن هذه الحياة !!.

ب ـ الزواج مصلحة اجتماعية

من المعلوم أن للزواج في الاسلام فوائد عامة ، ومصالح اجتماعية ، سنتعرض بتوفيق الله لأهمها ، ثم نبين وجه ارتباطها بالتربية .

١ ـ المحافظة على النوع الانساني : فبالزواج يستمر بقاء النسل الانساني ، ويتكاثر ، ويتسلسل .. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ؛ ولا يخفى ما في هذا التكاثر والتسلسل من محافظة على النوع الانساني ، ومن حافز لدى المختصين لوضع المناهج التربوية ، والقواعد الصحيحة لأجل سلامة هذا النوع من الناحية الخلقية ، والناحية الجسمية على السواء ، وقد نوّه القرآن الكريم عن هذه الحكمة الاجتماعية ، والمصلحة الانسانية حين قال :

« والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة » .
(النحل : ٧٢)

وقوله : **« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء » .** (النساء : ١)

٢ ــ **المحافظة على الأنساب :** وبالزواج الذي شرعه الله لعباده يفتخر الأبناء بانتسابهم إلى آبائهم ، ولا يخفى ما في هذا الانتساب من اعتبارهم الذاتي واستقرارهم النفسي، وكرامتهم الانسانية، ولو لم يكن ذلك الزواج الذي شرعه الله ، لعجّ المجتمع بأولاد لا كرامة لهم ولا أنساب ؛ وفي ذلك طعنة نجلاء للأخلاق الفاضلة ، وانتشار مريع للفساد والإباحية ..

٣ ــ **سلامة المجتمع من الانحلال الخلقي :** وبالزواج يسلم المجتمع من الانحلال الخلقي ، ويأمن الأفراد من التفسخ الاجتماعي .. ولا يخفى على كل ذي إدراك وفهم أن غريزة الميل إلى الجنس الآخر حين تشبع بالزواج المشروع، والاتصال الحلال ، تتحلى الأمة ــ أفراداً وجماعات ــ بأفضل الآداب، وأحسن الأخلاق ، وتكون جديرة بأداء الرسالة ، وحمل المسؤولية على الوجه الذي يريده الله منها . وما أصدق ما قاله عليه الصلاة والسلام في إظهار حكمة الزواج الخلقية ، وفائدته الاجتماعية حين كان يحض فئة من الشباب على الزواج : (يا معشر الشباب : من استطاع منكم الباءة[1] فليتزوج ، فانه أغض للبصر، وأحصن للفرج ، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء)[2] رواه الجماعة.

---

(١) الباءة : القدرة على الزواج .
(٢) وجاء : قاطع للشهوة .

٤ ـ **سلامة المجتمع من الأمراض :** وبالزواج يسلم المجتمع من الأمراض السارية الفتاكة التي تنتشر بين أبناء المجتمع نتيجة للزنى ، وشيوع الفاحشة، والاتصال الحرام •• ومن هذه الأمراض مرض الزهري ، وداء السيلان (التعقيبة) •• وغيرها من الأمراض الخطيرة التي تقضي على النسل ، وتوهن الجسم ، وتنشر الوباء ، وتفتك بصحة الأولاد •

٥ ـ **السكن الروحاني والنفساني :** وبالزواج تنمو روح المودة والرحمة والإلفة ما بين الزوجين • فالزوج حين يفرغ آخر النهار من عمله ، ويركن عند المساء إلى بيته ، ويجتمع بأهله وأولاده ، ينسى الهموم التي اعترته في نهاره، ويتلاشى التعب الذي كابده في سعيه وجهاده ، وكذلك المرأة حين تجتمع مع زوجها ، وتستقبل عند المساء رفيق حياتها •

وهكذا يجد كل واحد منهما في ظل الآخر سكنه النفسي ، وسعادته الزوجية ، وصدق الله العظيم عندما صور هذه الظاهرة بأبلغ بيان ، وأجمل تعبير : **« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »** • (الروم : ٢١)

ولا يخفى ما في هذا السكن النفسي والروحي من حافز على تربية الأولاد ، والاعتناء بهم ، والرعاية لهم •

٦ ـ **تعاون الزوجين في بناء الأسرة وتربية الأولاد :** وبالزواج يتعاون الزوجان على بناء الأسرة ، وتحمل المسؤولية •• فكل منهما يكمل عمل الآخر، فالمرأة تعمل ضمن اختصاصها ، وما يتفق مع طبيعتها وأنوثتها ، وذلك في الإشراف على إدارة البيت ، والقيام بتربية الأولاد ، وصدق من قال :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

والرجل كذلك يعمل ضمن اختصاصه ، وما يتفق مع طبيعته ورجولته ، وذلك في السعي وراء العيال ، والقيام بأشق الأعمال ، وحماية الأسرة من عوادي الزمن ، ومصائب الأيام .. وفي هذا يتم روح التعاون ما بين الزوجين ، ويصلان إلى أفضل النتائج . وأطيب الثمرات في إعداد أولاد صالحين ، وتربية جيل مؤمن يحمل في قلبه عزمة الإيمان ، وفي نفسه روح الاسلام ؛ بل ينعم البيت بأجمعه ويرتع ويهنأ في ظلال المحبة والسلام والاستقرار ..

٧ ــ تأجج عاطفة الأبوة والأمومة : وبالزواج تتأجج في نفس الأبوين العواطف ، وتفيض من قلبيهما ينابيع الأحاسيس والمشاعر النبيلة .. ولا يخفى ما في هذه الأحاسيس والعواطف من أثر كريم ، ونتائج طيبة في رعاية الأبناء ، والسهر على مصالحهم والنهوض بهم نحو حياة مستقرة هانئة ، ومستقبل فاضل بسّام .

تلكم هي أهم المصالح الاجتماعية التي تنجم عن الزواج ، ولقد رأيت ــ أخي القارىء ــ ارتباط هذه المصالح بتربية الولد ، وإصلاح الأسرة ، وتنشئة الجيل .. فلا عجب أن نرى الشريعة الاسلامية قد أمرت بالزواج . وحضت عليه ، ورغبت فيه ؛ وصدق رسول الله ﷺ القائل : « ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة ، إن أمرها أطاعته . وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرّته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله » رواه ابن ماجه .

والقائل : « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » رواه مسلم.

ج ـ الزواج انتقاء واختيار

الاسلام بتشريعه السامي ، ونظامه الشامل .. قد وضع أمام كل من الخاطب والمخطوبة قواعد وأحكاما إن اهتدى الناس بهديها ، ومشوا على نهجها كان الزواج في غاية التفاهم والمحبة والوفاق .. وكانت الأسرة المكونة من البنين والبنات في ذروة الإيمان المكين، والجسم السليم ، والخلق القويم، والعقل الناضج ، والنفسية المطمئنة الصافية .

واليكم أهم هذه القواعد والأحكام :

١ ـ الاختيار على أساس الدين :

نقصد بالدين ـ حين نطلق لفظه ـ الفهم الحقيقي للاسلام ، والتطبيق العملي السلوكي لكل فضائله السامية ، وآدابه الرفيعة .. ونقصد كذلك الالتزام الكامل بمناهج الشريعة ، ومبادئها الخالدة على مدى الزمان والأيام .

فعندما يكون الخاطب أو المخطوبة على هذا المستوى من الفهم والتطبيق والالتزام .. يمكن أن نطلق على أحدهما أنه ذو دين وذو خُلق ؛ وعندما يكون الواحد منهما على غير هذا المستوى من الفهم والتطبيق والالتزام .. فمن البديهي أن نحكم عليه بانحراف السلوك ، وفساد الخُلق ، والبعد عن الاسلام .. مهما ظهر للناس بمظهر الصلاح والتقوى ، وزعم أنه مسلم متمسك ..

وما أدقّ ما سنّه الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لما

وضع الموازين الصحيحة لمعرفة الأشخاص ، وإظهار حقائق الرجال ، وذلك حينما جاءه رجل يشهد لرجلٍ آخر ..

فقال له عمر : أتعرف هذا الرجل ؟
فأجاب : نعم !.
قال : هل أنت جاره الذي يعرف مدخله ومخرجه ؟
فأجاب الرجل : لا
قال عمر : هل صاحبته في السفر الذي تعرف به مكارم الأخلاق ؟.
فأجاب الرجل : لا
قال عمر : هل عاملته بالدينار والدرهم الذي يعرف به ورع الرجل ؟.
فأجاب الرجل : لا

فصاح به عمر ، لعلك رأيته قائماً قاعداً يصلي في المسجد يرفع رأسه تارة ، ويخفضه أخرى ؛ فرد الرجل : نعم !!..

فقال له عمر : اذهب فإنك لاتعرفه ، والتفت إلى الرجل وقال له : ائتني بمن يعرفك . فعمر رضي الله عنه لم ينخدع بشكل الرجل ولا مظهره . ولكن عرف الحقيقة بموازين صحيحة كشفت عن حاله ؛ ودلت على تدينه وأخلاقه!!.

وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة : « إن الله لا ينظر الى صوركم وأجسادكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم .. » .

لهذا كله أرشد النبي صلوات الله وسلامه عليه راغبي الزواج بأن يظفروا بذات الدين ، لتقوم الزوجة بواجبها الأكمل في أداء حق الزوج وأداء حق

الأولاد ، وأداء حق البيت على النحو الذي أمر به الاسلام ، وحض عليه الرسول عليه الصلاة والسلام .

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت[1] يداك » .

وروى الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً ، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغضّ بصره ، ويحصّن فرجه ، أو يصل رحمه ، بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه » .

وبالمقابل أرشد النبي ﷺ أولياء المخطوبة بأن يبحثوا عن الخاطب ذي الدين والخلق . ليقوم بالواجب الأكمل في رعاية الأسرة ، وأداء حقوق الزوجية ، وتربية الأولاد ، والقوامة الصحيحة في الغيرة على الشرف ، وتأمين حاجات البيت بالبذل والإنفاق .

روى الترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض ، وفساد عريض » .

وأية فتنة أعظم على الدين والتربية والأخلاق من أن تقع الفتاة المؤمنة

---

(١) تربت يداك : كلمة تفيد الحث والتحريض . والدعاء له بكثرة المال ، وصار المعنى : اظفر بذات الدين ولا تلتفت إلى المال وغيره .

بين براثن خاطب متحلل ، أو زوج ملحد لايرقب في مؤمنة إلاً ولا ذمــة ، ولا يقيم للشرف والغيرة والعرض وزناً ولا اعتباراً ؟

وأية فتنة أعظم على المرأة الصالحة من أن تقع في عصمة زوج إبـاحي فاجر ، يكرهها على السفور والاختــلاط ، ويجبرهــا على احتساء الخمرة . ومراقصة الرجال ، ويقسرها على التفلت من ربقة الدين والأخلاق ؟

فكم من فتــاة ــ ويا للأسف ــ كانت في بيتأهلها مثالاً للعفةوالطهر. فلما انتقلت إلى بيت إباحي ، وزوج متحلل فاجر ، انقلبت إلى امرأة متهتكة مستهترة ، لا تقيم لمبــادىء الفضيلة أية قيمة ، ولا لمفهومات العفة والشرف أي اعتبار !!.

ومما لاشك فيه أن الأولاد حين ينشؤون في مثل هــذا البيت المتحلل المــاجن الآثم ، فإنهم سينشؤون ــ لامحالة ــ على الانحراف والإباحيــة ، ويتربون على الفساد والمنكر !!.

إذن فالاختيار على أساس الدين والأخلاق من أهم ما يحقق للزوجين سعادتهما الكاملة المؤمنة ، وللأولاد تربيتهم الاسلامية الفاضلة ، وللأسرةشرفها الثابت ، واستقرارها المنشود .

٢ ــ الاختيار على اساس الأصل والشرف :

ومن القواعد التيوضعها الاسلام في اختيار أحد الزوجين للآخر ، أن يكون الانتقاء لشريك الحياة من أسرة عريقة عرفت بالصلاح والخلق ، وأصالة الشرف ، وأرومة الأصل ، لكون الناس معادن يتفلوتون فيما بينهــم وضاعة وشرفاً ، ويتفاضلون فساداً وصلاحاً !!.

ولقد نوه النبي ﷺ في أن الناس معادن ، وأنهم يتفاوتون في الوضاعة والشرف ،و الخير والشر ، بقوله في الحديث الذي رواه الطيالسي ، وابن منيع ، والعسكري عن أبي هريرة : « الناس معادن في الخير والشر ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام ، إذا فقهوا » .

لهذا حض النبي ﷺ كل راغب في الزواج ، أن يكون الانتقاء على أساس الأصالة والشرف والصلاح والطيب .. وإليكم طاقة من أحاديثه الكثيرة المتضافرة .

فقد روى الدارقطني ، والعسكري ، وابن عدي ، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً : « إياكم وخضراء الدِّمَن ، قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء »[1] .

وروى ابن ماجه ، والدارقطني ، والحاكم ، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء » .

وروى ابن ماجه والديلمي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دسَّاس » .

وروى ابن عدي ، وابن عساكر ، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن » ، وفي رواية : « اطلبوا مواضع الأكفاء لنطفكم ، فإن الرجل ربما أشبه أخواله » .

وروى ابن عدي في الكامل مرفوعاً : « تزوجوا في الحِجْرِ الصالح فإن العرق دسَّاس »[2] .

فهذه الأحاديث بمجموعها ترشد راغبي الزواج ، إلى أن يختاروا زوجات ترعرعن في بيئة صالحة ، ونشأن في بيت عريق عرف بالشرف والطيب ،

---

(١) خضراء الدِّمن : عشب المزابل .

(٢) احاديث الاختيار على اساس الأصل والشرف ضعيفة بمفردها ، وحسنة بمجموعها لتعدد طرقها .

وتناسلن من نطفة انحدرت من أصل كريم ، وجدود أمجاد !!•• ولعل السر في هذا حتى ينجب الرجل أولاداً مفطورين على معالي الأمور ، ومتطبعين بعادات أصيلة ؛ وأخلاق إسلامية قويسة •• يرضعون منهن لبان المكارم والفضائل ، ويكتسبون بشكل عفوي خِصال الخير ، ومكارم الأخلاق !!••

وانطلاقاً من هذا المبدأ أوصى عثمان بن أبي العاص الثقفي أولاده في تخيّر النطف ، وتجنب عِرْق السوء ، وإليكم ما قاله لهم : « يا بنيّ الناكح مغترس ، فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه ، والعِرْق السوء قلما يُنجب ، فتخيروا ولو بعد حين » •

وتحقيقاً لهذا الاختيار أجاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عن سؤال لأحد الأبناء لما سأله ما حق الولد على أبيه ، بقوله : « أن ينتقي أمه ، ويحسّن اسمه ، ويعلمه القرآن » •

وهذا الانتقاء الذي وجه إليه رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه، يعد من أعظم الحقائق العلمية ، والنظريات التربوية في العصر الحديث •• فعلم الوراثة أثبت أن الطفل يكتسب صفات أبويه الخلقية والجسمية والعقلية، منذ الولادة ، فعندما يكون انتقاء الزوج ، أو اختيار الزوجة على أساس الأصل والشرف والصلاح ، فلا شك أن الأولاد ينشؤون على خير ما ينشؤون من العفة والطهر والاستقامة •• وعندما يجتمع في الولد عامل الوراثة الصالحة ، وعامل التربية الفاضلة ، يصل الولد إلى القمة في الدين والأخلاق ، ويكون مضرب المثل في التقوى والفضيلة ، وحسن المعاملة ، ومكارم الأخلاق ••

فما على راغبي الزواج إلا أن يحسنوا الاختيار ، ويُحْكِموا في رفيق الحياة الانتقاء ، إن أرادوا أن تكون لهم ذرية صالحة ، وسلالة طاهرة ، وأبناء مؤمنون !•

٣ ـ الاغتراب في الزواج :

ومن توجيهات الاسلام الحكيمة في اختيار الزوجة ، تفضيل المرأة الأجنبية على النساء ذوات النسب والقرابة ، حرصاً على نجابة الولد ، وضماناً لسلامة جسمه من الأمراض السارية ، والعاهات الوراثية ، وتوسيعاً لدائرة التعارف الأسرية ، وتمتيناً للروابط الاجتماعية ٠

ففي هذا تزداد أجسامهم قوة ، ووحدتهم تماسكاً وصلابة ، وتعارفهم سعة وانتشاراً !!٠٠ فلا عجب أن ترى النبي ﷺ قد حذر من الزواج بذوات النسب والقرابة ، حتى لاينشأ الولد ضعيفاً ، وتنحدر إليه عاهات أبويه ، وأمراض جدوده ٠

فمن تحذيراته عليه الصلاة والسلام في هذا قوله « لاتنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاوياً »[١] وقوله : « اغتربوا ولا تضووا »[٢] ٠

ولقد أثبت علم الوراثة كذلك أن الزواج بالقرابة يجعل النسل ضعيفاً من ناحية الجسم ، ومن ناحية الذكاء ، ويورث الأولاد صفات خُلقية ذميمة، وعادات اجتماعية مستهجنة ٠٠

وهذه الحقيقة قررها رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه منذ أربعة عشر قرناً ، قبل أن يأتي العلم ليقول كلمته ، ويظهر لذوي الأبصار حقائقه ٠

وهذه معجزة لرسولنا الأمي العظيم صلوات الله وسلامه عليه ، تضاف إلى جملة معجزاته الباهرة ، وإخباراته الصادقة ٠٠

---

(١) ضاوياً : نحيفاً ضعيف الجسم بليد الذكاء .

(٢) لم اعثر على تخريج الحديثين حتى الآن ، اطلب من الاساتذة المختصين بالحديث أن يوافوني بتخريجاتهم وانا اكون لهم من الشاكرين .

٤ ـ تفضيل ذوات الأبكار :

ومن توجيهات الاسلام الرشيدة في اختيار الزوجة ، تفضيل المرأة البكر على المرأة الثيّب[1] ، لحِكمٍ بالغة ، وفوائد عظيمة !.

فمن هذه الفوائد : حماية الأسرة مما ينغص عيشها ، ويوقعها في حبائل الخصومات ، وينشر في أجوائها ضباب المشكلات والعداوات .. وفي الوقت نفسه تمتين لأواصر المحبة الزوجية ، لكون البكر مجبولة على الإنس والإلفة بأول إنسان تكون في عصمته ، وتلتقي معه ، وتتعرف عليه .. بعكس المرأة الثيب . فقد لاتجد في الزوج الثاني الإلفة التامة ، والمحبة المتبادلة ، والتعلق القلبي الصادق للفرق الكبير بين أخلاق الأول ، ومعاملة الثاني .

فلا غرابة أن نرى عائشة رضي الله عنها قد وضحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كل هذه المعاني ، لما قالت للرسول صلوات الله عليه ـ فيما رواه البخاري ـ : يا رسول الله أرأيت لو نزلت وادياً وفيه شجرة قد أُكل منها ، وشجرة لم يؤكل منها ، في أي منها كنتَ ترتع بعيرك ؟ قال عليه الصلاة والسلام : في التي لم يُرْتَعْ منها ، قالت رضي الله عنها : « فأنا هي » .

وتقصد بيان فضلها على باقي الزوجات باعتبار أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غيرها .

وقد ألمح عليه الصلاة والسلام عن بعض الحِكَم بالزواج بذوات الأبكار ، فقال عليه الصلاة والسلام ـ فيما رواه ابن ماجه والبيهقي ـ :

---

(١) المراة البكر : هي التي لم تتزوج بعد ؛ والثيب : هي التي سبق لها ان تزوجت .

« عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً ، وأنتق أرحاماً ، وأقل خِبّاً ، وأرضى باليسير »[1] .

كما ألمح عليه الصلاة والسلام لجابر رضي الله عنه ، أن الزواج بالبكر يولد المحبة ، ويقوي جانب الإحصان والعفة ، فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجابر ــ وهو راجع من غزوة ذات الرقاع ــ : يا جابر هل تزوجت بعد ؟ قلت : نعم يا رسول الله ، قال : أثيباً أم بكراً ؟ قلت : لا ، بل ثيباً ، قال : أفلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟ قلت : يا رسول الله إن أبي أصيب يوم أحد . وترك لنا بناتٍ سبعاً ، فنكحتُ امرأة جامعة ، تجمع رؤوسهن ، وتقوم عليهن ، قال : أصبت إن شاء الله » .

ومما يشير إليه حديث جابر أن الزواج بالمرأة الثيب قد يكون أفضل من الزواج بالمرأة البكر في بعض الحالات ، كحالة جابر رضي‌الله عنه التي مر ذكرها ، ليتم التعاون في رعاية الأيتام ، والعناية بهم ، والقيام على أمرهم . تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

« وتعاونوا على البر والتقوى » .

٥ ـ تفضيل الزواج بالمرأة الولود :

ومن توجيهات الاسلام في اختيار الزوجة انتقاء المرأة الولود ، وتعرف بشيئين :

الاول : سلامة جسمها من الأمراض التي تمنع من الحمل ، ويستعان لمعرفة ذلك بالمختصين .

---

(١) المقصود بعذوبة الأفواه : طيب الكلام ، ونتق الأرحام : كثرة الأولاد ، واقل خبّاً اقل مكراً وخديعة .

الثاني : النظر في حال امها ، وحـال اخواتها المتزوجات ، فإن كن مـن الصنف الولود ، فعلى الغالب هي تكون كذلك .

ومن المعلوم طبا أن المرأة حينما تكون من الصنف الولود ، تكون فـي الغالب في صحة جيـدة ، وجسم قوي سليم . والتي تتوافر فيها هذه الظاهرة تستطيع أن تنهض بأعبائها المنزلية ، وواجباتها التربوية ، وحقوقها الزوجية على أكمل وجه ، وأنبل معنى .

ومما تجدر الإشارة إليه ، أن على الذي يتزوج المرأة الولود ، ويحرص على كثرة النسل ، وإنجاب الذرية ، أن يؤدي إليهم ما يترتب عليه من واجب ومسؤولية ، سواء ما يتعلق بمسؤولية النفقـة ، أو مسؤولية التربيـة ، أو مسؤولية التعليم .

وإلا كان مسؤولاً عند الله سبحانه فيما فرط ، وفيما قصّر ؛ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : « إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه، حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » رواه ابن حبان .

والذي نخلص إليه بعدما تقـدم : أن الذي يأنس من نفسه أن ينهض بمسؤوليات الأولاد كما أمر الاسلام فلا يسعه — إن أراد الزواج — إلا أن يفتش عن المرأة الولود ليضاعف من أعداد هذه الأمة المحمدية التي جعلها الله خير أمة أخرجت للناس ؛ وما ذاك إلا من توجيهاته عليـه الصلاة والسلام ، وذلك حين جاءه رجل يقول له : يا رسول الله إني أحببت امرأة ذات حسب ومنصب ومال إلا أنها لاتلد ، أفأتزوجها ؟ فنهاه . ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك ، ثم أتاه الثالثة فقال له عليه الصلاة والسلام : « تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم » رواه أبو داود والنسائي والحاكم.



تلكم هي أهم مبادىء الزواج ، وأهم ارتباطاته بقضايا التربية ؛ فالاسلام يعالج تربية الأفراد من تكوين الخلية الأولى للأسرة ، يعالجها بالزواج لكونه يلبي حاجةالفطرة ويساير أشواق الحياة ، ولكونه يلحق نسب الأبناء بآبائهم، ويحرر المجتمع من الأمراض الفتاكة ، والانحلال الخلقي ، ويحقق التعاون الكامل بين الزوجين في تربية الأولاد،ويؤجج عاطفة الأبوة والأمومة في نفسيهما ...

ولكونه يقوم على أسس متينة وقواعد عملية صحيحة في اختيار شريك الحياة ، والتي من أهمها الاختيار على أساس الدين ، وأساس الأصل والشرف ، وأساس تفضيل ذوات الأبكار .

ولما يعلم المسلم من أين يبدأ ؟ لتكوين الأسرةالمسلمة ، والذرية الصالحة، والجيل المؤمن بالله ... تهون في نظره المسؤوليات الأخرى المترتبة عليه ، والمكلف بها .

لماذا ؟ لأنه أوجد في بيته حجر الأساس الذي يبني عليه ركائز التربية القويمة ، ودعائم الاصلاح الاجتماعي ، ومعالم المجتمع الفاضل .. ألا وهو المرأة الصالحة !!

إذن فتربية الأولاد في الاسلام يجب أن تبدأ أول ما تبدأ ، بزواج مثالي يقوم على مبادىء ثابتة لها في التربية أثر ، وفي إعداد الجيل تكوين وبناء !!.

الا فليتذكر أولو الالباب ؟.

الفصل الثاني

الشّعور النّفسي نحو الأولاد

المقصود بالشعور النفسي : إبراز ما أودع الله سبحانه في قلب الأبوين من حب وعاطفة ورحمة نحو أولادهما ، والحكمة في ذلك ؛ هي استهجان عادات جاهلية بغيضة استحكمت في بعض النفوس المريضة ، في النظرة السيئة إلى البنات ؛ وإظهار فضيلة المثوبة والأجر لمن يصبر على فقد الولد ويتجلد لفراقه . وأخيراً ماذا يفعل الأبوان إذا تعارضت مصلحة الاسلام مع مصلحة الولد ؟

كل هذه المشاعر النفسية ، والعواطف القلبية ، وكل هذه التصورات والتساؤلات ستجدها ـ أيها لأخ الكريم ـ مبيّنة موضحة في هذاالفصل، وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمد العون والتوفيق .

آ ـ الأبوان مفطوران على محبة الولد :

من المعلوم بداهة أن قلب الأبوين مفطور على محبة الولد ، ومتأصل بالمشاعر النفسية ، والعواطف الأبوية لحمايته ، والرحمة به ، والشفقة عليه ، والاهتمام بأمره .

ولولا ذلك لانقرض النـــوع الانساني من الأرض ، ولما صبر الأبوان على رعاية أولادهما ، ولما قاما بكفالتهم ، وتربيتهـــم ،والسهر علــى أمرهم ، والنظر في مصالحهم ••

ولا عجب أن يصور القرآن العظيم هذه المشاعر الأبوية الصادقة ، أجمل تصوير ، فيجعل من **الأولاد تــارة** زينـــة الحياة : « **المــال والبنون زينة الحيــاة الدنيــا . . .** » الكهف : (٤٦)

ويعتبرهم أخرى نعمة عظيمة تستحق شكر الواهب المنعم :

« **وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً** » الإسراء (٦)

ويعتبرهم ثالثة قرة اعين إن كانوا سالكين سبيل المتقين :

« **والذين يقولون ربنــا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنــا للمتقين إماما** » • الفرقان (٧٤)

إلى غير ذلك من هذه الآيات القرآنية التي تصور عواطف الأبوين نحو الأولاد ، وتكشف عن صدق مشاعرهما ، ومحبة قلبيهما ، تجاه أفلاذ الأكباد، وثمرات الفؤاد •

وإليك ــ أيها القارىء الكريم ــ طاقة مما قاله الشعراء في محبة الأولاد، وهي أشعار تفيض رقة وحناناً ، وتتأجج شعوراً وعاطفة • وهي بمجموعهـــا تؤكد ظاهرة الحب والحنان التي أودعها الله في قلبي الأبوين ، ليبذلا قصارى جهودهما ، وغاية مساعيهما في تربية الولد ، وإعداده ليكون إنساناً صالحاً في الحيـــــاة •

ونبدأ بما قاله أمية بن أبي الصلت في حق ولده العاق ، وهي من غُرر القصائد التي تفيض رقة وحناناً ، والتي تصور صدق المشاعر القلبية الأبويـــة نحـــو الولد :

غذوتُك مولوداً وعلتُك يافعاً — تَعُلُّ بما أجني عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت — لسقمك إلا ساهراً أتململ
كأني أنا المطروقُ دونك بالذي — طُرقتَ به دوني فعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وإنها — لتعلم أن الموت وقت مؤجل
فلما بلغت السنّ والغاية التي — إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة — كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترعَ حق أبوّتي — فعلتَ كما الجار المجاور يفعل
فأوليتني حق الجوار فلم تكن — علي بمال دون مالك تبخل



واسمعوا إلى ما يقوله أبو بكر الطرطوسي فيما يتجرع الأبوان عند فراق الولد :

لو كان يدري الإبن أية غصة — يتجرع الأبوان عند فراقه
أمٌ تهيج بوجده حيرانة — وأب يسحّ الدمع من آماقه
يتجرعان لبينه غصص الردى — ويبوح ما كتماه من أشواقه
لرثى لأم سلّ من أحشائها — وبكى لشيخ هام في آفاقه
ولبدل الخلق الأبي بعطفه — وجزاهما بالعطف من أخلاقه



وإليكم ما قاله آخر في العطف الأبوي الدفاق الذي قعد بالأب دون الكفاح من أجل ما يسعى لتحقيقه :

لقد زاد الحياة إليّ حباً — بناتي إنهن من الضعاف
أحاذر أن يرين الفقر بعدي — وأن يشربْنَ رَنْقاً بعد صاف

وأن يعريْن إن كُسِيي الجواري | فتنبو العين عن كرم عجاف
ولولا ذاك قد سوَّمت مُهري | وفي الرحمن للضعفاء كاف
أبانا مَنْ لنا إن غبت عنا | وصار الناس بعدك في اختلاف



ومما قيل كذلك :

ولولا بُنيّات كزُغْب القطا | حُطِطْنَ من بعضٍ إلى بعض
لكان لي مضطرَب واسع | في الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادنا بيننا | أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم | لامتنعت عيني من الغمض



وأخيراً فلنستمع إلى ما يقوله الشاعر الكبير الأستاذ عمر بهاء الأميري في صدق الحنان والشاعرية ، وذلك لما سافر أولاده الثمانية من المصيف إلى حلب . فتلبث وحده في خلوة شعرية ليتحف الأدب العربي قصيدة من غرر القصائد في محبة الآباء للأبناء :

أين الضجيج العذبُ والشغَبُ | أين التدارسُ شابَه اللعبُ
أين الطفولةُ في توقدها | أين الدُمى في الأرض والكتبُ
أين التشاكس دونما غرضٍ | أين التشاكي ماله سبَبُ
أين التباكي والتضاحكُ في | وقتٍ معاً ، والحزنُ والطربُ
أين التسابق في مجاورتي | شَغَفَاً إذا أكلوا وإن شربوا
يتزاحمون على مجالستي | والقرب مني حيثما انقلبوا
يتوجهون بسَوْق فطرتهم | نحوي إذا رَهِبُوا وإن رغبوا

فنشيدُهُمْ : « بابا » إذا فرحوا ... ووعيدُهُمْ : « بابا » إذا غضبوا
وهتافُهم : « بابا » إذا ابتعدوا ... ونجيُّهم : « بابا » إذا اقتربوا
بالأمس كانوا ملءَ منزلنا ... واليومَ ، ويحَ اليوم ، قد ذهبوا
وكأنما الصمتُ الذي هبطت ... أثقاله في الدار إذ غرَبوا
إغفاءةُ المحموم هدأتُها ... فيها يشيعُ الهمّ والتعب
ذهبوا، أجَلْ ذهبوا، ومسكنُهُمْ ... في القلب ، ماشطوا وما قَربوا
إني أراهم أينما التفتَتْ ... نفسي وقد سكنوا ، وقد وثَبوا
وأحسّ في خلدي تلاعبَهم ... في الدار ليس ينالهم نصبُ
وبريقَ أعينهم ، إذا ظفروا ... ودموعَ حُرقتهم إذا غُلِبُوا
في كل ركنٍ منهمُ أثرٌ ... وبكلّ زاوية لهم صَخَبُ
في النافذات زُجاجَها حطموا ... في الحائط المدهون قد ثقَبُوا
في الباب قد كسروا مَزالجه ... وعليه قد رسموا وقد كتبوا
في الصحن فيه بعضُ ما أكلوا ... في علبة الحلوى التي نهبُوا
في الشطر من تفاحَة قضموا ... في فضلة الماء التي سكبوا
إني أراهم حيثما اتجهت ... عيني كأسراب القطا سَرَبوا
بالأمس في « قرنايلٍ » نزلوا ... واليوم قد ضَمّتهمُ « حَلَبُ »

● ● ●

دمعي الذي كتّمتُهُ جلداً ... لما تباكوا عند ما ركبوا
حتى إذا ساروا وقد نزعوا ... من أضلعي قلباً بهم يجبُ
ألفَيْتُني كالطفل عاطفةً ... فإذا به كالغيث ينسكب
قد يعجب العُذّال من رجلٍ ... يبكي ، ولو لم أبكِ فالعجبُ
هيهات ما كل البُكا خَوَرٌ ... إني وبي عزم الرجال أبُ



من هذا كله نعلم قوة العاطفة الفياضة التي أودعها الله في قلب الأبوين نحو الأولاد ، وما ذاك إلا ليساقا سوقاً نحو تربيتهم ، ورعايتهم ، والاهتمام بشؤونهم ومصالحهم .

« فطرةَ الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ... » الروم (٣٠)

ب ـ الرحمة بالأولاد منحة من الله للعباد :

ومن المشاعر النبيلة التي أودعها الله في قلبي الأبوين ، شعور الرحمة بالأولاد ، والرأفة بهم ، والعطف عليهم، وهو شعور كريم له في تربية الأولاد، وفي إعدادهم وتكوينهم ،أفضل النتائج ، وأعظم الآثار .

والقلب الذي يتجرد من خلق الرحمة ، يتصف صاحبه بالفظاظة العاتية، والغلظة اللئيمة القاسية . ولايخفى ما في هذه الصفات القبيحة من ردود فعل في انحراف الأولاد ، وفي تخبطهم في أوحال الشذوذ ، ومستنقعات الجهل والشقاء ..

لهذا كله نجد شريعتنا الاسلامية الغراء ، قد رسخت في القلوب خلق الرحمة ، وحضت الكبار من آباء ومعلمين ومسؤولين على التحلي بها ، والتخلق بأخلاقها .

وإليكم اهتمام الرسول صلوات الله وسلامه عليه بموضوع الرحمة ، وحرصه الزائد على تحلي الكبار بهذا الخلق الكريم ، والشعور النبيل :

ـ روى أبو داود والترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حق كبيرنا » .

ـ وروى البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « أتى

النبي صلى الله عليه وسلم رجل" ومعه صبي ، فجعل يضمه إليه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أترحمه ؟ قال : نعم ، قال : فالله أرحم بك منك به ، وهو أرحم الراحمين » .

ـ وكان عليه الصلاة والسلام إذا رأى أحداً من أصحابه لايرحم أولاده يزجره بحزم ، ويوجهه إلى ما فيه صلاح البيت والأسرة والأولاد ... فقد روى البخاري في الأدب المفرد عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أتقبّلون صبيانكم ، فما نقبلهم ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَوَ أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة ؟ » .

ـ وروى البخاري أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلتُ منهم أحداً ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ثم قال : « من لايَرحم لايُرحم » .

ـ وروى البخاري في أدبه عن أنس بن مالك قال : « جاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها ، فأعطتها عائشة ثلاث تمرات، فأعطت كل صبي لها تمرة، وأمسكت لنفسها تمرة ، فأكل الصبيّان التمرتين ونظرا إلى أمهما ، فعمدت الأم إلى التمرة فشقتها ، فأعطت كل صبي نصف تمرة ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته عائشة ، فقال : وما يعجبك من ذلك ؟ لقد رحمها الله برحمتها صبيّيها » .

ـ وكان عليه الصلاة والسلام إذا رأى طفلاً يحتضر ، وأوشكت أن تفيض روحه ، فاضت عيناه بالدموع حزناً وعطفاً على الصغار ، وتعليماً للأمة فضيلة العطف والرحمة .. روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي عنهما قال : أرسلت بنتُ النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبيها أن ابني قد احتُضر[1]

(١) اي حضرته مقدمات الموت .

فاشْهَدنا ، فأرسل عليه الصلاة والسلام يقرىء السلام ، ويقول : « إن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجلٍ مسمى فلتصبر ولتحتسب » • فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها ، فقام ومعه سعد بن عبادة ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورجال ، رضي الله عنهم، فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي ، فأقعده في حجره ، ونفسه تقعقع[1] ، ففاضت عيناه ، فقال سعد : يارسول الله ما هذا ؟ فقال : « هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده » • وفي رواية : « جعلها الله في قلوب من شاء من عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » •

وينبغي ألا يغرب عن البال أن ظاهرة الرحمة إذا حلت قلب الأبوين ، وترسخت في نفسيهما ، قاما بما يترتب عليهما من واجب ، وأديا ما عليهما من حق تجاه من أوجب الله عليهما حق الرعاية ، وواجب المسؤولية ، ألا وهم الأولاد !!••

ج ـ كراهية البنات جاهلية بغيضة :

الاسلام بدعوته إلى المساواة المطلقة ، والعدل الشامل ، لم يفرق في المعاملة الرحيمة ، والعطف الأبوي ، بين رجل وامرأة ، وذكر وأنثى ، تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

« اعدلوا هو اقرب للتقوى •• » المائدة : (٨) .

وتنفيذا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل في الحديث الذي رواه أصحاب السنن ، والإمام أحمد ، وابن حبان عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما : « اعدلوا بين أبنائكم ، اعدلوا بين أبنائكم ، اعدلوا بين أبنائكم »• فانطلاقاً من هذا الأمر القرآني ، والتوجيه النبوي ، حقق الآباء في

---

(١) تقعقع : اي تتحرك وتضطرب .

أولادهم عبر العصور والتاريخ مبدأ العدل والمساواة ، في المحبة . والمعاملة . والنظرة الحانية ، والملاطفة الرحيمة . دون أن يكون بين الذكور والإناث أي تمييز أو تفريق !!..

وإذا وجد في المجتمع الاسلامي آباء ينظرون إلى البنت نظرة تمييز عن الولد ، فالسبب في هذا يعود إلى البيئة الفاسدة التي رضعوا منها أعرافاً ما أنزل الله بها من سلطان ، بل هي أعراف جاهلية محضة ، وتقاليد اجتماعية بغيضة ، يتصل عهدها بالعصر الجاهلي الذي قال الله تعالى فيه :

« وإذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، ايمسكه على هون أم يدسه في التراب ، ألا ساء مايحكمون » .

النحل : (٥٩)

والسبب في ذلك أيضاً يعود إلى ضعف الإيمان ، وزعزعة اليقين ، لكونهم لم يرضوا بما قسمه الله لهم من إناث ، لم يملكواهم ولا نساؤهم . ولا من في الأرض جميعاً ، أن يغيروا من خلق الله شيئاً . ألم يسمعوا إلى ما يقوله الله تبارك وتعالى في تدبيره المبرم ، وإرادته النافذة ، ومشيئته المطلقة . وأمره الغالب في شأن الإناث ، وشأن الذكور ؟ :

« لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ، ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير » .

الشورى : (٥٠)

ومن طرائف ما يروى أن أميراً من العرب يكنى بأبي حمزة ، تزوج امرأة . وطمع أن تلد له غلاماً ، فولدت له بنتاً ، فهجر منزلها ، وصار يأوي إلى بيت غير بيتها ، فمر بخبائها بعد عام ، وإذا هي تداعب ابنتها بأبيات من الشعر تقول فيها :

ما لأبي حمزة لا يأتينا يظلّ في البيت الذي يلينا
غضبان ألاّ نلد البنينا تالله ما ذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أعطينا

فغدا الرجل حتى دخل البيت ، بعد أن أعطته درساً في الإيمان ، والرضى ، وثبات اليقين • فقبل رأس امرأته ، وابنتها ، ورضي بعطاء الله المقدر ، وهبته المقسومة !!••

ولكي يقتلع رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه من بعض النفوس الضعيفة جذور الجاهلية ، خص البنات بالذكر ، وأمر الآباء والمربين بحسن صحبتهن ، والعناية بهن ، والقيام على أمورهن ، ليستأهلوا دخول الجنة ، ورضوان الله عز وجل • وبالتالي حتى تكون تربية البنات ، وتحقيق الخير لهن على الوجه الذي يرضي الله سبحانه ، ويأمر به الاسلام !!••

وإليكم بعض التوجيهات النبوية في وجوب العناية بالبنات ، والاهتمام بهنّ :

روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عال جاريتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين ـ وضم أصابعه ـ » •

وروى الإمام أحمد في مسنده عن عقبة بن عامر الجهني قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كانت له ثلاث بنات فصبر عليهن، وسقاهن وكساهن من جِدَته (أي ماله) ، كن له حجاباً من النار » •

وروى الحميدي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات ، أو بنتان أو أختان ، فأحسن صحبتهن ، وصبر عليهن ، واتقى الله فيهن دخل الجنة » •

فما على المربين إلا أن يأخذوا بهذه الإرشادات النبوية ، والتعاليم الاسلامية في وجوب العناية بالبنات ، وتحقيق العدل والمساواة بينهن وبين الأولاد . ليحظوا بجنة عرضها السموات والأرض ، ورضوان من الله أكبر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

د ــ فضيلة من يتجلد لموت الولد :

عندما يصل المسلم إلى درجة عالية من الإيمان ، ويبلغ منزلة رفيعة من اليقين ، ويؤمن حقيقة بالقضاء خيره وشره من الله تعالى ، تصغر في عينيه الأحداث ، وتهون أمامه المصائب ، ويستسلم لله سبحانه في كل ما ينوب ويروع . وتطمئن نفسه ، ويستريح ضميره لصبره على البلاء ، ورضائه بالقضاء ، وخضوعه لمقادير رب العالمين .

من هذا المنطلق الأيماني أخبر النبي صلوات الله وسلامه عليه ؛ أن من يموت له ولد فيصبر ويسترجع ، يبني الله له بيتاً في الجنة اسمه بيت الحمد. فقد روى الترمذي وابن حبان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا مات ولد العبد قال الله عز وجل لملائكته : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع[1] ، فيقول : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة ، وسموه بيت الحمد » .

ولهذا الصبر ثمرات ، يقتطفها الصابر المحتسب ، في يوم لاينفع فيه مال ولا بنون .

فمن ثمراته أنه سبيل إلى الجنة ، وحجاب من النار : روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) يسترجع : يقول إنا لله وإنا إليه راجعون .

وسلم قال للنساء مرة : « ما منكن امرأة يموت لها ثلاثة من الولد ، إلا كانوا لها حجاباً من النار ، فقالت امرأة : واثنان ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : واثنان » .

وروى أحمد وابن حبان عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من مات له ثلاثة من الولد فاحتسبهم دخل الجنة ، قال : قلنا : يارسول الله : واثنان ؟ قال : واثنان » .

قال أحد الرواة لجابر : أراكم لو قلتم : واحداً ، لقال : واحداً . قال جابر : وأنا أظن ذلك .

ومن ثمرات الصبر كذلك أن الولد الذي يموت وهو صغير يشفع لأبويه يوم القيامة :

روى الطبراني بإسناد جيد عن حبيبة أنها كانت عند عائشة رضي الله عنها ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى دخل عليها ، فقال : ما من مسلمَين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحِنْث (أي سن البلوغ) إلاّ جيء بهم يوم القيامة حتى يُوقَفوا على باب الجنة ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة ، فيقولون : حتى تدخل آباؤنا ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي حسان قال : توفي ابنان لي فقلت لأبي هريرة رضي الله عنه : سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً تحدثناه ، تطيب به أنفسنا عن موتانا ؟ قال : نعم ، « صغارهم دعاميص[1] الجنة يلي أحدهم أباه — أو قال أبويه — فيأخذ بناحية ثوبه أو يده ، كما آخذ بصَنِفة[2] ثوبك هذا ، فلا يفارقه حتى يدخله الله وإياه الجنة » .

---

(١) دعاميص : واحد دعموص : اي صغار اهلها . واصله دويبة تكون في الماء لاتفارقه ، اي ان هذا الصغير في الجنة لايفارقها .

(٢) بصنفة ثوبك : اي طرفه .

ومن المواقف البطولية الإيمانية التي كان يقفها نساء الصحابة رضي الله عنهن ، والتي تدل على الصبر والرضى والايمان عند موت الولد . موقف أم سليم – رضي الله عنها – الرائع ، وتجلدها العظيم . وإليكم القصة بكمالها كما رواها البخاري ومسلم : عن أنس رضي الله عنه قال : كان ابن لأبي طلحة رضي الله عنه يشتكي . فخرج أبو طلحة . فقُبض[1] الصبي . فلما رجع أبو طلحة قال : ما فعل ابني ؟ قالت أم سليم – وهي أم الصبي – : أسكن[2] ما كان ، فقربت له العشاء فتعشى ، ثم تصنعت له (أي تزيّنت) أحسن ما كانت تَصنَعُ قبل ذلك ، فوقع بها (أي جامعها) فلما رأت أنه قد شبع وأصاب منها ، قالت : يا أبا طلحة أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت ، فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا ، فقالت : فاحتسب ابنك (أي ابنك مات فاطلب الأجر من الله) ، قال : فغضب ، ثم قال : تَركْتِني حتى إذا تلطّخت (أي أصابتني جنابة بسبب الجماع) ، ثم أخبرتِني بابني ، فانطلق حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان – فأقر عليه الصلاة والسلام أم سليم على ما فعلت – ثم قال : « بارك الله في ليلتكما » . وفي رواية قال : « اللهم بارك لهما » ، فولدت غلاماً سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ، فقال رجل من الأنصار : فرأيت تسعة أولاد كلهم قد قرأوا القرآن – يعني من أولاد « عبد الله » المولود – وما ذاك إلا استجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا : « اللهم بارك لهما » .

ولاشك أن الإيمان بالله سبحانه ، إذا ترسخ في قلب مؤمن ، فإنه يصنع الأعاجيب لكونه يصيّر من الضعف قوة ، ومن الجبن شجاعة ، ومن الشح والبخل بذلاً وسخاء ، ومن الجزع والهلع صبراً واحتمالاً .

---

(١) قبض : أي مات .

(٢) تقصد انه مات، وفهم ابو طلحة انه تماثل نحو الشفاء .

فما أجدر الآباء والأمهات أن يتذرّعوا بالإيمان ، وأن يتسلحوا باليقين حتى إذا أصابتهم مصيبة لم يجزعوا ، وإذا مات لهم ولد لم يتبرّموا ، وإنما كان قولهم : إنا لله وإنا إليه راجعون • فإن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجلٍ مسمى ، فلتصبر ولتحتسب ، حتى يحظوا بالثواب والأجر عند من له الحكم والأمر •

اللهم هوّن علينا مصائب الدنيا ، ورضّنا بقضائك وقدرك • وتولّنا في الدنيا والآخرة فإنك خير المتولين يارب العالمين •

هـ ــ تغليب مصلحة الاسلام على حب الولد :

إذا كان قلب الأبوين ينطوي على مثل تلك المشاعر الصادقة من الحب والرحمة والعطف والحنان نحو الأولاد ، وفلذات الأكباد ، فينبغي ألا تطغى هذه المشاعر على الجهاد في سبيل الله ، وتبليغ دعوة الله في الأرض ، لأن مصلحة الاسلام فوق كل المصالح والاعتبارات ، ولأن إقامة المجتمع الاسلامي غاية المؤمن ، وهدفه في الحياة • ولأن هداية الانسانية التائهة أسمى مايسعى إليه المسلم وأعظم ما يحرص على نشره وتحقيقه •

وهكذا فهم الرعيل الأول من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن اتبعهم بإحسان هذا الفهم ، فلم يعرفوا حركة سوى الجهاد ، ولا تبليغاً غير الدعوة ، ولا غاية غير الاسلام •

فلا غرابة أن نسمع في التاريخ عن انطلاقتهم الكبرى في تبليغ الرسالة الاسلامية ، وإعلاء كلمة الله في الأرض • ولا عجب أن يضحوا في سبيل ذلك بالغالي والنفيس ، ويتمنوا الشهادة في سبيل الله •

وإليكم ما قاله عبادة بن الصامت رضي الله عنه للمقوقس ملك مصر لما خوفه بجمع الروم الهائل، وأغراه بالمال والدنانير : « يا هذا ، لا تغرّنّ نفسك ولا أصحابك ، أما تخوفنا به من جمع الروم ، وعددهــم ، وكثرتهم ، وأنّا لا نقوى عليهم ، فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ، ولا بالذي يردنا عما نحــن فيه إن كان ما قلتم حقاً . وإنا منكم على إحدى الحسنيين : اما أن تعظم لنــا غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم ، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا ، وإن الله عز وجل قال في كتابه العزيز :

« كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، والله مع الصابرين » .

وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحاً ومساء أن يرزقه الشهادة ، وألا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ، ولا إلى أهله وولده ، وليس لأحد منا همّ فيما خلفه من أهل وولد ، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ، وإنما همنا الجهاد في سبيل الله ، وإعلاء كلمته . وأما قولــك : إنا في ضيق وشــدة من معاشنا وحالنا ، فنحن في أوسع السعة ، لو كانت الدنيا كلها لنا ماأردنا منهــا لأنفسنا أكثر مما نحن فيه » .

هذا الموقف الذي وقفه عبادة رضي الله عنه ، هو واحد من آلاف المواقف التي وقفها جدودنا البواسل الأمجاد ، في فترات طويلة من التاريخ ، وما هذه التضحيات الجسام ، وتغليب حب الجهاد والدعوة على حب الأهل والولد ، والمسكن والعشيرة ، إلا لأنهم وجدوا الله سبحانه يقول في محــكم تنزيله :

«قل إن كان آباؤكم وابناؤكم وإخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها ، احب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى ياتي الله بامره ، والله لايهدي القــوم الفاسقين » .
التوبة « ٢٤ »

ومن المآثر الكريمة التي تناقلتها الألسن عن الإمام الشهيد حسن البنــا

رحمه الله ورضي عنه ، أنه كان من عادته أن يتفقد شباب الدعوة إلى الله في الأقضية والنواحي في كل عيد من الأعياد ، ففي مرة من المرات التي كان يخرج فيها ، مرض ولده سيف الاسلام مرضاً شديداً أشرف فيه على الموت ، فقالت له زوجته : لو بقيت معنا في هذا العيد نستأنس بك ، وتكون بجانب ولدك المريض ، فأجابها وبيده حقيبة السفر : إن منّ الله على ولدي بالشفاء فلله الحمد والمنّة ، وإن قدر الله عليه الموت فجده أعرف بطريق المقابر ، ثم خرج وهو يتلو قوله تبارك وتعالى :

« قل إن كان آباؤكم وابناؤكم وإخوانكم .. » إلى آخر الآية .

الله أكبر ، هكذا فليكن التفاني في إعلاء كلمة الله .. الله أكبر ، هكذا فليكن الدعاة إلى الله .. لو لم يكن لسلفنا ورجال الدعوة فينا إلا هذه المواقف لكفتهم على مدى الأيام فخراً وشرفاً وخلوداً !!..

أيها الأب المؤمن : يجب أن يكون حب الاسلام والجهاد والدعوة إلى الله مسيطراً على قلبك وجوارحك ، ومقدّماً على حب أهلك وولدك وعشيرتك، حتى تندفع بكليتك إلى تبليغ الدعوة وحمل راية الجهاد ، عسى أن تكون في عداد الرجال الذين يبنون بسواعدهم المتينة مجد الاسلام ، ويقيمون بعزائمهم القوية دولة القرآن ، ويعيدون للأمة المحمدية عزتها المنيعة ، وكرامتها المجيدة، وكيانها العظيم ، وما ذلك على الله بعزيز .

اسمع إلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام في الذين يريدون أن يكمل إيمانهم ، ويذوقوا في أعماق قلوبهم حلاوته ، ويجدوا في قرارة وجداناتهم لذته !!..

ـ روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله

أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » •

ــ وروى البخاري كذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا نفسي التي بين جنبي ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ، فقال عمر : والذي أنزل عليك الكتاب لأنت أحب إلي من نفسي التي بين جنبي ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : الآن يا عمر ! ! • أي الآن كمل إيمانك •

ــ وثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » •

ــ وروى البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده والناس أجمعين » •

و ــ عقوبة الولد وهجره لمصلحة تربوية :

ما دام الولد صغيراً يعيش في كنف أبويه ، وما دام في سن التعليم والتربية ، فيجدر بالأبوين والمربين ، ألا يتركا وسيلة من وسائل الاصلاح إلا سلكوها ، ولا طريقة في تقويم اعوجاجه . وتهذيب وجدانه وأخلاقه إلا نهجوها . حتى ينشأ الولد على الخلق الاسلامي الكامل ، والأدب الاجتماعي الرفيع •

وللاسلام طريقته الخاصة في إصلاح الولد وتربيته ، فإن كان ينفع مع الولد الملاطفة بالوعظ . فلا يجوز للمربي أن يلجأ إلى الهجر ، وإن كان ينفع الهجر أو الزجر فلا يجوز له أن يلجأ إلى الضرب • وإذا عجز عن جميع الوسائل

الاصلاحية ملاطفة ووعظاً ، وزجراً وهجراً ، فلا بأس بعد هذا أن يلجأ إلى الضرب غير المبرّح ، عسى أن يجد المربي في هذه الوسيلة إصلاحاً لنفسه ، وتقويماً لسلوكه واعوجاجه ! ! .

وإليكم هذه المراحل في الاصلاح مستقاة من السنة النبوية ، وعمل الصحابة ، لتعرفوا ــ أيها المربون ــ طريقة الاسلام في الاصلاح ، ومنهجه في التربية .

أما فيما يتعلق بتوجيه الولد ووعظه وملاطفته، فقد روى البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : كنت غلاماً في حِجر[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت يدي تطيش[2] في الصّحْفة ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا غلام سَمّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » .

وروى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بشراب فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ، ــ وهذه هي الملاطفة ــ فقال الغلام : لا والله ، لا أوثر بنصيبي منك أحداً ، فتلّه رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده (أي وضعه في يده) ، وهذا الغلام هو عبد الله بن عباس .

أما فيما يتعلق في هجر الولد : فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخَذْف[3] ، وقال : « إنه لايقتل الصيد ، ولا ينكأ العدو ، وإنه يفقأ العين ، ويكسر

---

(١) في حجر رسول الله : اي تحت نظره ورعايته .
(٢) تطيش : اي تتحرك وتمتد إلى نواحي الطعام الموجود في القصعة .
(٣) الخذف : رمي الحصى بالسبابة والإبهام .

السنّ » ، وفي رواية : أن قريباً لابن مغفل ــ وكان دون الحلم ــ خذف . فنهاه وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الخذف ، وقال : « إنها لاتصيد صيداً .. » . ثم عاد فقال : أحدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنه ، ثم عدتَ تخذف ؟ لا أكلمك أبداً ! ! .

أما فيما يتعلق بضرب الولد فقد روى أبو داود والحاكم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

وهذه المراحل في التأديب إذا كان الولد في سن الطفولة والمراهقة .

وأما إن بلغ سن الشباب ، وتدرج نحو الكبر ، فإن الطريقة في الاصلاح والتأديب تختلف .

فعندما لاينفع مع الولد الإقناع والوعظ والارشاد ، فعلى المربي أن يلجأ إلى الهجر الدائم ما دام مصراً على فسقه وفجوره ، سادراً في غيه وضلاله .

إليكم النصوص التي تثبت ذلك :

ــ روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أوثق عرى الإيمان : الموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله » .

ــ وروى البخاري ــ في باب مايجوز من الهجران لمن عصى ــ : وقال كعب حين تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك : « نهى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ، وذكر خمسين ليلة » ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم ، ولم يكن أحد من الناس يكلمهم أو يحيّيهم أو يجالسهم ، حتى أنزل الله في كتابه توبته عليهم .

ـ وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم هجر بعض نسائه شهراً زجراً لهن وتأديباً .

ـ وروى السيوطي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما هجر ابناً له إلى أن مات ، لأنه لم ينْقَدْ لحديث ذكره له أبوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: « نهى فيه الرجال أن يمنعوا النساء من الذهاب إلى المساجد »[1] .

هذا إذا انحرف وفسق وهو على الإيمان والاسلام ، وأما إذا ألحد وكفر وخرج عن الملة الاسلامية فالتبرؤ منه ، والإعراض عنه ، والهجران له من أبسط مقتضيات الإيمان ، ومن أظهر توجيهات القرآن الكريم .

وإليكم النصوص التي تثبت ذلك :

قــال تعالى :

« لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ، ولو كانوا آباؤهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » المجادلة (٢٢)

وقال الله سبحانه على لسان نوح عليه السلام :

« ونادى نوح ربّه فقال : ربّ إن ابني من أهلي ، وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ، قال: يانوح إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح ، فلاتسألن ما ليس لك به علم ، إني أعظك أن تكون من الجاهلين » . هــود (٤٦)

وقال الله سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام :

« وإذ ابتلى إبراهيمَ ربــه بكلمــات فاتمهن ، قال : إني جاعلــك للنــاس إمامــاً ، قــال : ومــن ذريتي ، قــال : لا ينــال عهــدي الظالمين » .

البقرة : (١٢٤)

---

(١) ألف السيوطي رسالة سماها « الزجر بالهجر » أي التأديب بالمقاطعة، استدل فيها على ذلك بنصوص وآثار كثيرة فارجع إليها .

وقال سبحانه عن موقف إبراهيم من أبيــه :

« وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إيــاه ، فلما تبين له أنــه عــدو لله تبرأ منــه ، إن إبراهيــم لأواه حليــم » .

التوبة : (١١٤)

من هذه النصوص وغيرها يتبيّن أن هجر الولد والقرابة .. إن كانوا مصرين على الكفر فإن هجرهم من مستلزمات العقيدة والايمان ، ذلــك لأن الاسلام يعتبر رابطة الأخوة الاسلامية فوق رابطة النسب ، ورابطة الأرض ، ورابطة اللغة ، ورابطة الجنس ، ورابطة المصالح الاقتصــادية .. وشعاره في ذلك قوله تعــالى :

«قل إن كان آباؤكم وابناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكن ترضونها ؛ أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربّصوا حتى يأتي الله بــأمره ، والله لايهدي القــوم الفاسقين » .

التوبــة : (٢٤)

ومن المعلوم أن مبدأ الاسلام الذي **لا يتبدل :**

« إنما المؤمنون إخــوة » الحجرات : (١٠)

وشعاره الذي لا يتغير :

« إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

فبأي حديث بعد هذا يؤمنون ؟



وبعد : فهذا الذي بيناه في هــذا الفصل هو أهــم المشاعر النفسية ، والعواطف القلبية التي يجب أن تعتلج في نفوس المربين ، ولقد رأيتَ أن من هذه المشاعر ما هو فطري متأصل في قلبي الأبوين ، وفي نفسيهما ، كمشاعر الحب والحنان والعطف والرحمة . ولولاها لما انتظمت سنة الكون في المحافظة على النوع الانساني ، ولولاها لما اندفع الأبوان إلى الاهتمام بأولادهــم ،

والعناية بهم ، والإنفاق عليهم ، والقيام بتعليمهم وتربيتهم • ولولاها لما رأيت الأسرة مجتمعة الشمل ، متماسكة الكيان ، راسخة البنيان ••

ولقد رأيت أن من هذه المشاعر ما هو جاهلي ككراهية البنات ، وقد مر معك أن الاسلام عالج هذه العادة الجاهلية البغيضة بالإيمان الصحيح ، والعقيدة الربانية الراسخة ، والتربية الاسلامية الفاضلة ، لتكون نظرة الأبوين إلى الإناث والذكور على حد سواء ، دون أن يكون بينهما أي تمييز أوتفريق، تحقيقاً لمبدأ العدل والمساواة •

ولقد رأيت أن من هذه المشاعر ما هو مصلحي كتغليب حب الجهاد والدعوة إلى الله ، على حب الأهل والولد ، ولقد مر معك أن مصلحة الاسلام هي فوق المصالح الذاتية ، والاعتبارات الشخصية ، فلا يمكن لأمة الاسلام أن تصل إلى علياء النصر والمجد والقوة ، إلا بعد أن يكون حب الله ورسوله والجهاد في سبيله ، فوق حب الأهل والمال والولد والعشيرة والمسكن •

ولقد رأيت أن من هذه المشاعر ما هو تأديبي تربوي كمناصحة الولد وزجره وهجره وعقوبته • وقد مر معك أن الاسلام تدرج في التأديب من الوعظ إلى الهجر إلى الضرب غير المبرح ، فلا يجوز للمربي أن يلجأ إلى الأشد إذا كان ينفع الأخف • وهذا غاية ما يسعى إليه الاسلام في تأديب الأولاد ، وتربيتهم ، وإصلاح نفوسهم •

ألا فليعلم المربون ودعاة الاصلاح ، منهج الاسلام في التربية ، وطريقته في الاصلاح ، لينهجوا في تربية الجيل نهجاً سليماً ، ويسيروا في طريق الاصلاح الاجتماعي سيراً سوياً • وفي ذلك "نقلة" للجيل من بيئة الفساد والانحراف ، إلى حياة الطهر والكرامة والأخلاق •• ألا بمثل ذلك فليعمل العاملون !!•



الفصل الثالث

أحكامٌ عامّـة تتعلّق بالمَولُود

وتقـع في أربعة مباحث :

مَايفعَلهُ المُربّي عِندَ الولادَة

تسْميَـة المولود وَأحكامُهَا

عَقيقَـة المَولُود وَأحْكامُهَا

خِتَانُ المَولُود وَأحْكامُه

المَبْحَثُ الأوّلُ

مَا يفعَلهُ المُربّي عِندَ الولادَة

من فضل هـذه الشريعة الاسلامية على أمة الاسـلام ، أنها بينت كل ما يتصل بالمولود من أحكام ، وما يرتبط به من مبادىء تربوية هامـة ، حتى يكون المربي على بيّنةٍ وهدىً من الأمر في كل واجب يقوم به تجاه طفـله الوليـد . فما أجدر بكل من كان في عنقه حـق التربية أن يقوم بواجبـه الأكمل تطبيقاً وتنفيذاً على الأسس التي وضعها الاسـلام ، والمبادىء التي رسم معالمها المربي الأول عليه الصلاة والسلام !!.

وإليكم أهم هذه الأحكام التي يجب أن يفعلها المربون عند الولادة :

استحباب البشارة والتهنئة عنـد الولادة :

يستحب للمسلم أن يبادر إلى مسرة أخيه المسلم إذا ولـد له مولود ، وذلك ببشارته وإدخال السرور عليه ، وفي ذلـك تقوية للأواصـر ، وتمتين للروابط ، ونشر لأجنحة المحبة والإلفـة بين العوائل المسلمة . فـإن فاتتـه البشارة استحب له تهنئته بالدعاء له ولطفله الوليد ، عسى الله أن يتقبل ويرعى ويستجيب .

والقرآن الكريم ذكر البشارة بالولد في مناسبات عدة إرشاداً وتعليمـاً

للأمة الاسلامية ، لما لهذه البشارة ـ كما ألمحنا ـ من أثر كبير في تنمية الروابط الاجتماعية ، وتقويتها بين المسلمين •

قال الله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام :

« ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا : سلاماً ، قال : سلام ، فما لبث ان جاء بعجل حنيذ(١) ، فلما راى ايديهم لاتصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا : لاتخف إنا ارسلنا إلى قوم لوط ، وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب •• » هود (٦٩ ـ ٧١)

وقال تعالى في قصة زكريا عليه السلام :

« فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب : ان الله يبشرك بيحيى » •
آل عمران (٣٩) •

وفي آية أخرى :

« يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى ، لم نجعل له من قبل سمياً » •
مريم (٧)

ومما ذكرته كتب السيرة : « أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وُلد ، بشرت به ثُوَيْبَةُ عمَّه أبا لهب وكان مولاها ، وقالت : قد ولد الليلة لعبد الله ابن" ، فأعتقها أبو لهب سروراً بولادته ، فلم يضيع الله ذلك له ، وسقاه بعد موته في النُّقْرَةِ[٢] التي في أصل إبهامه » كما روى البخاري •

وذكر السهيلي أن العباس قال : « لما مات أبو لهب رأيته في منامي بعد

---

(١) حنيذ : مشوي •

(٢) النقرة : الشيء المتجوف الذي بين الإبهام والتي تليها من الاصابع ، كان ابو لهب يشرب منها بعد موته لفرحه بولادة ابن اخيه عليه الصلاة والسلام •

حولٍ في شر حال ، فقال : ما لقيتُ بعدكم راحة إلا أن العـذاب يخفف عني كل يوم اثنين » ، وهو اليوم الذي ولد فيه عليه الصلاة والسلام ، وبشرت به ثُوَيْبَة ، وفرح بولادته أبو لهب •

أما فيما يتعلق بالتهنئة بالمولود : فقد روى الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في كتابه « تحفة المودود » عن أبي بكر بن المنذر أنه قـال : روينا عن الحسن البصري : أن رجلاً جاء إليه ، وعنده رجل قد وُلد له غلام ، فقال له : يَهْنِك الفارس ، فقال له الحسن : ما يدريك أفارس هو أم حمار ؟ قال الرجل : فكيف نقول ؟ قال : قل : « بورك لك في الموهوب ، وشكرت الواهب ، ورزقت برّه ، وبلغ أشدّه » •

وهذه البشارة والتهنئة ينبغي أن تشمل كل مولود ، سواء أكان ذكراً أم أنثى دون تفريق • فما أحرى المسلمين أن يطبقوا في مجتمعهم هـذه السنة الكريمة ، لكي تقوى روابطهم ، وتتعمق على مدى الأيام أواصرهم ، وتخيِّم عرائش الأنس والمحبة على بيوتاتهم وأسرهم ، وما أجدرهـم أن يسيروا في الطريق الموصل إلى تآلفهم وتآزرهم ووحدتهم ، حتى يكونوا دائماً عبـاد الله إخواناً ، وحتى تكون وحدتهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً[1] •

٢ ــ استحباب التأذين والإقامة عند الولادة :

ومن الأحكام التي شرعها الاسلام للمولود : التأذين في أذنه اليمنى ، والإقامة في أذنه اليسرى ، وذلك حـين الولادة مباشـرة ، لما روى أبو داود

(١) وما يفعله بعض الأسر بتقديم الزهور والهدايا لأهل المولود ، فهو شيء حسن ؛ لكونه يدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام : « تهادَوا تحابّوا » ، وهو مما يزيد الإلفة والمحبة بين المسلمين •

والترمذي عن أبي رافع أنه قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أذّن في أذُن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة » •

وروى البيهقي وابن السني عن الحسن بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من وُلِدَ له مولود فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى لم تضرّه أم الصبيان[1] » •

وروى كذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن النبي صلى الله عليه وسلم أذّن في أذُن الحسن بن علي يوم وُلِدَ ، وأقام في أذُنه اليسرى » •

وسر التأذين والإقامة ــ كما ذكر ابن قيّم الجوزية في كتابه تحفة المودود ــ : « أن يكون أول ما يقرع سمع الانسان كلمات النداء العلوي المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته ، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الاسلام، فكان ذلك كالتلقين له شعار الاسلام عند دخوله إلى الدنيا ، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها ، وغير مستنكر وصول أثر التأذين إلى قلبه ، وتأثره به وإن لم يشعر •

مع ما في ذلك من فائدة أخرى : وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان، وهو كان يرصده حتى يولد • فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به •

وفيه معنى آخر : وهو أن تكون دعوته إلى الله، وإلى دينه ــ الاسلام ــ وإلى عبادته ، سابقة على دعوة الشيطان ، كما كانت فطرة الله التي فطر الناس عليها ، سابقة على تغيير الشيطان لها ونقله عنها ،إلى غير ذلك من الحِكَم •• » اهـ •

---

(١) أم الصبيان : هي الريح التي تعرض للولد ، فربما يخشى عليه منها ، وقيل : هي التابعة من الجن وهي المسماة عند الناس بالقرينة .

وهذه المعاني التي أفاض فيها ابن القيم رحمه الله ، أكبر دليل على اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بعقيدة التوحيد والإيمان ، ومطاردة الشيطان والهوى ، من حين أن يشم الولد رائحة الدنيا ، ويتنسم نسائم الوجود .

٣ ـ استحباب تحنيكه عندما يولد :

ومن الأحكام التي شرعها الاسلام للمولود استحباب تحنيكه عقب الولادة .

ولكن ما التحنيك ، وما الحكمة منه ؟

التحنيك معناه مضغ التمرة ، ودَلْكُ حنك المولود بها ؛ وذلك بوضع جزء من الممضوغ على الأصبع ، وإدخال الأصبع في فم المولود ، ثم تحريكه يميناً وشمالاً بحركة لطيفة ، حتى يتبلغ الفم كله بالمادة الممضوغة ، وإن لم يتيسر التمر فليكن التحنيك بأية مادة حلوة كالمعقود ، أو رائب السكر الممزوج بماء الزهر ، تطبيقاً للسنة ، واقتداءً بفعله عليه الصلاة والسلام .

ولعل الحكمة في ذلك تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك مع الفكين بالتلمظ ، حتى يتهيأ المولود للقم الثدي ، وامتصاص اللبن بشكل قوي ، وحالة طبيعية . ومن الأفضل أن يقوم بعملية التحنيك من يتصف بالتقوى والصلاح تبركاً به ، وتيمناً بصلاح المولود وتقواه .

ومن الأحاديث التي استدل بها الفقهاء على استحباب التحنيك ما يلي :

ـ جاء في الصحيحين من حديث أبي بردة ، عن أبي موسى رضي الله عنه قال : ولد لي غلام فأتيتُ به النبي صلى الله عليه وسلم فسماه إبراهيم ، وحنكه بتمرة ، ودعا له بالبركة ، ودفعه إلي .

ـ وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال : كان ابنٌ لأبي طلحة يشتكي ، فخرج أبو طلحة فقُبض الصبي ، فلما رجع أبو طلحة قال : ما فعل

الصبي ؟ قالت أم سليم : هو أسكن ماكان ، فقربت إليه العشاء فتعشَّى ، ثم أصاب (أي جامع) ، فلما فرغ قالت : وارِ الصبيّ (أي قم على دفنه) ، فلما أصبح أبو طلحة أتى النبي صلى الله عليـــه وسلم فأخبره ، قال : أعرستم الليلة ؟ (كناية عن الجماع) قال : نعم ، قال : اللهم بارك لهما ، فولدت غلاماً ، فقال لي أبو طلحة : احمله حتى تأتي به النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعث معه بتمرات ، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أمعه شيء ؟ قالوا : نعم ، تمرات ، فأخذها النبي صلى اللهعليه وسلم فمضغها ، ثم أخذها من فِيه فجعلها في فِي الصبي (أي في فمه) ، ثم حنَّكه ، وسماه عبد الله .

وقال الخلال:أخبرني محمد بن علي قال : سمعت أم ولد أحمد بن حنبل تقول : لما أخذني الطّلقْ كان مولاي نائماً ، فقلت له : يا مولاي ها هو ذا أموت ، فقال: يفرج الله ، فما هو إلا أن قال : يفرج الله ، فولدت سعيداً ، قال: هاتوا ذلك التمر ـ لتمر كان عندنا من مكة ـ فقال لأم علي : امضغي هـذا التمر وحنّكيه ، ففعلتْ .

٤ ـ استحباب حلق راس المولـود :

ومن الأحكام التي شرعها الاسلام للمولود استحباب حلق رأسه يـوم سابعه ، والتصدق بوزن شعره فضة على الفقراء والمستحقين .

والحكمة في ذلك تتعلق بشيئين :

الاول : حكمة صحية :

لأن في إزالة شعر رأس المولود تقوية له ، وفتحاً لمسام الرأس ، وتقوية كذلك لحاسة البصر والشم والسمع[١] .

---

(١) قاله ابن القيم في كتاب « تحفة المودود » .

الثاني : حكمة اجتماعية :

لأن التصدق بوزن شعره فضة ، ينبوع آخر من ينابيع التكافل الاجتماعي ، وفي ذلك قضاء على الفقر ، وتحقيق لظاهرة التعاون والتراحم والتكافل في ربوع المجتمع •

ومن الأحاديث التي استدل بها الفقهاء على استحباب الحلق ، والتصدق بوزن الشعر فضة هي ما يلي :

روى الإمام مالك في الموطأ عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : وزنت فاطمة رضي الله عنها شعر رأس حسن وحسين ، وزينب وأم كلثوم ، فتصدقت بزنة ذلك فضة •

وذكر ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر ، عن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ، قال : عقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن شاة ، وقال : يافاطمة، احلقي رأسه ، وتصدقي بزنة شعره فضة ، فوزنته ، فكان وزنه درهماً أو بعض درهم •

وروى يحيى بن بكير : عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بحلق رأس الحسن والحسين يوم سابعهما فحُلِقا ، وتصدّق بوزنه فضة •

ويتفرع عن الحلق مسألة القَزَع ، ومعناه حلق بعض رأس الصبي ، وترك بعضه •

وجاء النهي عنه صريحاً ، في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القزع » •

والقزَع الذي يشمله النهي اربعة انواع :

أحدهما : أن يحلق من رأسه مواضع من ههنا وههنا •
الثاني : أن يحلق وسطه ويترك جوانبه •
الثالث : أن يحلق جوانبه ويترك وسطه •
الرابع : أن يحلق مقدمه ويترك مؤخره •

وهذا كله ــ كما يقول ابن القيم رحمه الله ــ من كمال محبة اللهورسوله للعدل ، فإنه أمر به حتى في شأن الانسان مع نفسه ، فنهــاه أن يحلق بعض رأسه ويترك بعضه ، لأنه ظلم للرأس حيث ترك بعضه كاسياً وبعضه عارياً • ونظير هذا أنه نهى عن الجلوس بين الشمس والظل ، فإنه ظلم لبعض بدنه • ونظيره أيضاً أنه نهى أن يمشي الرجل في نعل واحدة ، بل إما أن ينعلهما أو يحفيهما » إ•هـ •

وهناك حكمة أخرى : أن رسول الاسلام صلوات الله عليه وسلامه ، حريص على أن يظهر المسلم في المجتمع بمظهر لائق في مظهره وهندامه • وحلق بعض الرأس وترك بعضه ، يتنافى مع وقار المسلم وجماله ؛ ثم بالتالي يتنافى مع الشخصيةالاسلامية التي يتميز بها المسلم عن بقية الملل والمعتقدات ، وعن سائر أهل الفسوق والميوعة والانحلال •



فمما يؤسف له أن كثيراً من الآباء والمربين يجهلون هذه الأحكام جهلاً تاماً ، بل نجد الكثير منهم، حينما نتعرض لها ، ونحدثهم بها ، تظهر منهمأمارات التعجب والاستغراب ، لكونهم ما ألفوها ، ولم يروا من يطبقها ، ويعمل بها ، إلا من رحم ربك •

وأريد أن أهمس في أذن هؤلاء ، إن الجهل ليس بعذر في شريعــة

الاسلام ، وإن المقصر فيما يجب أن يعرفه عن أمور دينه ، وتربية أولاده ، لاينجيه عن تحمل المسؤولية يوم يقوم الناس لرب العالمين •

وهذه الأحكام التي ذكرناها آنفاً هي وإن كانت من قبيل المستحبات والمندوبات ، فيجب العمل بها ، وتطبيقها بحذافيرها في أسرنا ، في أولادنا ، في أهلنا وأقربائنا وذوينا • لأننا إذا تساهلنا في المستحب سيؤدي بنا حتماً إلى التساهل في الواجب ، ثم إلى التساهل في الفروض ، ثم إلى التساهــل في الاسلام كله • وفي النهاية يقع المسلم الظاهري في حبائل الكفر الصراح ، ويتيه في متاهات الضلال المبين ، ويكون قــد انسلخ من دينه وإسلامه !• ألا فليأخذ المربون بهذه الأحكام ، وليطبقوا على أولادهم هذه المستحبات واحدة بعد واحدة ، ليحظوا برضى الله سبحانه ، ويتحققوا بالاسلام قــولاً وعملاً عسى الله سبحانه أن ينصرهم على أعدائهــم ، ويعيــد لهم مجــدهم الداثر ، وكرامتهم المهيضة ، وما ذلك على الله بعزيــز •



المَبْحَثُ الثَّاني

تَسْمِيَةُ المولودِ وَأحكامُهَا

من العادات الاجتماعية المتبعة ، أن المولود حين يولد يختار له أبواه اسماً يتعرف به ، ويتميز لدى القاصي والداني بسببه • والاسلام بتشريعه المتكامل اعتنى بهذه الظاهرة ، واهتم لها ، ووضع من الأحكام مايشعر بأهميتها ، والاعتناء بها ، حتى تعلم أمة الاسلام كل مايتعلق بالمواود . وكل مايرفع من شأنه ، ويتصل بتربيته •

وإليكم اهم هذه الأحكام التي وضعها الاسلام في تسمية المولود :

١ ـ متى يسمى الولد :

روى أصحاب السنن عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل غلام رهين بعقيقته ، تذبح عنه يوم سابعه ، ويسمى فيه ويحلق رأسه » •

فهذا الحديث يقضي أن تكون التسمية في اليوم السابع •

وهناك أحاديث أخرى صحيحة تفيد أن تكون التسمية في يوم الولادة ، منها :

روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد الساعدي قال : أتي بالمنذر ابن أبي أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولد ، فوضعه النبي صلى الله عليه وسلم على فخذه وأبو أسيد جالس ، فلهى النبي صلى الله عليه وسلم بشيء بين يديه ، فأمر أبو أسيد بابنه فاحتمل من على فخذ النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الصبي ؟ فقال أبو أسيد قلبناه يارسول الله (أي أرجعناه) ، فقال : مااسمه ؟ قال : فلان ، قال : لا ، ولكن اسمه المنذر .

وفي صحيح مسلم من حديث سليمان بن المغيرة ، عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وُلد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم » .

فيؤخذ من هذه الأحاديث المتقدمة : أن في الأمر سعة ، فجاز تعريفه وتسميته في اليوم الأول من ولادته ، وجاز التأخير الى ثلاثة أيام ، وجاز إلى يوم العقيقة وهو اليوم السابع ، وجاز قبل ذلك ، وجاز بعده .

٢ ـ ما يستحب من الأسماء وما يكره :

● إن مما يجب أن يهتم به المربي عند تسمية الولد ، أن ينتقي له من الأسماء أحسنها وأجملها ، تنفيذاً لما أرشد إليه ، وحض عليه وأمر به نبينا عليه الصلاة والسلام .

فقد روى أبو داود بإسناد حسن عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم ، فأحسنوا أسماءكم » .

وروى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : « إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن » •

● كما عليه أن يجنبه الاسم القبيح الذي يمس كرامته ، ويكون مدعاة للاستهزاء به والسخرية عليه • فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـــ كما روى الترمذي عن عائشة ـــ : « كان يغير الاسم القبيح » •

وروى الترمذي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن ابنة لعمر كان يقال لها عاصية ، فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة •

قال أبو داود : غيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم اسم العاصي، وعزيز وعتلة[1] ، وشيطان ، والحكم ، وغراب ، وحباب[2] • وسمى حرْباً : سِلماً، وسمى المضطجع : المنبعث ، وبني الزِّنْيَة سماهم : بني الرِّشْدة ، وسمى بني مُغْوية : بني رِشدَة • قال أبو داود : تركت أسانيدها اختصاراً •

● كما عليه أن يجنبه الأسماء التي لها اشتقاق من كلمات فيها تشاؤم ، حتى يسلم الولد من مصيبة هذه التسمية وشؤمها •

روى البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده قال : أتيت إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال : ماسمك ؟ قلت : حَزْن"[3] ، فقال : أنت سهل ، قال : لاأغير اسماً سمانيه أبي • قال ابن المسيب : فما زالت تلك الحزونة [4] فينا بعد •

---

(١) عتلة : الشدة والغلظة .
(٢) الحباب : نوع من الحيات ، وقيل : اسم شيطان .
(٣) الحزن : ما غلظ من الأرض وهي ضد السهل .
(٤) يقصد بالحزونة : الغلظة .

وروى الإمام مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجل : ما اسمك ؟ قال : جمرة ، قال : ابن من ؟ قال : ابن شهاب ، قال : ممّن ؟ قال : من الحرقة ، قال : أين مسكنك ؟ قال : بحرّة النار ، قال : بأيّتها ؟ قال : بذات لظى ، قال عمر : أدرك أهلك فقد هلكوا واحترقوا . فكان كما قال عمر رضي الله عنه .

● كما عليه أن يجنبه الأسماء المختصة بالله سبحانه ، فلا تجوز التسمية بالأحد ولا بالصمد ولا بالخالق ولا بالرزاق ... ولابغيرها .

قال أبو داود في سننه : إن هانئاً لما وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مع قومه، كانوا يكنّونه بأبي الحكم، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكم، فلِمَ تكنى أبا الحكم؟ فقال : ان قومي اذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم ، فرضي كلا الفريقين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحسن هذا . فما لك من الولد ؟ قال : لي شريح ، ومسلم ، وعبدالله ، فقال : فمَن أكبرهم ؟ قال : شريح، قال: فأنت أبو شريح .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أغيظُ رجلٍ على الله يوم القيامة وأخبثُه : رجل تسمّى مَلِكَ الأملاك ، لا ملك إلا لله » .

● كما عليه أن يجنبه الأسماء التي فيها يُمن أو تفاؤل حتى لا يحصل كدر عند مناداتهم وهم غائبون بلفظ لا ، كالتسمية بأفلح ونافع ، ورباح ، ويسار .

روى مسلم وأبو داود والترمذي ، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا تسمّيَنّ غلامك يساراً ، ولا رباحاً ، ولا نجيحاً ، ولا أفلح . فإنك تقول : أَثمّ هو[1] ؟ فلا يكون ، فيقول : لا[2] ، إنما هن أربع فلا تزيدُنّ علي .

وروى ابن ماجه مختصراً ولفظه : « نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسمي رقيقنا أربعة أسماء : أفلح ، ونافع ، ورباح ، ويسار » .

● كما عليه أن يجنبه الأسماء المعبّدة لغير الله ، كعبد العزى ، وعبد الكعبة ، وعبد النبي ، وما شابهها ، فإن التسمية بهذه محرمة باتفاق .

أما قوله عليه الصلاة والسلام في غزوة حنين : « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » ، فهذا ليس من باب إنشاء التسمية وابتدائها — كما يقول ابن القيم — وإنما هو من باب الإخبار بالاسم الذي عرف به المسمى دون غيره ، ولا سيما في المواقف التي فيها تحدٍّ للعدو كموقف النبي صلى الله عليه وسلم ، والإخبار بمثل ذلك على وجه تعريف المسمى لايحرم ؛ فلقد كان الصحابة رضي الله عنهم يذكرون أمام النبي صلى الله عليه وسلم أسماء قبائلهم : كبني عبد مناف ، وبني عبد شمس ، وبني عبد الدار . ولا ينكر عليهم عليه الصلاة والسلام .

وصفوة القول أنه يجوز في الإخبار ما لا يجوز في الابتداء والإنشاء .

● وأخيراً عليه أن يجنبه الأسماء التي فيها تميّع وتشبه وغرام ، كاسم : هيام ، وهيفاء ، ونهاد ، وسوسن ، وميادة ، وناريمان ، وغادة ، وأحلام .

---

(١) أثم هو : أهناك يسار مثلاً .
(٢) فلما يقال : لا ، يحصل كدر من قبح الجواب .

وماشابهها . لماذا ؟ حتى تتميز أمة الاسلام بشخصيتها ، وتعرف بخصائصها وذاتيتها . وما هذه الأسماء إلا فقدان لكيانها ، وانحدار لاعتبارها ، وتحطيم لمعنوياتها . ويوم تصل الأمة الاسلامية إلى هذا المستوى من التدني والانحدار ، تتمزق إلى قطع وأوصال ، ويسهل على كل عدو مغتصب أن يستحل أرضها ، ويجعل أعزة أهلها أذلة ، كما هو حالنا اليوم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولا عجب أن يحض الرسول صلوات الله وسلامه عليه أمة الاسلام في أن يتسموا بأسماء الأنبياء ، وبعبد الله ، وعبد الرحمن ، وما شابها من الأسماء المعبّدة لله . حتى تتميز الأمة المحمدية على غيرها من الأمم ، في كل مظاهر حياتها لتكون دائماً خير أمة أخرجت للناس ، تهدي البشرية إلى نور الحق ومبادىء الاسلام .

فقد روى أبو داود والنسائي : عن أبي وهب الجشمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحب الأسماء إلى الله : عبد الله ، وعبد الرحمن ؛ وأصدقها : حارث ، وهمام ؛ وأقبحها : حرب ، ومرّة »[1] .

٣ ـ من السنة تكنية المولود بابي فلان :

من المبادىء التربوية التي وضعها الاسلام في تربية الولد ، تكنية المولود بأبي فلان ؛ ولهذه التكنية آثار نفسية رائعة ، وفوائد تربوية عظيمة ، وهي كما يلي :

- تنمية شعور التكريم والاحترام في نفسية الولد ، ومنه قول الشاعر :

---

(١) مرة : قوة وشدة وبطش .

أكنّيــه حين أناديه لأكرمــه
ولا ألقّبــه والسوءة اللقبُ

- تنمية شخصيته الاجتماعية ، لاستشعاره أنه بلــغ مرتبــة الكبار ، وسن الاحترام .

- ملاطفته وإدخال السرور عليه بمناداته بهذه الكنية الحبيبة إليه .

- تعويده أدب الخطاب للكبار ، ولمن كان في سنه من الصغار .

لهذه الفوائد الجليلة ، والاعتبارات العظيمة ، كان صلوات الله وسلامه عليه يكني الأطفال ، ويناديهم بها ، تعليماً للمربين وإرشاداً لهم ، حتى ينهجوا نهجه ، ويسلكوا طريقه في تكنية أولادهم ، ومناداتهم بها .

جاء في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ، وكان لي أخ يقــال له أبو عمير . وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءه يقول له : « يا أبا عُمَيْر . ما فعــل النُّغَيْر ؟ »[1] ، قال الراوي : أظنه كان فطيماً .

وأذن النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها أن تكنّى بأم عبد الله ، وعبد الله هو عبد الله بن الزبير ،وهــو ابن أختها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم جميعاً .

وكان أنس يكنّى قبل أن يولد له بأبي حمزة ، وأبو هريرة كان يكنى بذلك ولم يكن له ولد إذ ذاك .

---

(1) النغير : طائر كان يلعب به .

ويجوز تكنية الرجل الذي له أولاد باسم غير اسم أولاده ؛ فهذا أبوبكر رضي الله عنه كان يكنى بأبي بكر ، ولم يكن له ولد اسمه بكر ؛ وهذا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان يكنى بأبي حفص ، ولم يكن له ولد اسمه حفص ؛ وكذلك أبو ذر رضي الله عنه كان يُكنى بأبي ذر ، ولم يكن له ولد اسمه ذر ، وكذلك خالد بن الوليد رضي الله عنه كان يُكنى بأبي سليمان ، ولم يكن له ولد اسمه سليمان • وهذا أكثر من أن يُحصى •

والذي نخلص إليه بعدما تقدم : أن تكنية المولود أمر مستحب ، وكذلك تكنية الكبار ، ولا يلزم من جواز التكنية أن يكون للمكنى ولد ، ولا أن يُكنى باسم ذلك الولد •



ويتفرع عن التسمية والتكنية أمور نرتبها فيما يلي :

آ ــ في حال عدم اتفاق الأبوين على تسمية الوليد فالتسمية من حق الأب : فالأحاديث التي سبق ذكرها في أول البحث وبعده تفيد أن التسمية من حق الأب •

والقرآن الكريم قد صرح بأن الولد ينسب لأبيه لا لأمه ، فيقال له : فلان بن فلان • قال تعالى :

« ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » الأحزاب (٥)

ولقد مر حديث مسلم عن أنس رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم » •

ب ــ لا يجوز للأب ولا لغيره أن يلقب الولد بألقاب ذميمة : كالقصير،

والأعور ، والأخرس ، وخنفساء، وما شابهها... لشمول النهي في قوله تعالى:

« ولا تنابزوا بالألقاب » . الحجرات (١١)

لما لهذه الألقاب الذميمة من أثر كبير في انحراف الولد النفسي والاجتماعي . وسنتوسع في هذا البحث في مبحث « مسؤولية التربية النفسية » في باب « المسؤوليات » إن شاء الله .

ج ـ هل يجوز التكنية بأبي القاسم :

أجمع العلماء بجواز تسمية الأولاد باسم النبي صلى الله عليه وسلم ، للحديث الذي رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : وُلد لرجل منا غلام فسماه محمداً ، فقال له قومه : لا نَدعُكَ تسمي باسم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بابنه حامله على ظهره ، فقال يارسول الله : ولد لي غلام، فسميته محمداً ، فقال قومي : لاندعك تسمي باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسموا باسمي ولا تكنّوا بكنيتي ، فإنما أنا قاسم أقسم بينكم » .

أما التكني بكنيته عليه الصلاة والسلام ، فقد ذهب الأئمة المجتهدون مذاهب مختلفة ، وأقوال عِدّة . وإليكم ذكر هذه الأقوال ، ثم الراجح منها.

الأول : الكراهة مطلقاً ، وحجتهم في ذلك الحديث السابق الذي مر ذكره . وحديث أبي هريرة الذي رواه البخاري ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تسموا باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي » . وقد قال بهذا الرأي الإمام الشافعي .

الثاني : الإباحة مطلقاً ، واحتجوا بما رواه أبو داود في سننه عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت :

يارسول الله ، إني قد ولدتُ غلاماً ، فسميته محمداً ، وكنيته أبا القاسم ، فذكر لي : أنك تكره ذلك ، فقال : ما الذي أحل اسمي ، وحرم كنيتي ؟

وقال ابن أبي شيبة : حدثنا محمد بن الحسن عن أبي عوانه عن المغيرة عن إبراهيم قال : كان محمد بن الأشعث ابن أخت عائشة ، وكان يكنى أبا القاسم .

وروى ابن أبي خيثمة عن الزهري قال : أدركت أربعة من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كل منهم يسمى محمداً ويكنى أبا القاسم : محمد بن طلحة بن عبد الله ، ومحمد بن أبي بكر ، ومحمد بن علي بن أبي طالب ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص .

وسئل الإمام مالك : عمّن اسمه محمد ، ويكنى بأبي القاسم ؟ فأجاب : لم يرد في ذلك نهي ، ولا أرى بذلك بأساً .

وهذه الطائفة التي قالت بالإباحة مطلقاً حملت أحاديث النهي على أنها منسوخة .

الثالث : لايجوز الجمع بين الكنية والاسم كأن يسمي ولده محمداً ويكنيه بأبي القاسم في وقت واحد .

أما إفراد التسمية أو التكنية فإنه جائز .

وحجة هذه الطائفة لما رواه أبو داود في سننه عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ تسمى باسمي فلا يتكنى بكنيتي ، ومن تكنى بكنيتي فلا يتسمى باسمي » . ولما رواه ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن عن أبي عمرة عن عمه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لاتجمعوا بين اسمي وكنيتي »• ولما رواه ابن أبي خيثمة : أن محمد بن طلحة لما ولد ، أتى طلحة النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اسمه محمد ، أكنيه أبا القاسم ؟ فقال : لاتجمعهما له ، هو أبو سليمان •

الرابع : النهي عن التكنية مخصوص بحياته ، أما بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فلا بأس بها •

واحتجت هذه الطائفة بما رواه أبو داود في سننه عن منذر عن محمد ابن الحنفية قال : قال علي رضي الله عنه : إن وُلد لي بعدك ولد أسمّيه باسمك وأكنيه بكنيتك ؟ قال عليه الصلاة والسلام : نعم •

وقال حميد بن زنجويه في كتاب الأدب : سألت ابن أبي أويس ما كان « مالك » يقول في رجل يجمع بين كنية النبي صلى الله عليه وسلم واسمه ؟ فأشار إلى شيخ جالس معنا ، فقال : هنا «محمد بن مالك» سماه أبوه محمداً ، وكناه أبا القاسم ، وكان يقول ـــ أي الإمام مالك ـــ : إنما نهي ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كراهة أن يدعى أحد باسمه وكنيته ، فيلتفت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأما اليوم ـــ أي بعد وفاته ـــ فلا بأس بذلك •

ولعل القول الرابع هو القول الأرجح للمعقولية التي قالها الإمام مالك، وللأحاديث النبوية التي أفادت ذلك •

وعلى هذا يجوز التسمية باسم النبي صلى الله عليه وسلم ، ويجوز التكنية بكنيته ، لأن الأحاديث التي تفيد النهي مختصة بحياته خشية الالتباس وقت النداء بشخصية المخاطب ، وشخصية النبي صلى الله عليه وسلم ، أما بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فلا التباس ، فدل ذلك على الجواز ، ومما يؤكد الجواز أيضا حديث الزهري الذي سبق ذكره أنه أدرك أربعة من أبناء الصحابة ، كل منهم يسمى محمداً ويكنى أبا القاسم ، والله أعلم •

فما على الآباء والأمهات ــ بعد الذي علموه في هذا الفصل ــ إلا أن ينهجوا الطريق الأقوم في تسمية أولادهم ، وأن يجنبوهم الأسماء التي تحط من أقدارهم ، وتمس بكرامتهم ، وتحطم من شخصياتهم ومعنوياتهم • وعليهم كذلك أن يتأسوا بالنبي المصطفى صلوات‌الله وسلامه عليه ، في تكنيةأولادهم منذ الصغر بكنية حبيبة إلى قلوبهم ، لطيفة إلى أسماعهم ، حتى يشعروا بشخصيتهم ، وتنمو في نفوسهم روح المحبة والتكريم لذواتهم ، وحتى يعتادوا الأدب العالي مع من حولهم في الخطاب ، وملاطفة الأقران •

فما أحرانا أن نأخذ جميعاً بأسس هذه التربية الفاضلة ، وأن نسير على مبادىء هذا المنهج الاسلامي العظيم ، إن أردنا أن نعيد لأنفسنا وأمتنا المجد الدائر ، والكيان الكبير ، وما ذلك على الله بعزيز ، إن أخلصنا وطبقنا ، والتزمنا الاسلام تشريعاً وتربية ومنهاجاً •



المَبْحَثُ الثّالِثُ

عَقيقَةُ المَوْلُودِ وأحْكامُهَا

١ ــ ما معنى العقيقة ؟

العقيقة في اللغة : معناها القطع ، ومنه عقّ والديه إذا قطعهما ، ومنه قول الشاعر :

بلاد بها عقّ الشباب تمائمي وأول أرضٍ مسَّ جلدي ترابها

يريد أنه لما أصبح شاباً قطعت عنه تمائمه .

ومعناها في الاصطلاح الشرعي : ذبح الشاة عن المولود يوم السابع من ولادته .

٢ ــ دليل مشروعيتها :

الأحاديث التي تؤكد مشروعية العقيقة ، وتبين وجه الاستحباب والسنيّة فيها كثيرة ومستفيضة ، نجتزىء منها ما يلي :

روى البخاري في صحيحه عن سلمان بن عمار الضبي قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : « مع الغلام عقيقة ، فأهريقوا عنه دماً ، وأميطوا عنه الأذى » .

وروى أصحاب السنن عن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل غلام رهينة بعقيقته[1] ، تذبح عنه يوم سابعه ، ويُسمّى فيه ، ويحلق رأسه » .

وروى الإمام أحمد والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عن الغلام شاتان مكافئتان[2] ، وعن الجارية شاة » .

وروى الإمام أحمد والترمذي عن أم كرز الكعبية : أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقيقة فقال : « عن الغلام شاتان ، وعن الأنثى واحدة، ولا يضركم ذكراناً كنّ أو إناثاً » أي الذبائح .

أخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن الحسن عن سمرة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في العقيقة : « كل غلام مرتهن بعقيقته ، تذبح عنه يوم سابعه ، ويحلق رأسه ، ويسمى » .

٣ ــ آراء الفقهاء في وجه مشروعيتها :

ذهب الفقهاء والأئمة المجتهدون مذاهب ثلاثة في وجه مشروعيتها :

الأول ــ السنية والاستحباب : وهم الإمام مالك ، وأهل المدينة ، والإمام الشافعي وأصحابه ، والإمام أحمد ، وإسحاق ، وأبو ثور ، وجماعة

---

(١) المراد ان العقيقة لازمة له لابد منها .
(٢) مكافئتان : اي مستويتان في السن ، ومتشابهتان فى الشكل .

كثير عددهم من أهل الفقه والعلم والاجتهاد . وحجتهم هذه الأحاديث التي سبق ذكرها ، وردوا على مَنْ ذهبوا أنها واجبة بعدة أقوال :

● لو كانت واجبة لكان وجوبها معلوماً من الدين ، لأن ذلك مما تدعو الحاجة إليه ، وتعم به البلوى ، ولبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوبها للأمة بياناً عاماً كافياً تقوم به الحجة ، وينقطع معه العذر .

● وقد علق رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر العقيقة بمحبة فاعلها ، فقال عليه الصلاة والسلام : « مَن وُلد له ولد فأحب أن يُنسك عنه فليفعل » .

● وفعله صلوات الله وسلامه عليه لها لا يدل على الوجوب ، وانما يدل على الاستحباب .

الثاني ـ التحتيم والوجوب : وهم الإمام الحسن البصري ، والليث ابن سعد ، وغيرهما . وحجتهم في ذلك مارواه بريدة ، وإسحق بن راهويه : « أن الناس يعرضون يوم القيامة على العقيقة كما يعرضون على الصلوات الخمس » . واستدلوا كذلك بحديث الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «كل غلام مرتهن بعقيقته» . ووجه الاستدلال : أن الولد محبوس عن الشفاعة لوالديه حتى يَعِقّ عنه ، فهذا مما يؤيد الوجوب .

الثالث ـ إنكار مشروعيتها : وهم فقهاء الحنفية .

وحجتهم في ذلك حديث رواه البيهقي ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن العقيقة ، فقال : « لا احب العقوق » .

واستدلوا كذلك بحديث رواه الإمام أحمد من حديث أبي رافع رضي الله عنه ، أن الحسن بن علي أرادت أمه فاطمة رضي الله عنها أن تعقّ عنه بكبشين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تعقّي ولكن احلقي رأسه ، فتصدقي بوزنه من الورِق - أي من الفضة - ، ثم ولد حسين ، فصنعت مثل ذلك » .

ولكن ظاهر الأحاديث التي سبق ذكرها تؤكد جانب السنيّة والاستحباب في العقيقة ، وهذا ماذهب إليه جمهور الفقهاء ، وأكثر أهل العلم والاجتهاد .

وقد أجابوا على الأحاديث التيَ استدل بها فقهاء الحنفية في إنكارهم مشروعية العقيقة بقولهم : إن الأحاديث التي استدلوا بها ليست بشيء ، ولا تصح دليلاً على إنكار مشروعية العقيقة . أما حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا أحب العقوق » فسياق الحديث وأسباب وروده يدل على أن العقيقة سنة ومستحبة ، فإن لفظ الحديث هكذا : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقيقة فقال : لا أحب العقوق ، وكأنه كره الاسم - أي كره أن تسمى الذبيحة بالعقيقة[1] فقالوا يارسول الله : إنما نسألك عن أحدنا يولد له ولد ، فقال : « من أحب منكم أن ينسك عن ولده فليفعل ، عن الغلام شاتان مكافئتان ، وعن الجارية شاة » .

---

(1) استدل طائفة من الفقهاء من ظاهر هذا الحديث استبدال كلمة العقيقة بالنسيكة ، لكراهيته عليه الصلاة والسلام اسم العقيقة ، وقالت طائفة اخرى لايكره ذلك ، وراوا إباحته للأحاديث الكثيرة المستفيضة في تسمية الذبيحة بالعقيقة .

والتوفيق بين الرايين : ان يستعمل المسلم كلمة النسيكة ويجعلها هي الأصل ، واذا استعمل كلمة العقيقة في بعض الأحيان للتوضيح وبيان الحكم وإظهار المراد فلا بأس في ذلك ، وعلى هذا تتفق الأحاديث .

وأما استدلالهم بحديث أبي رافع : « لا تعقي ولكن احلقي رأسه ... » فإنه لا يدل على كراهية العقيقة ، لأنه عليه الصلاة والسلام أحب أن يتحمل عن ابنته فاطمة رضي الله عنها العقيقة ، فقال لها : « لاتعقّي ... » ، لكونه عقّ عليه الصلاة والسلام عنهما ، وكفاها المؤنة . ومما يؤكد أنه عليه الصلاة والسلام عقّ عنهما كثرة الأحاديث المروية في هذا الشأن ، نذكر منها ما يلي:

ــ روى أبو داود عن أيوب عــن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقّ عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً .

ــ وذكر جرير بن حازم عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عقّ عن الحسن والحسين كبشين .

ــ وذكر يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة قالت : عقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن والحسين يوم السابع .

والذي نخلص إليه بعدما تقدم : أن العقيقة عن المولود سنة مستحبــه عند جمهور الأئمة والفقهاء . فعلى الأب إن ولد له مولود وكان مستطيعــاً قادراً أن يُحيي سنة رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، حتى يحظى بالفضيلة والأجر عند الله سبحانه ؛ وحتى يزيد من معاني الإلفة والمحبــة والروابط الاجتماعية،بين الأهل والأقرباء والجيران والأصدقاء جميعاً،وذلك حينما يحضرون وليمة العقيقة ابتهاجاً بالمولود ، وفرحاً بقدومه . وحتى يساهم كذلــك في تحقيق التكافل الاجتماعي ، وذلك حينما يُشرك في الانتفــاع بالعقيقة بعض ذوي الحاجة والحرمان من الفقراء والمساكين .

فما أعظم الاسلام ، وما أسمى مبادئه التشريعية في زرع الإلفة والمحبة في المجتمع ، وفي بناء العدالة الاجتماعية في الطبقات الفقيرة والمحرومة .

٤ ـ الوقت الذي يستحب فيه العقيقة :

سبق أن ذكرنا حديث سمرة : « الغلام مرتهن بعقيقته ، تذبح عنه يوم السابع ويسمّى » . فهذا الحديث يفيد أن وقت الاستحباب لذبح العقيقة هو اليوم السابع ، ومما يؤكد ذلك حديث عبد الله بن وهب عن عائشة رضي الله عنها قالت : « عق رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن وحسين يوم السابع ، وسماهما ، وأمر أن يماط عن رؤوسهما الأذى » .

ولكن هناك أقوال تفيد أن التقيد باليوم السابع ليس من باب الإلزام. وإنما هو على وجه الاستحباب ، وإلا فلو ذُبح عنه في اليوم الرابع أو الثامن أو العاشر أو ما بعده ، أجزأت العقيقة .

وإليكم أظهر هذه الأقوال :

ـ قال الميموني : قلت لأبي عبد الله : متى يعق عن الغلام ؟ قال : أماعائشة رضي الله عنها فتقول : « سبعة أيام ، وأربعة عشر ، ولأحد وعشرين » .

ـ وقال صالح بن أحمد : قال أبي في العقيقة : « تذبح يوم السابع ، فإن لم يفعل ففي أربعة عشر ، فإن لم يفعل ففي أحد وعشرين » .

ـ وقال الإمام مالك : « والظاهر أن التقيد باليوم السابع إنما هو على وجه الاستحباب ، وإلا فلو ذُبح عنه في اليوم الرابع أو الثامن أو العاشر أو مابعده ، أجزأت العقيقة » .

والذي نخلص إليه بعدما تقدم : أن الأب إذا تيسر له أن يذبح العقيقة في اليوم السابع يكون أفضل لفعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن لم يتيسر له ذلك جاز في أي يوم من الأيام ، كما قال الإمام مالك .

إذن ففي الأمر سعة ، وفي ذبح العقيقة تيسير « يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر » ، « وما جعل عليكم في الدين من حرج » .

٥ ــ هل عقيقة الذكر مثل الأنثى ؟

سبق أن ذكرنا أن العقيقة سنة مستحبة على رأي جمهور أهل العلم من المجتهدين والفقهاء ، وهي سنة مستحبة عن الذكر والأنثى على السواء .

للحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي عن أم كرز الكعبية أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العقيقة فقال : « عن الغلام شاتان ، وعن الأنثى واحدة » .

وللحديث الذي رواه ابن أبي شيبة من حديث عائشة : « أمرنا عليه الصلاة والسلام أن نعقّ عن الغلام بشاتين ، وعن الجارية شاة » . إلى غير ذلك من الأحاديث التي سبق ذكرها في دليل المشروعية .

فهذه الأحاديث بجملتها تفيد شيئين أساسيين :

الأول : انالذكر مثل الانثى في مشروعية العقيقة .

الثاني : المفاضلة بينهما : للذكر شاتان ، وللانثى شاة واحدة .

وهذه المفاضلة هي ما تدل عليه ظواهر الأحاديث ، وهي مذهب ابن عباس ، وعائشة ، وجماعة من أهل العلم والحديث .

ومذهب الإمام مالك أن عقيقة الذكر شاة ، والأنثى شاة ؛ ولما سئل كم يُذبح عن الغلام والجارية ؟ أجاب بقوله : « يذبح عن الغلام شاةواحدة، وعن الجارية شاة » . واحتج على مذهبه بالأحاديث التالية :

ـ روى أبو داود في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقّ عن الحسن والحسين كبشاً .

ـ وروى جعفر بن محمد عن أبيه : أن فاطمة ذبحت عن حسن وحسين كبشاً كبشاً .

ـ وقال الإمام مالك : « وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، يعق عن الغلمان والجواري من ولده شاة شاة » .

وصفوة القول : أن من أغدق الله عليه من رزقه وإنعامه ، فلْيعقّ عن الذكر شاتين ، وعن الأنثى شاة واحدة ، لما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر المفاضلة بينهما ، ومن كانت أحواله المادية في حدود الوسط ، أو دون الوسط ، فيجزئه عن الذكر شاة ، وعن الأنثى شاة ، واذا فعل ذلك يكون محظياً بالأجر ، متحققاً بالسنة ، والله أعلم .

الرد على اعتراض : رب معترض يقول : لِمَ فرق الاسلام بين الذكر والأنثى في أمر المفاضلة في العقيقة ، ولِمَ كان هذا التمايز والتفاضل ؟

الرد على هذا الاعتراض من وجوه :

١ ـ المسلم مستسلم لكل ما أمر الاسلام به ، وما نهى عنه ، تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

« فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » . النساء (٦٥)

وبما أن المفاضلة في العقيقة ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمسلم لايسعه إلا التسليم والتنفيذ .

٢ ــ ولعل وجه الحكمة والمعقولية في هذه المفاضلة ، إظهار فضل الرجل على المرأة بما وهبه الله من القوة الجسمانية ، وبما كلفه من حق القوامة والمسؤولية ، وبما خصه به من الاتزان والانضباط العاطفي ؛ وصدق الله العظيم القائل :

« الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما أنفقوا من أموالهم .. » .

٣ ــ تأكيداً لزرع الإلفة والمحبة لاجتماع الناس على عقيقة المولود ، ثم بالتالي تقوية لروافد التكافل الاجتماعي بين الطبقات الفقيرة ، والأسر المحرومة .

٦ ــ كراهة كسر عظم العقيقة :

من الأمور التي يجب مراعاتها في عقيقة المولود ألاّ يكسر من عظم الذبيحة شيئاً ، سواء حين الذبح أو عند الأكل . بل يقطع كل عظم من مِفْصله بلا كسر ، للحديث الذي رواه أبو داود عن جعفر بن محمد عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في العقيقة التي عقتها فاطمة عن الحسن والحسين: أن ابعثوا إلى القابلة منها بِرجلٍ ، وكلوا وأطعموا ، ولا تكسروا منها عظماً . وروى ابن جريج عن عطاء كان يقول : تُقطع جدولاً[1] ، ولا يكسر لها عظم . وروى ابن المنذر عن عطاء عن عائشة مثله .

والحكمة في ذلك تتعلق بشيئين :

الأول : إظهار شرف هذا الإطعام أو الإهداء ، في نفوس الفقراء والجيران ، وذلك في تقديم القطع التامة الكبيرة ، التي لم يُكسر من عظامها عظم ،

---

(١) تقطع جدولاً : اي تقطع اعضاء .

ولاينقص من أعضائها شيء • ولا ريب أن هذا التصرف أجلّ موقعاً ، وأعظم في باب الجود والإكرام في نفوس المهدَى لهم •

الثاني : تيمّناً وتفاؤلاً بسلامة أعضاء المولود وصحتها وقوتها ، لكون العقيقة جرت مجرى الفداء للمولود ، والله أعلم •

٧ ــ أحكام عامة تتعلق بالعقيقة :

هناك أحكام عامة تتعلق بالعقيقة يجب مراعاتها ، وهي على الترتيب التالي :

آ ــ أجمع العلماء أنه لايجوز في العقيقة إلا ما يجوز في الأضحية •
والذي يجوز في الأضحية(١) هو ما يلي :

١ ــ أن يكون عمرها سنة ودخلت في السنة الثانية إذا كانت من الضأن أو المعز ، وإذا كان الضأن كبير الجسم سميناً ، فإنها تصح به إذا بلغ ستة أشهر ، بشرط أنه إذا خلط بما له سنة لايمكن تمييزه منه • وأما المعز فإنها لاتصح به إلا إذا بلغ سنة ودخل في السنة الثانية على كل حال •

٢ ــ أن تكون الأضحية سليمة من العيوب • وعلى هذا لاتصح الأضحية بالعمياء ، ولا بالعوراء ، ولا بالعجفاء (وهي المهزولة التي لا مخ في عظامها) ، ولا بالعرجاء (التي لاتستطيع المشي إلى المذبح) • وكذلك لاتصح بمقطوعة الأذن أو الذنب أو الإلية إذا ذهب أكثر من ثلثها • ولاتصح بالهتماء (التي ذهب أكثر أسنانها) ، ولاتصح بالسكّاء وهي (التي لاأذن لها بحسب الخلقة) ، ولا بالثّولاء (وهي المجنونة التي يمنعها جنونها من الرعي) •

أما ماعدا ذلك من العيوب التافهة فإنها تجوز ، كأن تكون مشقوقة

---

(١) احكام الاضحية المذكورة هي على مذهب ابي حنيفة .

الأذن ، أو مكسورة القرن ، أو مصابة بالعرج الذي تستطيع المشي معه . كأن تمشي بثلاث قوائم وتضع الرابعة على الأرض لتستعين بها على المشي . أو مصابة بجنون لم يسنعهامن الرعي ، أو ذهب بعض أسنانها ولكن الأكثر موجودة ، أو كانت مقطوعة الأذن أو الذنب أو الإلية وبقي الثلثان وذهب الثلث فقط . كل ذلك لايمنع من الأضحية بها .

٣ ـ أما الأضحية بالبقر والجاموس فلا تصح إلا إذا بلغ سنتين ودخل في السنة الثالثة ، وأماالتضحية بالإبل فلا تصح إلا إذا بلغت خمس سنين ودخلت في السنة السادسة .

ب ـ لايصح الاشتراك فيها : كأن يشترك سبعة على جمل مثلا ، لأنه لو صح الاشتراك فيها لما حصل المقصودمن إراقة الدم عن الولد ، ولما كانت الذبيحة بالتالي فداءً عن المولود .

ج ـ يصح أن يذبح عن الغنم بالإبل أو البقر ، بشرط أن يكون الذبح بأحدهما عن مولود واحد .

لما روى ابن القيم عن أنس بن مالك : أنه كان يعق عن ولده بالجزور .

وعن أبي بكرة أنه نحر عن ابنه عبد الرحمن جزوراً ، فأطعم أهل البصرة .

وبعض أهل العلم ذكر أنه لاتصح العقيقة إلا بالغنم للأحاديث الواردة .

ولكن حجة من أجاز العقيقة بالإبل والبقر ، مارواه ابن المنذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دماً » . ولم يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم دماً دون دم ، فما ذُبح عن المولود على ظاهر هذا الحديث فإنه يجزيء ، سواء كانت الذبيحة غنماً أو بقراً أو إبلاً .

د ــ يصح في العقيقــة ما يصح في الأضحيــة : من ناحيــة الأكــل منهــا ، والتصدق ، والإهــداء ، ويزاد بإهــداء جزء منهــا إلى القــابلة لإدخــال السرور عليهــا ، للحديث الذي رواه البيهقي : عن عــلي رضي الله عنــه أن رسول الله صلى الله عليــه وسلم أمر فاطمــة رضي الله عنهــا ، فقــال : « زِني شعر الحسين ، وتصدقي بوزنه فضة ، وأعطي القابلة رِجْلَ العقيقــة » •

ومن أراد أن يولم على العقيقة ، ويدعو من أحب لحضور الطعام فلا بأس في ذلك ، وقد أجاز ذلك كثير من الفقهاء لما ينشر في المجتمع المسلم من منهــا ، والتصدق ، والإهــداء ، ويزاد بإهــداء جزء منهــا إلى القــابلة مايحرص عليه الاسلام في تماسك وحــدة الأمة ، لتكــون دائماً كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً •

هـ ــ يستحب أن تذبح العقيقة على اسم المولود : لما روى ابن المنذر عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم: « اذبحــوا على اسمه (أي على اسم المولود) فقولوا : بسم الله ، اللهم لك وإليك ، هذه عقيقة فلان » • وإن نوى الذابح العقيقة ولم يذكر اسم المولود، أجزأت وحصل المقصود •

٨ ــ ما الحكمة التشريعية من العقيقة ؟

يكفي العقيقة فائدة وحكمة أنها :

- قربان يتقرب منها المولود إلى الله في أول لحظة يستنشق فيها نسائم الحيــــاة •
- فدية يفدى بها المولود من المصائب والآفات ، كما فدى الله اسماعيل عليه الســـلام بالذبــح العظيم •
- فكاك لرهان المولود في الشفاعة لوالديه •

● إظهار للفرح والسرور بإقامة شرائع الاسلام ، وبخروج نسمة مؤمنة ، يكاثر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمم يوم القيامة .

● تمتين لروابط الإلفة والمحبة بين أبناء المجتمع ، لاجتماعهم على موائد الطعام ابتهاجاً بقدوم المولود الجديد .

● إرفاد موارد التكافل الاجتماعي برفد جديد ، يحقق في الأمة مبادىء العدالة الاجتماعية ، ويمحو في المجتمع ظواهر الفقر والحرمان والفاقة .

إلى غير ذلك من هذه الفوائد والثمرات .

وبالمناسبة يجدر بك ـ أيها القارىء ـ أن تعرف أنواع الأطعمة والولائم التي شرعها الاسلام في أوقات مخصوصة ، وفي أيام المناسبات ، وهي كمايلي:

١ ـ **القِرى** : طعام الضيفان .

٢ ـ **التحفة** : طعام الزائر .

٣ ـ **الخُرْس** : طعام الولادة .

٤ ـ **المأدُبة** : طعام الدعوة .

٥ ـ **الوليمة** : طعام العرس .

٦ ـ **العقيقة** : طعام المولود في اليوم السابع .

٧ ـ **العذيرة** : طعام الختان .

٨ ـ **الوضيمة** : طعام المأتم .

٩ ـ **النقيعة** : طعام القادم من سفره .

١٠ ـ **الوكيرة** : طعام الفراغ من البناء .



المبحث الرابع

ختان المولود وأحكامه

١ ـ معنى الختان لغةً واصطلاحاً :

الختان في اللغة معناه : قطع القُلْفَة « أي الجلدة » التي على رأس الذَّكر .

وفي الاصطلاح الشرعي : هو الحَرْف المستدير على أسفل الحشفة ، أي موضع القطع من الذكر ،وهو الذي تترتب عليه الأحكام الشرعية ، كما روى الإمام أحمد والترمذي والنسائي عن النبي عليه الصلاة والسلام « إذا التقى الختانان فقد وجب الغُسْلُ » .

وفي رواية الطبراني « إذا التقى الختانان وغابت الحشفة فقد وجب الغُسْلُ ؛ أنزل أو لم ينزل » .

٢ ـ الأحاديث التي تدل على مشروعية الختان :

الأحاديث التي تدل على مشروعية الختان كثيرة نجتزىء منها بما يلي :

ـ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عمار بن ياسر قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : من الفطرة[1] : المضمضة ، والاستنشاق ، وقص الشارب ، والسواك ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، والاستحداد[2] ، والاختتـــان » •

ـــ وفي الصحيحين من حديث آبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد ، وقـــص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط » •

٣ ـــ هل الختان واجب أم سنة ؟

اختلف الفقهاء في أمر الختان هل هو واجب أم سنة ؟

فالذين قالوا بسنيته : الإمام الحسن البصري ، والإمام أبو حنيفة ، وبعض الحنابلـــة •

وحجتهم في ذلك : ماروا الإمام أحمد عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء » •

وحجتهم كذلك : أن الرسول صلى الله عليه وســـلم قـــرن الختان في الحديث بالمسنونات كتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وغيرها ؛ فدل عـــلى أن الختـــان سنة وليس بواجب •

---

(١) الفطرة فطرتان : فطرة إيمانية تتعلق بالقلب وهي معرفة الله والإيمان به ؛ وفطرة عملية وهي هذه الخصال المذكورة في الحديث . فالأولى تزكي الروح وتطهر القلب ، والثانية تطهر البدن ، وتزين المظهر ؛ فكان راس فطرة البـــدن « الختـــان » .

(٢) الاستحداد : حلق الشعر الذي يخرج حول الفرج .

وحجتهم أيضاً : ماقاله الإمام الحسن البصري : « قد أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس : الأسود ، والأبيض ، والرومي ، والفارسي ، والحبشي ... فما فتش أحداً منهم » ، فلو كان الختان واجباً لما قبل اسلامهم حتى يُختتنوا .

والذين قالوا بوجوبه هم : الشعبي ، وربيعة ، والأوزاعي ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد . وشدد في أمر الختان الإمام مالك حتى قال : « مَنْ لم يختتن لم تجز إمامته ، ولم تقبل شهادته » .

واحتج هؤلاء الأئمة على الوجوب بأدلة كثيرة نجتزيء منها مايلي :

أ ـ روى الإمام أحمد وأبو داود ، عن عثيم بن كليب عن أبيه عن جده ، أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : قدأسلمت. قال: « ألق[1] عنك شعر الكفر واختتن » .

ب ـ وروى حرب في مسائله عن الزهري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أسلم فليختتن وإن كان كبيراً » .
فالحديث وان كان ضعيفاً فإنه يصلح للتقوية والاعتضاد .

ج ـ وروى وكيع عن سالم عن عمرو بن هرم عن جابر عن يزيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « الأقلف[2] لاتقبل له صلاة ، ولاتؤكل ذبيحته » .

د ـ وروى البيهقي عن موسى بن اسماعيل ، عن علي رضي الله عنه قال : وجدنا في قائم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيفة : « أن الأقلف لايترك فيالاسلام حتى يختتن » .

---

(١) الق عنك : اي احلق راسك .
(٢) الاقلف : اي غير المختتن .

هـ ــ قال الخطابي : « أما الختان فإنه وإن كان مذكورا في جملة السنن فانه عند كثير من العلماء على الوجوب ، وذلك أنه شعار الدين ، وبه يعرف المسلم من الكافر ، وإذا وجد المختون بين جماعة قتلى غير مختونين ، صُلّي عليه ودفن في مقابر المسلمين .

و ــ وقد علل الذين قالوا بوجوب الختان من الفقهاء : « أن الأقلف معرض لفساد طهارته وصلاته ، فإن القلفة تستر الذكر كله ، فيصيبها البول ، ولايمكن الاستجمار لها، فصحة الطهارة والصلاة موقوفة على الختان ولهذا منع كثير من السلف والخلف إمامته ، أما صلاته مع نفسه فيعد معذوراً كمن معه سلس بول » .

ز ــ قال تعالى : « **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً** » .

فالرسول صلى الله عليه وسلم وأمته مأمورون باتباع ملة إبراهيم ، والختان من ملة إبراهيم عليه السلام . ومما يدل على ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : « أن إبراهيم عليه السلام اختتن وهو ابن ثمانين سنة » . وفي رواية : « أنه أول من أضاف الضيف ، وأول من لبس السراويل ، وأول من اختتن ، واستمر الختان بعده في الرسل وأتباعهم حتى بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم » .

فقد روى الترمذي والإمام أحمد عن أبي أيوب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أربع من سنن المرسلين : الختان[1] ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح » .

---

(1) قد ورد في بعض النسخ « الحياء » ، وفي البعض « الحناء» بدل الختان ، وكلاهما غلط وتصحيف قاله : ابو الحجاج المزي . وثبت عن المحاملي انه روى لفظ « الختان » في الحديث عن الشيخ الذي روى عنه الترمذي . ارجع الى كتاب « تحفة المودود » ص ٩٣ تجد مافيه الكفاية .

فهذه الأحاديث هي أظهر الأدلة التي احتجوا بها على وجوب الختان للمولود .

أما ردهم على من قالوا بسنيّة الختان فهو مايلي :

● فالحديث الذي احتجوا به على السنيّة هو « الختان سنة للرجال ، مكرمة للنساء » . وقد قال عنه علماء الحديث : أنه ضعيف من ناحية السند، والحديث الضعيف — كما هو معلوم عند الفقهاء — لايحتج به في استنباط الأحكام الشرعية . وعلى فرض أنه صحيح فيكون المعنى أن الرسول صلى الله عليه وسلم سنّ الختان وأمر به فيكون واجباً ؛ والسنةهي الطريقة ، يقال : سننْتُ له كذا : أي شرعتُ ؛ فقوله عليه الصلاة والسلام : « الختان سنة للرجال .. » أي مشروع لهم .

● أمااحتجاجهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قرن الختانبالمسنونات كتقليم الأظافر ، فيكون سنة كباقي المسنونات ، فهو احتجاج غير صحيح ، لأن الخصال المذكورة في الحديث منها ماهو واجب كالمضمضة والاستنشاق في الاغتسال ، ومنها ماهومستحب كالسواك ، وأما تقليم الأظافر — وإن كان سنة — فإنه في بعض الأحيان يكون واجباً لصحة الطهارة ، وذلك في حين الإطالة وتراكم الأوساخ تحتها . إذن فالحديث الذي احتجوا به يجمع مابين طياته ماهو واجب ، وماهو مستحب .

● أما احتجاجهم بقول الحسن البصري : « قد أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فما فتش أحداً منهم » ، فجوابه : « أنهم استغنوا عن التفتيش بما كانوا عليه من الختان ، فإن العرب قاطبة كلهم كانوا يختتنون، واليهود قاطبة تختتن ، ولم يبق إلا النصارى وهم فرقتان : فرقة تختتن ، وفرقة لاتختتن . وقد علم كل من دخل في الاسلام منهم ومن غيرهم ، أن

شعار الاسلام « الختان » ، فكانوا يبادرون إليه بعد الاسلام كما يبادرون إلى الغسْل »[1] . ويؤيد ماقاله ابن القيم أن الناس كانوا يبادرون إلى الختان بعد الاسلام كما يبادرون إلى الغسل ، حديث عُثَيْم بن كليب الذي سبق ذكره ، أن جده جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : قد أسلمت : قال : « ألقِ عنك شعر الكفر واختتن » . وكذلك حديث الزهري الذي مرّ ، أنه عليه الصلاة والسلام قال : « من أسلم فليختتن وإن كان كبيراً » .

وكان عليه الصلاة والسلام . يرشد الأمة دائماً إلى مافيه خيرها وسعادتها ، وإلى مايسيزها عن غيرها . ولكن لم يكن مأموراً بالبحث والتفتيش ، ومنهجه في ذلك أن يقبل ممن أسلموا ظواهرهم . ويكل إلى الله سرائرهم .

والذي نخلص إليه بعدما تقدم : أن الختان رأس الفطرة . وشعار الاسلام ، وعنوان الشريعة . وهو واجب على الذكور ، وأن مَنْ لم يبادر إليه في إسلامه ، ولم يقم على تنفيذه قبيل بلوغه . فإنه يكون آثماً . مرتكبا المعصية ، واقعا في الوزر والحرام ، لكون الختان شعاراً من شعائر الاسلام . وبه يتميز المؤمن عن الكافر ، وبسببه يتمتع المختتن بصحة جيدة ، ويتحرر من كثير من الأمراض الفتاكة . وسيأتي بيان الحكمة من الختان . وفوائده العظيمة في الصفحات التالية إن شاء الله .

٤ ـ هل على الأنثى ختان ؟

أجمع الفقهاء والأئمة المجتهدون على أن الختان مستحب للأنثى وليس بواجب ، اللهم إلا في رواية للامام أحمد بن حنبل أنه يجب على النساء والرجال على السواء ، بينما الرواية الثانية المروية عنه يجب على الذكور

(١) من كتاب تحفة المودود ص ١٠٤ .

دون الإناث ؛ وهذه الرواية الثانية وافقت ما أجمع عليه الأئمة الأعلام من الفقهاء والمجتهدين في أنه مستحب وليس بواجب ؛ ووافقت كذلك مادرجت عليه الأمة ، وماتوارثته جيلا عن جيل ، في أن الختان للمرأة مستحب وليس بواجب • وحجتهم في ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما شرع لأمة الاسلام الختان ، كان يخص الرجال دون الإناث ، ولم يثبت أنه عليه الصلاة والسلام أمر امرأة بالاختتان ، اللهم إلا حديث شداد الذي مر ذكره : « الختان سنة للرجال ، مكرمة للنساء » • فإن فيهمايشير إلى ذلك ، وعلى فرض صحة الحديث فانه يرشد إلى الاستحباب دون الوجوب ، لأن في لفظ « مكرمة للنساء » دليلا قاطعاً على الاستحباب فقط ، والله أعلم •

ولعل الحكمة في ذلك أن الاختتان للرجل يختلف كل الاختلاف عن الاختتان للمرأة ، يختلف شكلا ، ويختلف حكما ، ويختلف فائدة ، كما هو ملحوظ ومفهوم •

ألا ماأعظم تشريع الاسلام ، وما أسمى مبادئه الخالدة على مدى الزمان والأيام !!•

٥ ـ متى يجب الاختتان ؟

ذهب كثير من أهل العلم إلى أن الاختتان يجب عند مشارفة الولد سن البلوغ ، باعتبار أنه سيصبح مكلفاً شرعاً في امتثال الأحكام الشرعية ، والأوامر الإلهية • حتى إذا دخل في سن البلوغ كان مختوناً ، لتكون عبادته على الوجه الصحيح الذي رسمه الاسلام ، وبينه الشرع الحنيف •

ولكن الأفضل في حق الولي أن يقوم بعملية الاختتان في الأيام الأولى من ولادة الولد ، حتى إذا عقل ، وتفهم الأمور ، وأصبح في مرحلة التمييز ، وجد نفسه مختوناً ، فلا يحسب له في المستقبل حساباً ، ولايجد له في نفسه

هماً ، فما أهنأ قلب الولد لما بدأ يعقل ، ويدرك حقائق الأشياء ، وجد نفسه أنه مر على مرحلة الاختتان .

ودليل الأفضلية مارواه البيهقي عن جابر رضي الله عنه أنه قال : « عقّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام » .

٦ ـ واخيرا ماالحكمة من الختان ؟

للختان حكم دينية عظيمة ، وفوائد صحية جليلة ، قد أبان عنها العلماء ، وكشف عن آثارها الأطباء ، وإليكم أميز ماذكروه وأهم ماقرروه :

فمن الحكمة الدينية العظيمة :

● أنه رأس الفطرة ، وشعار الاسلام ، وعنوان الشريعة .

● أنه من تمام الحنيفية التي شرعها الله على لسان إبراهيم عليه السلام . فهي التي صبغت القلوب على التوحيد والإيمان . وهي التي صبغت الأبدان بخصال الفطرة من الختان ، وقص الشارب ، وتقليم الأظافر ، ونتف الآباط . قال تعالى :

« ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً .. » النحل /١٢٣/ .
« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » البقرة /١٣٨/.

● أنه يميز المسلم من غيره من أتباع الديانات والملل الأخرى .

● أنه إقرار بالعبودية لله ، والامتثال لأوامره ، والخضوع لحكمه وسلطانه .

ومن الفوائد الصحية الجليلة مايلي :

● أنه يجلب النظافة ، والتزيين ، وتحسين الخلقة ، وتعديل الشهوة .

● أنه تدبير صحي عظيم يقي صاحبه كثيراً من الأمراض والاختلاطات.

يقول الدكتور « صبري القباني » في كتابه « حياتنا الجنسية » :

وفي الختان بعض الفوائد نذكر منها :

١ ــ بقطع القُلْفة يتخلص المرء من المفرزات الدهنية ، ويتخلص من السيلان الشحمي المقزّز للنفس ، ويحال دون إمكان التفسخ والإتنان .

٢ ــ بقطع القلفة يتخلص المرء من خطر انحباس الحشفة أثناء التمدد .

٣ ــ يُقلّل الختان إمكان الإصابة بالسرطان ، وقد ثبت أن هذا السرطان كثير الحدوث في الأشخاص المتضيّقة قلفتهم ، بيد أنه نادر جداً في الشعوب التي توجب عليهم شرائعهم الختان .

٤ ــ إذا أسرعنا في ختان الطفل أمكننا تجنيبه الإصابة بسلس البول الليلي .

٥ ــ يخفف الختان من كثرة استعمال العادة السرية لدى البالغين .

إلى غير ذلك من هذه الفوائد ..» إ.هـ .

هذه بعض الفوائد والحكم في مشروعية الختان ، يدركها كل ذي عقل وبصيرة ، ويتعقلها كل من يريد أن يعرف محاسن الاسلام ، وأسرار الشريعة.



وفي تقرير هذه الأحكام التي سبق ذكرها ، سواء ما يتعلق ببشارة المولود ، أو التأذين بأذنه ، أو استحباب تحنيكه أو عقيقته ، أو حلق رأسه ، أو أحكام تسميته ، أو وجوب ختانه . فكل هذه الأحكام تقرر للمربين هذه الحقيقة الهامة ، ألا وهي : الاعتناء بالمولود منذ ولادته ، والاهتمام بأمره من حين أن يُطلّ بنفسه على الدنيا ، ويستنشق نسائم الحياة .

وهي أحكام هامة تكسب الطفل صحة ، وتعطيــه قوة • حتى إذا فتح المولود عينيه ، وأصبح ينظر حوله ، ويتفهم الأمور ، ويدرك حقائق الأشياء ، وجد نفسه في أسرة مسلمة تطبق الاسلام ، وتعمل بمقتضى الشريعة ، وقدقامت نحوه بكل الالتزامات التي أمر بها الشرع الحنيف ، وسنها الرسول عليه الصلاة والسلام • ولاشك أن الولد حينما يفهم هذه الالتزامات ، ويعرف أن مربيه من أب وأم يقومان بكل هذه الواجبات ، فإن نفسه تترسخ على الاسلام ، وتتربى على الإيمان ، وتعتاد على معاني الخلق والفضيلة وأنبل الفضائل والمكرمات•

وإذا كان الاسلام قد اعتنى بالولد من حيث الولادة ـ كما رأيت ـ فاعتناؤه به من حين أن يعقل ويتفهم الحياة ، ويدرك حقائق الأشياء ، يكون أبلغ وأعظم ، وأسمى وأكبر •

وستجد ـ أيها الأخ القارىء ـ في الفصول التالية أهم المسؤوليات العامة التي أوجبها الاسلام على المربين والآباء نحو أولادهم ، لتعلم جيداً كيف اعتنت الشريعة الغراء بتربية الأبنـاء ، وكيف أهابت بهـم أن ينهضوا بواجباتهم ، ويضطلعوا بمسؤولياتهم •

وستجد فيهـا إن شاء الله ، ما يشفي الغليل ، وما يوضح المنهج ، وما ينير الطريق •



الفصل الرّابع

أسبابُ الانحِـرافِ عِندَ الأولادِ ومُعالجتُهُ

تمهيـد :

ما أكثر العوامـل والأسباب التي تؤدي الى انحراف الأولاد . وإلى زيغهم وفساد أخلاقهم . وسوء تربيتهم . في هذا المجتمع الآثم . والواقع المرير، والحياة الماجنة !!.. وما أكثر نوازع الشر . وبواعث الفساد التي تحيط بهم، وتكتنفهم من كل جانب . وتعترضهم من كل مكان !!..

فإذا لم يكن المربون على مستوى المسؤولية والأمانة ، وعلى علم بأسباب الانحراف وبواعثه . وعلى بصيرة وهدىً في الأخذ بأسباب العلاج ، وطرق الوقاية ، فإن الأولاد ــ لا شك ــ سيكونون في المجتمع جيل الضياع والشقاء، وعصبة الفساد والجريمة .

ونحن إن شاء الله في هذا الفصل . سنفصل القول عن أسباب الانحراف في الأولاد . وعن المعالجة الناجعة لهذا الانحراف . ليعلم من يريد أن يعلم أن الاسلام ــ بتشريعه الحكيم . ومبادئه التربوية الخالدة ــ قد وضع الأسس الكفيلة ، والمناهج الحكيمة . لصيانة الجيل من الإنحراف ، وحماية المجتمع من التشرد والضياع .

وإليكم ــ أيها المربون ــ أهم الأسباب في انحراف الأولاد ، وأظهر المعالجات لهذا الانحراف على ضوء الاسلام ، لتكونوا على بينة وهدى في أمر التربية والمسؤولية .

ا ــ الفقر الذي يخيم على بعض البيوت :

من المعلوم أن الطفل حين لا يجد في البيت ما يكفيه من غذاء وكساء ،

ولا يرى من يعطيه ما يستعين به على بلغة العيش ، وأسباب الحيـاة ، وينظر إلى ما حوله فيجد الفقر والجهـد والحرمان ، فإنه ــ لاشك ــ سيلجأ إلى مغادرة البيت بحثاً عن الأسباب ، وسعياً وراء الرزق • فتتلقفه أيدي السوء والجريمة ، وتحيط به هالة الشر والانحراف، فينشأ في المجتمع مجرماً ، ويكون خطراً على الأنفس والأموال والأعراض •

والاسلام بتشريعه العادل ، قد وضـع الأسس الكفيلة لمحاربة الفقر ، وقرر حق الحياة الكريمة لكل إنسان • ووضع من التشريعات ما يؤمن لكل فرد الحد الأدنى من مسكن ومطعم وكساء • ورسم للمجتمع المسلم مناهج عملية للقضاء على الفقر نهائياً • كتأمين سبل العمل لكل مواطن ، وإعطـاء مرتبات شهرية من بيت المال لكل عاجز ، وسن قوانين للتعويض العائلي لكل أب له أسرة وأولاد، ورعاية زمر اليتامى والأرامل والشيوخ ، بشكل يحفظ لهم كرامتهم الانسانية ، ويحقق لهم العيش الأفضل • إلى غير ذلك من هذه الوسائل والمناهج والأحكام ، التي إن تحققت ، ومرت بمراحـل التطبيـق والتنفيذ ، زال في المجتمع أهم أسباب الجريمة والتشرد والضياع ، وقضي نهائياً على كل مظاهر الفقر والبؤس والحرمان[١] •

ب ــ النزاع والشقاق بين الآباء والأمهات :

من العوامل الأساسية التي تؤدي إلى انحراف ، الولد احتدام النزاع ، واستمرار الشقاق ما بين الأب والأم في أعظم ساعات الاجتماع واللقاء • فالولد حين يفتح في البيت عينيه ، ويرى ظاهرة الخصومة أمام ناظريه ، سيترك حتماً جو البيت القاتم ، ويهرب من محيط الأسرة الموبوء ، ليفتش عن رفاق يقضي

---

(١) ارجع إلى كتابنا « التكافل الاجتماعي في الاسلام » تجد فيه مايشفي الغليل في قضاء الاسلام على الجهل والفقر والمرض . وترى فيه كيف حقـق الاسلام العدالة الاجتماعية بين ابناء الوطن الواحد .

معهم جلّ وقته ، ويصرف في مخالطتهم معظم فراغه • فهؤلاء إن كانوا قرناء سوء ، ورفقاء شر ، فإنه سيدرج معهم على الانحراف ، ويتدنى بهم إلى أرذل الأخلاق ، وأقبح العادات • بل إن انحرافه سيتأكد ، وإن إجرامه سيتحقق ، ليصبح أداة خطر وبلاء على البلاد والعباد •

والاسلام بمبادئه الحكيمة الخالدة رسم للخاطب المنهج القويم في حسن اختيار الزوجة ، كما رسم لأولياء المخطوبة الطريق الأفضل في حسن اختيار الزوج • وما ذاك إلا تحقيق للمودة والمحبة والتفاهم والتعاون بين الزوجين، ثم بالتالي بعدٌ عن كل احتمال للمشكلات العائلية ، والخصومات الزوجية التي تقع عادة ما بين المرأة وزوجها •

وقد سبق أن بيّنا في الفصل الأول من هذا الكتاب الأسس الصحيحة في اختيار الزوج أو الزوجة •

وهي لاشك من أعظم الأسس الثابتة في إعداد البيت السعيد ، وتهيئة الأسرة المثالية المتحابة المتفاهمة •

جـ ـ حالات الطلاق ومايصحبها من فقر :

ومن العوامل الأساسية التي تؤدي غالباً إلى انحراف الولد ، حالات الطلاق وما يصحبها من تشرد وضياع ، وما يعقبها من تشتت وفراق •

من الأمور المعلومة التي لايختلف فيها اثنان ، أن الولد عندما يفتح على الدنيا عينيه ، ولا يجد الأم التي تحنو عليه ، ولا الأب الذي يقوم على أمره ويرعاه ، فإنه لا شك سيندفع نحو الجريمة ، ويتربى على الفساد والانحراف •

ومما يزيد الأمر سوءاً ، زواج المطلقة من زوج آخر ، فإن الأولاد سيصيرون على الغالب الى التشرد والضياع •

ومما يعقد المشكلة كذلك ، فقر الأم بعد الطلاق ، فإنها في هذه الحالة ستضطر إلى العمل خارج المنزل ، ومعنى هذا أن تترك البيت ، أو بالأحرى أن تترك الأولاد الصغار للشارع تعبث بهم فتن الأيام ، وحادثات الليالي ، من غير رعاية ولا عناية • وماذا نرجو من أولاد لايجدون عطف الأب ولااهتمامه ومسؤوليته ، ولا حنان الأم ولا عنايتها ومسؤوليتها ؟!•

وماذا نرجو منهم حين ينظرون إلى ما حولهم ، فلا يجدون الطعام الكافي الذي يسد جوعتهم ، ولا الكساء الواقي الذي يستر عورتهم ، ولا المسكن الصالح الذي يحقق لهم راحتهم ويحفظ صحتهم ؟! •

فالحقيقة أننا لا نرجو منهم إلا التشرد والضياع ، ولا نتوقع إلا الجريمة والانحراف ، إلا من رحم ربك وقليل ما هم •

والاسلام بمبادئه الرشيدة أمر كلاً من الزوجين ، أن يقوما بالحقوق نحو بعضهما البعض ، حتى لايؤول بهما الأمر إلى نتائج لاتحمد عقباها •

● فمن هذه الحقوق : طاعة الزوجة لزوجها بالمعروف • فقد روى البزار والطبراني : أن نسوة اجتمعن مرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأرسلن إحداهن إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لتقول له : يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك ، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال ؛ فإن يصيبوا أثيبوا ، وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ؛ ونحن معشر النساء نقوم عليهم فمالنا من ذلك الأجر ؟ فأجابها عليه الصلاة والسلام بقوله : « أبلغني من لقيت من النساء أن طاعة للزوج، واعترافاً بحقه ، يعدل ذلك (أي يعدل أجر المجاهدين في سبيل الله) ؛ وقليل منكن من يفعله » •

● ومن هذه الحقوق : أن تحفظ الزوجة للزوج ماله ونفسها • لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه : « ألا أخبركم بخير ما يكنز الرجل؟

لمرأة الصالحة ، إذا نظر إليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته بماله ونفسها » .

● ومن هذه الحقوق : عدم امتناعها عن فراش زوجها إذا طلبها إليه . لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم : « إذا دعا رجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء إليه ، فبات غضبان عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح » .

● ومن هذه الحقوق : قيام الزوج بواجب النفقة على الزوجة والأولاد . لقوله تعالى : **« وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف »** البقرة /٢٣٣/ .

وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم : « اتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف » .

● ومن هذه الحقوق : استشارة الزوج زوجته في أمور البيت . لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد وأبو داود : «آمروا النساء في بناتهن»، أي استأذنوهن في البنات قبل أن يخطبن .

● ومن هذه الحقوق : أن يغض الزوج طرفه عن بعض نقائص زوجته ولاسيما ان كان لها محاسن ومكارم تغطي هذا النقص . لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم : « لايفرك (أي لايبغض) مؤمن مؤمنة ، ان كره منها خلقاً ، رضي منها آخر » .

● ومن هذه الحقوق : معاشرة الزوج لزوجته بالمعروف وملاطفتها والمزاح معها .

لقوله تبارك وتعالى : **« وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيرا »** النساء /١٨/ .

ولقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه والحاكم : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » .

وروى البخاري ومسلم : « أنه عليه الصلاة والسلام كان يري السيدة عائشة — رضي الله عنها — اللعب في باحة المسجد ، فيضع كفه على الباب ، ويسد يده وتضع وجهها على كتفه » . ومن هنا قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري ومسلم : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله ».

وروى أبو داود والنسائي : « أنه عليه الصلاة والسلام كان يسابق السيدة عائشة — رضي‌الله عنها — فسبقته مرة ، وسبقها في بعض الأيام ، فقال: هذه بتلك » .

وكان مما يقوله عمر رضي الله عنه — وهو القوي الشديد الجاد في حكمه وعدله — : « ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي — أي في الإنس والسهولة — فإذا كان في القوم كان رجلا » .

● ومن هذه الحقوق : مساعدة زوجته في أعمال المنزل اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم . روى الطبراني وغيره عن عائشة رضي الله عنها ، أنها لما سئلت : ماذا كان يصنع الرسول صلى الله عليه وسلم في البيت ؟ قالت : «كما يصنع أحدكم ، يشيل هذا ، ويحط هذا ، ويخدم في مهنة أهله ، ويقطع لهن اللحم ، ويقمّ البيت (أي يكنسه) ، ويعين الخادم في خدمته » .

تلكم أهم الحقوق التي أوجبها الاسلام على كل من الزوجين ، وهي حقوق واقعية وعادلة ، عندما ينفذها كل من الزوج والزوجة يحل الوفاق محل الفرقة . وتتحقق المحبة محل الكراهية ، وتعيش الأسرة بأكملها على أحسن ما تعيش من السعادة والتفاهم والاستقرار ، ولا يمكن أن يحدث ما يعكر صفو الأسرة . ولا ما يسيء أحدهما إلى الآخر .

وفي حال تعذر الوفاق لسوء خلق الزوج ، أو سوء خلق الزوجة ،

ولا يمكن بحال أن تتحقق المعيشة بينهما ، فعلى الزوج أن يأخذ بالاحتياطات الكاملة قبل إيقاع الطلاق ٠

وهذه الاحتياطات مرتبة كما يلي :

١ ـ الوعظ والإرشاد : من باب وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ٠

٢ ـ الهجر في المضجع : وهي عقوبة نفسية ، لعل المرأة تعود إلى صوابها ٠

٣ ـ الضرب غير المبرّح : إذا كان باعتقاده أنه ينفع ، ويشترط فيه أن لايكون شديداً ، ثم بالتالي ألا يترك أثراً في جسم المرأة ، ويشترط كذلك أن لايكون الضرب في مواضع مؤذية كالوجه والصدر والبطن ٠ وهو بهذه الشروط إلى التهديد أقرب منه إلى الإيلام والإيذاء ٠ علماً بأن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القدوة الصالحة لم يضرب امرأة قط ٠ فقد روى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده امرأة قط، ولا خادماً ، ولا ضرب شيئاً قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله» ٠

ويروي ابن سعد : عندما شكت للنبي صلى الله عليه وسلم امرأة ضرْبَ زوجها ، قال للزوج : « يظل أحدكم يضرب امرأته ضرب العبد ، ثم يظل يعانقها ولا يستحي » ٠

٤ ـ وأخيراً اللجوء إلى التحكيم : وذلك بتدخل وسطاء عقلاء من أهله وأهلها ، يدرسون المشكلات القائمة بين الزوجين ، ويقترحون الحلول العملية لإعادة الوفاق والتفاهم بينهما ، لعلها تجدي قبل وقوع الطلاق ٠

وهذه الاحتياطات لازمة ، عملا بقوله تبارك وتعالى : **« واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن ، واهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيراً ٠ وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من أهلها ، إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما ، ان الله**

كان عليما خبيراً » النساء /٣٤ ــ ٣٥/ . وفي حال تعذر الوفاق بعد الأخذ بهذه المراحل ، يطلقها تطليقة واحدة في طهر لم يجامعها فيه ، لاتاحة الفرصة في إعادة الحياةالزوجية بعد التطليقة الأولى ، لقوله تبارك وتعالى : « **فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا ، إن ظنا أن يقيما حدود الله ، وتلك حدودالله يبينها لقوم يعلمون »** البقرة /٢٣٠/

فيتبين مما ذكرناه أن الاسلام اتخذ من الاحتياطات اللازمة ما يحـول دون وقوع الطلاق ، لما يترتب عليه من نتائج وخيمة على الزوج والزوجـة والأولاد .

فلا عجب أن يعده عليه الصلاة والسلام أبغض الحلال إلى الله ، للحديث الذي رواه أبو داود وابن ماجه « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » .

وفي حال وقوع الطلاق أوجب الاسلام على الزوج المتعة ، ونفقة العدة، ونفقة الأولاد ، حتى لاتشقى المطلقة ، ولايشقى معها أولادها ، لقولهسبحانه:

« ومتعوهن على الموسع قدره ، وعلى المقتر قدره ، متاعاً بالمعروف حقـا على المحسنين » البقرة /٢٣٦/ .

وفي حال فقر الزوج ، وعدم مقدرته على النفقة ، يتعين على الدولة أن ترعى هؤلاء الأطفال بالنفقة ، وتمدهم بكل ما يحتاجون إليه من أسباب مادية لتعليمهم والإنفاق عليهم ، إلى أن يكبروا ويشبوا ، وبذلك تمنع عنهم أسباب شقاوتهم وانحرافهم . هذا عدا ما يوجبه الاسلام على من يعلم بأحوالهم مـن تقديم العون والمؤازرة والتكافل ، تحقيقاً لقوله عليه الصـلاة والسلام فيما رواه مسلم : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له ، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لازاد له » .

وقوله فيما رواهالطبراني وابن ماجه : « في المال حق سوى الزكاة ».

وقوله فيما رواه الطبراني : « إن الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ، وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً ، ويعذبهم عذاباً أليماً » .

وقوله فيما رواه البزار والطبراني : « ما آمن بي من بات شبعان ، وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به » .

د ـ الفراغ الذي يتحكم في الأطفال والمراهقين :

ومن العوامل الأساسية التي تؤدي غالباً إلى انحراف الولد عدم الاستفادة من الفراغ الذي يتحكم في الأحداث والمراهقين . ومن المعلوم أن الولد منذ نشأته مولع باللعب، ميال إلى المغامرة ، محب للفسحة والتمتع بالمناظر الطبيعية، فنراه في حركة دائمة ، في اللعب مع من كان في سنه حيناً ، وفي الركض والتسلق أحياناً ، وفي ممارسة الرياضة تارة ، وفي اللعب بألعاب الكرة تارة أخرى .

فيجب على المربين أن يستغلوا هذه الظاهرة في الأطفال ، ومن كان في سن المراهقة ، حتى يملؤوا فراغهم بما يعود على أجسامهم بالصحة ، وعلى عضلاتهم بالقوة ، وعلى أجهزة أبدانهم بالنشاط والحيوية .

فإن لم ييسروا لهم أماكن للعب واللهو البريء ، ونوادي صالحة للرياضة وإعداد القوة ، ومسابح للتدريب والتعليم ، ونزهات للنشاط والحيوية ، فإنهم سيختلطون غالباً بقرناء سوء ، ورفقاء شر وفساد ، ويؤدي حتماً إلى شقائهم وانحرافهم .

والاسلام بتوجيهاته السامية ، عالج الفراغ لدى الأطفال والمراهقين

بوسائل عملية تصحح لهم أجسامهم ، وتقوي أبدانهم ، وتكسبهم قوة وحيوية ونشاطاً .

فمن أعظم هذه الوسائل تعويدهم على العبادات ولاسيما الصلاة التي عدها الاسلام عمود الدين ، وقوامه ، وركنه الأساسي ، لما لها من الفوائد الروحية ، والمنافع الجسمية ، والآثار الخلقية والنفسية .

ولا بأس أن نعدد باختصار فوائد الصلاة الجسمية ليعرف من يريد أن يعرف أهميتها ووجه مشروعيتها .

● كونها رياضة إلزامية يحرك فيها المسلم جميع أعضائه ومفاصله ، ولا يخفى ما في هذه الحركات من تنشيط للعضلات ، والدورة الدموية ، وجميع أجزاء البدن .

● كونها نظافة إجبارية لما يسبق الصلاة من أفعال الوضوء ، وهل الوضوء إلا نظافة الأعضاء الظاهرة ، وتنظيف الشعر ، والفم والأنف ، والأسنان ؛ هذا عدا الغسل في وقت وجوبه واستحبابه ، وعدا طهارة البدن والثوب والمكان .

وهذا كله شرط لصحة الصلاة .

● كونها تدريباً على المشي ، وذلك في السير إلى المساجد خمس مرات في اليوم والليلة، ولا يخفى ما في حركات المشي ذهاباً وإياباً من تنشيط للبدن، ومطردة للخمول والكسل .

وكم سمعنا من الأطباء أن الجسم إذا تحرك بالمشي أو الرياضة بعد الطعام، لا يصاب بأمراض المعدة وعسر الهضم ، وغيرها من الأسقام والآفات .

فلا عجب أن نسمع ممن لاينطق عن الهوى ، في حضه الآباء والمربين على أن يأمروا أولادهم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين حتى يعتادوها ، ويقضوا أوقات فراغهم في تعلمها والتدريب عليها .

اسمعوا إلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام في هذا المعنى فيما رواه الحاكم وأبو داود : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

هذا عدا عما يقضيه الولد وقت فراغه من تعلم لكيفية الصلاة وأفعالها ، وقراءتها ، وعدد ركعاتها ، وفرائضها ، وسننها ، وآدابها ، سواء في البيت على يد مربيه ، أو في المسجد على يد معلّميه .

ومن هذه الوسائل العملية التي وجه إليها الاسلام في معالجة الفراغ لدى الأولاد :

أمره بالتعليم لفنون الحرب ، والفروسية ، والسباحة ، والقفز والمصارعة .

وتوجيهه الولد في إشغال فراغه بالمطالعة الهادفة ، والنزهة البريئة ، والرياضة المتنوعة . وذلك لايتأتى إلا بافتتاح الملاعب الكبيرة ، والنوادي الضخمة ، والمكتبات الشهيرة ، والمؤسسات العامة ، والمسابح الصحية الملائمة . بشرط أن تكون متوافقة مع أحكام الاسلام . وآدابه السامية .

وإليكم طائفة من توجيهات الاسلام في إعداد هذه الوسائل :

قال تعالى : ((**واعدوا لهم ماستطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**)) الأنفال /٦٠/ .

وقال تعالى :((**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون**)) الزمر/٩/ .

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « علموا أولادكم الرماية والسباحة، ومروهم أن يثبوا على الخيل وثباً »

ـ وروى الحاكم والبيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » ..

ـ وروى النسائي والترمذي أنه عليه الصلاة والسلام قال : « وارموا واركبوا ، وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا » .

ـ وروى الطبراني والحاكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لغو ،أو لهو ، أو سهو ، إلا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين[1] ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعلمه السباحة » .

ـ وروى ابن اسحق وابن هشام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة » .

ـ وروى البخاري ومسلم أنه عليه الصلاة والسلام قال للحبشة حينما أخذوا يلعبون بحرابهم في المسجد : « دونكم يابني إرْفِدة ، لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة » .

ـ وروى مسلم عنه عليه الصلاة والسلام : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍ خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز، فإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا كان كذا ، ولكن

(١) بين الغرضين : اي الهدفين وذلك في حالة الرمي .

قل : قدّر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » . إلى غير ذلك من هذه التوجيهات القيمة السامية .

ولو أخذ المربون بهذه التوجيهات الاسلامية ، لأكسبوا أولادهم صحة وعلماً وقوة ، ولحالوا بينهم وبين تفلتهم وتشردهم وانحرافهم ، ولملأوا فراغهم بما ينفعهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم ، ولأعدوهم ليكونوا جيل الاسلام : وجنوده المغاوير ، ودعاته الراشدين ، وشبابه العاملين .

هـ ــ الخلطة الفاسدة ورفاق السوء :

ومن العوامل الكبيرة التي تؤدي إلى انحراف الولد ، رفاق السوء والخلطة الفاسدة ، ولاسيما إن كان الولد بليد الذكاء ، ضعيف العقيدة ، متميع الخلق . فسرعان ما يتأثر بمصاحبة الأشرار ، ومرافقة الفجار ، وسرعان ما يكتسب منهم أحط العادات ، وأقبح الأخلاق . بل يسير معهم في طريق الشقاوة بخطى سريعة ، حتى يصبح الإجرام طبعاً من طباعهم ، والانحراف عادة متأصلة من عاداتهم . ويصعب بعد ذلك ردّه الى الجادة المستقيمة ، وإنقاذه من وهدة الضلال ، وهوة الشقاء .

والاسلام بتعاليمه التربوية وجه الآباء والمربين إلى أن يراقبوا أولادهم مراقبة تامة ، وخاصة في سن التمييز والمراهقة ، ليعرفوا من يخالطون ويصاحبون ، وإلى أين يغدون ويروحون؟ وإلى أي الأماكن يذهبون ويرتادون؟

كما وجههم أن يختاروا لهم الرفقة الصالحة ، ليكتسبوا منهم كل خلق كريم ، وأدب رفيع ، وعادة فاضلة .

كما وجههم أن يحذروهم من خلطاء الشر ، ورفاق السوء ، حتى لايقعوا في حبائل غيهم ، وشباك ضلالهم وانحرافهم .

وإليكم توجيهات الاسلام وتحذيراته من قرناء الشر ، ورفاق السوءوالفساد :

ــ قال تعالى : « **ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول : ياليتني اتخذت مع الرسول سبيــلا ، ياويلتــا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا ، لقـد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان للانسان خذولا** » الفرقان /٢٨ ــ ٣٠ /

ــ وقال أيضاً : « **قال قرينه : ربنا ماأطغيته ، ولكن كان في ضلال بعيد** » ق /٢٧/ .

ــ وقال كذلك « **الأخلاء يومئـذ بعضهم لبعـض عـدو ، إلا المتقيـن** » الزخرف /٦٧/ .

ــ وقال عليــه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » .

ــ وقال أيضــاً فيما رواه البخاري ومسلم : « مثــل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل حامل المسك ، ونافخ الكير ، فحامــل المسك إما أن يحذيك[1] ، أو تشتري منه ، أو تجد منه ريحاً طيبة . ونافخ الكير إمــا أن يحرق ثيابك ، أو تجد منه ريحاً منتنة » .

ــ وقال كذلك فيما رواه الترمذي : «المرء مع من أحب، وله ما اكتسب».

ــ وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن عساكر : « إياك وقرين السوء فإنك به تُعرف » .

فما أجدر الآباء والمربين أن يأخذوا بهذه التوجيهات الكريمة ، حتى تنصلح أحوال أولادهم ، وتسمو أخلاقهم ، ويظهر في المجتمع أدبهم ؛ وحتى يكونوا في الأمة أداة خير ، ورسل إصلاح ، ودعاة هداية ، فينصلح المجتمع بصلاحهم ، وتفتخر الأمة بكريم فعالهم ، وجميل صفاتهم .

---

(١) يحذيك : يعطيك .

و ــ سوء معاملة الأبوين للولد :

من الأمور التي يكاد يجمع علماء التربية عليها ، أن الولد إذا عومل من قبل أبويه ومربيه المعاملة القاسية، وأدب من قبلهم بالضرب الشديد، والتوبيخ القارع ، وكان دائماً الهــدف في التحقير والازدراء ، والتشهير والسخرية ، فإن ردود الفعل ستظهر في سلوكه وخلقه ، وإن ظاهرة الخوف والانكماش ستبدو في تصرفاته وأفعاله ، وقد يؤول به الأمر الى الانتحار حيناً ، أو إلى مقاتلة أبويه أحياناً ، أو إلى ترك البيت نهائياً ، تخلصاً مما يعانيه من القسوة الظالمة ، والمعاملة الأليمة .

فلا عجب ــ وهذه حاله ــ أن نراه أصبح في المجتمع مجرماً ، وفي هذه الحياة شاذاً ومنحرفاً !!. ولا عجب أن ينشأ على الاعوجاج والميوعة والانحلال !!.

والاسلام بتعاليمه القويمة الخالدة ، يأمر كل من كان في عنقه مسؤولية التوجيه والتربية ، ولا سيما الآباء والأمهات منهم ، يأمرهم جميعاً أن يتحلوا بالأخلاق العالية ، والملاطفة الرصينة ، والمعاملة الرحيمة ، حتى ينشأ الأولاد على الاستقامة ، ويتربوا على الجرأة واستقــلال الشخصية ، وبالتالي حتى يشعروا أنهم ذوو تقدير واحترام وكرامة .

وإليــكم توجيهات الاســلام في الأخــلاق العالية ، والمعاملة الرحيمــة ، والمسايرة اللطيفــة :

قال الله تعالى : ((**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ..**))
النحل / ٩٠ /

وقــال سبحانه : ((**والكاظمين الغيظ والعــافين عن الناس ، والله يحب المحسنين**)) . آل عمران /١٣٤/

وقــال كذلك : ((**وقولوا للناس حسناً**)) . البقرة /٨٣/

وقال أيضاً : « **ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ».

وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري : « إن الله يحب الرفق في الأمر كله » .

وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد والبيهقي : « إن أراد الله تعالى بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق ، وإن الرفق لو كان خَلْقاً لما رأى الناس خَلْقاً أحسن منه ، وإن العنف لو كان خَلْقاً لما رأى الناس خَلْقاً أقبح منه » .

وروى أبو الشيخ في الثواب عن رسول الله صلى الله عليه السلام أنه قال : « رحم الله والداً أعان ولده على بره » .

وروى أبو داود والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

تلكم أهم التوجيهات الاسلامية في لين الجانب ، وحسن القول ، وفضيلة المعاملة . فما على الآباء والأمهات إلا أن يأخذوا بها ، وينفذوا ما جاء فيها ، ويعملوا بمقتضى هديها وإرشادها ، إن أرادوا لأولادهم الحياة الفاضلة ، والاستقامة الدائمة ، والخلق الاجتماعي النبيل .

أما أن يسلكوا معهم الطرق الملتوية ، والمعاملة الفظة القاسية ، والعقوبة الظالمة الشديدة ، فيكونون قد جنوا على أبنائهم حين يقذفون بهم إلى الحياة في جو هذه التربية الخاطئة ، والتوجيه الملتوي الذميم ، بل سيرون حتماً انحرافهم أو عقوقهم أو تمردهم ، لأنهم هم الذين غرسوا في نفوسهم ـــ وهم صغار ـــ بذور هذا الانحراف أو العقوق أو التمرد .

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه ،

فأحضر عمر الولد وأنّبه على عقوقه لأبيه ، ونسيانه لحقوقه ، فقال الولد : يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه ؟ قال : بلى ، قال : فما هي ياأمير المؤمنين ؟ قال عمر : أن ينتقي أمه ، ويحسن اسمه ، ويعلمه الكتاب (أي القرآن). قال الولد : يا أمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك ، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي ، وقد سماني جُعَلاً (أي خنفساء) ، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً .

فالتفت عمر إلى الرجل وقال له : جئت إلي تشكو عقوق ابنك ، وقد عَقَقْتَه قبل أن يعقّك ، وأسأت إليه قبل أن يُسيء إليك » ؟! .

وهكذا حمّل عمر الرجل حين أهمل تربية ابنه مسؤولية عقوق ولده له .

ومما يذكر في كتب السِّيَر : أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، غضب على ابنه يزيد مرة ، فأرسل الى الأحنف بن قيس ليسأله عن رأيه في البنين فقال : « هم ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، فإنهم يمنحونك ودّهم ، ويَحْبونك جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلاً فيملوا حياتك ، ويتمنوا وفاتك » .

ألا فليأخذ الآباء من هذين الخبرين العظة والعبرة في الملاطفة لأولادهم ، وحسن المعاملة لهم ، والرفق بهم ، واتباع الطريق الأقوم في تربيتهم وتوجيههم .

ز ـ مشاهدتهم الافلام الجريمة والجنس :

ومن العوامل الكبيرة التي تؤدي إلى انحراف الولد ، وتدفعه إلى الشقاوة وارتكاب الجريمة ، والسير وراء الميوعة والانحلال ، ما يشاهده في دور السينما ، وعلى شاشة الرائي (التلفزيون) من روايات بوليسية ، وأفلام خلاعية ، وما يقرؤه من مجلات ماجنة وقصص مثيرة . وهي بجملتها

ومضمونها تتجر بالغرائز ، وتشجع على الانحراف والإجرام ، وهي كذلك تفسد أخلاق الكبار ، فكيف بالمراهقين ، والأطفال الصغار ؟ !

ومن المعلوم بداهة أن الولد حين يعقل تنطبع في ذهنه هـذه الصور ، وتتأصل في مخيلته هذه المشاهد ، فيعمد حتماً إلى محاكاتها وتقليدها . وليس أضر على الولد المراهق من مشاهد تشجع على الإجرام ، وتوجه نحو الرذيلة والفسـاد .

ولاسيما إن كان مفلوت الزمام ، متروك الرقابة والرعاية .

ومما لا يختلف فيه اثنان ، أن لمثل هـذه الأجواء الفاسدة ، والمشاهد الآثمة ، أثراً بالغاً في نفوس الأطفال والمراهقين ، بحيث لاينفع معه نصـح الآباء أو توجيه المربين والمعلمين .

والاسلام بمبادئه التربوية ، يضع أمام الآباء والمربين والمسؤولين ، المنهج القويم في توجيه الأبناء وتربيتهم ، والقيام بواجبهم وحقهم .

● فمن مبادىء هذا المنهج : الوقاية الكاملة من كل ما يسبب لهم ولأنفسهم غضب الجبار ، ودخول جهنم ، امتثالاً بقوله تبارك وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ... »
التحريم : /٦/

● ومن مبادىء هذا المنهج : استشعار المسؤولية نحو من لهـم حـق التوجيه والتربية ، ليقوموا بأداء المهمة والأمانة على أكمل وجه ، وأنبل معنى ، تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام : « الرجل راعٍ في بيت أهله ومسؤول عن رعيته » رواه البخاري ومسلم .

● ومن مبادىء هذا المنهج : إزالة الضرر عن كل ما يؤدي إلى انحراف

عقيدتهم وأخلاقهم ، لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام مالك وابن ماجـه : « لا ضرر ولا ضرار » فبناء على هذه المبادىء الاسلامية ، والمناهج التربوية ، وجب على كل أب ومربٍّ ومسؤول ، أن يمنعوا الأولاد من مشاهدة الأفلام الجنسية والبوليسية •

وأن يمنعوهم كذلك من شراء المجلات الخلاعيـة ، واقتنـاء القصص الغرامية ، ومطالعة الكتب الإلحادية • وبالاختصار وجب منعهم من كل مايضر بعقيدتهم ، ويدفعهم نحو الرذيلة والإجرام •

وإن شاء الله حين تتكلم عن مسؤولية التربيـة الإيمانيـة ، ومسؤولية التربية الخلقية في الجزء الثاني من كتاب « تربيـة الأولاد في الاسلام » ، سنفصل القول في المبادىء التي وضعها الاسلام في تربية الولد عقيدة وخلقاً ، ليعلم من يريد أن يعلم أن الاسلام هو دين الحيـاة ، ودين الفطرة ، ودين الاصلاح والتوجيه والتربية •

« ومن احسن من الله حكماً لقوم يوقنون »

المائدة /٥٠/

ح ـ انتشار البطالة في المجتمع :

ومن العوامل الأساسية التي تؤدي الى انحراف الولد ، انتشار البطالة بين أفراد الأمة ، وطبقات المجتمع • فالأب الذي له زوجة وأولاد ، ولم تتيسر له سبل العمل ، ولم تتأمن له طرائق الكسب ، ولم يجد من المال ما يسد بـه جوعته ، وجوعة أهله وأولاده ، ويؤمن لهم حاجاتهم الضرورية ، ومطالبهم الحيوية ، فإن الأسـرة بأفرادها ستتعرض للتشرد والضياع ، وإن الأولاد سيدرجون نحو الانحراف والإجرام ، وربما فكر رب الأسرة مع من يقـوم بأمرهم من أهل وولد ، أن يحصلوا على المال عن طريق حرام ، ويجمعوه من

وسائل غير مشروعة كالسرقة، والاغتصاب ، والرشوة. ومعنى هذا أن المجتمع حلت فيه الفوضى ، وأصيب بالدمار والانهيار .

والاسلام بسنّه مبادىء العدالة الاجتماعية، ورعايته حق الفرد والمجتمع. قد عالج البطالة بأنواعها ، سواء كانت بطالة مضطر ، أو بطالة كسول .

أما علاجه لبطالة المضطر الذي لا حيلة له في إيجاد العمل مع رغبته فيه ، وقدرته عليه فيتحقق بشيئين :

أ — وجوب تكفل الدولة له في تأمين سبل العمل .

ب — وجوب مساعدة المجتمع له حتى يجد سبيل العمل .

أما وجوب تكفل الدولة له : فلما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه السلام فسأله ، فقال : أما في بيتك شيء ؟ قال : بلى ، حِلْسٌ (كساء غليظ) نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقَعْبٌ (إناء) نشرب فيه الماء ، قال : ائتني بهما ، فأتاه بهما . فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، وقال : من يشتري هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه ، وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري ، وقال : اشترِ بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدوماً فأتني به ، فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده ، ثم قال : اذهب واحتطب وبع ، ولا أرينّك خمسة عشر يوماً ، ففعل ، فجاءه وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوباً ،وببعضها طعاماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا خير لك من أن تجيء ، والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة » .

أما وجوب مساعدة المجتمع له حتى يجد سبيل العمل : فلما روى مسلم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان

معه فضل ظهر فليعد به على من لاظهر له ، ومن كان معه فضل زاد فليعد به على مَن° لا زاد له » .

ولما روى البزار والطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ماآمن بي مَن° بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به » .

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « أيما رجل مات ضياعاً بين أقوام أغنياء ، فقد برئت منهم ذمة الله ، وذمة رسوله » .

وجاء في كتاب الاختيار لتعليل المختار مانصه : « وإن أطعمه أحد وأعطاه شيئاً فسقط إثمه عن الباقين » .

اما علاجه لبطالة الكسول الذي يكره العمل مع وجوده وقدرته عليه : فيكون بمراقبة الدولة له ؛ فإن شعرت به أنه قصر عن العمل وقعد عنه نصحته إلى مافيه خيره ومنفعته ، فان أبى ساقته بالقوة إليه ، وألزمته به . فقد روى ابن الجوزي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : أنه لقي قوماً لايعملون ، فقال : ما أنتم ؟ قالوا : متوكلون ، فقال : « كذبتم !.. إنما المتوكل رجل ألقى حبة في الأرض ثم توكل على الله » ، وقال : « لايقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لاتمطر ذهباً ولافضة » . وهو الذي نهى الفقراء أن يقعدوا عن العمل اتكالاً على الصدقات فكان من قوله لهم : « يامعشر الفقراء استبقوا الخيرات ، ولاتكونوا عيالاً على المسلمين » .

والذي يفهم من كلام عمر رضي الله عنه وتوجيهه : أن الزكاة في الاسلام لاتعطى إلا لسد الحاجة وتأمين سبل العمل ، حتى لاتكون مدعاة للكسل ، وسبباً للقعود والتواكل .

أما إن كان العجز أو الشيخوخة أو المرض سبباً للبطالة ، فعلى الدولة أن ترعى حق هؤلاء ، وتؤمن لهم سبيل العيش الأفضل ، وطريق الكفالة الحقة ، بغض النظر عن كون العاجز أو الكبير أو المريض مسلماً أو غير مسلم .

ومما يدل على هذا ماروواه أبو يوسف في كتاب الخراج : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر على باب قوم وعليه سائل يسأل ، وكان شيخاً كبيراً ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه ، وقال : من أي أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودي ، قال : فما ألجأك إلى ماأرى ؟ قال : أسأل الجزية ، والحاجة ، والسن ، فأخذه عمر إلى منزله ،فرضخ له بشيء (أي أعطاه شيئاً) من المنزل، ثم أرسل إلى خازن بيت المال، فقال له : انظر هذا وضرباءه، فوالله ماأنصفناه، إن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ، انما الصدقات للفقراء والمساكين ، وهذا من مساكين أهل الكتاب .

ومما فعله عمر رضي الله عنه : أنه مر على قوم من النصارى قد أصيبوا بمرض الجذام فأمر لهم بعطاء من بيت المال ، يحقق لهم تكافلهم ، ويؤمن علاجهم ، ويحفظ كرامتهم .

هذه هي معالجة الاسلام للبطالة ، وهي ــ كما رأيت ــ معالجة رحيمة وحكيمة وعادلة ، وهذا يدل دلالة لاغموض فيها ، أن الاسلام دين الرحمة والانسانية والعدالة ، أنزله الله سبحانه ليكون الإشعاع الهادي للبشرية ، والمنارة المتلألئة في ظلمات الحياة . فما أحرى الجاهل لهذه الحقائق

أن يعرف ماهو الاسلام ؟ وأن يعلم لماذا أرسل الله سبحانه محمداً هاديا ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنهو سراجاً منيراً .

ط ــ تخلي الأبوين عن تربية الولد :

ومن العوامل الكبرى التي تؤدي إلى انحراف الولد ، وإلى فساد خلقه ، وانحلال شخصيته : تخلي الأبوين عن إصلاح نفسه ، وانشغالهما عن توجيهه وتربيته .

وعلينا ألا نغفل دور الأم في حمل الأمانة ، والقيام بواجب المسؤولية تجاه من ترعاهم . وتقوم على تربيتهم ، وتشرف على إعدادهم وتوجيههم .
ورحم الله من قال :

الأم مدرسة إذا أعددتها   أعددت شعباً طيب الأعراق

فالأم في تحمل المسؤولية كالأب سواء بسواء . بل مسؤوليتها أهم وأخطر ، باعتبار أنها ملازمة لولدها منذ الولادة إلى أن يشب ويترعرع ، ويبلغ السن التي تؤهله ليكون إنسان الواجب ، ورجل الحياة . والرسول صلوات الله وسلامه عليه قد أفرد الأم بتحمل المسؤولية حين قال : « والأم راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها » .

وما ذاك إلا لإشعارها بالتعاون مع الأب في إعداد الجيل ، وتربية الأبناء ، وإذا قصرت الأم في الواجب التربوي نحو أولادها ، لانشغالها مع معارفها وصديقاتها واستقبال ضيوفها ، وخروجها من بيتها ، وإذا أهمل الأب مسؤولية التوجيه والتربية نحو أولاده ، لانصرافه وقت الفراغ إلى اللهو وارتياد القهوات مع الأصحاب والخلان .

فلاشك أن الأبناء سينشؤون نشأة اليتامى ، ويعيشون عيشة المشردين، بل سيكونون سبب فساد ، وأداة إجرام للأمة بأسرها .

ولله درّ من قــال :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من ... همّ الحياة وخلّفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى لــه ... أمـاً تخلّت أو أبـاً مشغولا

فماذا تنتظر من أولاد آباؤهم وأمهاتهم على هذه الحال من الإهمال والتقصير ؟!

فحتماً لاننتظر منهم إلا الانحراف ، ولاتتوقع إلا الإجرام ، لانشغال الأم عن رعاية الولد وتربيته ، وإهمال الأب واجب تأديبه ومراقبته .

ويزداد الأمر سوءاً عندما يقضي الأبوان جلّ وقتهما في حياة الإثم والغواية ، ويتقلبان في أتون الشهوات والملذات ، ويتخبطان في طريق الانحلال والإباحية . فلاشك أن انحراف الولد يكون أبلغ وأخطر ، وتدرجه في الإجرام يكون آكد وأعظم .

ورحم الله من قال :

وليس النبت ينبت في جنان ... كمثل النبت ينبت في الفــلاة
وهــل يرجى لأطفال كمــال ... إذا ارتضعوا ثُدِيّ الناقصات

والاسلام في دعوته إلى تحمل المسؤوليات ، حمّل الآبــاء والأمهات مسؤولية كبرى في تربية الأبناء ، وإعدادهم الإعداد الكامل لحمل أعباء الحياة ، وتهدّدهم بالعذاب الأكبر إذا هم فرطــوا وقصروا وخانــوا :

« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ، عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون » .

التحريم /٦/

والرسول صلوات الله وسلامه عليه قد أكد في أكثر من أمر ، وأكثر من وصيّة بضرورة العناية بالأولاد ، ووجوب القيام بأمرهم ، والاهتمام بتربيتهم .

وإليكم طائفة من أوامره وتوجيهاته :

« والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها .. » رواه البخاري ومسلم .

« أدّبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم » رواه ابن ماجه .

« علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم » رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور .

« مروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، فذلك وقاية لهم من النار » رواه ابن جرير .

« أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حبّ نبيّكم ، وحبّ آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله ، يوم لا ظل إلا ظله » رواه الطبراني .

وسنفصل القول عن مسؤوليات المربين في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الاسلام » وسيجد القارىء مايشفي الغليل ، ويشبع النفس والفكر ، إن شاء الله .

ي ـ مصيبة اليتم :

ومن العوامل الأساسية في انحراف الولد : مصيبة اليتم التي تعتري الصغار وهم في زهرة العمر ، ومقتبل الحياة . هذا اليتيم الذي مات أبوه

وهو صغير ، إذ لم يجد اليد الحانية التي تحنو إليه ، والقلب الرحيم الذي يعطف عليه ، وإذا لم يجد من الأوصياء المعاملة الحسنة التي ترفق به ،والرعاية الكاملة التي ترفع من مستواه ، والمعونة التامة التي تسد جوعته ، فلا شك أن هذا اليتيم سيدرج نحو الانحراف ، ويخطو شيئاً فشيئاً نحو الإجرام ، بل سيصبح في المستقبل أداة هدم وتخريب لكيان الأمة ، وتمزيق لوحدتها ، وإشاعة الفوضى والانحلال بين أبنائها .

والاسلام بتشريعه الخالد ، وتوجيهاته الرشيدة ، أمر الأوصياء وكل مَنْ له صلة قرابة باليتيم ، أن يحسنوا معاملته ، وأن يقوموا على أمره وكفالته ، وأن يشرفوا على تأديبه وتوجيهه ، حتى يتربى على الخير ، وينشأ على المكارم الخلقية ، والفضائل النفسية ، ويجد في ظل من يرعونه كل عطف ومحبة ، وكل حنوّ وإخلاص .

وإليكم جملة من تعاليم الاسلام التي تامر برعاية اليتيم ، والعطف عليه :

قال تعالى :

« ويسالونك عن اليتامى ، قل : إصلاح لهم خير ، وإن تخالطوهم فإخوانكم » البقرة /٢٢٠/

وقال سبحانه :

« فاما اليتيم فلا تقهر » الضحى /٩/

وقال جل شانه :

« ارايت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتيم »

الماعون /١ ـ ٢ /

وقال عز من قائل :

« إن الذين ياكلون اموال اليتامى ظلماً ، إنما ياكلون في بطونهم ناراً ، وسيصلون سعيراً » . النساء/٩/

وقال عليه الصلاة والسلام : « من وضع يده على رأس يتيم رحمة ، كتب الله له بكل شعرة مرت على يده حسنة » رواه أحمد وابن حبان •

وقال صلوات الله وسلامه عليه : « من قبض يتيماً بين المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى ، أوجب الله تعالى له الجنة البتّة ، إلا أن يعمل ذنباً لايغفر له » رواه الترمذي •

وقال صلى الله عليه وسلم : « أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين ، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى » رواه الترمذي •

إلى غير ذلك من هذه الأوامر الإلهية ، والتوجيهات النبوية ، التي تفيد أن رعاية اليتيم وكفالته ، واجبة على ذوي القرابات من العصبات والأرحام ، وفي حالة الفقر وعجزهم المادي ، وجب على الدولة أن تتعهده وتشرف على تربيته والانفاق عليه ، فيكون ذلك أبعد له عن التشرد والضياع والإهمال •



تلكم هي أهم العوامل الأساسية في انحراف الولد ، وهي عوامل ضارة وخطيرة ــ كما علمت ــ ، فإن لم يتدارك المربون هذه العوامل ، وإن لم يستأصلوا أسبابها ، وإن لم يأخذوا بالعلاج الناجع الذي وضعه الاسلام في الاصلاح والتربية ، فإن الأولاد سينشؤون على الفساد ، ويتربون على الإجرام ، ويعتادون كل موبقة ورذيلة • بل يكونون أداة هدم وتخريب لكيان المجتمع ، واستقرار الأمة ، وأمن البشرية • ومن الصعوبة بمكان ردهم إلى الجادة ، وتفهيمهم الحق ، والسير بهم نحو معالم الخير ، وطريق الهدى ، والصراط المستقيم •

فما أجدر الآباء والمربين أن يشوا على سنن الاسلام ، ومنهجه القويم في تربية الأولاد ، ومعالجة انحرافهم ، وتقويم سلوكهم ، وإصلاح نفوسهم .

وتثبيت عقيدتهم ، وتلقينهم مبادىء الخير والفضيلة والأخلاق ، حتى يروا أبناءهم كالملائكة في طهر أرواحهم ، وصفاء نفوسهم ، ونقاء سريرتهم ، وامتثالهم لأمر ربهم . بل يكونون قدوة صالحة لغيرهم في كل مكرمة وفضيلة ، وإنتاج وتضحية ، وخلق وعمل صالح .

ولايسعني في الختام إلا أن أتضرع الى الله عز وجل ، في أن يوفق أبناء الاسلام إلى مافيه عزهم وسعادتهم ، وأن يهبهم الإيمان الذي يجدون حلاوته في قلوبهم ، وأن يلهمهم دائماً الرشد والسداد ، الذي يلمح في أقوالهم وأفعالهم ، وأن يجعل منهم أمة قوية متينة تبني الحضارة ، وتنشر العلم ، وتبني المجد ، وترفع بسواعدها الفتيّة لواء العزة والنصر ، وتحوّل اتجاه التاريخ ، وتعيد لهذه الأمة مجدها الداثر ، وعزتها السليبة ، وكيانها العظيم ، وماذلك على الله بعزيز ، إنه بالإجابة جدير وخير مسؤول .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



القسم الثاني

مسؤوليات المربين

١ - مَسْؤوليّة التربيةِ الإيمانيّة
٢ - مَسْؤوليّة التربيةِ الخلقيّة
٣ - مَسْؤوليّة التربيةِ الجسْميّة
٤ - مَسْؤوليّة التربيةِ العقليّة
٥ - مَسْؤوليّة التربيةِ النّفسيّة
٦ - مَسْؤوليّة التربيةِ الاجْتماعيّة
٧ - مسْؤوليّة التربيةِ الجنسيّة

مقدمة

من أظهر المسؤوليات التي اهتم الاسلام بها ، وحض عليها . ووجه الأنظار اليها .. **مسؤولية المربين** تجاه من لهم في أعناقهم حق التعليم والتوجيه والتربية .. فهي في الحقيقة مسؤولية كبيرة وشاقة وهامة .. لكونها تبدأ منذ سني الولادة الى أن يدرج الولد في مرحلتي التمييز والمراهقة، الى أن يصبح مكلفاً سوياً . ولاشك أن المربي سواء أكان معلماً أو أباً أو أماً أو مشرفاً اجتماعياً .. حين يقوم بالمسؤولية كاملة ؛ ويؤدي الحقوق بكل أمانة وعزم ومضاء على الوجه الذي يتطلبه الاسلام ... يكون قد بذل قصارى جهده في تكوين الفرد بكل خصائصه ومقوماته ومزاياه ، ثم بالتالي يكون قد أوجد الأسرة الصالحة بكل خصائصها ومقوماتها ومزاياها ، ويكون كذلك – من حيث يعلم أو لايعلم – قد أسهم في بناء المجتمع المثالي الواقعي بكل خصائصه ومقوماته ومزاياه لتكوين الفرد الصالح ، والأسرة الصالحة ؛ وهذا هو منطلق الاسلام في الإصلاح .

ونحن لو تتبعنا آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه في اهابتها بالمربين للقيام بمسؤولياتهم ، وتحذيرها اياهم اذا قصروا بواجبهم .. لو تتبعنا ذلك لوجدناها أكثر من أن تحصى ، وأعظم من أن تستقصى ؛ وما ذاك الا ليعلم كل مربٍّ ضخامة أمانته ، وعظم مسؤوليته .

فمن هذه الآيات الكريمــة :

- « **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** » (طه : ١٣٢)
- « **ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ...** » (التحريم : ٦)
- « **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** » (النحل : ٩٣)
- « **يوصيكم الله في أولادكم ..** » (النساء : ١١)
- « **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين** » (البقرة : ٢٢٣)
- « **... ولايقتلن أولادهن** » (الممتحنة : ١٢)
- « **وقفوهم انهم مسؤولون** » . (الصافات : ٢٤)

الى غير ذلك من هذه الآيات الكثيرة المستفيضة ...

ومن هذه الاحاديث الشريفة :

- « الرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها » (البخاري ومسلم) .

- « لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع » رواهالترمذي.

- « مانحل والد ولداً أفضل من أدب حسن » الترمذي .

- « علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدّبوهم » رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصــور .

- « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن .. » رواه الطبراني .

- عن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال : أتينا النبي صلى الله عليــه وسلم ونحن شَبَبَة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة فظنّ أنا اشتهينا

أهلينا ، فسألنا عمّن تركنا في أهلينا فأخبرناه وكان رفيقاً رحيماً ، فقال : **« ارجعوا الى اهليكم فعلموهم ومروهم ،** وصلّوا كما رأيتموني أصلي ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ، وليؤمّكم أكبركم » البخاري في الأدب المفرد .

ـ « لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه . وعن علمه ما عمل فيه » رواه الترمذي .

الى غير ذلك من هذه الأحاديث الكثيرة المستفيضة ...



فانطلاقاً من هذا التوجيه القرآني ، والهدي المحمدي اهتم المربون جميعاً جيلا بعد جيل بتربية الاولاد ، واعتنوا بتعليمهم وتوجيههم وتقويم اعوجاجهم ، بل كان الآباء والأوصياء يختارون لأولادهم أفضل المعلمين تعليماً وتأديباً ، وأحسن المؤدبين ارشاداً وتوجيهاً .. ليقوموا بأداء المهمة على وجهها الصحيح في تنشئة الولد على أساس العقيدة والاخلاق وتعاليم الاسلام ..

واليكم طائفة من طرائف الأولين واخبارهم عسى أن تكشف لكل ذي عقل وبصيرة عن مدى اهتمام السلف بتربية أبنائهم ، وحرصهم الزائد على تعليمهم وتأديبهم ، وكيف كانوا ينتقون لأولادهم أفضل المؤدبين علماً وخلقاً ، وأميزهم أسلوباً وطريقة ؟ :

● روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده الى المؤدب قال له : « ليكن أول ماتبدأ به من اصلاح بَنِيّ اصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ماستحسنت ، والقبيح عندهم مااستقبحت،

وعلمهم سِيَرَ الحكماء ، وأخلاق الأدباء ، وتهددهم بي ، وأدبهم دوني ؛ وكن لهم كالطبيب الذي لايعجل بالدواء حتى يعرف الداء ، ولاتتّكِلن على عذرٍ مني ، فإني قد اتكلت على كفاية منك » .

● وروى ابن خلدون في مقدمته أن هارون الرشيد لما دفع ولده الأمين الى المؤدّب قال له : « ياأحمر : ان أمير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، فصيّر يدك عليه مبسوطة ، وطاعتك له واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، اقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، وروّه الاشعار ، وعلمه السنن ، وبصّره بسواقع الكلام وَبَدْئِه ، وامنعه من الضحك الا في أوقاته .. ولا تَمُرّنّ بك ساعة والا أنت مغتنم فائدة تفيده اياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، ولاتمعن في مسامحته ، فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومّه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة » .

● وبلغ من اعتناء السلف بالولد أنهم كانوا حريصين على متانة الرابطة بينهم وبين مؤدبيهم ، فكانوا يحزنون اذا غابوا عن الاولاد فترة بسبب من الاسباب ، لخوفهم على الاولاد أن لايؤدبوا على مايريدون ويشتهون .. ذكر الراغب الاصفهاني أن المنصور بعث الى مَن في الحبس من بني أمية من يقول لهم : « ما أشد ما مرّ بكم في هذا الحبس ؟ فقالوا : « **مافقدنا من تربية أولادنا** » .

● وقال عبد الملك بن مروان ينصح مؤدّب ولده : « علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن ، واحملهم على الاخلاق الجميلة ، وروّهم الشعر يشجعوا وينجدوا ، وجالس بهم أشراف الرجال وأهل العلم منهم ، وجنّبهم السَفَلَة والخدم فإنهم أسوأ الناس أدباً .. ووقّرهم في العلانية ، وأنّبهم في السر ، واضربهم على الكذب ، ان الكذب يدعو الى الفجور ، وان الفجور يدعو الى النار ... » .

● وقال الحجاج لمؤدب بنيه : « علمهم السباحة قبل الكتابة ، فإنهم يجدون من يكتب عنهم . ولايجدون من يسبح عنهم » .

● وقال أحد الحكماء لمعلم ولده : « لاتخرجهم من علم الى علم حتى يُحكموه ، فإن اصطكاك العلم في السمع ، وازدحامه في الوهم مضلّة للفهم » .

● وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل الشام يقول لهم : « علّموا أولادكم السباحة والرمي والفروسية » .

● ومن وصية ابن سيناء في تربية الولد : « أن يكون مع الصبي في مكتبه صِبْيَة حسنة آدابهم . مرضيّة عاداتهم ، لأن الصبي عن الصبي ألقن ، وهو عنه آخذ ، وبه آنس » .

● قال هشام بن عبد الملك لسليمان الكلبي مؤدب ابنه : « ان ابني هذا هو جلدة مابين عيني ، وقد ولّيتك تأديبه ، فعليك بتقوى الله ، وأدِّ الأمانة . وأول ماأوصيك به أن تأخذه بكتاب الله . ثم روِّه من الشعر أحسنه ثم تخلل به في أحياء العرب . فخذ من صالح شعرهم . وبصره طرفاً من الحلال والحرام ، والخُطب والمغازي .. » ..

هذا غيض من فيض من اهتمام الخاصة والعامة بتربية أولادهم واختيار أفضل المؤدبين لهم مع تذكيرهم بقواعد التوجيه الصحيح ، ومبادىء التربية العملية الفاضلة ، ولكونهم مسؤولين عنهم ، مؤتمنين عليهم ، محاسبين ومؤاخذين ان قصروا في واجبهم وأهملوا حق تعليمهم وتربيتهم ...

واذا كان المربون من آباء أو أمهات أو معلمين .. مسؤولين عن تربية الاولاد ، وعن تكوينهم واعدادهم للحياة .. فعليهم أن يعلموا بجلاء ووضوح

حدود مسؤوليتهم ، ومراحلها المتكاملة ، وجوانبها المتعددة . ليستطيعوا أن ينهضوا بمسؤوليتهم على أكمل وجه ، وأنبل معنى ...

وأهم هذه المسؤوليات ـ في نظر كثير من المربين ـ مرتبة على الوجه التـالي :

١ - مَسْؤوليّة التربيةِ الإيمانيّة
٢ - مَسْؤوليّة التربيةِ الخلقيّة
٣ - مَسْؤوليّة التربيةِ الجسْميّة
٤ - مَسْؤوليّة التربيةِ العقليّة
٥ - مَسْؤوليّة التربيةِ النفسيّة
٦ - مَسْؤوليّة التربيةِ الاجتماعيّة
٧ - مسْؤوليّة التربيةِ الجنسيّة

ونحن إن شاء الله في هذا الجزء سنفصل الكلام في كل جانب من جوانب هذه المسؤوليات السبعة ، وعلى الله قصد السبيل ومنه نستمد العون والتوفيـق .



الفصل الأول

١ - مَسْؤوليّة التربيةِ الإيمانيّة

المقصود بالتربية الإيمانية ربط الولد منذ تعقله بأصول الايمان ، وتعويده منذ تفهمه أركان الاسلام ، وتعليمه من حين تمييزه مبادىء الشريعة الغـراء ..

ونعني باصول الايمان :

كل ما ثبت عن طريق الخبر الصادق من الحقائق الايمانية ، والأمـور الغيبية كالايمان بالله سبحانه ، والايمان بالملائكـة ، والايمـان بالكتب السماوية ، والايمان بالرسل جميعاً ... والايمان بسؤال ملكين ، وعذاب القبر ، والبعث ، والحساب ، والجنة ، والنار .. وسائر المغيبات .

ونعني باركان الاسلام :

كل العبادات البدنية والمالية ، وهي : الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج من استطاع اليه سبيلا .

ونعني بمبادىء الشريعـة :

كل ما يتصل بالمنهج الرباني ، وتعاليم الاسلام من عقيدة ، وعبادة ، وأخلاق ، وتشريع ، وأنظمة ، وأحكام ...

فعلى المربي أن ينشىء الولد منذ نشأته على هذه المفاهيم من التربية الإيمانية ، وعلى هذه الأسس من التعاليم الاسلامية •• حتى يرتبط بالاسلام عقيــدة وعبادة ، ويتصل به منهاجاً ونظاماً ، فلا يعرف بعد هذا التوجيه والتربية سوى الاسلام ديناً ، وسوى القرآن اماماً ، وسوى الرسول صلوات الله وسلامه عليه قائداً وقدوة •••

وهذا الشمول لمفاهيم التربية الايمانية مستمد من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم وارشاداته في تلقين الولد أصول الإيمان ، وأركان الاسلام ، وأحكام الشريعة ••

واليكم أهم ارشاداته ووصاياه عليه الصلاة والسلام :

١ ـ امره بالفتح على الولد بكلمة لاإله إلا الله :

لما روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا اله الا الله » •

والسر في هــذا :

لتكون كلمة التوحيد ، وشعار الدخول في الاسلام أول مايقرع سمع الطفل ، وأول مايفصح بها لسانه ، وأول ما يتعقّلها من الكلمات والألفاظ •

وسبق أ نذكرنــا في فصل « أحكام المولود » استحباب التأذين في أذن المولود اليمنى ، والإقامة باليسري ، ولايخفى مافي هذا العمل من أثر في تلقين الولد أصل العقيدة ومبدأ التوحيد والإيمان •

٢ ـ تعريفه اول مايعقل احكام الحلال والحرام :

لما أخرج ابن جرير ، وابن المنذر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما

أنه قال : « اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله . ومروا أولادكم بامتثال الاوامر ، واجتناب النواهي ، فذلك وقاية لهم ولكم من النار » .

والسر في هذا :

حتى يفتح الولد عينيه منذ نشأته على أوامر الله ، فيُرَوَّض على امتثالها ، وعلى اجتناب نواهيه . فيُدرَّب على الابتعاد عنها .. وحين يتفهم الولد منذ تعقّله أحكام الحلال والحرام ، ويرتبط منذ صغره بأحكام الشريعة فإنه لايعرف سوى الاسلام تشريعاً ومنهاجاً ..

٣ ـ أمره بالعبادات وهو في سن السابعة :

لما روى الحاكم وأبو داود عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :« مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » ، ويقاس على الصلاة الترويض على بعض أيام الصوم إذا كان الولد يطيقه ، وتعويده الحج اذا كان الاب يستطيعه .

والسر في هذا :

حتى يتعلم الولد أحكام هذه العبادات منذ نشأته ، ويعتاد أداءها والقيام بها منذ نعومة أظفاره ؛ وحتى يتربى كذلك على طاعة الله ، والقيام بحقه ، والشكر له ، والالتجاء اليه ، والثقة به ، والاعتماد عليه ، والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع ..؛ وحتى يجد في هذه العبادات أيضاً الطهر لروحه ، والصحة لجسمه ، والتهذيب لخلقه ، والإصلاح لأقواله وأفعاله !!.

٤ ـ تاديبه على حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن الكريم :

لما روى الطبراني عن علي كرم الله وجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال : « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحبّ آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فإن حَمَلَة القرآن في ظل عرش الله يوم لاظل الا ظله مع أنبيائه وأصفيائه » •

ويتفرع عن هذا :

تعليمهم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسير الصحابة الكرام، وشخصيات القادة العظماء ، والمعارك الحاسمة في التاريخ ••

والسر في هـذا :

حتى يتأسّى الاولاد بسِيَرِ الاولين حركة وبطولة وجهاداً ••

وحتى يرتبطوا بالتاريخ شعوراً وعزة وفخاراً •••

وحتى يرتبطوا بالقرآن الكريم روحاً ومنهاجاً وتلاوة ••

وإليكم ماقاله علماء التربية الاسلاميون في وجوب تلقين الولد تلاوة القرآن ، ومغازي الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومآثر الجدود الأبطال :

● يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلمهم السورة من القرآن الكريم » •

وأوصى الإمام الغزالي في احيائه : « بتعليم الطفل القرآن الكريم ، وأحاديث الاخبار ، وحكايات الابرار ، ثم بعض الأحكام الدينية » •

● وأشار ابن خلدون في مقدمته الى أهميـة تعليم القرآن للاطفال وتحفيظه ، وأوضح أن تعليم القرآن هو أساس التعليم في جميـع المناهج الدراسية في مختلف البلاد الاسلامية لأنه شعار من شعائر الدين يؤدي الى تثبيت العقيدة ، ورسوخ الايمـان •

● ولقد نصح ابن سينا في كتاب السياسة بالبدء بتعليم الطفل القرآن الكريم بمجرد استعداده جسمياً وعقلياً لهذا التعليم ، ليرضع اللغة الأصيلة ، وترسخ في نفسه معالم الايمان .

● ومما يروى في كتب التاريخ والادب أن الفضل بن زيد رأى مرة ابن امرأة من الأعراب ، فأعجب بمنظره ، فسألها عنه فقالت : « اذا أتم خمس سنوات أسلمته الى المؤدب فحفظ القرآن فتلاه ، وعلّمه الشعر فرواه ، ورُغّب في مفاخر قومه ، ولُقّن مآثر آبائه وأجداده ، فلما بلغ الحلُم حملته على أعناق الخيل ، فتمرّس وتفرّس ، ولبس السلاح ومشى بين بيوت الحي ، وأصغى الى صوت الصارخ .. » .

وسبق أن ذكرنا في مبحث اهتمام الاولين بتربية أبنائهم أنهم حين كانوا يدفعون أولادهم الى المؤدّب أول شيء يشيرون اليه ، وينصحون به تعليم أولادهم القرآن الكريم ، وتلاوتهم له ، وتحفيظهم اياه .. حتى تتقوم ألسنتهم ، وتسمو أرواحهم ، وتخشع قلوبهم ، وتدمع عيونهم ، ويترسخ في نفوسهم الإيمان واليقين ..

والذي نخلص إليه بعد ماتقدم :

أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد اهتم بتلقين الولد منذ نشأته أصول الايمان ، وأركان الاسلام ، وأحكام الشريعة ، وتأديبه على حب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحب آل بيته ، وحب الاصحاب والقواد والفاتحين ، وتلاوة القرآن الكريم .. حتى يتربى الولد على الايمان الكامل ، والعقيدة الراسخة ، وحب الرعيل الاول من الجدود البواسل الامجاد .. واذا ترعرع وكبر لم يتزعزع بالدجل الإلحادي ، ولم يتأثر بدعايات أهل الكفر والضلال !!..

فما أجدر المربين أن يربوا أبناءهم على هذه الأسس . ويسلكوا معهم هذه الوسائل .. ليضمنوا سلامة عقيدتهم من الزيغ والإلحاد والانحراف !!.



من الأمور المسلم بها لدى علماء التربية والاخلاق أن الطفل حين يولد **يولد على فطرة التوحيد ، وعقيدة الايمان بالله ، وعلى أصالة الطهر والبراءة ..** فإذا تهيأت له التربية المنزلية الواعية ، والخلطة الاجتماعية الصالحة ، والبيئة التعليمية المؤمنة .. نشأ الولد ــ لاشك ــ على الايمان الراسخ ، والأخلاق الفاضلة ، والتربية الصالحة ..

وهذه الحقيقة من الفطرة الايمانية قدقررها القرآن الكريم ، وأكدها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأثبتها علماء التربية والاخلاق :

ــ أما أن القرآن الكريم قررها فلقوله تبارك وتعالى :

« فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله » (الروم : ٣٠)

ــ أما أنه عليه الصلاة والسلام أكدها فلما روى البخاري عن أبـي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه ، أو ينصرانه أو يمجّسانه ... » .

ــ أما أن علماء التربية والاخلاق قد أثبتوها فبعد قليل سنستشهد بأقوال الغربيين والشرقيين عند الكلام عن أهمية التربية الإيمانية . وأثرها في اصلاح سلوك الافراد ، وتقويم اعوجاج الشعوب ، ونجتزىء في هذا المجال بما قرره الامام الغزالي في تعويد الولد خصال الخير . أو مبادىء الشر باعتبار قابليته وفطرته ، فما قاله في هذه المناسبة : « والصبي أمانة عند والديه ،

وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، فإن عُوِّدَ الخير وعُلِّمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ، وان عُوِّدَ الشر وأهمل اهمال البهائم شقي وهلك .. وصيانته بأن يؤدّبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ... » .

وما أحسن ما قال بعضهم :

وينشأ ناشىء الفتيان منّا　　على ماكان عوّده أبوه
وماذان الفتى بحجىً ولكن　　يعوده التديّن أقربوه

ومن هذا العرض لأهمية الفطرة وأثرها .. نعلم أن الولد اذا نشأ في بيت منحرف ، وتعلم في بيئة ضالة ، وخالط جماعة فاسدة .. فلا شك أنه سيرضع لبان الفساد ، ويتربى على أسوأ الاخلاق ، ويتلقن مبادىء الكفر والضلال .. وسرعان ما يتحول من السعادة الى الشقاء ، ويتدرج من الايمان الى الإلحاد ، وينتقل من الاسلام الى الكفر .. وعندئذ يصعب رده الى جادة الحق ، والى سبيل الايمان والهدى ..

ولابأس في هذه المناسبة أن أستعرض معك ـ أيها المربي ـ **صورا من واقعنا الاجتماعي ونماذج من بيئات الضلال والفساد** ، لتعلم العوامل التي تؤدي الى انحراف الولد في عقيدته وأخلاقه ، وتعلم كذلك أنه اذا تساهل الاولياء والآباء في تربية أبنائهم ، فسيؤدي بهم الأمر ـ على الأغلب ـ الى الزيغ والانحراف ، واعتناق مبادىء الكفر والإلحاد !!.. :

● **فالاب** الذي يدفع بولده الى المدارس الأجنبية ، والمعاهد التبشيرية يرضع من لبانها ، ويتلقف التوجيه والتعليم على يد مبشريها .. لاشك أن الولد سينطبع على الزيغ والضلال ، ويتدرج على الكفر والإلحاد .. بل ستترسخ في نفسه مشاعر الكره للاسلام ، وأحقاد العداوة لهذا الدين .

● **والاب** الذي يسلم قياد ولده لأساتذة ملحدين ، ومربين أشرار ، يلقنونه مبادىء الكفر ، ويغرسون في سويداء قلبه بذور الضلال .. **لاشك** أن الولد سينشأ على التربية الإلحادية ، والتوجيه العلماني **الخطير** ..

● **والاب** الذي يسمح لولده أن يطالع ماشاء من كتب الملحدين والماديين ، ويقرأ ما أراد من مطاعن المبشرين والمستعمرين .. **لاشك** أن الولد سيتشكك بحقيقة عقيدته ودينه ، ويهزأ بتاريخه وأمجاده ، ويكون حرباً على مبادىء الاسلام ..

● **والاب** الذي يرخي لولده العنان ، ويترك حبله على غاربه ليخالط من رفقاء الزيغ والضلال مايرغب ، ويعتنق من المبادىء الضالة والافكار المستوردة مايشاء .. لاشك أن الولد سيسخر لامحالة بكل القيم الدينية والمبادىء الخلقية التي جاءت بها الأديان والشرائع ..

● **والاب** الذي يترك المجال لولده لأن ينتمي الى أحزاب الحادية كافرة ، والى منظمات علمانية لادينية ، والى هيئات لاترتبط بالاسلام عقيدة وفكراً وتاريخاً .. لاشك أن الولد سيتربى على عقائد ضالة ، وينشأ على مبادىء الحادية كافرة ، بل يكون حرباً على الأديان والقيم والمقدسات !!..

وليس النبتُ ينبت في جنان   كمثل النبت ينبتُ في الفلاةِ
وهل يرجى لأطفالٍ كمال   اذا ارتضعوا ثُدُيّ الناقصات



واذا كان على المربين بشكل عام ، والأبوين بشكل خاص مسؤولية كبرى في تنشئة الولد على عقيدة الإيمان ، وواجب أعظم في تلقينه مبادىء الاسلام.. **فينبغي أن نعرف حدود هذه المسؤولية ، وأبعاد هذا الواجب ..**

ليعلم كل من كان له في عنقه حق التوجيه والتربية المهمة الملقاة على عاتقه في تنشئة الولد على التربية الايمانية الكاملة المرضية .

وحدود هذه المسؤولية مرتبة على الشكل التالي :

١ ـ أن يرشدوهم الى الايمان بالله ، وقدرته المعجزة ، وابداعه الرائـع عن طريق التأمل والتفكر في خلق السموات والأرض . وذلك في سن الإدراك والتمييز . ويحسن أن يتدرجوا معهم من المحسوس الى المعقـول ، ومن الجزئي الى الكلي ، ومن البسيط الى المركب .. حتى يصلوا معهم في نهـاية الشوط الى قضية الايمان عن اقتناع وحجة وبرهان .. ؛ وحين يأخذ الولد منذ الصغر القضايا الإيمانية الثابتة .. وتنصب على ذهنـه وفكره الادلة التوحيدية الراسخة .. فلا تستطيع معاول الهدم أن تنـال من قلبه العامر ، ولا يمكن لدعاة السوء أن يؤثروا على عقله الناضج ، ولا يقدر انسان أن يزعزع نفسيته المؤمنة .. لما وصل اليه من ايمان ثابت ، ويقين راسخ ، وقناعة كامـلة ..

وهذه الطريقـة من التدرج من الأدنى الى الأعلى ، ومن المحسوس الى المعقول .. في الوصول الى الحقيقـة هي طريقة القرآن الكريم .. وإليكـم طرفاً من آياته الباهرة :

ـ « هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ، ومنه شجر فيه تسيمون ● ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقـوم يتفكرون ● وسخر لكم الليـل والنهـار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ● وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه انفي ذلك لآية لقوم يذكرون ● وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طرياً وتستخرجوا منهحلية تلبسونها ،وترى الفلك مواخرفيه، ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ● والقى في الارض رواسي أن تميد بكم

وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون ● وعلامات وبالنجم هم يهتدون ● أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون ؟)) . (النحل : ١٠ ــ ١٧)

ــ ((ان في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح ، والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)) . (البقرة : ١٦٤)

ــ ((فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر ، يوم تبلى السرائر ، فما له من قوة ولا ناصر)) . (الطارق : ٥ ــ ١٠)

ــ ((فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صباً ، ثم شققنا الأرض شقا ، فانبتنا فيها حبا ، وعنبا وقضبا ، وزيتونا ونخلا ، وحدائق غلبا ، وفاكهة وابا، متاعا لكم ولأنعامكم ..)) (عبس : ٢٤ ــ ٣٢)

ــ ((الم تر ان الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ، ومن الجبال جُدَدٌ بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه ، كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور)) . (فاطر : ٢٧ ــ ٢٨)

ــ ((أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ، والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرةً وذكرى لكل عبد منيب ..)) . (ق : ٥ ــ ٨)

الى غير ذلك من هذه الآيات الكثيرة المستفيضة التي لا تعد ولا تحصى...

٢ ــ أن يغرسوا في نفوسهم روح الخشوع والتقوى والعبودية لله رب العالمين :

وذلك بتفتيح بصائرهم على القدرة المعجزة ، والملكوت الهائل الكبير في كل شيء •• في الدقيق والكبير •• في الجامـد والحي •• في النبتـة النابتة والشجرة النامية •• في الزهرة الفواحة البديعة الألوان •• في ملايين الملايين من الخلائق العجيبة الصنع ، البديعة التكوين •• فما يملـك القلب ازاء ذلك الا أن يخشع ويهتز لعظمة الله ، وما تملك النفس تجاه هذا الا أن تحس بتقوى الله ومراقبته ، وأن تشعر بكليتها وقرارة وجدانها بلذة الطاعة، وحلاوة العبادة لله رب العالمين •

ومن وسائل تقوية الخشوع ، وترسيخ التقـوى في نفس الولد ترويضه في سن التمييز على التخشع في الصلاة ، وتأديبه على التحزن والتباكي عند سماع القرآن الكريم • وهذه هي صفة العارفين ، وشعار عباد الله الصالحين، وخصيصة المؤمنين الصادقين ••

ولنستمع الى القرآن العظيم في تمجيده الخاشعين ، وثنائه على الاتقياء المخبتين :

— **« قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون »** •

(المؤمنون : ١ — ٢)

— **« الله انزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً ، مثاني ، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء »** •

(الزمر : ٢٣)

— **« وبشّر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم »** •

(الحج : ٣٤ — ٣٥)

— **« إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجداً وبكياً »** •

(مريم : ٥٨)

— **« الم يانِ للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق »**•

(الحديد : ١٦)

وهذه الظاهرة من الخشوع والإخبات والتحزن .. هو ما كان عليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وما كان عليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، والسلف الصالح ، والعارفون بالله رحمهم الله . فقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ عليّ القرآن » ، فقلت يا رسول الله : أقرأ عليك وعليك أُنزِل؟ قال : « اني أحب أن أسمعه من غيري » ، فقرأتُ عليه سورة النساء حتى إذا جئت الى هذه الآية : « فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً » ، قال : « حسبك الآن » ، فالتفت اليه فإذا عيناه تذرفان .

وعن أبي صالح قال : قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فجعلوا يقرؤون القرآن ويبكون ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : هكذا كنا حتى قست القلوب .

وأخبار السلف في بكائهم وتخشعهم في صلاتهم ، وفي سماعهم للقرآن الكريم أكثر من أن تحصى ، وقصصهم الرائعة في كتب الاخلاق والتربية كثيرة ومستفيضة ..

وربما يجد المربي في ترويض الولد على الخشوع والتحزّن والبكاء .. صعوبة ومشقة في بدء الترويض والتعليم ، ولكن في التنبيه تارة ، والمثابرة أخرى ، والتأسي ثالثة ... يصبح التخشع والتحزن.. خلقاً أصيلا في الولد، وطبعاً كريماً من طباعه وأخلاقه ..

وما أحسن ما قال بعضهم :

قد ينفع الأدبُ الأولادَ في صغر
وليس ينفعهم من بعده أدب

ان الغصون اذا عدلتها اعتدلت
ولا تلين ولو ليّنتَهُ الخشب

وهذا التعويد من البكاء والتخشع •• في أخذ الأولياء به ، وترويضهم عليه هو ما أرشد اليه عليه الصلاة والسلام في قوله :

« اقرؤوا القرآن وابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا » • رواه الطبراني•

٣ – ان يربوا فيهم روح المراقبة لله سبحانه في كل تصرفاتهم واحوالهم ••

وذلك بترويض الولد على أن الله سبحانه يرقبه ويراه ، ويعلم سره ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور •• وتخليق الولد على مراقبة الله تعالى يجب أن تكون غاية المربي وهمّه وهدفه الأكبر ، وذلك لا يكون الا في ترويض الولد عليها وهو يعمل ، وترويضه عليها وهو يفكر ، وترويضه عليها وهو يُحِسّ :

أما ترويضه على مراقبة الله وهو يعمل فليتعلّم الاخلاص لله رب العالمين في كل أقواله وأعماله وسائر تصرفاته ، ولكي يقصد وجه الله سبحانه في كل عمل يسبقه نية ، وعندئذ يتحقق بالعبودية الخالصة لله تعالى ، ويكون مِمّن شملهم القرآن بقوله :

« وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة » • (البينة : ٥)

وكذلك على المربي أن يشعر الولد بأن الله سبحانه لا يقبل منه أي عمل الا اذا قصد من ورائه وجه الله ، وابتغى به مرضاته •• للحديث الذي رواه أبو داود والنسائي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله عز وجل لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا ، وابتغي به وجهه » ؛ ولقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان : « انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى •• »

أما ترويضه على مراقبة الله وهو يفكر فليتعلم الأفكار التي تقرّبه من خالقه العظيم •• والتي بها ينفع نفسه ، وينفع مجتمعه، وينفع الناس أجمعين•• بل يجب أن يُرَوَّض على أن يكون عقله وقلبه وهواه تبعاً لما جاء به خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، وكذلك على المربي أن يؤدب الولد على المحاسبة حتى على الخواطر السيئة ، والأفكار الشاردة •• وأن يُحفّظه أواخر سورة البقرة[1] مع بيان ما فيها من ارشادات وأدعية لما تشتمله هذه الآيات من توجيه الى مراقبة الله ، والمحاسبة للنفس ، والالتجاء الى خالق الأرض والسموات، ومناجاته والدعاء له ••

أما ترويضه على مراقبة الله وهو يحس .. فليتعلم كل احساس نظيف ، وليتربّى على كل شعور طاهر •• فلا يحسد ، ولا يحقد ، ولا ينمّ ، ولا يتمتع المتاع الدَّنِس ، ولا يشتهي الشهوات الباطلة •• وكلما أصابه نزغ من الشيطان ، أو هاجسة من النفس الأمّارة بالسوء تذكر أن الله سبحانه معه يسمعه ويراه فإذا هو متذكر مبصر •• وهذا النمط من التربية والمراقبة قد وجه اليه المربي الأول عليه الصلاة والسلام في اجابته السائل عن الاحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فانه يراك » البخاري •

وقد أشار اليه القرآن الكريم بقوله :

« وإما ينزغَنّك من الشيطان نَزغٌ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ؛ ان الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فاذا هم مبصرون » •

(سورة الأعراف : ٢٠١)

وهذه الظاهرة من الترويض والتعليم •• كانت ديدن السلف الصالح في ترويضهم لأولادهم ، وتأديبهم عليها ، واليكم ما قصه الإمام الغزالي في احيائه:

---

(1) الآيات تبدأ من قوله تعالى : « ولله ما في السموات والأرض وإن تبدوا ما في انفسكم ... الى آخر السورة » .

(قال سهل بن عبد الله التستري : كنت أنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل ، فأنظر الى صلاة خالي (محمد بن سوار) ، فقال لي يوماً : ألا تذكر الله الذي خلقك ؟ فقلت كيف أذكره ؟ قال : قل بقلبك عند تقلبك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرك به لسانك : الله معي ، الله ناظر الي ، الله شاهدي ؛ فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال : قل في كل ليلة سبع مرات ، فقلت ذلك ثم أعلمته ، فقال: قل ذلك كل ليلة احدى عشر مرة ، فقلته ، فوقع في قلبي حلاوته ؛ فلما كان بعد سنة ، قال لي خالي : احفظ ما علمتك ودُمْ عليه الى أن تدخل القبر ، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة ؛ فلم أزل على ذلك سنين ، فوجدت لذلك حلاوة في سري ؛ ثم قال لي خالي يوماً : يا سهل من كان الله معه ، وناظراً اليه ، وشاهده .. أيعصيه ؟ اياك والمعصية ...) ، وبهذا التوجيه السديد ، والترويض المستمر ، والتربية الإيمانية الحقة .. أصبح سهل رحمه الله من كبار العارفين ، ومن رجال الله الصالحين .. بفضل خاله الذي أدّبه وعلمه وربّاه .. وغرس في نفسه وهو صغير أكرم معاني الايمان والمراقبة ، وأنبل مكارم الأخلاق ...



وحينما ينهج المربون في تربية الأولاد هذا النهج ، وحينما يسير الآباء والأمهات في تأديب الابناء على هاتيك القواعد .. يستطيعون في فترة يسيرة من الزمن أن يكوّنوا جيلاً مسلماً مؤمناً بالله ، معتزّاً بدينه ، مفتخراً بتاريخه وأمجاده .. ويستطيعون كذلك أن يكوّنوا مجتمعاً نظيفاً من الإلحاد ، نظيفاً من الميوعة ، نظيفاً من الحقد ، نظيفاً من الجريمة ..

وهذه التربية الإيمانية التي فصلنا فيها ، ودار الكلام حولها .. **هي التي يلح عليها كبار علماء التربية والأخلاق في بلاد الغرب** لتحرر المجتمع من الإلحاد والرذيلة والميوعة والجريمة ..

وإليكم طرفاً من اقوالهم :

● كتب « دستوفسكي » أعظم قصصي في عالم الغرب ليبين كيف أصبح الانسان متلبّساً بالشياطين حين هجر الله تعالى[1] .

● ويقول الاديب الفرنسي الشهير « فولتير » ساخراً من طبقة الملحدين الماديين المشككين :

« لِمَ تشككون في الله ، ولولاه لخانتني زوجتي . وسرقني خادمي !!.. » .

● ويقول الدكتور « هنري لنك » الطبيب النفسي الأمريكي في كتابه « العودة الى الإيمان » :

« فان هؤلاء الآباء الذين كانوا يتساءلون كيف ينمّون عادات أولادهم الخلقية ويشكلونها ، في حين ينقصهم هم أنفسهم تلك التأثيرات الدينية التي كانت قد شكلت أخلاقهم من قبل ، كانوا في الحقيقة يجابهون مشكلة لاحل لها ، فلم يوجد بعد ذلك البديل الكامل الذي يحل محل تلك القوة الهائلة التي يخلقها الايمان بالخالق وبناموسه الخُلُقي الإلهي في قلوب الناس ... » .

● وذكرت مجلة الحج المكية في السنة ٢٣ من الجزء الثالث عن لسان « سوتيلانا » بنت استالين : « ان السبب الحقيقي لهجر وطنها وأولادها هو « الدين » ، فقد نشأت في بيت ملحد لايعرف أحد من أفراده « الرب » ، ولا يذكر عندهم عمداً ولاسهواً .. ولما بلغت سن الرشد وجدت في نفسها —

(١) من كتاب « مباهج الفلسفة » لـ (ول ديوارنت) ج : ٢ ص : ٢٧٦ .

ـ من غير أي دافع خارجي ـ احساسا قويا بأن الحياة من غير الايمان بالله ليست حياة ، كما لايمكن أن يقام بين الناس أي عدل أو انصاف من غير الايمـان بالله ، وشعرت من قرارة نفسها أن الانسان في حاجة الى الايمـان كحاجته الى الماء والهواء •• » •

● وقد أعلن الفيلسوف « كانت » أنه لاوجود للاخلاق دون اعتقادات ثلاثـة :

« وجود الإله ،وخلود الروح ، والحساب بعد الموت » •

والذي نخلص اليه بعد ما تقدم أن الايمان بالله تعالى هو أساس اصلاح الولد ، وملاك تربيته الخلقية والنفسية •• ولقد رأيت ـ أخي القارىء ـ من أقوال علماء التربية والأخلاق في العالم الصلة الوثيقة بين الايمان والخلق . والرابطـة المتينة بـين العقيدة والعمـل ، وان شاء الله في معالجتنـا لبحث « مسؤولية التربية الخلقية » فسنفصل القول عن أثر الايمان في تقويم سلوك الولد ، وتهذيب خلقه ، وتقويم اعوجاجه ، وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمد العـون والتوفيق •

وصفوة القول ان مسؤولية التربية الايمانية لـدى المربين والآبـاء والأمهات •• لهي مسؤولية هامة وخطيرة لكونها منبع الفضائل ، ومبعث الكمالات •• بل هي الركيزة الأساسية لدخول الولد في حظيرة الايمان ، وقنطرة الاسلام •• وبدون هـذه التربيـة لاينهض الولـد بمسؤولية ، ولايتصف بأمانة ، ولايعرف غاية ، ولايتحقق بمعنى الانسانية الفاضلة ، ولايعمل لمثل أعلى ولاهدف نبيل •• بل يعيش عيشة البهائم ليس له هـم سوى أن يسد جوعته ،ويشبع غريزته ، وينطلق وراء الشهوات والملذات ،

ويصاحب الاشقياء والمجرمين •• وعندئذ يكون من الزمرة الكافرة ، والفئة الإباحية الضالة التي قال الله عنها في محكم كتابه :

« **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوىً لهم** » .

(سورة محمد : ١٢)

فعلى الأب أو المربي ألا يترك فرصة سانحة تمر الا وقد زود الولد بالبراهين التي تدل على الله ، وبالارشادات التي تثبت الإيمان ، وباللفتات التي تقوي فيه جانب العقيدة •• وهذا الاسلوب من انتهاز الفرص في النصائح الايمانية ، هو أسلوب المربي الأول صلوات الله وسلامه عليه حيث كان يسعى دائماً الى أن يوجه الاولاد الى كل مايرفع من شأنهم ، ويرسخ الايمان واليقين في أعماق نفوسهم •• واليك — أخي القارىء — بعض النماذج من توجيهه وأسلوبه عليه الصلاة والسلام :

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال :ياغلام اني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

وفي رواية غير الترمذي : « احفظ الله تجده أمامك ، تعرّف الى الله في الرخاء يعرفْك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وماأصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً » .

وختاماً : أقترح على المربين والمعلمين والآباء •• أن يختاروا لتلاميذهم

وأبنائهم أفضل الكتب لتعليم الاولاد عقيدة التوحيد منذ سن التعقل والتمييز ، وأرى أن يكون التعليم على مراحل ، كل مرحلة تتفق مع سن الولد ومع نضجه وثقافته .

دراسة المرحلة الأولى :

وهي مابين سن العاشرة الى الخامسة عشرة :

١ ــ كتاب « المعرفة » لفضيلة العالم المرشد الشيخ عبد الكريم رفاعي رحمه الله .

٢ ــ وكتاب « العقائد » للامام البنا رحمه الله .

٣ ــ وكتاب « الجواهر الكلامية » للأستاذ طاهر الجزائري .

دراسة المرحلة الثانية :

وهي مابين سن البلوغ الى سن العشرين :

١ ــ « أصول العقائد » للأستاذ عبد الله عرواني .

٢ ــ كتاب « الوجود الحق » للدكتور حسن هويدي .

٣ ــ كتاب « شبهات وردود » للمؤلف .

دراسة المرحلة الثالثة :

وهي مابعد سن العشرين :

١ ــ كتاب « كبرى اليقينيات الكونية » للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .

٢ ــ كتاب « الله جل جلاله » للأستاذ سعيد حوّى .

٣ ــ كتاب « قصة الايمان » للأستاذ نديم الجسر .

ويضاف الى كتب مرحلتي الثانية والثالثة كتب عقيدية وفكرية أخرى؛ فعلى كل شاب مسلم أن يقتنيها ويمر على دراستها، ويتعمق في فهمها ومطالعتها لكونها ترسخ جانب العقيدة ، وتزيد من معين الإيمـــان •

وأهم هذه الكتب هي :

الدين في مواجهة العلم	للأستاذ العالم وحيد الدين خان
الاسلام يتحدى	للأستاذ العالم وحيد الدين خان
الله يتجلى في عصر العلم	لمجموعة من علماء الغرب
العلم يدعو الى الايمان	لكريسي موريسون
الله والعلم الحديث	لعبد الرزاق نوفل
الطب في محراب الإيمان	للدكتور خالص كنجو

الى غير ذلك من هذه الكتب التي تقوي الايمان ، وترسخ معاني العقيدة والاســـلام •••

هذا ان كان الولد مثقفاً يتابع مراحل دراسته حتى الجامعة •• أما اذا كان الولد مقتصراً في دراسته على المرحلة الابتدائية ثم نزل الحياة العملية لابتغاء الرزق ، فعلى الأب أن يسعى جهده في تعليمه عقيدة التوحيد في أوقات فراغه على يد أساتذة أكفاء يلقنونه مبادىء الايمان ، ويغرسون في نفسه بذور التوحيد الخالص حتى يعرف بوضوح مايجب لله ، ومايجوز ، وما يستحيل •• وعندئذ ينشأ على التربية الايمانية الخالصة •• فلايتزعزع بشبهة، ولاينساق وراء فتنة أو اغراء !!



الفصل الثاني

٢ ـ مسؤولية التربية الخلقية

نقصد بالتربية الخُلقية مجموعة المبادىء الخُلقية ، والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يتلقنها الطفل ويكتسبها ويعتاد عليها منذ تمييزه وتعقله الى أن يصبح مكلفاً الى أن يتدرج شاباً الى أن يخوض خضمّ الحياة ..

ومما لاشك فيه ، ولا جدال معه **أن الفضائل الخلقية والسلوكيةوالوجدانية هي ثمرة من ثمرات الايمان الراسخ ، والتنشئة الدينية الصحيحة ..**

فالطفل منذ نعومة أظفاره حين ينشأ على الايمان بالله ، ويتربّى على الخشية منه ، والمراقبة له ، والاعتماد عليه ، والاستعانة به ، والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع .. تصبح عنده الملكة الفطرية ، والاستجابة الوجدانية لتقبل كل فضيلة ومكرمة ، والاعتياد على كل خلق فاضل كريم .. لأن الوازع الديني الذي تأصل في ضميره ، والمراقبة الإلهية التي ترسخت في أعماق وجدانه ، والمحاسبة النفسية التي سيطرت على تفكيره واحساساته .. كل ذلك بات حائلا بين الطفل وبين الصفات القبيحة والعادات الآثمة المرذولة ، والتقاليد الجاهلية الفاسدة .. بل اقباله على الخير يصبح عادة من عاداته ، وتعشقه المكارم والفضائل يصير خلقا أصيلا من أبرز أخلاقه وصفاته ..

ومما يؤكد هذا نجاح التجربة العملية التي يسلكها الكثير من الآباء المتدينين مع أبنائهم ، وكثير من المرشدين والمربين مع مريديهم وتلامذتهم ؛ فهذه التجربة أصبحت معلومة في سيرة السلف ، وعالم الواقع .. وسبق أن ذكرنا موقف « محمد بن سوار » من ابن أخته « التستري » في تربيته على الايمان ، واصلاح نفسه ووجدانه ، ورأينا أن نفسه قد صلحت لما رباه خاله على مراقبة الله ، والخشية منه ، والاعتماد عليه .. وذلك في ملاحقته على أن يردّد في سره وعلنه ، وظاهره وباطنه ، واجتماعه وخـلوته : « الله معي ، الله ناظر اليّ ، الله شاهدي » .



وحينما تكون التربية للطفل بعيدة عن العقيـدة الاسلامية ، مجردة من التوجيه الديني ، والصلة بالله عز وجل .. فإن الطفل ــ لا شك ــ يترعرع على الفسوق والانحلال ، وينشا على الضلال والالحاد ، بل سيتّبع نفسه هواها ، ويسير خلف نوازع النفس الأمارة ، ووساوس الشيطان وفقاً لمزاجه وأهوائه وأشواقه الهابطـة .

(فإن كان **مزاجه من النوع « الهادىء المسالم »** عاش في الحياة غافـلاً بليداً ، حياً كميت ، وموجوداً كمفقود ، لايحس أحد بحياته ، ولايترك فراغاً بعد موته ، ورحم الله من قال :

فذاك الذي إنْ عاش لم يُنتفَع به وانْ مات لاتبكي عليه أقاربُه

وإن كـان **يغلب عـلى نفسه الجـانب « البهيمي »** جرى وراء الشهـوات والملذّات يقتحم إلى بلوغها كل حرمة ، ويسلك من أجلها كل طريق ، لاحيـاء يردعه ، ولاضمير يقمعه ، ولاعقل يمنعه ، يقول ما قاله أبو النواس :

انمــا الدنيــا طعام وشراب ونَــدام[1]

فإذا فاتك هـــــذا فعــلى الدنيا السلام

وإن كــان **مزاجــه مــن النــوع « العصبي »** جعل همه العلوّ في الأرض ، والاستكبار على الناس ، واظهار السلطــة والتحكم في الرقاب ، والفخر بلسانه ، والاختيال بفعاله ، ولم يهمه في سبيل ذلك أن يبني قصراً من جماجم البشر ، وأن يزخرفه بدماء الابرياء ، شعاره ماقاله الشاعر الجاهلي :

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

بغــاةٌ ظالمــين وما ظُلمنا ولكنّــا سنبــدأ ظالمينــا

اذا بلــغ الرضيع لنا فطاماً تخرّ له الجبابر ساجــدينا

وان كان **يغلب عليه الجانب « الشيطاني »** دبر المكائد ، وفرق بــين الأحبة ، ووضع الألغام ليدمر ، وسمّم الآبار ليقتل ، وعكّر المياه ليصطاد ، وزيّن الإثم ، وأغرى بالفاحشة ، وأوقع العداوة والبغضاء بين الناس ، وقال مع الشاعر :

اذا أنت لم تنفع فضرّ فإنمــا يُرجّى الفتى كيما يضر وينفعا

وهكذا يدور كل من هؤلاء حيث تدور نفسه الأمّارة ، ويندفع حيث يدفعه مزاجه المنحرف ، وينقاد لأمر هواه ، والهوى يعمي ويُصم ، وهو الــه معبود ، قال تعالى :

« ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدىً من الله »[2] .
(القصص : ٥٠)

---

(١) الندام : المنادمة والمجالسة على شرب الخمر .
(٢) من كتاب « الايمان والحياة » للأستاذ القرضاوي صفحة : ٢١٠ مــع بعض التصرف .

والذي نخلص إليه بعدما تقدم أن التربية الإيمانية هي التي تعدّل المزاج المنحرف ، وتقوّم المعوج الفاسد ، وتصلح النفس الانسانية .. وبدونها لايمكن أن يتحقق اصلاح ، ولا أن يتم استقرار ، ولايتقوّم خلق ..

ولهذه الصلة الوثيقة بين الإيمان والاخلاق ، والرابطة المتينة بين العقيدة والعمل انتبه علماء التربية والاجتماع في الغرب ، وفي كثير من الأمم .. فأصدروا توجيهاتهم ، وأعلنوا عن آرائهم ووجهات نظرهم بأنه من غير دين لايتم استقرار ، وبغير ايمان بالله لايتحقق اصلاح ، ولا يتقوّم خلُق ..

وإليكم طائفة من آرائهم وتوجيهاتهم :

● قال الفيلسوف الألماني « فيخته » : « الاخلاق من غير دين عبث » .

● قال الزعيم الهندي المعروف «غاندي» : «ان الدين ومكارم الاخلاق هما شيء واحد لايقبلان الانفصال ، ولايفترق بعضهما عن بعض ، فهما وحدة لاتتجزأ ، ان الدين كالروح للأخلاق ، والأخلاق كالجو للروح ؛وبعبارة أخرى الدين يغذي الاخلاق وينميها وينعشها ، كما أن الماء يغذي الزرع وينميه » .

● وقال القاضي البريطاني « دينِنج » معقباً على فضائح وزير بريطاني سابق في علاقة خلقية : « بدون الدين لايمكن أن تكون هناك أخلاق ، وبدون أخلاق لايمكن أن يكون هناك قانون !!.. الدين هو المصدر الفذ المعصوم الذي يعرف منه حسن الأخلاق من قبيحها ، والدين هو الذي يربط الانسان بمثل أعلى يرنو اليه ، ويعمل له ، والدين هو الذي يحد من أنانية الفرد ، ويكفكف من طغيان غرائزه ، وسيطرة عاداته ، ويخضعها لأهدافه ومثله ، ويربي فيه الضمير الحي الذي على أساسه يرتفع صرح الأخلاق ..» .

● وسبق أن ذكرنا تصريح الفيلسوف « كانت » الـذي يقول : « لاوجود للاخلاق دون اعتقادات ثلاثة : وجود الإله ، وخلود الروح ، والحساب بعد الموت » .



فلا عجب بعد الذي ذكرناه أن تولي شريعة الاسلام اهتمامها البالـغ بتربية الاولاد من الناحية الخـُلقية ، وأن تصدر توجيهاتها القيمة في تخليـق الولد على الفضائل والمكارم ، وتأديبه على أفضل الاخلاق ، وأكرم العادات! .

وإليكم اهم هذه التوصيات والتوجيهـات في تربية الولد مـن الناحيـة الخلقية والسلوكية :

ــ روى الترمذي عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مانَحَل[1] والد ولداً من نـُحْلٍ أفضـل من أدب حسن » .

ــ وروى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » .

وأخرج عبد الرزاق ، وسعيد بن منصور ، وغيرهما من حديث علي رضي الله عنه : « علموا أولادكم وأهليكم الخـير وأدبوهم » .

ــ وأخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حق الوالد على الولد أن يحسن أدبـه ، ويحسن اسمه » .

ــ وروى ابن حبان عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليـه وسلم أنه قال : « الغلام يـُعَقّ[2] عنه يوم السابع ، ويـُسمّى ، ويماط

---

(١) نحله : اي اعطـاه .
(٢) يعق عنه : اي يذبح عنه .

عنه الأذى ؛ فإذا بلغ ست سنين أُدّب . واذا بلغ تسع سنين عزل عن فراشه . فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضُرب على الصلاة والصوم . فاذا بلغ ست عشرة زوجه أبوه ، ثم أخذ بيده وقال : قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك ، أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا . وعذابك في الآخرة » .

فيؤخذ من مجموعة هذه الاحاديث التربوية أن على المربين — ولاسيما الآباء والأمهات — مسؤولية كبرى في تأديب الاولاد على الخير ، وتخليقهم على مبادىء الاخلاق ..

ومسؤوليتهم في هذا المجال مسؤولية شاملة بكل مايتصل بإصلاح نفوسهم ، وتقويم اعوجاجهم ، وترفعهم عن الدنايا ، وحسن معاملتهم للآخرين ..

فهم مسؤولون عن تخليق الاولاد منذ الصغر على الصدق ، والأمانة ، والاستقامة ، والإيثار ، واغاثة الملهوف ، واحترام الكبير ، واكرام الضيف ، والاحسان الى الجار ، والمحبة للآخرين ...

ومسؤولون عن تنزيه ألسنتهم من السباب ، والشتائم والكلمات النابية القبيحة ، وعن كل ماينبىء عن فساد الخلق ، وسوء التربية ...

ومسؤولون عن ترفعهم عن دنايا الأمور . وسفاسف العادات ، وقبائح الاخلاق ، وعن كل مايحط بالمروءة والشرف والعفة ...

ومسؤولون عن تعويدهم على مشاعر انسانية كريمة ، واحساسات عاطفية نبيلة ، كالاحسان الى اليتامى ، والبر بالفقراء ، والعطف على الأرامل والمساكين ....

الى غير ذلك من هذه المسؤوليات الكبيرة الشاملة التي تتصل بالتهذيب ، وترتبط بالاخلاق ...



ـ ويكفيه تشنيعاً وتقبيحاً أن من يعتاده **يكتب عند الله من الكاذبين :** روى الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ... اياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي الى الفجور ، وان الفجور يهدي الى النار ، ومايزال العبد يكذب ، ويتحرى الكذب ، حتى يكتب عند الله كذاباً » .

ـ ويكفيه تشنيعاً وتقبيحاً أن عدَّه عليه الصلاة والسلام **خيانة كبيرة :** روى أبو داود عن سفيان بن أسيد الحضرمي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كبرتْ خيانة أن تُحدّث أخاك حديثاً هو لك مُصدّق ، وأنت له به كاذب » .

فإذا كان هذا شأن الكذب والكذابين فما على المربين الا أن يُنفِّروا أبناءهم منه ، وينهوهم عنه ، ويحذروهم عواقبه ، ويكشفوا لهم عن مضاره وأخطاره .. حتى لايقعوا في حبائله ، ويتعثروا في أوحاله ، وينزلقوا في متاهاته ..

واذا كانت التربية الفاضلة في نظر المربين تعتمد على **القدوة الصالحة ..** فجدير بكل مربّ مسؤول ألا يكذب على أطفاله بحجة إسكاتهم من بكاء ، أو ترغيبهم في أمر ، أو تسكينهم من غضب .. فإنهم إن فعلوا ذلك يكونون قد عوّدوهم عن طريق الإيحاء والمحاكاة والقدوة السيئة على أقبح العادات ، وأرذل الأخلاق ألا وهي رذيلة الكذب .. عدا عن أنهم يفقدون الثقة بأقواله، ويضعف جانب التأثير بنصائحه ومواعظه ..

لهذا كله نرى المربي الاول ، والمرشد الكامل محمداً صلوات الله وسلامه عليه قد حذر الأولياء والمربين من الكذب أمام أطفالهم ولو بقصد الإلهاء أو الترغيب أو الممازحة حتى لاتكتب عليهم عند الله كَذْبة .. روى

أبو داود والبيهقي عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال : دعتني أمي يوماً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد في بيتنا ، فقالت : ها تعال أعطك ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماأردت أن تعطيه ؟ قالت : أردت أن أعطيه تمراً ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما إنك لو لم تُعطيه شيئاً كُتبتْ عليك كَذْبة » .

وروى أحمد وابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال لصبيّ هاك[1] ، ثم لم يعطه فهي كَذْبة » ..

ومن طرائف ما يروى في تعويد السلف أولادهم على الصدق ومعاهدتهم عليه هذه القصة : يقول العالم الرباني الشيخ عبد القادر الكيلاني رحمه الله : « بنيْتُ أمري ــ من حين ما نشأت ــ على الصدق ، وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم ، فأعطتني أمي أربعين ديناراً أستعين بها على النفقة ، وعاهدتني على الصدق ، فلما وصلنا أرض همدان خرج علينا جماعة من اللصوص . فأخذوا القافلة ، فمرّ واحد منهم وقال لي : مامعك ؟ قلت : أربعون ديناراً ، فظن أني أهزأ به فتركني ، فرآني رجل آخر ، فقال : مامعك؟ فأخبرته بما معي ، فأخذني الى كبيرهم ، فسألني فأخبرته ، فقال : ما حملك على الصدق ؟ قلت : عاهدتني أمي على الصدق ، فأخاف أن أخون عهدها !!. فأخذت الخشية رئيس اللصوص ، فصاح ومزق ثيابه ، وقال : أنت تخاف أن تخون عهد أمك ، وأنا لاأخاف أن أخون عهد الله ؟!!.. ثم أمر بردّ ماأخذوه من القافلة ، وقال : أناتائب لله على يديك ، فقال من معه : أنت كبيرنا في قطع الطريق ، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة ، فتابوا جميعاً ببركة الصدق .



(١) هاك : اي اقبل وخذ شيئاً .

اما ظاهرة السرقة فهي لاتقل خطراً عن ظاهرة الكذب ، وهي متفشية في البيئات المتخلّفة التي لم تتخلق بأخلاق الاسلام ، ولم تترب على مبادىء التربية والإيمان ..

ومن المعلوم بداهة أن الطفل منذ نشأته إن لم ينشأ على مراقبة الله والخشية منه ، وان لم يتعود على الامانة وأداء الحقوق .. فإن الولد ــ لاشك ــ سيدرج على الغش والسرقة والخيانة ، وأكل الاموال بغير حق ؛ بل يكون شقياً مجرماً يستجير منه المجتمع ، ويستعيذ من سوء فعاله الناس ..

لهذا كان لزاماً على الآباء والمربين أن يغرسوا في نفوس أبنائهم عقيدة المراقبة لله ، والخشية منه ؛ وأن يعرفوهم بالنتائج الوخيمة التي تنجم عن السرقة وتستفحل بسبب الغش والخيانة ؛ وأن يبصروهم بماذا أعد الله للمجرمين المنحرفين من مصير فاضح ، وعذاب أليم يوم القيامة ...

ومن المؤسف المؤلم أن كثيراً من الأمهات والآباء لم يراقبوا أولادهم مراقبة تامة فيما يرونه معهم من أمتعة وأشياء ونقود .. فبمجرد أن يدعي الأولاد أنهم التقطوها من الشارع ، أو أهداها لهم أحد الرفقاء .. صدّقوهم، وأخذوا بأقوالهم الكاذبة، دون أن يكلفوا أنفسهم مهمة التدقيق والتحقيق!!.. ومن الطبيعي أن يبرّر الولد لسرقته مثل هذه الادعاءات الباطلة مخافة الاتهام والفضيحة ، ومن الطبيعي أن يتمادى الولد في الإجرام حين لم يجد من مربيه البحث الدقيق ، والاهتمام البالغ ..

والاقبح من ذلك أن يجد الولد من أحد أبويه من يدفعه الى السرقة ، ويشجّعه عليها .. فإن الولد ــ ولا شك ــ سيكون عريقاً في الإجرام ، متمادياً في الانحراف واللصوصية ..

وهل يُرجى لأطفال كمال اذا ارتضعوا ثُدي" الناقصات

(حكمت احدى المحاكم الشرعية على سارق بعقوبة القطع ، فلما جاء وقت التنفيذ ، قال لهم بأعلى صوته : قبل أن تقطعوا يدي اقطعوا لسان أمي .. فقد سرقت أول مرة في حياتي بيضة من جيراننا فلم تؤنبني ، ولم تطلب الي" ارجاعها الى الجيران ، بل زغردت وقالت : الحمد لله ، لقد أصبح ابني رجلا ، فلولا لسان أمي الذي زغرد للجريمة لما كنت في المجتمع سارقاً)[1] .

وإليكم ـ يا معشر الآباء والأمهات ـ **بعض النماذج في استقامة ابناء السلف الصالح ،** وفي حرصهم على أداء الحقوق ، والتزامهم خلق الأمانة ،ومراقبتهم لله عز وجل في المتقلب والمثوى ، والسر والعلانية .

ـ أصدر عمر رضي الله عنه قانوناً يمنع غش اللبن يخلط بالماء .. ولكن هل تستطيع عين القانون أن ترى كل مخالف ، وأن تقبض على كل خائن وغاش" ؟.

القانون أعجز من هذا .. الايمان بالله والمراقبة له هو الذي يعمل عمله في هذا المجال ..

وهنا تحكي القصة المشهورة حكاية الأم وابنتها : الأم تريدأن تخلط اللبن طمعاً في زيادة الربح ، والبنت المؤمنة تذكرها بمنع أمير المؤمنين .

وترد" الابنة بالجواب المفحم : إن كان أمير المؤمنين لايرانا ، فرب أمير المؤمنين يرانا !!..

---

(١) من كتاب اخلاقنا الاجتماعية للسباعي رحمه الله ص ٦٢ ١.

ـ وقال عبد الله بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مكة •• فانحدر بنا راعٍ من الجبل ، فقال له عمر ممتحناً : ياراعي بعني شاة من هذه الغنم ، فقال : اني مملوك •

فقال عمر : قل لسيدك أكلها الذئب •

فقال الراعي : فأين الله ؟

فبكى عمر رضي الله عنه ثم غدا مع المملوك ، فاشتراه من مولاه وأعتقه، وقال له : أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة ، وأرجو أن تعتقك في الآخرة •



اما ظاهرة السباب والشتائم فإنها من أقبح الظواهر المتفشية في محيط الاولاد، والمنتشرة في البيئات المتخلّفة عن هــدي القرآن، وتربية الاسلام ••

والسبب في ذلك يعود الى أمرين أساسيين :

الأول ـ القدوة السيئة :

فالولد حينما يسمع من أبويــه كلمــات الفحش والسباب ، وألفاظ الشتيمة والمنكر •• فإن الولد ـ لاشك ـ سيحاكي كلماتها ، ويتعود ترداد ألفاظها ••

فلا يصدر منه في النهاية الا كلام فاحش ، ولا يتلفّظ الا بمنكر القول وزوره •

الثاني ـ الخلطة الفاسدة :

فالولد الذي يُلقى للشارع ، ويترك لقرناء السوء ، ورفقاء الفساد •• فمن البديهي أن يتلقن منهم لغة اللعن والسباب والشتيمة •• ومن الطبيعي أن يكتسب منهم أحط الألفاظ ، وأقبح العادات والأخلاق ، وينشأ على أسوأ مايكون من التربية الفاسدة ، والخلق الاثيم •

لهذا كله وجب على الآباء والأمهات والمربين جميعاً •• أن يعطوا للأولاد **القدوة الصالحة** في حسن الخطاب ، وتهذيب اللسان ، وجمال اللفظ والتعبير •• كما يجب عليهم أن يجنبوهم **لعب الشارع ، وصحبة الأشرار ، وقرناء السوء** حتى لايتأثروا من انحرافهم ، ويكتسبوا من عاداتهم ، ويجب عليهم كذلك أن يبصروهم مغبّة آفات اللسان ، ونتيجة البذاءة في تحطيم الشخصية ، وسقوط المهابة ، وإثارة البغضاء والأحقاد بين أفراد المجتمع •

وأخيراً وجب على المربين أيضا أن **يلقنوا اولادهم** الأحاديث التي تحذّر من السباب والشتائم ، والتي تبيّن ما أعد الله للفحّاشين واللعّانين من اثم كبير ، وعذاب أليم •• عسى أن ينزجروا بها ، ويتأثروا بتوجيهاتها ومواعظها ••

وإليكم بعض الأحاديث النبوية التي تنهى عن السباب ، وتحذر من الشتائم :

ـ « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر » البخاري ومسلم وغيرهما •

ـ « ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل يارسول الله كيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : يسبّ الرجل أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » البخاري وأحمد •

ـ « ان العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لايلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم » البخاري •

ـ « وهل يكبّ الناس في النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم » أصحاب السنن وأحمد •

ـ « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعّان ولا الفاحش ولا البذيء » رواه الترمذي •

فما أجمل الولد حين يتلفظ الألفاظ الجميلة ، والكلمات الحلوة الطريفة، وما أحسنه حين يؤدب على المنطق الرصين ، والتعبير الظريف !!.. وماأكرمه حينما يستهجن ما يسمعه من لغة اللعن والسبّ والبذاءة !!.. فلاشك أنه يكون ريحانة في البيت ، وشامة في الناس .

وإليكم نموذجاً يبين ماكان عليه أولاد السلف من أدب الكلام ، وحسن الخطاب ، وجمال القول ، لتعلموا — أيها الآباء — كيف كان الاولاد في الماضي يتحدثون ويتكلمون :

قَحَطَتِ البادية في أيام هشام بن عبد الملك ، فقدمت القبائل الى هشام ، ودخلوا عليه ، وفيهم **((درواس بن حبيب)) ، وعمره أربع عشرة سنة ،** فأحجم القوم ، وهابوا هشاماً ، ووقعت عين هشام على « درواس » فاستصغره ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحد أن يصل اليّ الا وصل ، حتى الصبيان ؟!. فعلم « درواس » أنه يريده ، فقال ياأمير المؤمنين : ان دخولي لم يُخلّ بك شيئاً ولقد شرّفني ، وان هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه ، وان الكلام نشر ، والسكوت طيّ ، ولايُعرف الكلام الا بنشره ، فقال هشام : فانشر لا أبا لك !!.. وأعجبه كلامه ، فقال ياأمير المؤمنين: أصابتنا ثلاث سنين : فسنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة نقّت العظم ؛ وفي أيديكم فضول أموال : ان كانت لله ففرقوها على عباد الله المستحقين لها .

وان كانت لعباد الله فعلامَ تحبسونها عنهم ؟

وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فإن الله يجزي المتصدقين ، ولايضيع أجر المحسنين .

واعلم يا أمير المؤمنين : أن الوالي من الرعية كالروح من الجسد ، لاحياة للجسد الا به .

فقال هشام : ماترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً ، وأمر أن يقسم في باديته مائة ألف درهم . وأمر لدرواس بمائة ألف درهم .

فقال ياأمير المؤمنين : ارددها الى أعطية أهل باديتي فإني أكره أن يعجز ما أمر لهم به أمير المؤمنين عن كفايتهم ، فقال : فما لك من حاجة تذكرها لنفسك ؟ قال : مالي من حاجة دون عامة المسلمين !.



اما ظاهرة الميوعة والانحلال فهي من أقبح الظواهر التي تفشت بين أولاد المسلمين وبناتهم في هذا العصر الذي يُلَقّب بالقرن العشرين ، فحيثما أجلت النظر تجد كثيراً من المراهقين والشباب والمراهقات والشابات .. قد انساقوا وراء التقليد الأعمى ، وانخرطوا في تيار الفساد والإباحية دون رادع من دين أو وازع من ضمير .. كأن الحياة في تصورهم عبارة عن متعة زائلة وشهوة هابطة ولذة محرمة .. فإذا مافاتهم هذا فعلى الدنيا السلام !! ..

وقد ظن بعض ذوي العقول الفارغة أن آية النهوض بالرقص الماجن ، وعلامة التقدم بالاختلاط الشائن ، ومقياس التجديد بالتقليد الأعمى ، فهؤلاء قد انهزموا من نفوسهم ، وانهزموا من ذوات شخصياتهم وإرادتهم قبل أن ينهزموا في ميادين الكفاح والجهاد ..

فترى الواحد من هؤلاء ليس له هم في الحياة الا أن يتخنفس في مظهره ، وأن يتخلّع في مشيته ، وأن يتميّع في منطقه ، وأن يبحث عن ساقطة مثله ليذبح رجولته عند قدمها ، ويقتل شخصيته في التودد اليها .. وهكذا يسير من فساد الى فساد ، ومن ميوعة الى ميوعة .. حتى يقع في نهاية المطاف في الهاوية التي فيها دماره وهلاكه .

ورحم الله من قال :

كـــل مـــن أهمـــل ذاتيّتـــه فهو أولى الناس طرّاً بالفناء
لن يرى في الدهر شخصيّتّه كل من قلّـــد عيش الغرباء

ولاشك أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه قد **وضع للآباء والأولياء والمربين جميعاً المنهج العملي ، والمبادىء الصحيحة في تربية الولد على الخلق القويم ، والشخصية الاسلامية المتميزة ..**

وإليكم اهم بنود هذا المنهج ، واميز هاتيك المبادىء

١ ــ التحذير من التشبه والتقليد الأعمى :

ــ روى البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خالفوا المشركين : حفّـــوا الشارب ، واعفوا عـــن اللحى » ، وفي روايـــة لمسلم « جزّوا الشارب ، وارخوا اللحى ، وخالفوا المجوس » .

ــ وروى الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام : « ليس منا من تشبّه بغيرنا ، لاتشبهوا باليهود ولا بالنصارى » .

ــ وفي رواية لأبي داود : « من تشبه بقوم فهو منهم » .

وروى الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام : « لايكن أحدكم امّعَةً يقول : أنا مع الناس ، ان أحسن الناس أحسنت ، وان أساءوا أسأت ، ولكن وطنّوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا أن تجتنبوا إساءتهـــم » .

وعليك ــ أيها القارىء ــ أن تميز بين أمرين فيما نأخذ من عند الاجانب وفيمـــا ندع :

الاول ــ الجــواز . وذلك استمداد العلم المفيد ، والحضارة النافعة كعلم الطب ، والهندسة ، والفيزياء ، والكيمياء ، ووسائل الحرب ، وحقائق المادة ، وأسرار الذرة ... وغيرها من الحضارات والعلوم النافعة لكونها تدخل في مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ؛ وفي مضمون قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذي والعسكري والقضاعي : « الحكمة ضالة كل حكيم ، فإذا وجدها فهو أحق بها » ، وفي عموم قوله تبارك وتعالى :

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. » .

(سورة الأنفال : ٦١)

الثاني ــ التحريم : وذلك في تقليد السلوك ، والأخلاق ، والعادات ، والتقاليد ، وجميع المظاهر الاجنبية عنا ، والأوضاع المنافية لخصائص أمتنا ، ومقومات أخلاقنا .. لكونها تؤدي الى فقدان الذات ، وذوبان الشخصية ، وهزيمــة الروح والارادة ، ونكسة الفضيلة والاخلاق ..

٢ ــ النهي عن الاستغراق في التنعم :

ــ في الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب الــى المسلمين المقيمين في بلاد فارس : « إيّاكم والتنعم وزيّ أهل الشرك » .

ــ وفي رواية للامام أحمــد : « ذروا التنعم وزيّ أهل العجم » .

ــ وروى الامام أحمد وأبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنــه مرفوعاً : « اياكم والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين » .

والمقصود بالتنعم هو الاستغراق الزائد في الملاذ والطيبات ، والتقلب الدائم في النعيم والترف .. ولايخفى ما في هذه الظاهرة من إخلاد للراحة ،

وتقاعس عن واجب الدعوة والجهاد ، وانزلاق في متاهات الميوعة والانحلال، وسبب لتفشي الاسقام والأمراض ..

٣ ــ النهي عن الاستماع الى الموسيقى والغناء الخليع :

ــ روى الإمام أحمد بن حنبل ، وأحمد بن منيع ، والحارث ابن أبي أسامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله عز وجل بعثني رحمة وهدى للعالمين ، وأمرني أن أمحق المزامير ، والمعازف ، والخمور ، والأوثان التي تعبد في الجاهلية » .

ــ وروى البخاري وأحمد وابن ماجه وغيرهم أنه صلى الله عليه وسلم قال : « ليكونَنّ في أمتي أقوام يستحلون الحِرَ[1] ، والحرير ، والخمر ، والمعازف » .

ــ وروى ابن عساكر في تاريخه ، وابن صَصْري في أماليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « مَنْ قعد الى قَيْنَة يستمع منها صبّ الله في أذنيه الآنك[2] يوم القيامة » .

ــ وروى الترمذي عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من استمع الى صوت غناء لم يؤذن له أن يستمع الى صوت الروحانيين في الجنة » .

ولايخفى على كل ذي عقل وبصيرة مافي الاستماع الى هذه المحرمات من أثر على أخلاق الولد ، ومن جرّه الى الترهل والفجور والمنكر ، ومن انزلاقه في متاهات الشهوات والملذات !!..

---

(١) الحِرَ : الفرج ، والمراد به استحلال الزنا .
(٢) الآنك : الرصاص المذاب .

ولابد في المناسبة ان نذكر **كلمة عن حكم الاسلام في اقتناء الجهاز التلفزيوني،** ليكون الآباء على بينة وهدى من أمرهم ، وعلى علم في أمر حِلّه أو تحريمه:

« مما لاشك فيه أن اختراع هذه الوسائل الاعلامية من مذياع ، وتلفزيون ، وآلة تسجيل .. وغيرها تعد من أرقى ماوصل اليه العقل البشري في العصر الحديث ، بل من أعظم ماأنتجته الحضارة المادية في الوقت الحاضر ؛ وانها سلاح ذو حدين : تستعمل للخير ، وتستعمل للشر ، ولايختلف اثنان أن هذه الاختراعات المذكورة ان استخدمت في الخير ، ونشر العلم ، وتثبيت العقيدة الاسلامية ، وتدعيم الاخلاق الفاضلة ، وربط الجيل الحاضر بأمجاده وتاريخه ، وتوجيه الأمة الى مايصلحها في أمور دينها ودنياها .. فلا يختلف اثنان في جواز اقتنائها واستعمالها ، والاستفادة منها ، والاستماع اليها .. أما اذا استعملت لترسيخ الفساد والانحراف، ونشر الميوعة والانحلال، وتحويل الجيل الحاضر الى طريق غير الاسلام .. فلايشك عاقل منصف يؤمن بالله واليوم الآخر بحرمة استعمالها ، واثم اقتنائها ، ووزر من يستمع اليها .

ونحن لو تتبعنا برامج التلفزيون في بلادنا .. نجد أن أكثر هذه البرامج ترمي الى هدر الشرف ، وتوجه نحو الخنا والزنى ، وتشجع على السفور والاختلاط والإباحية ، والمفاسد الاجتماعية .. وقليل من برامجه مايهدف الى العلم ، ويوجه الى الخير .. واذا كان الأمر كذلك فان اقتناء التلفزيون ، والنظر اليه ، والاستماع الى برامجه الحالية ، يعد من أكبر الحرام ، وأعظم الإثم .

وإليكم الدليل على ذلك :

أ ـ أجمع العلماء والأئمة المجتهدون في كل العصور على أن مقاصد التشريع الاسلامي خمسة : حفظ الدين ، وحفظ العقل ، وحفظ النسب ،

وحفظ النفس ، وحفظ المال ، وقالوا : ان كل ماجاء في الشريعة الاسلامية من آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ترمي الى حفظ هذه الكليّات الخمس ، وباعتبار أن أكثر برامج التلفزيون الحالية من أغان ماجنة ، وتمثيليات خليعة، ودعايات مثيرة ، وأفلام فاسدة .. تستهدف هدر الشرف ، وضياع العرض ، والتشجيع على الزنى والفحشاء. فانه من المؤكد أن يحرّم الشرع النظر اليها ، والاستماع لها **لحفظ النسب والعرض** ، وبالتالي أن يُحرّم اقتناء الجهاز باعتبار أنه وسيلة الى النظر والسماع .

ب ـ روى مالك وابن ماجه والدارقطني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاضرر ولاضرار » ، وباعتبار أن التلفزيون ، يوجه في برامجه الى الميوعة والانحلال ، ويثير في المجتمع كوامن الغريزة والشهوة ـ كما هو مشاهد ـ فانه يحرم على المسلم أن يشتريه ، ويدخله بيته ، حفاظا على عقيدة الاسرة وأخلاقها وصحتها وقطعا لدابر الأضرار التي تنجم عنه ، وتطبيقا لحديث « لاضرر ولا ضرار ».

ح ـ إنّ أكثر البرامج الترفيهية التي تعرض على شاشة التلفزيون مصحوبة بالمعازف ، والغناء الخليع ، والرقص المصحوب بالخلاعة والتكشف. وباعتبار أن هذه الأمور محرمة ـ كما سبق بيانها ـ فيتبين من أدلة ماذكرنا أن اقتناء التلفزيون محرم لما يصحب البرامج الترفيهية من معازف وموسيقى، وغناء ماجن متميع ، ورقصات فاجرة داعرة ، وبالتالي كان النظر لهذه البرامج محرما كذلك لما لها من خطر كبير في تقويض دعائم التربية والأخلاق .. »[1].

---

(١) من نشرة صدرت باسم العلماء في «حكم الاسلام في اقتناء التلفزيون».
ومن اراد التوسع في هذا فليرجع الى كتابنا « حكم الاسلام في وسائل الاعلام » فإنّ فيه ما يشفي الغليل إن شاء الله .

٤ ـ النهى عن التخنث والتشبه بالنساء :

ـ فى الصحيحين عن سعيد بن المسيب قال : قدم معاوية المدينة ، فخطبنا ، وأخرج كبّة[1] من شعر فقال : ما كنت أرى أن أحداً يفعله الا اليهود ، انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه فسماه الزّور . وفى لفظ آخر لمسلم : ان معاوية رضى الله عنه قال ذات يوم : « انكم قد أحدثتم زى سوء ، وان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الزور » .

ـ وروى البخارى وأبو داود والترمذى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله المخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء » . وفى لفظ عند أحمد وأبى داود وابن ماجه : « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء » .

ـ وروى أبو داود باسناد حسن عن على رضى الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريرا فجعله فى يمينه وذهباً فجعله فى شماله ثم قال : « ان هذين حرام على ذكور أمتى » .

وروى الترمذى عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حرّم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتى ، وأحل لاناثهم » .

فوضع الشعر المستعار ، ولبس الذهب والحرير للرجال ، وتشبه النساء بالرجال ، وتشبه الرجال بالنساء ، وخروج النساء كاسيات عاريات .. كل ذلك من مظاهر التخنث والميوعة ؛ وكل ذلك قتل للرجولة ، وامتهان للشخصية ، وطعنة نجلاء للفضيلة والأخلاق ، بل جرّ للأمة الى انحلال

---

(١) كبة : هى الشعر المكفوف بعضه على بعض ، وهو الشعر المستعار الذى يضعه بعض الرجال والنساء على رؤوسهم ، وهو ما يسمى « بالبروكة » اليوم .

فاجر ، واباحية ممقوتة ، ودفع بالمراهقين والشباب نحو الفســاد والميوعة ، ومساوىء الأخلاق ..

٥ ــ النهى عن السفور والتبرج والاختلاط والنظر الى المحرمات :

ــ قال الله تعالى فى سورة الأحزاب :

((يا أيهــا النبى قل لأزواجك وبناتك ونســاء المؤمنين يدنين عليهن مــن جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيماً)) .

وقال فى سورة النور :

((قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهــم ، ان الله خبير بما يصنعون ؛ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصــارهن ويحفظــن فروجهن ولا يبــدين زينتهــن الا ما ظهر منهــا ، وليضربن بخمرهن (١) على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن ..)) .

ولكن هل المرأة مأمورة شرعاً بستر وجهها ؟

● **فلنستمع أولا : الى ما قاله علماء التفسير من الصحابة والسلف فى تفسير قوله تعالى :**

((يا أيهــا النبى قل لأزواجك وبناتك ونســاء المؤمنين يدنين عليهن مــن جلابيبهن)) ..

ــ يروى ابن جرير الطبرى عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله : [أمر الله نساء المؤمنين اذا خرجن من بيوتهن فى حاجة أن يغطين وجوههن من فوق الجلابيب ويبدين عيناً واحدة] .

ــ ويروى ابن جرير عن ابن سيرين قوله : [سألت عبيدة بن الحارث الحضرمى عن قوله تعــالى : ((**يدنين عليهن من جلابيبهن**)) .. قال : « فقال بثوبه (أى مثل بثوبه) ، فغطى رأســه ووجهــه ، وأبرز ثوبه عن احدى عينيه] » .

ــ ويقول العلامة « أبو جرير الطبرى » فى تفسير هــذه الآية :

---

(١) الخمار : هو ما يستر الرأس والنحر والعنق .

« يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن .. » . الآية :

[لا تتشبهن بالاماء فى لباسهن اذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن ، فكشفن شعورهن ووجوههن ، ولكن يدنين عليهن من جلابيبهن لئلا يعرض فاسق اذا علم أنهن حرائر بأذى من قول] .

ــ ويكتب العلامة « أبو بكر الجصاص » فيقول : [فى هذه الآية دلالة على أن المرأة الشابة مأمورة بستر وجهها عن الأجنبين ، واظهار الستر والعفاف عند الخروج لئلا يطمع أهل الريب (الفساق) فيهن] .

ــ ويكتب القاضى « البيضاوى » فى تفسيره لقوله تعالى : **« ... يدنين عليهن من جلابيبهن .. »** [أى يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن اذا برزن لحاجة] .

ــ وعن العلامة « النيسابورى » فى تفسير هذه الآية :

« يدنين عليهن من جلابيبهن » ..

[كانت النساء فى أول الاسلام على عادتهن فى الجاهلية مبتذلات يبرزن فى درع وخمار من غير فصل بين الحرة والأمة ، فأمرن بلبس الأردية ، وستر الرأس والوجوه] .

يتضح من هذه الأقوال أن الصحابة رضوان الله عليهم ، وجميعهم أهل التفسير والعلم متفقون على أن المرأة المسلمة مأمورة بمقتضى آية : **« يدنين عليهن من جلابيبهن » ..** بارتداء الجلباب وستر وجهها عن الأجانب .

● ولنستمع ثانياً : الى ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن نساء الصحابة فى مسألة ستر المرأة المسلمة وجهها :

ــ جاء فى سنن أبى داود والترمذى والموطأ للامام مالك .. أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر المحرمة فى الحج أن لا تنتقب ولا تلبس القفازين ،

يروى أبو داود : « ونهى النبى صلى الله عليه وسلم النساء فى احرامهن عن القفازين والنقاب [1] » .

وهذا صريح الدلالة على أن النساء فى عهد النبوة قد تعودت الانتقاب (الذى هوستر الوجه) ، ولبس القفازين عامة ، فنهين عنه فى الاحرام ؛ وهذا ليس على اطلاقه كما دلت عليه الأحاديث التى ستأتى ذكرها الآن .

ــ ففى سنن أبى داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : [كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محرمات ، فاذا جازوا بنا سَدلَت احدانا (أى غطت) جلبابها من رأسها على وجهها ، فاذا جاوزونا كشفناه] .

ــ وفى الموطأ للامام مالك ، عن فاطمة بنت المنذر قالت : [كنا نخمر وجوهنا (أى نغطيها) ونحن محرمات ، ونحن مع أسماء بنت أبى بكر الصديق ، فلا تنكره علينا] .

ــ وقد ورد فى فتح البارى عن عائشة رضى الله عنها : [تسدل المرأة جلبابها من فوق رأسها على وجهها] .

ــ وثبت فى الصحاح أن امرأة مسلمة كانت تقضى بعض شؤونها فى سوق بنى قينقاع وكانت محجبة ، فاعترضها رجل من اليهود وسخر منها ومن حجابها ، ثم أراد منها اللعين أن يجبرها على كشف وجهها ، ولكنها رفضت واستغاثت ، فكر على اليهودى رجل من المسلمين فقتله جزاء ما اقترفت يداه الآثمتان !!.

يتضح من هذه الأحاديث الصحيحة أن نساء الرسول صلى الله عليه وسلم ونساء الصحابة .. كن يسترن وجوههن اذا خرجن فى بعض حوائجهن ولو كن محرمات .. اعتقاداً منهن أن الستر واجب أمر به الشرع الحنيف .

---

(١) النقاب : ستر الوجه ، القفازان : ستر اليدين بالكفوف .

● **ولنستمع ثالثاً : الى ما قاله الأئمة المجتهدون الثقات فى قضية كشف وجه المرأة :**

ذهب جمهـــور الأئمـة المجتهـدين الأعـلام ، وعلى رأســهم : **الشافعى ، وأحمد ، ومالك ..** الى أن وجه المـرأة عورة ، وأن ستره واجب ، وأن كشفه حرام ، وحجتهم فى ذلك ما ثبت عن الصحابة والسلف فى أن الآية : « **يدنين عليهن من جلابيبهن** » .. تأمر بستر الوجه ، ويؤكد ذلك فعل نساء الصحابة اللواتى كن يخرجن لبعض شؤونهن وهن ساترات الوجـوه ، سادلات النقـاب ، وتفسير الصحابة والتابعين الآية : « **يدنين عليهن من جلابيبهن** » .. التى سبق شرحها وتفسيرها .

وقد جاء ذكر ذلك بالأدلة التفصيلية القاطعة .

أما فقهاء الحنفية ومن رأى رأيهم فقد ذهبوا الى أن وجه المرأة ليس بعوره ،

وأن كشفه يجوز اذا لم يترتب على الكشف فتنة ، وأما اذا ترتب فتنـة فان كشفه حرام سداً للذريعة ، ودرعاً للمفسدة .

ولعل أظهر الأدلة التى احتجوا بها على دعم مذهبهم هى :

ـ حديث الفضل بن عباس الذى كان رديف النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، وقد مرَّ بجانبه نساء مُحرِمات ، فطفق الفضل ينظر اليهن ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل ، فحوّل الفضل وجهه الى الشق الآخر ..

والحديث صحيح رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه .. ووجه استدلالهم: لو أن وجه المرأة عورة لما كشف النساء وجوههن ، ولما نظر الفضل ، اليهن ..

ـ وحديث أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما : حدثنـا الوليـد عن سعيد بن بشير عن قتادة عن خالد بن دريك عن عائشـة رضى الله عنهـا أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها وقال : « يا أسماء : ان المـرأة اذا بلغت المحيض (أى سـن

البلوغ) لم يصلح أن يرى منها الا هذا وهذا » وأشار عليه الصلاة والسلام الى وجهه وكفيه •

ولكن جمهور الفقهاء أجابوا على الحديثين المذكورين بما يلى :

أولا : ان حديث « الفضل بن عباس » ليس فيه دليل على جواز كشف الوجه للمرأة أمام الأجنبى ، لأن النساء اللواتى نظر الفضل اليهن كن محرمات فى الحج ، ويجوز للمرأة المحرمة كشف وجهها ما لم يترتب على كشف وجهها فتنة ، لأن احرام المرأة كشف وجهها ويديها للحديث الذى سبق ذكره : « لا تنتقب المرأة ، ولا تلبس القفازين » ومفاد الحديث أنها فى حال غير الاحرام تنتقب ، وتلبس القفازين •

ثانياً : انحديث أسماء الذى استدلوا به على جواز كشف الوجه مرسل ؛ ومعنى الارسال : انقطاع السند •

يقول « ابن كثير » فى تفسيره جـ ٣ ص : (٢٨٣) : [قال أبو داود وأبو حاتم الرازى هو (أى حديث أسماء) مرسل ؛ خالد بن دريك لم يسمع من عائشة رضى الله عنهما] •

وكثير من أهل العلم يحكمون على الحديث المرسل بالضعف ، واذا كان الحديث ضعيفاً لم ينهض حجة على الاستدلال ، ولم يعتبر بحال فى استنباط الأحكام •

ويتضح مما قاله الأئمة المجتهدون أن وجه المرأة عورة ، وأن ستره واجب، وأن كشفه حرام ، حتى فقهاء الحنفية الذين ذهبوا الى جواز الكشف فانهم قيدوه بأمن الفتنة ••

وهل أحد من الناس ينكر اشاعة الفساد والفتنة فى المجتمع الذى تتخبط فيه ، وفى المحيط الذى تتعايش معه ؟ ، فاذا كان الأمر كذلك فعلى الأب الغيور أن يأمر أهله وبناته بأن يسدلن على وجوههن امتثالا لأمر الله سبحانه

وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام .. وتأسيا بنساء الصحابة الصينات الطهارات ، واتباعاً لما قرره الأئمة المجتهدون الثقات .. والمسلم ــ أيها المربى ــ عليه أن يحتاط لدينه وعرضه ، وأن يأخذ دائماً بجانب الأتقى والأورع .. ان أراد أن يكون يوم القيامة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

أما ورد فى النهى عن التبرج واظهار محاسن المرأة فهو ما يلى :

ــ روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات [1] مميلات ، رؤوسهن كأسنمة [2] البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » .

ــ قال تعالى :

« وقَرْنَ فى بيوتكن ولا تبرجْن تبرج الجاهلية الأولى ... »

(الأحزاب : ٣٣)

ــ وقال سبحانه :

« والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جُناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم » .

(سورة النور : ٥٩)

أما ما ثبت فى النهى عن الاختلاط بين الجنسين فهو ما يلى :

---

(١) مائلات : أى مميلات فى مشيتهن ، ومميلات لقلوب الرجال باثارتهن وخلاعتهن .

(٢) المراد أنهن يصففن الشعور فوق الراس حتى تبدو كأنها سنام الجمل.

قال الله تعالى :

« قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ... وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ... »

(سورة النور : ٣٠)

فكيف تتصور غض البصر لكل من الرجل والمرأة وهما مجتمعان ، مكان واحد ، فالآية اذن فى مدلولها تنهى عن الاختلاط وتحرمه .

ــ وقال أيضاً فى آية أخرى :

« واذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن » .

(سورة الأحزاب : ٥٣)

ــ وروى الترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يخلُوَنَّ رجل وامرأة الا كان الشيطان ثالثهما » .

ــ وجاء فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اياكم والدخول على النساء ، فقال رجل يارسول الله : أفرأيت الحمو (أى قريب الزوج) ؟ قال : الحمو الموت » .

ــ وجاء فى الصحيحين أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يخلُوَنَّ أحدكم بامرأة الا مع ذى محرم » .

أما ما ورد فى تحريم النظر الى المرأة الأجنبية فهو ما يلى :

ــ قال تعالى فى سورة النور :

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ... » .

ــ وقال فى سورة الاسراء :

« ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا » .

وروى مسلم عن جرير رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفَجْأة فقال : « اصرف بصرك » .

ـ وروى أبو داود والترمذي عن أم سلمة رضي عنها قالت : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنـده ميمونة ، فأقبل ابن أم مكتـوم ، وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « احتجبا منه ، فقلنا : يارسول الله أليس هو أعمى : لايبصرنا ، ولايعرفنا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أفعمياوان أنتما ، ألستما تبصرانه !؟»

ـ وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنـه أن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم قال : « اياكم والجلوس في الطرقـات ! » قالوا يارسول الله مالنا من مجالسنا بُدّ : نتحدث فيها ، فقال رسول الله صلى اللـه عليه وسلم : « فإذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقـه » ، قالوا : وما حـقّ الطريق يارسول الله ؟ قال « غضّ البصر ، وكف الاذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر » .

فمن المعلوم بداهة أن المجتمعات الانسانية بأسرها ، والأمم البشرية برمتها .. بشيبها وشبابها ، ورجالها ونسائها ، وحكامها ومحكوميها .. حينما تأخذ بهذه المبادىء الخالدة ، وتسير على هذه المفاهيم القيمة ، وتبتعد عن كل ما يؤذي الفضيلة والأخـلاق من سفور ، وتبرج ، واختلاط ، ونظـر الى المحرمات .. فلا شك أن هذه المجتمعات والأمم ترفل في رياض الطهر والفضيلة ، وترتع في ظلال الامن والاستقرار ، وتصل الى ذروة المجـد والسعادة .. لأنها سارت في الطريق الذي خطه الله لها ، وطبقت المنهج الذي فرضه الاسلام عليها ، وصدق الله العظيم القائل :

« وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عـن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

(سورة الأنعام : ١٥٣)

وهذا ماتحقق لأمتنا الاسلامية في كـل العصور التاريخية عبـر

القرون •• وما ذاك الا بفضل التعاليم القرآنية التي أنزلها الله لتكون للعالمين بشيراً ونذيراً وللأجيال المتعاقبة هدىً ونوراً ••

وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

« إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجراً كبيراً » •

(سورة الاسراء : ٩)



تلكم — أيها الآباء والمربون — **اهم القواعد التربوية ، والمناهج العملية** التي وضعها الاسلام لسلامة أخلاق الولد ، وتنمية شخصيته المتميزة ، وتعويده على الجدّية والرجولة ومكارم الأخلاق •• فما عليكم الا أن تربوا أبناءكم عليها ، وتأخذوا بتوجيهاتها وارشاداتها •• **حتى ينشؤوا على الفضائل** الخلقية ، والمكارم الذاتية ، والآداب الاجتماعية •• ويكونوا شامة في الناس. وهل هناك مبادىء تربوية في تربية شخصية الولد ، وإعداده لمسؤوليات الحياة مثل هذه المبادىء التي وضعها الاسلام ، وشرعها الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

ومن الذي يقول إنّ الإغراق في التنعم ، والتقلب في الرفاهية لايضر بشخصية الولد ؟

ومن الذي يقول إنّ الاسترسال وراء الشهوات والملذات لا يضر بشخصية الولد ؟

ومن الذي يقول إنّ الاستماع الى الأغاني الخليعة ، والموسيقى الراقصة المثيرة لايضر بشخصية الولد ؟

ومن الذي يقول إنّ ظاهرة السفور والتبرج والاختلاط لاتضر بشخصية الـولـد ؟

ومن الذي يقول إنّ التخنث والتشبه بالنساء ، والتميع بالكلام لايضر بشخصية الولـد ؟

ان رجالات التربية ، وعلماء النفس والاخلاق كادوا يكونون مجمعين على أن هذه الظواهر من أفتـك الأوبئـة في إضعـاف الذاكرة ، وتحطيـم الشخصية ، وتمييع الخلق ، وقتل الرجولة ، ونشر الأمراض ، والقضـاء على فضيلة الشرف والعفاف ..

ـ يقول الدكتور « ألكس كارليل » في كتابه «الانسان ذلك المجهول»: (عندما تتحرك الغريزة الجنسية لدى الانسان تفرز نوعاً من المادة التـي تتسرب بالدم الى دماغه وتخدّره ، فلا يعود قادراً على التفكير الصافي) .

ـ وذكر « جورج بالوشي » في كتابه « الثورة الجنسية » مايلي : (وفي سنة ١٩٦٢ صرح « كنيدي » بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع منحلّ غارق في الشهوات لايقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وان من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجـد ستـة غير صالحين ، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية) .

ـ ونقلت جريدة الاحد اللبنانية في العدد ذي الرقم (٦٥٠) عن المربية الاجتماعية «مرغريت سميث» حديثاً قالت فيه : (ان الطالبة في المدرسة والجامعة لا تفكر إلا بعواطفها والوسائل التي تتجاوب مع هـذه العاطفة . ان أكثر من ستين بالمئة من الطالبات سقطن في الامتحانات ، وتعود أسباب الفشل الى أنهن يفكرن في الجنس أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن ...) .

فما على المسؤولين من آباء ومربين ! الا أن يبعدوا أولادهم عن كل مظاهر التميع والانحلال ، وأن يسعوا جهدهم لكـي يغرسـوا في نفوسهم أنبل معاني الكرامة والشخصية والخلق العظيم !!..



وأخيـراً علينـا ألاّ نغفـل **دور المراقبة الدقيقة والمسؤولية الكبيرة** في تقويم أخلاق الولد ، واصلاح نفسه ، وتنمية شخصيته .. "

ولو أردنا أن نفتش عن الأسباب التي تؤدي الى انحلال الولد خلقياً ، وانحرافه سلوكياً لوجدناها متحققة في إغفال مراقبة الآباء لأبنائهم ، والتخلي عن تربيتهم وتوجيههم ..

وإليكم بعض الأسباب في انحراف الولد الخلقي، وانحلاله السلوكي :

● فالأب الذي يرخي لأولاده العنان في أن يخالطوا من قرناء السوء ، ورفقاء الشر ماشاءوا وما أرادوا دونما سؤال ولا رقيب ، فلا شك أن الاولاد سيتأثـرون بمخالطتهم ، ويكتسبون الكثير مـن انحرافاتهم ، وسـوء أخـلاقـهم ..

● والأب الذي يسمح لأولاده أن يشاهدوا الافلام الغرامية التـي توجه الى الميوعة والانحلال ، والافلام البوليسية التي تحض على الانحراف والاجرام ، وهي بتأثيرها تفسد الكبار فضلا عن الصغار .. لاشك أن هذا الأب يقذف بأولاده ـ من حيث يشعر أو لايشعر ـ الى هاوية سحيقة ستؤدي بهم حتماً الى هلاك محقق ، ودمار محتوم .

● والأب الذي يترك المجال لأولاده ليروا من شاشة التلفزيون المناظر

المثيرة ، والتمثيليات الماجنة ، والدعايات الفاجرة .. لاشك أن الاولاد سيتربون على الميوعة ، ويدرجون على الانحلال ، ويفقدون في نفوسهم أنبل معاني الرجولة والنخوة ، والأدب الإسلامي الكريم .

● والأب الذي يسمح لأولاده بشراء المجلات الماجنة ، ومطالعة القصص الغرامية ، واقتناء الصور العارية .. لاشك أن الاولاد سيسيرون في طريق الفحشاء والمنكر ، ويتلقنون دروس الصداقات المشبوهة ، والارتباطات الجنسية الآثمة ..

● والأب الذي يتساهل في حجاب أهله وبناته ، ويتغاضى عن سفورهن وتبرجهن ، ويتغافل عن مصاحبتهن ومخالطتهن ، ويفسح لهن المجال في أن يخرجن بالأزياء المغرية ، والعورات المكشوفة .. لاشك في أن هؤلاء البنات سيعتدن حياة الفجور والمنكر ، ويقعن في حبائل الغواية والفسوق .. وربما آل الأمر في نهاية المطاف الى انتهاك العرض ، وتلويث الشرف ، وهدر العفاف .. وعندئذ لاينفع الندم ولا البكاء .

أتبكي على لبنى وأنت قتلتَها

لقد ذهبت لُبْنى فما أنت صانع ؟

● والأب الذي لايراقب أولاده وبناته وقت ذهابهم الى المدرسة أو رجوعهم منها ، فلا شك أن الاولاد يجدون من الإهمال مايدفعهم الى ارتياد الأماكن الموبوءة بحجة المدرسة ، وكم سمعنا عن بنات وقعن في حبائل الفاحشة والزنى ، وأصبحن مدنسات السمعة والشرف ، والأسرة لم تعلم بهذا الا بعد الافتضاح ، وظهور معالم الجريمة ؟!..

● والأب الذي لايلقي نظرة الى مكتبة أولاده ، ولايرقبهم وهم مكبّون

على مكاتب الاجتهاد .. فلا شك أن الأولاد إن كانوا سائرين في طريق الانحراف سيجدون أنفسهم مسوقين الى أن يقتنوا من الصور العارية ما شاءوا ، وأن يقرؤوا من المجلات الماجنة ما أرادوا ، وأن يسطروا من الرسائل لعشيقاتهم ماأحبوا .. دونما سؤال من رقيب ، أو محاسبة من وليّ !!..

فلا شك أن الأولاد ــ وهم على هذه الحالة ــ سيسيرون تدريجياً في طريق الميوعة والانحلال دونما وازع من دين ، أو محاسبة من ضمير .. فيصعب عندئذ ردّهم واصلاحهم ومعالجتهم !!..



ومن المبادىء الخلقية التي يجب على الآباء والمربين أن يهتموا لها ، ويحرصوا عليها، وينشّؤوا أبناءهم على التحقق بها والتزامها **هي تعويدهم على حسن الخلق ، وحسن الملاطفة والمعاملة للآخرين .**

واليكم ــ أيها الآباء والأولياء ــ جملة من أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه توجه الى أفضل المكارم ، وأحسن الأخلاق ، وأقوم المعاملة :

ــ أخرج الإمام أحمد ، والحاكم ، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ــ وأخرج ابن مردويه بسند حسن أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حسن الخلق ، فتلا قوله تعالى :

« خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : « هو أن تصل من قطعك ، وتُعْطي من حرمك ، وتعفو عمن ظَلمَك » .

ـ وأخرج أبو داود والترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أثقل مايوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق » .

ـ وأخرج الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني فقال : « اتق الله حيثما كنت ، قال : زدني ، قال : أتبعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها ، قال : زدني ، قال : خالقِ الناسَ بخلُق حسن » .

ـ وأخرج أبو داود والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنُهم خلقاً » .

ـ وأخرج محمد بن نصر المروزي أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه ، فقال : يارسول الله ماالدين ؟ قال : « حسن الخلق » ، فأتاه من قبل يمينه ، فقال يارسول الله ماالدين ؟ قال : « حسن الخلق » ، ثم أتاه من قبل شماله ، فقال : ماالدين ؟ فقال : « حسن الخلق » ، ثم أتاه من ورائه فقال : يارسول الله ما الدين ؟ فالتفت اليه وقال : « أما تفقه ؟ هو أن لاتغضب » .

هذا فيض من فيض مما وجه اليه رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه في الملاطفة الاجتماعية ، والآداب السلوكية ، وحسن التعامل والخلق ..

فما على الآباء والمربين الا أن يتحققوا بها ، ويقيموا أنفسهم عليها ، ليعطوا القدوة الحسنة ، والأسوة الطيبة لكل من يلوذ بهم من أهل وولد ؛ ثم عليهم بالتالي أن يلقنوا أولادهم هذه الآداب السلوكية ، والملاطفة الاجتماعية .. حتى يعفوا عمن ظلمهم ، ويصلوا من قطعهم ، ويعطوا من

حرمهم ، ويحسنوا الى من أساء اليهم ، وحتى يكونوا كذلك شامة في الناس، وملائكة يمشون على الأرض •• وما ذاك الا تنفيذ قول الله تبارك وتعالى :

« خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » •

(سورة الأعراف : ١٩٩)

وقولـه :

« ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذيبينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » •

(سورة فصلت : ٣٥)

وقولـه :

« والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » •

(سورة آل عمران : ١٣٥)

وان شاء الله في بحثنا عن مسؤولية التربية النفسية ، والتربيةالاجتماعية فسنفصل القول في الفضائل النفسية والخلقية التي يجب أن يتحلى بها الولد ، وسيجد القارىء مايشفي الغليل ، ويروي الظمأ ••

فيا ايها الآباء والاولياء والمربون :

بعد الذي علمتموه من اهتمام الرسول صلوات الله عليه وسلامه من الناحية الخلقية في تربية أولادكم •

وبعد الذي عرفتموه من أن الاخلاق ثمرة من ثمرات الايمان الراسخ في تقويم اعوجاج أبنائكم •

وبعد الذي قرأتموه من الظواهر القبيحة التي يجب أن يبتعد عنها أفلاذ أكبادكم •

وبعد الذي سمعتموه من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم في حسن الخلق ، وطيب المعاملة .

بعد كل هذا .. فليس أمامكم من سبيل الا أن تعقدوا العزم وتشحذوا الهمة .. لتقوموا بواجبكم الأكمل تجاه من لهم عليكم حق التربية والتعليم والرعاية ..

واعلموا أنكم إن قصرتم في حق أولادكم وتلامذتكم **من الناحية الخلقية،**

فإن مَنْ لهم عليكم حق التربية سينشؤن ـ لاشك ـ على الميوعة والانحلال. ويتربون على الفساد وسوء الخلق .. وعندئذ يصبحون خطراً على الامن والاستقرار ، ويكونون أداة هدم وتخريب لكيان المجتمع .. بل أبناء المجتمع يستجيرون من أعمالهم الإجرامية ، ومفاسدهم الخلقية والاجتماعية ..

فراقبوا الله في أولادكم، وأدوا ماعليكم من واجب، وابذلوا مااستطعتم من جهد ، واضطلعوا بما حمّلتم من مسؤولية ؛ فإن أديتم الامانة على الوجه الصحيح فسوف ترون أولادكم رياحين في البيت لها عبق وأريج ، وبدوراً في المجتمع لها نور وضياء ، وملائكة على الأرض يمشون هادين مطمئنين .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .



الفصل الثالث

٣ ـ مَسْؤليّة التربيَة الجِسْميَّة

ومن المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الاسلام على المربين من آباء وأمهات ومعلمين ... مسؤولية التربية الجسمية ، لينشأ الأولاد على خير ماينشؤون عليه من قوة الجسم ، وسلامة البدن ، ومظاهر الصحة والحيوية والنشاط ..

وإليكم ـ أيها المربون ـ المنهج العملي الذي رسمه الاسلام في تربية الأولاد الجسمية ، لتعلموا ضخامة الأمانة الملقاة على عاتقكم ، ومعالم هذه المسؤولية التي أوجبها الله عليكم :

١ ـ وجوب النفقة على الأهل والولد :

لقوله تبارك وتعالى :

« وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف » .

(سورة البقرة : ٢٣٣)

ولقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم : « دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة[1] ، ودينار تصدقت به على

---

(١) في رقبة : اي في اعتاق عبد او امة .

مسكين، ودينار أنفقته على أهلك ... أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك».

واذا كان للأب الأجر والمثوبة في التوسعة على الأهل ، والإنفاق على العيال .. فإن عليه بالتالي الوزر والاثم اذا أمسك عن الانفاق ، وقتّر على الاهل والاولاد وهو مستطيع ؛ اسمعوا الى مايقوله عليه الصلاة والسلام في حق المضيّعين لعيالهم ، والمُمسكين عن نفقة أهلهم وأولادهم ، وذلك في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره : « كفى بالمرء اثماً أن يضيّع من يقوت » ، وفي رواية لمسلم : « كفى بالمرء اثماً أن يحبس عمّن يملك قوته » .

ومن النفقة على العيال تهيئة الأب لأهله وعياله الغذاء الصالح ،والمسكن الصالح ، والكساء الصالح .. حتى لاتتعرض أجسامهم للأسقام ، وتنهك أبدانهم الأوبئة والامراض .

٢ ـ اتباع القواعد الصحية في المأكل والمشرب والنوم :

لتصبح لدى الاولاد عادة وخلقا .

فمن هديه عليه الصلاة والسلام في **الطعام** الاحتماء من التخمة ، والنهي عن الزيادة في الأكل والشرب على قدر الحاجة .. روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ماملأ آدمي وعاءً شرّاً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لابد فاعلاً ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » .

ومن هديه صلوات الله وسلامه عليه **في الشراب :** الشرب مثنى وثلاث ، والنهي عن التنفس في الإناء ، والشراب قائماً ..

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : « لاتشربوا واحداً كشرب البعير ، ولكن اشربوا مثنى وثلاث ، وسمّوا اذا أنتم شربتم ، واحمدوا اذا أنتم رفعتم » .

وفي الصحيحين عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم : « نهى أن يتنفّس في الإناء » . وفي رواية للترمذي : « نهى أن يتنفس في الاناء أو ينفخ فيه » .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لايشربنّ أحدكم قائماً ، فمن نسي فليستقىء » .

ومن هديه صلى الله عليه وسلم **في النوم** ، النوم على الجانب الأيمن، لأن النوم على الجانب الأيسر يضـر بالقلب ، ويعيـق التنفس .. روى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثـم اضطجع على شقك الأيمن ، وقل : « اللهم أسلمت نفسي اليك ، ووجهت وجهي اليك ، وفوضتُ أمري اليك ، وألجأت ظهري اليك ، رغبة ورهبة اليك ، لاملجأ ولامنجا إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت ؛ واجعلهن آخر ماتقول » .

٣ ـ التحرز من الأمراض السارية المعدية :

للأحاديث التالية :

ـ روى مسلم وابن ماجه وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم ، فأرسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم : ارجع فقد بايعناك .

ـ وروى البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فرّ من المجذوم فرارك من الأسد » .

ـ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لايوردنّ ممرِض على مُصحٍّ » .

لذا كان لزاماً على المربين ـ ولاسيما الأمهات ـ اذا أصيب أحد أولادهم بمرض مُعْدٍ أن يعزلوه عن بقية الاولاد ، حتى لاينتشر المرض ، ويستفحل الوباء .. فما أعظم هذا الهدي النبوي في تربية الاجسام ،والحفاظ على صحة الابدان !!..

٤ ـ معالجة المرض بالتداوي :

لما للتداوي من أثر كبير في دفع البلاء ، وتحقيق الشفاء ..

ولقد جاء الأمر بالتداوي في أحاديث كثيرة ، نجتزىء منها مايلي :

ـ روى مسلم وأحمد وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لكل داء دواء ، فإذا أصاب الدواء الداء برأ باذ ن الله عز وجل » .

ـ وفي مسند الإمام أحمد ، وفي النسائي ، وغيرهما عن أسامة بن شريك قال : « كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاءت الأعراب ، فقالوا : يارسول الله أنتداوى ؟ فقال : نعم ياعباد الله تداووا ، فإن الله عز وجل لم يضع داء الاوضع له شفاء ، غير داء واحد ، قالوا : ماهو ؟ قال : الهرم » .

ـ وروى الامام أحمد والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله

عنه قال : « قلت : يارسول الله ، أرأيت رقىً نسترقيها ، ودواء نتداوى به ، وتقاةً نتقيها هل تردّ من قدر الله شيئاً ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : هي من قَدَرِ الله » .

فما على الآباء والمربين الا أن يأخذوا بتوجيهات النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الاهتمام بأولادهم حين يصابون ، وبمعالجتهم حين يمرضون.. لأن الأخذ بالاسباب والمسببات من مقتضيات الفطرة ، ومن صميم مبادىء الاسلام !!..

٥ ـ تطبيق مبدأ لا ضرر ولا ضرار :

لما روى مالك ، وابن ماجه ، والدارقطني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاضرر ولاضرار » .

فهذا الحديث الشريف عدّه الفقهاء والأصوليون قاعدة شرعية من أهم القواعد التي قررها الاسلام ، وينبني عليها أمور كثيرة في الحفاظ على كيان الفرد والمجتمع ، وفي دفع الضرر عن الناس ..

وبناء على هذه القاعدة وجب على المربين ولاسيما الأمهات أن يرشدوا أولادهم الى التقيد بالتعاليم الصحية ، والوسائل الوقائية في الحفاظ على صحة الولد ، وتنمية قوته الجسدية .. وعليهم كذلك أن يستعينوا بالمختصين فيما يجب اتخاذه لوقاية الجسم من الآفات المرضية ، والأمراض السارية ..

ـ فإذا كان أكل الفواكه فجّة تؤذي الجسم ، وتسبب المرض .. فعلى المربين أن يرشدوا الاولاد الى أن يعتادوا أكل الفواكه ناضجة .

ـ واذا كان أكل الخضار والثمار قبل غسلها يؤدي الى آفات مرضية..

فعلى المربين أن يرشدوا الاولاد الى أن يعتادوا أكل الخضار والثمار بعـد غسـلها .

ـ واذا كان ادخال الطعام على الطعام يسبب أمراضاً في المعـدة وفي جهاز التنفس وجهاز الهضم .. فعلى المربين أن يرشدوا الأولاد إلى أن يعتادوا الطعام في أوقات مخصوصة .

ـ واذا كان تناول الطعام باليدين قبل غسلهما يؤدي الى انتشـار المرض ، فعلى المربين أن يرشدوا الأولاد الى تطبيق هدي الاسلام في غسل اليدين قبل الطعام وبعده ..

ـ واذا كا نالنفخ في الإناء وفي الملعقة يؤدي الى أضرار جسمية ، فعلى المربين أن يمنعوا أولادهم عن هذه العادة المؤذية ..

وهكذا ، حينما يأخذ المربون بمثل هذه التعليمات الطبية ، ويعوّدوا أولادهم على التقيد بهذه الارشادات الصحية .. فلا شك أن الأولاد ينشؤون على الصحة الكاملة ، ويترعرعون على سلامة الجسم ، وقـوة البدن ، وظاهرة الحيوية والنشاط !!..

٦ ـ تعويد الولد على ممارسة الرياضة وألعاب الفروسية :

تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. » .

(سورة الانفال : ٦٠)

وتنفيذاً لأمره عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم : « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف .. » .

ومن أجل هذا دعا الاسلام الى **تعليم السباحة والرمي وركوب الخيل** ، وذلك في التوجيهات النبوية التالية :

ـ رواه الطبراني بإسناد جيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو الا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين (للرمي) ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة » .

ـ وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلا قوله تعالى : « وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة » ثم قال : « ألا ان القوة الرمي ، ألا ان القوة الرمي ، ألا ان القوة الرمي » .

ـ وروى البزار والطبراني بإسناد جيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عليكم بالرمي فانه من خير لهوكم » .

ـ وروى البخاري في صحيحهأ ن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمر على أصحابه في حلقات الرمي ، فيشجعهم ويقول لهم : « ارموا وأنا معكم كلكم » .

ـ وجاء في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده الشريف ، وأذن لزوجه عائشة رضي الله عنها أن تنظر اليهم ، وهو يقول لهم : « دونكم يابني أرْفِدَةَ[1] ... » وبينما هم يلعبون عند النبي صلى الله عليه وسلم بحرابهم دخل عمر فأهوى الى

(١) ارفده : كنية ينادى بها ابناء الحبشة عند العرب .

الحصباء فحصبهم بها ، فقال عليه الصلاة والسلام : « دعهم ياعمر »[1] .

ـ وروى أصحاب السنن والإمام أحمد عنه عليه الصلاة والسلام : « لاسَبَق (أي لارهان) الا في خُفّ أو حافر أو نصل (أي سهام) » لما لهذا الرهان[2] من أثر كبير في اعداد وسيلة الحرب والجهاد .

٧ ـ تعويد الولد على التقشف وعدم الاغراق في التنعم :

ليقوم في سن الرشد والبلوغ بواجب الجهاد ، والدعوة الى الله على أحسن وجه ، وأنبل معنى ..

ولقد جاءت الدعوة الى التقشف ، والتربية على حياة الخشونة في أكثر من حديث :

ـ روى الإمام أحمد وأبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً : « اياكم والتنعّم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين » .

ـ وروى الطبراني وابن شاهين وأبو نعيم عن القعقاع بن أبي حدرد مرفوعاً « تمعدَدُوا ، واخشوشنوا ، وانتضلوا »[3] .

---

(١) وإنها لسماحة كريمة من رسول الاسلام أن يقر مثل هذا التدريب في مسجده الشريف ، ليبين لكل ذيعينين انالمسجد فيالاسلام يجمع بينالعبادة، والاعداد للجهاد ، ويحقق تربية الفرد ومصلحة الاسلام ..

(٢) الرهان المباح هو ما كان بذله منغير المتسابقين او من احدهما فقط؛ أما اذا كان الرهان من المتسابقين فهو يدخل في القمار المحرم ، وصورته : ان يقول احد المتسابقين للآخر : إن سبقتني اعطيتك كذا من مال أو جائزة ، وان سبقتك تعطيني كذا من مال أو جائزة .. فهذه الصورة محرمة .

(٣) تمعددوا : انتسبوا الى جدكم معد بن عدنان في خشونة العيش والفصاحة .
اخشوشنوا : تربوا على حياة الخشونة والتقشف .
انتضلوا : ارموا بالسهام للاعداد والتعويد .

ويكفي الرسول صلوات الله وسلامه عليه قدوة وأسوة في تقلّبه في حياة الخشونة والتقشف •• في المطعم ، في الملبس ، في المسكن •• لتتأسى الاجيال المسلمة به ، وتمشي على هديه وسنته • حتى تكون دائماً في حال تهيؤ واستعداد واستنفار •• لكل مايعترضها من أحداث ، وماينزل في ساحتها من نوازل ••

ومن الملاحظ أن أمة الاسلام حينما تتقلب في النعيم ، وتسترسل في الملاذ والطيبات ، وتنام على الديباج والحرير ، وتغريها الحضارة المادية ببريقها ومظاهرها •• فسرعان ماتنهار ، وتستسلم لضربات الاعداء ، وسرعان ماتخمد في نفوس شبابها روح المصابرة والمرابطة والجهاد في سبيل الله •• وماسقوط الاندلس في التاريخ عن الأذهان ببعيد !!••

٨ ـ تعويد الولد على حياة الجد والرجولة والابتعاد عن التراخي والميوعة والانحلال :

وذلك للارشادات النبوية التالية :

ـ روى مسلم في صحيحه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « احرص على ماينفعك واستعن بالله ولاتعجز •• » •

ـ وروى الطبراني بإسناد جيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو الا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين (أي الرمي) ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة » •

ـ وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولايشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » ،

وزاد النسائي في روايته : « فإذا فعل ذلك فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ».

ــ وروى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات .. رؤوسهن كأسنمة البُخْت[1] المائلة ، لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها ، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

فهذا غيض من فيض مما وجه اليه رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه : وهي ــ كما رأيت ــ توجيهات قيمة تدعو الى حياة الجد والرجولة ، وتحذر من الميوعة والانحلال .. ومن المعلوم بداهة أن الولد اذا نشأ على الميوعة والانحلال ، وتربى على الفجور والمنكر ، ودرج على الهزل وعدم الاكتراث .. فان شخصيته تتحطم ، ونفسيته تتعقد ، وجسمه يتعرض لأخطر الأسقام والأمراض ..

لهذا كله كان لزاما على المربين ــ ولاسيما الأمهات ــ أن يتعهدوا أولادهم منذ الصغر ، وأن يغرسوا في نفوسهم أنبل معاني الرجولة والخشونة والإباء والشمم والخلُق العظيم ...

وعليهم كذلك أن يبعدوهم عن كل مايحطم الرجولة والشخصية ، ويقتل الفضيلة والاخلاق ، ويوهن العقل والجسد .. فإن في ذلك ــ ولا شك ــ سلامة لتفكيرهم ، وقوة لأبدانهم ، وحفظاً لأخلاقهم ، وسمواً لأرواحهم ، وحافزاً قوياً لتحقيق آمالهم وأمانيهم ..

تلكم هي ــ أيها المربون ــ أهم الأسس التي رسمها الاسلام في تربية الاولاد الجسمية ..

---

(١) البخت : الابل الخراسانية .

فإن أعرتموها اهتمامكم ، وأوليتموها عنايتكم تمتع الجيل الذي تقومون على توجيهه وتربيته بالقوة والصحة والحيوية والنشاط ، وتكونون بالتالي قد قمتم بأداء الأمانة الملقاة على عاتقكم ، وحققتم المسؤولية التي أوجبها الله عليكم ، ولقيتم الله سبحانه يوم القيامة بوجه أبيض في مجمع من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .



وهناك ظواهر خطيرة نلمحها في محيط الصغار والكبار ، والمراهقين والشباب ، وجب على المربين — ولاسيما الآباء — أن ينتبهوا لها ، ويدركوا أضرارها وأخطارها ، ويكشفوا لمن لهم عليهم حق التربية عن شرورها وآفاتها .. حتى لايقعوا في حبائلها ، ويكتووا بنارها ، ويتيهوا في منعطفاتها ودروبها ..

وفي تقديري أن هذه الظواهر المتفشية في الصغار والمراهقين والشباب تتركز في الأمور التالية :

١ — ظاهرة التدخين
٢ — ظاهرة العادة السرية
٣ — ظاهرة المسكرات والمخدرات
٤ — ظاهرة الزنى واللواط

وسأتكلم — بعون الله — عن كل ظاهرة من هذه الظواهر الأربع بشيء من البيان والتفصيل :

١ — ظاهرة التدخين :

من المشاهد في واقعنا الاجتماعي الأليم أن ظاهرة التدخين هي أكثر انتشاراً ، وأوسع تناولا من أية ظاهرة أخرى ؛ فحيثما قلّب الانسان النظر

يجد هذه العادة الذميمة متفشية في ربوع المجتمع على اختلاف المستويات ، وفي كافة الطبقات صغاراً وكباراً ، رجالا ونساء ، شيباً وشباناً ، ولم يَنْجُ منها الا مَنْ غلّب الإرادة على الهوى ، والعقل على العاطفة ، والمصلحة على المفسدة •• وقليل ماهم •

ولكي نوفي هذه الظاهرة حقها ، ونحيط بها من جميع جوانبها يحسن التكلم عنها في أمور ثلاثة :

١ ــ الأضرار التي تنجم عنها •
٣ ــ حكم الشرع فيها •
٣ ــ كيف نعالجها ؟•

اما فيما يتعلق بالاضرار التي تنجم عنهــا فيمكن أن نحدد الضرر بشيئين هــامين :

الأول ــ الضرر الصحي والنفسي :

فقد ثبت بشكل قاطع جازم لايحتمل الشك أن الدخان ــ كما قــرر أطباء الصحة ــ يورث السل ، وسرطان الرئة ، ويضعف الذاكرة ، ويقلــل الشهية ، ويسبب اصفرار الوجه والأسنان ، ويعيق التنفس ، ويهيج الأعصاب، ويحدث انحطاطاً عاماً في الجسم ، ويسيّء الخلق ، ويحلّــل الإرادة ، ويعوّد على الكسل والاسترخاء ••

وإليكم تقارير الأطباء المختصين في اضرار الدخان وتاثيره على الصحة :

ــ ذكرت مجلة « الشبيكل » الألمانية : (أنه اجتمع عشرة من العلماء الأمريكيين المختصين في مركز البحوث في مدينة « بيثيزدا » الواقعة في ولاية (ماري لاند) الأمريكية ، وبحثوا تأثير الدخان على الصحة الفردية فأجمعوا على الاضرار التالية :

١ ــ نسبة الوفيات بين المدخنين الذكور تزيد (٦٨) بالمئة عنها من بين غير المدخـــنين .

٢ ــ نسبة الوفيات في صفوف المدخنين من الأمراض التالية بالمقـــارنة مع غير المدخنين : سرطان الرئة (١٠ر٨) ضعفاً ؛ التهابات الاغشية المخاطية ، ومجاري التنفس ، وتورّم وانتفاخ هذه المجاري (٦ر١) ضعفاً ؛ سرطان الحنجرة (٥ر٤) ضعفاً ؛ سرطان تجويف الفم (٤ر١) ضعفا ؛ سرطـــان المري (٣ر٤) ضعفاً ؛ أمراض المعدة (٢ر٤) ضعفاً ؛ أمراض دورية أخرى (٢ر٦) ضعفاً ؛ وأمراض الدسامات القلبية (١ر٧) ضعفاً .

٣ ــ وهـــذا يعني أن احتمال الإصابة بمرض الضفائر ، والدسّامات القلبية (وهو يؤدي في الولايات المتحدة غالباً الى الموت) يزيد بمقدار (٧٠) بالمئة فيصفوف مدخني السجاير عـــن غير المدخنين ، والتهابات الأغشية المخاطية ، والمجاري التنفسية بمقدار (٥٠٠) بالمئة ؛ أما السرطان الرئـــوي وهو أكثر أنواع السرطان انتشاراً فتزيد نسبة احتمال الإصابة بين المدخنين (١٠٠٠) بالمئة عن غير المدخنين ...) اهـ[١] .

ــ وأصدرت الجمعية السورية لمكافحة السل نشرة تضمنت مايلي : (ان سنوات عديدة من البحث العلمي أثبتت الوقائع التالية : عندما يدخن شخص ما سيجارة فانه يبتلع الدخان ويحتفظ الجسم بـ (٨٠ الى ٩٠) في المئة منه ، كما يحتفظ ببقايا احتراق التبغ الذي هو القطران الذي يتجمـــع في الطرق التنفسية ، والقطران هو نوع من عدة مركبات كيماوية يستطيـــع بعضها احداث السرطان ، بينما بقية العناصر الأخرى تحدث التخريش أيضاً ، وتجعل الرئة موطناً صالحاًلفتك عصيّات السلوالجراثيم المرضة الفتاكة ...

---

(١) أخـــذاً عن مجـــلة الحضـــارة ، السنة الثانية عشرة العدد : ٣ ــ ٤ ، ص ١٥٨ .

المدخنون أشد تعرضاً للاصابة بالسل والسرطان من الذين لايدخنون، وبالتالي فان عادة التدخين تسيء الى الآفات الرئوية المزمنة : كالتهابات القصبات ، وانتفاخ الرئة والربو والسل •• ، ان التدخين يهيـيء لأمـراض القلب ، فالنيكوتين يزيد ضربات القلب ، ويصيب الأوعية الدموية ؛ فكثير من المدخنين يدفعون الثمن غالياً بتقويض حياتهم ، فإياك والتدخين ، ولابد من الإقلاع عنه لكي تحفظ صحتك)[1] اهـ •

الى غير ذلك من هذه الأضرار البالغة ، والأمراض الخطيرة التـي تنجم عن التدخين ••

الثاني ـ الضرر المالي :

من المؤكد أن صاحب الدخل المحدود ينفق على الدخان يومياً ربـع دخله أو يزيد ، ولايخفى مافي ذلك من اضاعة للمال ، وخراب للبيوت ، وشتات للأسر •• ذلك لأن المدمن يقتطع من قوت نفسه ، وقوت عياله في سبيل شرائه وتحصيله، وربماانحرفعن الطريق السويّ كالرشوة والسرقة•• لجلب ثمنه ، وتأمين وجوده ••

فهل هناك ضرر أضرّ علىالصحةوالأخلاقوالمجتمع من موبقةالتدخين•• ولكن ـ وياللاسف ـ أكثر الناس لايعلمون ؟!!••



أما فيما يتعلق بحكم الشرع في ظاهرة تناول الدخان فيتلخص بما يلي :

أ ـ من المجمع عليه عند أئمة الفقهاء والمجتهدين أن ما يؤدي الـى

---

(١) صفحة (١٥ ـ ١٦) مـن النشرة المذكورة التي هي بعنوان : «تعاونوا للقضاء على مرض السل » •

الضرر ، ويوقع في المهالك .. فاجتنابه واجب ، وفعله حرام للحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاضرر ولاضرار » ، ولعموم قوله تبارك وتعالى :

« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » .
(سورة البقرة : ١٩٥)

وقولـه :

« ولا تقتلوا انفسكم إن الله كان بكم رحيماً »
(سورة النساء : ٢٩)

وباعتبـار أن الدخان قـد ثبت ضرره جسمياً ، وتحقّق خطره صحيـاً ــ كما مر ــ فاجتنابه واجب ، وتناوله حرام .

ب ــ ومن المسلّم به عند أصحاب العقول الراجحة ، والأذواق السليمة أن الدخان يدخل في زمرة الخبائث لضرره على الجسم ، وتسببه الرائحـة الكريهة للفم ، والله سبحانه قد أحل للانسان الطيبات ، وحرم عليه الخبائث للحفاظ على جسمه ، وسلامة خلُقه وتفكيره ، وظهوره في المجتمـع بمظهـر محبّب جميل ... يقول الله سبحانه :

« ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب » .
(سورة النساء : ٢)

ويقول : « ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » .
(سورة الأعراف : ١٥٧)

ويقول :

« قل لا يستوي الخبيث والطيّب ولو أعجبك كثرة الخبيث » .
(سورة المائدة : ١٠٠)

ج ـ ثم ان الدخان بالتالي يخدر العقل ، ويفتّر الجسم ، وهذا أمر يشعر به المقدم على تناوله ، والمبتدىء بشربه ، والمتدرج بالاعتياد عليه ولاسيما اذا أفرط وأكثر .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مفتّر ، كما نهى عن كل مسكر ومخدّر ، وذلك في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه بسند صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : « نهى رسول الله صلى الله عليهوسلم عن كل مسكر ومفتّر » أي مخدّر .

فهذه النصوص بمنطوقها ومدلولها تؤكد **ان تناول الدخان حرام ،** واجتنابه واجب ، لضرره البالغ ، وخبثه الظاهر .. هذا عدا عن أن الدخان يسبب اضاعة المال في أضرار يعود أثرها على الفرد والأسرة والمجتمع ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اضاعة المال ـ كما جاء في صحيح البخاري ـ .

والذين قالوا بإباحة الدخان أو كراهته من الفقهاء في الماضي ، قد يكون لهم بعض العذر لكون الطب لم يكشف عن أضراره بعد ، مستندين على قاعدة أصل الأشياء الإباحة ؛ أما بعد أن كشف الطب عن أضراره الجسمية والنفسية ، وأبان المختصون عن خطره البالغ في الفرد والمجتمع فلا مجال للتردد بحرمته أو إباحته ،**بل الحرمة بتناوله ظاهرة ، والاثم بالاعتياد عليه متحقق** والله أعلم .



اما معالجة هذه الظاهرة فتعود بالدرجة الأولى على الدولة ، وذلك بشن حملة إعلامية واسعة النطاق ، في الصحف والمجلات ، في الإذاعة وعلى شاشة التلفزيون ، في كل مكان .. تحذر من الدخان ، وتكشف لأبناء هذه الأمة وشبابها بشكل مستمر دائم عن ضرره البالغ ، وخطره الكبير ، مستعينة بأهل

الخبرة والاختصاص ، ورجال الفكر وأصحاب الأقلام • وعلى الدولة كذلك أن تزيد من ضرائبه ، وترفع من أسعاره ، وتمنعه منعاً باتاً في الأماكن العامة وازدحام الناس ••

وهذه الاجراءات كخطوة مرحلية لمنعه في المستقبل نهائياً كما يحدث الآن في الدول الكبرى كأمريكا وانكلترا وغيرها ••

ثم على الكبار المعتادين شرب الدخان أن يكون عندهم من المراقبة لله عز وجل والخشية منه ما يردعهم عن تناول المحرمات والتي منها الدخان ، وأن يكون عندهم كذلك من الإرادة والعزم والتصميم ما يقويهم على مغالبة النفس والهوى ، وأن يكون عندهم أيضا من العقل والحكمة ما يدفعهم على أن يسيروا في الطريق السوي الذي لا عوج فيه ولا التواء • ولاشك أن الانسان اذا تحلّى بالإيمان الذي يردع ، والارادة التي تسيطر ، والعقل الذي يوجه •• فإنه سيتصف ــ لا محالة ــ بالكمال ، ويرفل في الحياة الهانئة الطيبة ••

امـا الصغـار

الذين اعتادوا عادة التدخين الخبيثة بغفلة عن مراقبة أهليهم ومربيهم فإهمال أمرهم خطير ، وشرهم على المجتمع ــ إن تركوا ــ كبير ومستطير •

فما على الاباء والمربين •• الا أن يرقبوا أوضاع أولادهم ، ويتعرفوا على سلوكهم وتحركاتهم ، ويعالجوا انحرافهم ، حتى يردّوهم الى الجادّة ، ويصلوا بهم الى شاطىء السلامة •

ومما لايختلف فيه اثنان أن الولد منذ نعومة أظفاره اذا اعتاد التدخين، فإنه سيدرج شيئاً فشيئاً الى ما هو أعظم منه قباحة ، وأشنع فساداً وانحرافاً•• لكون الدخان بريد الرذيلة ، والطريق الى الفحشاء والمنكر •• ألا فليتذكّر أولو الألباب !!••



٢ ــ ظاهرة العادة السرية :

هذه الظاهرة متفشية ومنتشرة في أوساط المراهقين والشباب ، والعامل الرئيسي في انتشارها وتفشيها هو ما يلحظه أولئك من مظاهر الفتنة والإغراء في أزياء النساء ، ومشيتهن الخليعة ، وتبرجهن المثير ، في الشوارع ، وفي المنتزهات ، وفي كل مكان ..

هذا في محيط المجتمع العام ، أما مايرونه في التمثيليات والأفلام فهو أدهى وأمر .. فماذا يرون ؟ يرون كل ما يهيّج الغريزة ويسقط العفاف والشرف ، ويقتل النخوة والغيرة والحمية ..

أما ما يقرؤنه في الكتب والمجلات من القصص الغرامية ، والإثارات الجنسية .. فهو من أشد المؤثرات على صحة الشباب النفسية والعقلية والخلقية ..

فهذه المثيرات وحدها تكفي في تدرج الشاب والشابة في طريق الزنى والفحشاء ، والانزلاق في متاهات الفساد والرذيلة ..

والمراهق الشاب اذا لم يكن عنده من مراقبة الله ما يردعه ، والخشيةمنه ما يعصمه ، والحسبان للعواقب ما يزجره فإنه سيقع بين أمرين لاثالث لهما :

ــ إمّا أن يشبع غريزته الجنسية في الحرام .

ــ وإمّا أن يخفف من حدّتها بالعادة السرية .

وأخف الأمرين الضرر بالغ ومتحقق .. على الجسم والنسل والعقل والصحة النفسية ..

ولكي تكون الكتابة عن هذه الظاهرة شاملة يحسن التكلم عنها كذلك في أمور ثلاثة :

١ ــ الأضرار التي تنجم عنها •
٢ ــ حكم الشرع فيها •
٣ ــ كيف نعالجهـا ؟

اما الاضرار التي تنجم عنها فنحصرها في الأمور التالية :

ا ــ اضرار جسمية :

ثبت طبياً أن الذي يدمن على هذه العادة يقع في الأمراض التالية :

إنهـاك في القوى ، نحـول في الجسم ، ارتعاش بالأطراف ، خفقـان بالقلب ، ضعف بالبصر والذاكرة ، اخلال بالجهاز الهضمي ، اصابة الرئتين بالالتهابات التي تؤدي الى السل في أغلب الأحيان ، وأخيراً تؤثر على الدورة الدموية وتسبب فقر الدم •••

ب ــ اضرار جنسية :

من أهم هذه الاضرار **مرض العنـة ،** ومعناها عدم قدرة الشاب على الزواج ، ولا شك أن هذا المريض يتسبب عنه نفور المـرأة من الرجـل ، ولا يمكن والحال هذه أن تدوم الرابطة الزوجية لتعذر الاتصال •

ومن الأضرار **اشمئزاز كل جنس من الآخر** لاعتياد الرجل في اشبـاع الشهوة عن طريق هذه العادة الأثيمة ؛ ومعنى هذا أن المرأة لم تجد حصانتها بزواجها من هذا الرجل المريض •• وربما يؤدي الأمر في النهاية الى الفراق ، أو اتخـاذ المرأة الخلان سراً لإشباع غريزتها •

ج ــ اضرار نفسية وعقلية

قرر العلماء النفسانيون أن المدمن على هذه العادة يصاب بأمراض نفسية وعقلية خطيرة ، وهي مرتبة كما يلي :

الذهول والنسيان ، ضعف الإرادة ، ضعف الذاكرة ، الميل الى العزلة والانكماش ، الاتصاف بالاستحياء والخجل ، الاستشعار بالخوف والكسل، الظهور بمظهر الكآبة والحزن ، التفكير بارتكاب الجرائم والانتحار ... الى غير ذلك من هذه الأضرار التي تشل التفكير ، وتميع الارادة ، وتحطم الشخصية ، وقد أشبعها المختصون دراسة وبحثاً ..

اما حكم الشرع في مزاولتها فإنه الحرمة وارتكاب الاثم وذلك **للأدلة التالية :**

أ ـ يقول الله تعالى في سورة المؤمنين :

« والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون » .

فيدخل في عموم هذه الآية :

« فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون » .

كل تفريغ للشهوة عن غير طريق الزواج ، وملك اليمين كالزنى ، واللواط ، والاستمناء باليد ..

وقد ثبت عن عطاء ـ وهو من أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما ـ أنه قال : « سمعت قوماً يحشرون وأيديهم حبالى ، فأظنهم هؤلاء ـ أي الذين يستمنون بيدهم » ؛ وقال سعيد بن جبير ـ وهو من طبقة التابعين ـ : « عذّب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم » ، وورد كذلك : « سبعة لا ينظر اليهم .. عدّد منهم : الناكح يده »[1] ، فهذه النصوص بجملتها تدل على أن مزاولة هذه العادة حرام .

---

(١) هذه النصوص منقولة من كتاب «ردود على اباطيل» للعلامة المرحوم : الشيخ محمد الحامد ص ٤٠ .

ب ـ سبق أن ذكرنا في مبحث حكم الشرع في التدخين أن ما يؤدي الى الضرر ، ويوقع في المهالك .. فاجتنابه واجب، وفعله حرام لعموم الحديث الذي مر ذكره : « لاضرر ولا ضرار » ، ولعموم قوله تبارك وتعالى :

« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » .

وبما أن مزاولة العادة السرية يترتب عليها أضرار جسيمة وجنسية ونفسية وعقلية ..

فإنها محرمة لحديث « لا ضرر ولا ضرار » ، وللآية :

« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » .

سؤال وجيه :

اذا كان الاستنماء باليد حراماً ، فما رأي الشرع بإنسان تملكته شهوته، وتحكمت فيه غريزته ، وترجح لديه أنه سيقع في الزنى والفاحشة ؟.

لاشك أن الانسان حين يوازن بين المفاسد ، ويقارن بينها ، سيختار في النهاية ـ إنْ أصبح محرجاً ـ أخفها ضرراً ، وأهونها شراً أخذاً بالقاعدة الاصولية التي تقول : « يختار أخفّ الضررين ، وأهون الشرين » .

فمن المعلوم أن الاستمناء باليد شر ، ولكن الأشد شراً منه فاحشة الزنى واللواط لتهديمها الكيان العام ، وقتلها فضيلة الشرف والعفة .. عدا عماينجم عنها من اختلاط الأنساب ، وإراقة الدماء ، واثارة الضغائن والأحقاد .. اذن يختار في هذه الحالة الاستمناء على ارتكاب الفاحشة باعتبار أنه أخف الضررين وأهون الشرين .

لهذا قال الفقهاء : « ان الاستنماء باليد حرام اذا كان لجلب الشهوة واثارتها وهي هادئة ، أما اذا غلبت الشهوة بحيث شغلت البال ، وأقلقت الخاطر ، وأوقفت على باب الفاحشة ، وتعين الاستنماء طريقا لتسكينها فإن

الأمر جائز ومكافيء بعضه بعضاً ، وينجو صاحبه رأساً برأس أي لا أجر عليه ولا وزر ، فلا يثاب ولا يعاقب »[1] .



أما العلاج الناجع في استئصال هذه الظاهرة فيكون في الوسائل التالية :

١ ـ الزواج في سن مبكرة :

لكونه أنجع الوسائل في استئصال هذه العادة الفتاكة ، بل هو السبيل الطبيعي الوحيد لتصريف هذه الشحنة العارمة من الشهوة ، هذا عدا ماللزواج من فوائد خلقية واجتماعية وصحية ونفسية لا يتسع المجال لذكرها الآن[2].

٢ ـ صوم النفل :

واذا كانت هناك ظروف قاهرة تمنع من الزواج في سن مبكرة .. فالاسلام أرشد الذين لا يجدون نكاحاً أن يصوموا صيام النفل لما للصيام من تخفيف لغلواء الشهوة ، وكسر لحدّة الغريزة ، وتقوية لمعنى المراقبة لله، والخشية منه.. وقد جاء هذا الارشاد في الحديث النبوي الذي رواه الجماعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يا معشر الشباب : من استطاع منكم الباءة (تكاليف الزواج) فليتزوج فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء (أي قاطع للشهوة) » .

وما أكثر صيام النفل الذي حض الشرع على صيامه ، ونذكر منه على سبيل المثال : صيام داود فكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وصيام الاثنين والخميس ، وصيام الستة من شوال ، وصيام عاشوراء ...

(١) هذا النص الفقهي من كتاب « ردود على اباطيل » للعلامة المرحوم الشيخ محمد الحامد ص ٤٢ .
(٢) ارجع الى كتابنا « عقبات الزواج » تجد ما فيه الكفاية .

ومنه صيام تسكين الشهوة لقوله عليه الصلاة والسلام : « ••• ومن لم يستطع فعليه بالصوم •• » •

٣ ــ الابتعاد عن المثيرات الجنسية :

مما لا يختلف فيه اثنان أن المجتمع الذي نعيش فيه يعجّ بالمفاسد والمغريات ، ويتخبط بالانحلال والفجور •• ولا شك أن الشاب حين يجري وراء هذه المثيرات والمفاتن ، ويتيه في حمأة الرذيلة والفاحشة •• فإنه يتأثر ــ ولا شك ــ خلقياً ، وينحرف سلوكياً ، ويكون كالحيوان الأعجم شهوة وانطلاقاً ••

فما على المربين الا أن يقوموا بدور النصح ، وواجب التنبيه والتحذير تجاه من لهم في أعناقهم حق التوجيه والتربية حيث يهمسون في آذانهم **ان النظر** الى النساء الكاسيات العاريات المتبرجات •• **وان قراءة** القصص الغرامية ، والمجلات الخلاعية التي يقوم على ترويجها تجار الغرائز والاعراض •• **وان السماع** الى الأغاني الخليعة الماجنة التي تبثها أمواج الأثير في كل مكان••

إنّ كل هذا مما يخدّر الغيرة ، ويلوث الشرف ، ويميع الخلق ، ويقتل الكرامة ، ويوهن الجسم ، ويخمل الفهم ، ويضعف الذاكرة ، ويثير الغريزة، ويفقد الشخصية ، ويقبر المروءة والفضيلة والاخلاق !!•• عسى أن يعي شبابنا هذا النصح ، ويحسبوا كل الحساب لهاتيك النتائج •• فلا يجدون بداً ــ بعد هذا التذكير والتنبيه ــ الا أن يحافظوا على توازنهم الارادي وانضباطهم النفسي والخلقي ، وصحتهم العقلية والجسدية •• فعندئذ يكونون في زمرة الصالحين الأطهار ، والمؤمنين الأبرار !!••

٤ ــ ملء الفراغ بما ينفع :

يقرر علماء النفس والتربية أن الولد اذا اختلى إلى نفسه وقت فراغه ترِدْ

عليه الأفكار الحالمة ، والهواجس السارحة ، والتخيلات الجنسية المثيرة ..
فلا يجد نفسه ــ إن كان مراهقاً أو شاباً ــ الا وقد تحركت شهوته ، وهاجت غريزته أمام هذه الموجة من التأملات والخواطر .. فعندئذ لايجد بداً الا أن يلجأ الى هذه العادة الخبيثة ليخفف من طغيان الشهوة ، ويحدّ من سلطانها..
اذن ما العلاج للتخلص من سوانح الخواطر ، وشرود الخيال ، حتى لا يقع في هذه النتائج الوخيمة ، والعواقب الأليمة ..؟

العــلاج :

أن تُعرّف الشاب المراهق كيف يقضي وقته ، ويملأ فراغه ؟

وما أكثر هذه المجالات التي يقضي فيها الوقت ، ويملأ الفراغ!!..

إمّا برياضة بدنية يقوي بها جسمه ؛ أو نزهــة بريئة مع رفاق مأمونين يروّح بها عن نفسه ؛ أو مطالعة مفيدة يكمل بها علومه ، أو عمل يدوي ينمي به ميوله ، أو حضور درس ديني توجيهي يهذب خلقــه ، أو مباراة ثقافيــة يروّض بها عقله ، أو تمارين على الرمي ووسائل الجهاد يعد بها نفسه .. الى غير ذلك من هذه المجالات النافعة التي تغذي الفكر ، وتهذب الروح ، وتقوي الجسم ، وتسمو بالخلق !!..

٥ ــ الرفقة الصالحة :

من أهم ما ينبغي أن يحرص عليه المربي تجاه ولده الشاب المراهــق أن يختار له رفقاء صالحين مأمونين يذكّرونه إذا نسي ، وينصحونه اذا انحرف ، ويعينونه اذا انصلح ، ويواسونه اذا أصابته أحداث ونوازل !!..

وقد يقال : إن هؤلاء الرفقاء المعنيين قليلون ، ولا سيما في هــذا الزمان الذي عزّ فيه الصديق المخلص ، والرفيق المؤمن .. نعم نسلّم أنهم قلة ولكن هذه القلة متوفرة في كل مكان يعرفون بسيماهم من أثر السجود ، ويميزون

بأخلاقهم العالية ، وبنهجهم المستقيم •• فما أجدر الشاب أن يبحث عنهم ، ويتمسك بأذيالهم اذا ظفر بهم •• ليكونوا له السند في الملمات ، والعون على مفاسد الحياة ومفاتنها ، والبطانة الخيّرة التي يثق بها ، ويأوي اليها ، ويعتمد عليهـا ••

ولا شك أن المرء على دين خليله ، وأن القرين بالمقارن يقتدي ، وأن الطيور على أشكالها تقع ، وصدق رسول الله صلى الله عليـه وسلم القائـل فيما رواه الترمذي : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يُخالِلْ » •

ومن المعلوم يقيناً أن الذي يصاحب أهل المنكر والفسوق والعصيان فلا يقودونه الا الى ضلال ، ولا يدفعونه الا الى غواية ، ولا يصحبونه الا الى منافع شخصية ، وغايات دنيوية !!••

فليحذر شبابنا من رفقاء السوء ، وقرناء الشر •• ان أرادوا لإيمانهم رسوخاً وتمكيناً ، ولأخلاقهم سمواً وتهذيباً ، ولأجسادهم سلامة وقوة ••

وليحرصوا على الرفقة الصالحة ، والجماعة المؤمنة ، لتتحقق لهم السعادة في الدارين : الكرامة في الدنيا ، والنجاة في الآخرة ، وصدق الله العظيم القائل في محكم كتابه :

((الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين)) •

(سورة الزخرف : ٦٧)

٦ ـ الأخذ بالتعاليم الطبية :

ان مما ينصح به علماء الصحة والطب في التخفيف من سلطان الغريزة، وجموح الشهوة هو ما يلي :

١ ــ الاكثار من الحمامات الباردة في موسم الصيف ، وصب الماء البارد على العضو التناسلي في الفصول الأخرى •

٢ ــ الإكثار من الألعاب الرياضية ، والتمارين الجسمية •

٣ ــ تجنب الأطعمة المحتوية على بهارات وتوابل لكونها مثيرةومهيّجة•

٤ ــ الإقلال ما أمكن من المنبهات العصبية كالقهوة والشاي ••

٥ ــ عدم الاكثار من اللحوم الحمراء والبيض •

٦ ــ عدم النوم على الظهر أو البطن ، بل السنة أن ينام على شقهالأيمن مستقبلا بوجهه القبلة •

٧ ــ وأخيرا استشعار خوف الله تبارك وتعالى :

من المسَلَّم به أن الشاب حين يستشعر من أعماق وجدانه أن الله سبحانه يرقبه ويراه ، ويعلم سره ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور •• وأنه سيحاسبه ان قصر وفرّط ، ويعاقبه ان انحرف وزلّ •• لاشك أنه سينتهي عن الموبقات والقبائح، ويكفّ عن المنكرات والفواحش••

ومن المعلوم يقيناً أن حضور مجالس العلم والذكر ، والمداومة على صلاة الفرض والنفل ، والمواظبة على تلاوة القرآن ، والتهجّد في الليلوالناس نيام ، والاستمرار على صيام المندوب والتطوّع ، والاستماع الى أخبار الصحابة والصالحين ، واختيار الرفقة الصالحة والارتباط بالجماعة المؤمنة • وذكر الموت وما بعده كل ذلك يقوي فيالمؤمن جانبالخشية من الله ، والمراقبة له ، والاستشعار لعظمته ••

فحري بالشاب المؤمن أن ينهج هذه الوسائل التي تقوي في نفسه عقيدة المراقبة لله والخشية منه •• حتى لاتتجاذبه المغريات ، ولاتفتنه زينة

الحياة الدنيا ، ولايقع في محظور أو محرم ، وأن يضع نصب عينيه قوله تبارك وتعالى :

« فامّا من طغى وآثر الحياة الدنيا فـإن الجحيم هي المـأوى ، وأما مـن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى » .

(سورة النازعات : ٣٧ ــ ٤٠)

أما ظاهرة المسكرات والمخدرات :

فهي ظاهرة خطيرة وأليمة نراها متفشية في البيئات التي لاتقيم للأخلاق الفاضلة وزناً ، ولا للتربية الاسلامية حرمة ..

هذه الظاهرة **نراها** أكثر ما نراها في الأطفال المشردين الذين فقدوا من يعيلهم ويشرف على تربيتهم وتوجيههم ، وفي الاولاد الذين ساروا في طريق الفساد والانحراف بغفلة عـن مراقبة آبائهـم وأمهاتهم .. فخالطوا الأشرار ، وصاحبوا الفجار ، فاكتسبوا منهم كل مفسدة ورذيلة ..

ولكي نوفي هذه الظاهرة حقها من البحث يحسن التكلم عنها في أمور ثلاثـة :

١ ــ الأضرار التي تنجم عنها .

٢ ــ حكم الاسلام فيها .

٣ ــ العلاج الناجع في استئصالها والقضاء عليها .

أما الأضرار التي تنجم عن المخدرات والمسكرات فهي مرتبة كما يلي :

أ ــ أضرار صحية وعقلية :

فمن المجمع عليه لدى الأطباء وعلماء الصحة أن تعـاطي المسكرات

والمخدرات تسبب الجنون ، وتضعف الذاكرة ، وتورث أمراضاً عصبية ومَعِديّة ومَعَوِيّة ، وتشل حدة الفكر والذهن ، وتحدث آلاماً في الجهاز الهضمي ، وتفقد الشهية الى الطعام ، وتسبب سوء التغذية والهزال والخمول والضعف الجنسي ، وتؤدي الى تصلّب الأنسجة والشرايين .. الى غير ذلك من الأمراض الخطيرة . ويكفي أن نعلم عن أضرار هذه الظاهرة أن معهد الإحصاء القومي في فرنسا قرر : « أن الخمور تقتل من الفرنسيين أكثر مما يقتل مرض السل ، ففي عام (١٩٥٥) **مات سبعة عشر الفا** من الفرنسيين من تأثير الخمر ، بينما لم يمت من السل سوى اثني عشر ألفاً في السنة نفسها » .

ب ـ أضرار اقتصادية :

من المعلوم أن الذي يتعاطى الخمور والمخدرات يبذل المال في سبيله سهلا رخيصاً بدون حساب .. ولايخفى مافي هذا البذل الرخيص من اتلاف للمال ، وخراب للبيوت ، وايراث للفقر ... عدا عن أن المدمن يسبب الضعف في الانتاج ، والخلل في الاقتصاد ، والتخلّف في ميادين الحضارة .. لما يصاب به من هزال وخمول وأمراض جسمية ونفسية .. نتيجة الخمر والمخدر .

فقد ذكرت جريدة الاهرام القاهرية في عددها الصادر في ١٩٦٥/٥/٣:
« أن (٧٢) مليون أمريكي يتناولون الخمور ، منهم (٢٠) مليوناً يكلّفون الدولة بليوني دولار كل سنة ، السبب تغيبهم عن العمل .. » .

ج ـ أضرار نفسية وخلقية واجتماعية :

إن المدمن على تعاطي المسكرات أو المخدرات يتصف بصفات ذميمة ، ويعتاد على عادات قبيحة كالكذب ، والجبن ، والاستهانة بالقيم الاخلاقية

والمثل العليا .. ويندفع الى ارتكاب الجرائم كالسرقة وتعاطي الدعارة ، والاعتداء على الأنفس .. ويصاب بتمييع الخلق ، وتحلل الارادة ، وضعف الشعور بالواجب ..

هذا عدا عما يقضي وقته في أوكار سرية مع شراذم من الأشرار ،ورفاق من الفجار حيث يستبيح معهم كل موبقة ، وينتهك بخلطتهم كل حرمة !!..

ومن المعلوم أن الدول الاستعمارية تتخذ من ترويج المخدرات سلاحاً فتاكاً لكسر شوكة الشعوب ، وتمييع أخلاق الأمة ، وإخماد جذوة روح الجهاد والمقاومة .. وان مصر مازالت تعاني من حرب المخدرات التي روّج لها ، ووضع بذورها الاستعمار البريطاني منذ ربع قرن من الزمان ، كما أن انكلترا شنت حرباً على الصين التي حظرت تجارة الأفيون فسميت حرب الافيون .

وأما حكم الاسلام في تعاطي المسكرات والمخدرات فإنه التحريم بالإجماع وذلك للأدلة التالية :

ـ ويقول الله تعالى في تحريم الخمر :

« ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون »(١) .

---

(١) **المائدة** : بعض الذين في قلوبهم مرض يقولون : ليس في لفظ « فاجتنبوه » دليل على التحريم ، ولو كانت الخمر محرمة لقال القرآن : فحرّموه ؛ بينما هناك سبعة ادلة على التحريم : ١ ـ مقارنة الخمر بالميسر والأنصاب والأزلام ؛ ٢ ـ وصفها أنها رجس ؛ ٣ ـ وصفها أنها من عمل الشيطان؛



ـ ويقول عليه الصلاة والسلام في تحريمها كما روى أبـو داود : « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ومبتاعها وبائعهـا وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه » .

وأما تحريم المخدرات فالأدلة أكثر من أن تحصى :

واليكم شيئاً منها :

أ ـ اندراجها تحت عموم قوله تعالى :

« ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث » .

(سورة الأعراف : ١٥٧)

وقوله عليه الصلاة والسـلام : **« لاضرر ولاضرار »** ،رواه أحمـد وابـن ماجـه .

ب ـ تدخل في حديث النهي الذي رواه الامام أحمد في مسنده ، وأبو داود في سننه بسند صحيح عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليـه وسلم أنها قالت : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكـر ومفتّر » . والمخدرات تدخل في النهي باعتبار أنها مفترة ..

ج ـ انها تندرج في أدلة تحريم الخمر باعتبار أنها تخامر العقل وتخرجه عن طبيعته المدركة الحاكمة ، فقد روى البخاري ومسلم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعلن على الناس من فوق منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« الخمر ماخامر العقل »** ، وهذه الكلمة تحدّد مفهـوم

---

٤ ـ الأمر الذي يدلّ على الكف في لفظ « فاجتنبوه » ؛ ٥ ـ إنهـا توقـع فـي العداوة والبغضاء ؛ ٦ ـ إنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ؛ ٧ ـ صيغـة الاستفهام الانكاري في قوله تعالى : « فهل انتم منتهون ؟ » ، فهل هناك ادلة أقطـع من هذه الأدلة التي تدل على التحريم ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون.

الخمر حتى لاتكثر أسئلة المشتبهين ، فكل مالابس العقل ، وأخرجه عن طبيعته المميزة المدركة الحاكمة فهو من الخمر المحرم الى يوم القيامة .

ومن ذلك تلك المواد التي تعرف باسم المخدرات كالحشيش والكوكايين والأفيون ونحوها ، فإنها تؤثر تأثيراً بالغاً على العقل ، فيرى من يتعاطاها البعيد قريباً ، والقريب بعيداً ، ويتخيل ماليس بواقع ، ويسبح في بحر من الأوهام والأحلام ، ويهيم في أودية من الخيال حتى ينسى نفسه ودينه ودنياه ؛ وقد حكى القرافي وابن تيمية **الاجماع على تحريم الحشيشة** ، وقال ابن تيمية : « من استحلها فقد كفر » .

بقي هناك جانب قد يسأل عنه بعض الناس **وهو استعمال الخمر كدواء** ؛ والجواب ماأجاب عنه الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه مسلم وأحمد وغيرهما حين سأله رجل عن الخمر ، فنهاه عنها ، فقال الرجل : انما أصنعها للدواء قال عليه الصلاة والسلام : « **انه ليس بدواء ولكنه داء** » وروى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله أنزل الداء والدواء ، وجعل لكل داء دواء ، فتداووا ولاتداووا بحرام » ؛ وروى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه في شأن المسكر أنه قال : « ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » .

فهذه النصوص بجملتها تدل دلالة قاطعة على أن استعمال الخمر وحدها كدواء حرام يأثم من يتناولها .

اما ماخالط بعض الأدوية بنسبة مقدرة من الكحول ـ لضرورة ـ كحفظها من الفساد مثلا فانه يجوز استعمالها اذا تعين الشفاء بها ، وكان الواصف للدواء طبيباً مسلماً ماهراً يخشى الله في السر والعلن ، لأن مبادىء الشريعة

قائمة على اليسر ، ودفع الحرج ، وتحقيق مصالح الناس ، والأصل في ذلك قوله تبارك وتعالى : ((**فمن اضطر غير باغ ولاعاد فلا إثم عليه**)) .
(البقرة : ١٧٣)



أما العلاج الناجع في استئصال هذه الظاهرة فيكون بالوسائل التالية :

آ ـ بالتربية الصالحة .

ب ـ بمنع أسبابها .

ح ـ بمعاقبة مرتكبيها .

اما التربية الصالحة فتتركز بتربية الولد منذ نعومة أظفاره على الإيمان بالله ، والخشية منه ، واستشعاره مراقبة الله في السر والعلن ، لما لهذه التربية القويمة من أثر كبير في تكوين ضميره ، واصلاح نفسه ،وسمو خلقه .. ومن المعروف تاريخياً أن العرب الذين أدركوا الاسلام ، وآمنوا به ، ودخلوا فيه .. لما تربّت ضمائرهم على مراقبة الله ، وترسخت نفوسهم على الخشية منه ، والاستعانة به ، والاعتماد عليه تركوا كل العادات المرذولة التي كانوا عليها في الجاهلية عن طواعية واختيار .

فلنأخذ مثلا تعلق العرب الجاهليين بالخمر قبل الاسلام ، وتمدّحهم بشربها ، وتفننهم في وصفها .. اسمعوا الى ما يقول شاعرهم في التعلق بها :

اذا متّ فادفنّي الى جنب كرمة

تروّي عظامي بعد موتي عروقها

واسمعوا الى مااخترعوا لها من الأسماء والألقاب : ((المدامة ،

السلافة ، الراح ، الصهباء ، ابنة العنقـود ، ابنـة الكرم ، بنت الدنان ، بنت الحان •• » الى آخر هذه الأسماء والألقاب التي زادت عن المئة •

ومع كل هذا لما بلغهم أن الخمر قد حرمت قالوا جميعاً : **انتهينا ربنا** ، بل أراقوا ما كان عندهم في القلال في سكك المدينة •• هكذا الإيمان يصنع العجائب حين يخالـط بشاشته القلـوب ، وتترسخ جـذوره في الضمائر والنفوس •• بل يقوم بدوره الكبير في الإصلاح والتهذيب ، مما تعجز عنه دول ، وتفشل في تحقيقه أساطيل ••

فما أحوج المجتمعات الانسانية الى مثل هذا الايمان ، والى مثل هذه التربية الصالحة !!••

ب ـ اما منع أسباب هذه الظاهرة فيرجع الى من بيده السلطة والتنفيذ، فالدولة حين تمنع في الأسواق وفي كل مكان جميع أنواع الخمر ، وتتخذ الأسباب لاستئصالها والقضاء عليها ، عندئذ توصد الأبواب في وجـوه مدمنيها ، فلا يحتسيها شاب ، ولايجد فاسق سبيلا اليها ••

ج ـ اما عقوبة مرتكبيها فإن الاسلام وضع العقوبة الزاجرة لكل من يحتسيها ، وهي مقدرة مابين (٤٠ الى ٨٠) جلدة ، وهذا لايمنع من وضع عقوبات تعزيرية من حبس ، وتغريم ، ومصادرة •• لكل من يبيعها أويحملها أو يتاجر بها ••

وعلى الحكومات ـ ان كانت جادّة ـ أن تنتقي من المباحث الجنائية المعروفة بالنشاط والاخلاص والحزم والاستقامة •• لتزاول عملها على أحسن وجه عسى أن تصل في النهاية الى تطهير المجتمع من موبقات الخمر ، وأخطار المخدّرات ••



اما ظاهرة الزنى واللواط :

فهي أخطر الظواهر الاجتماعية عند الأطفال والمراهقين الشباب .. وكم سمعنا عن أطفال لم يبلغوا الحلم بعد ، سلكوا طريق الفاحشة والفساد بغفلة عن مراقبة آبائهم وذويهم .. حتى هوَوْا في مزالق الشذوذ والانحدار الخلقي ، فقبعوا في حضيض الهلاك والضياع ..

وما أشدّ فاجعة الآباء والأولياء حين يرون أولادهم ، ومن يقومون على أمرهم قد انتكست فطرتهم ، وانحطت أخلاقهم ، وانغمسوا في حمأة الرذيلة والشـذوذ !!.. .

وهل تنفع الآهات ، وتجدي الحسرات ، بعد أن رأوا أفلاذ أكبادهم ، وثمرات قلوبهم وهم يتخبطون في أوحال الخبائث ، ويتعثرون في مستنقعات الفســاد ؟ .

ولو أنهم ربوهم على الاخلاق الفاضلة ، وراقبوا تحركاتهم مراقبــة تامة ، وعرفوا من يصاحبون ، ومن يخالطون لما وصلت حالة أبنائهم الــى هذه النهاية المُفْجِعة ، والى هذه النتيجة المخزية !!..

مــن المسؤول الاول عــن الشذوذ الخلقي ، والانحراف الاجتماعي لدى الأبناء غير الآباء والأولياء ؟

من الذي يراقب أعمالهم ، ويطلع على تصرفاتهم وتحركاتهم غــير الآباء والأولياء ؟

من الذي يوجههم الى مبادىء الفضيلة والاخــلاق ، ويقبّح لهــم الفحشاء والمنكر غير الآباء والأولياء ؟

فالأب والأم هما المسؤولان أولا وآخراً عن تربية الولد ، ثم تأتي بالتالي مسؤولية الدولة ، ومسؤولية المجتمع ..

بعد هــذه اللفتة التوجيهية نتكلم عن هذه الظاهرة في أمور ثلاثة :

١ ــ الأضرار التي تنجم عنها .

٢ ــ حكم الاسلام فيها .

٣ ــ العلاج الناجع في استئصالها والقضاء عليها .

اما عن الأضرار التي تنجم عن ظاهرة الزنى واللواط فإنهـا بالغــة الخطورة ، وهي مرتبة كما يلي :

اضرار صحية وجسمية :

يتسبب عن اقتراف جريمة الزنى واللواط الأمراض التالية :

١ ــ مرض الزهري :

الذي من أعراضه القرحــة والتورّم على أعضــاء التناسل أو الشفة أو اللسان أو الجفن ... وظهور البقع في أنحاء الجسم ، ويسبب هذا المرض الخطير الشلــل ، والعمــى ، وتصلّب الشرايــين ، والذبحــة الصدريــة ، والتشوهات الجسمية ، وســرطان اللسان ، والسّل في بعض الأحيان ، وقــد يتعدى هذا المرض الى الزوجة والأولاد .. وهو من الامراض الساريــة بالعدوى من لمس ولعاب ..

٢ ــ مرض السيلان أو التعقيبة :

من أعراض هذا المرض حدوث ألم وحرقة شديدة عند التبول ، وافراز

سائل صديدي (القيح) في مجرى البول عند الرجال ، ومن عنق الرحم ومجرى البول عند النساء ، ومن مضاعفات السيلان عند الذكور حدوث الالتهابات في الخِصْيَتين والمثانة ، وضيق مجرى البول .. أما عند النساء فيسبب التهاب الرحم والمبايض والكليتين .. ومرض التعقيبة قد يؤدي الى العقم لدى الرجل والمرأة ، واصابة القناة البولية عند الرجل بقروح تؤدي في الغالب الى انحباس البول الذي قد يؤدي الى الوفاة في بعض الأحيان .

٣ ـ انتشار الامراض المعدية :

ومن أمراض الزنى واللواط أنه يجلب أمراضاً خبيثة معدية بسبب انتقال الجراثيم الفتاكة من المريض الى الصحيح ، وبسبب القذارة الحاصلة أثناء الجماع .

وما أكثر هذه الامراض السارية التي استفحل خطرها ، وتفاقم شرها في المجتمعات التي ينتشر فيها الزنى واللواط ، ويعم في ربوعها الفساد والمنكر !!..

وما أصدق ما قاله الصادق المصدوق محمد بن عبد الله صلوت الله وسلامه عليه حين أخبر أن الفاحشة اذا ظهرت في قوم ابتلاهم الله بالأوجاع والامراض التي لم تكن في أسلافهم ، روى ابن ماجه والبزار والبيهقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « يامعشر المهاجرين : خمس خصال اذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن ـ عدد منها : ... ولم تظهر الفاحشة في قوم قط يعمل بها علانية الا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم .. » ، ألا فليتذكر أولوا الألباب !..

ب ـ اضرار اجتماعية وخلقية ونفسية :

يكفي هذه الظاهرة ضرراً وخطراً أنها تؤدي الى اختلاط الأنساب

وضياع النسل ، وهتك الاعراض والحرمات ، وقتل الشهامة والمروءة ، وتفسخ المجتمع ، وفصم أواصر الزوجية ، وتفكك وحدة الاسرة، والانطلاق في حمأة الرذيلة والفساد ، وفقد الرجولة والكرامة ...

ويكفيها شرا وفسادا أن المجتمع بسببها يعج بأولاد لا كرامة لهم ولا أنساب ، وأن تيار الإباحية يجتاح شباب الأمة ونساءها .. واذا كان الامر كذلك فلا ترى للأخلاق وزناً ، ولا للفضيلة والشرف أي اعتبار ولاقيمة !!..

وما قيمة مجتمع اندثرت أخلاقه، وضاع حياؤه، وتهدم كيانه واعتباره؟

وما قيمة مجتمع تشرد أطفاله ، وتهتك نساؤه ، وفجر شبابه ؟

وما قيمة مجتمع استبدت به شهواته ، واستحوذت عليه غرائزه ، فلا يعرف هماً سوى الجنس واللذة المحرمة ، ولا غاية سوى الغريزة والشهوة الهابطة ..؟

لاشك أنه مجتمع منحل متفكك مهدد في كل لحظة بالزوال والدمار ؛ وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

« وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » (الاسراء : ١٦)



اما حكم الاسلام في الزنى واللواط فهو التحريم القطعي بإجماع الفقهاء والمجتهدين وذلك للأدلة التالية :

اما فيما يتعلق بحرمة الزنى فيقول الله تعالى : « ولاتقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا » (الاسراء : ٣٢) ؛ ويقول : « والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولايقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولايزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً »

(الفرقان : ٦٨)

ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما : « لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ... » ؛ وروى الطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلمأنه قال : « ان الزناة تشتعل وجوههم ناراً » ؛ وروى الحاكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا ظهر الزنى والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله » ؛ وروى ابن أبي الدنيا والخرائطي عن رسول الله صلى الله عليه رسلم أنه قال : « الزاني بحليلة جاره لاينظر الله اليه يوم القيامة ، ولايزكّيه ، ويقول : ادخل النار مع الداخلين » .

اما فيما يتعلق بحرمة اللواط فيقول الله تعالى : « اتاتون الذُّكرانَ من من العالمين ، وتذرون ما خلق ربكم من أزواجكم ؟ بل انتم قوم عادون » .

(الشعراء : ١٦٥)

ويقول : « ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين ، ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتاتون في ناديكم المنكر ، فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذابالله إن كنت من الصادقين ».

(العنكبوت : ٢٩)

ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه الحاكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ملعون من عَمِل عمل قوم لوط ، ملعون من عمل عمل قوم لوط ، ملعون من عمل عمل قوم لوط .. » قالها

ثلاثاً • وروى ابن ماجه والترمذي عنه عليه الصلاة والسـلام : « أخوف ما أخاف على أمتي من عـَمـِلَ عمل قوم لوط » •

وروى الطبراني والبيهقي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله » ، قال أبو هريرة من هم يارسول الله ؟ قال : « المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، والذي يأتي البهيمة ، والذي يأتي الرجال » •

ولكل من الزنى واللواط عقوبات مقدرة في الشرع مبينة كما يلي :

١ ــ عقوبة الزنى :

للزنى عقوبتان مقدرتان في الشرع :

أ ــ عقوبة الجلد مع التغريب •

ب ــ عقوبة الرجم •

اما عقوبة الجلد مع التغريب فتكـون للزاني غير المحصن (أي غير المتزوج) سواء أكان الزاني رجلا أو امرأة ، فيجلد مائة جلدة لقوله تبارك وتعالى :

« الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولاتاخذكم بهما رافة في دين الله ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » • (النور : ٢)

والتغريب عندالحنفية من باب التعزير ، فإن رأى الامام فيه فائدة غرّبه ، وعند باقي الأئمة يجب التغريب بعد الجلد الى مكان لاتـقـْصـَر فيه الصلاة ، وبالتغريب حكم الخلفاء الراشدون ، وبه قال كثير من الصحابة •

٢ ــ اما عقوبة الرجم فتكون للزاني المحصن (أي المتزوج) ، لقوله

عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لايحل دم امرىء مسلم يشهد أن لااله الا الله وأني رسول الله الا بإحدى ثلاث : « الثيب (أي المتزوج) الزاني ، والنفس بالنفس . والتارك لدينه المفارق للجماعة » . وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر برجم ماعز بن مالك ، والمرأة الغامدية لاعترافهما أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزنى ، وكانا محصنين متزوجين .

٢ ـ عقوبة اللواط :

أجمع العلماء على أن اللواط زنى ، ولكن اختلفوا نسبياً في تحديد العقوبة ، قال البغوي : « اختلف أهل العلم في حدّ اللوطي ، فذهب قوم الى أن حدّ الفاعل هو حد الزنى : ان كان محصناً يرجم ، وان لم يكن محصناً يجلد مائة جلدة وهو أظهر قولي الشافعي ، وذهب قوم الى أن اللوطي يرجم سواء كان محصناً أو غير محصن وهوقول مالك وأحمد ؛ والقول الثاني للشافعي أنه يقتل الفاعل والمفعول به »[١] ؛ وذهب الحنفية في وجوب التعزير حسب مايراه الامام رادعاً للمجرم ، فاذا تكرر منه الفعل ولم يرتدع أعدم بالسيف تعزيرا .

وإليكم النصوص التي تدل على قتل الفاعل والمفعول به كما ذهب الى ذلك جمهور الفقهاء والمجتهدين :

ـ روى الترمذي وأبو داود وابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه

(١) النص الفقهي من كتاب الترغيب والترهيب : ج٤ ، صفحة ٣٢٥ ، باب الترهيب من اللواط .

وسلم قال : « من وجدتموه يعمل عمل قوم أهل لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول بــه » .

ــ وروى البيهقي وغيره عن مِفْضَل بن فضالة عن ابن جريج عــن عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اقتلوا الفاعل والمفعول به ، والذي يأتي البهيمة » .



أما العلاج في استئصال هذه الظاهرة فهو نفس العلاج الذي سبــق ذكره في استئصال العادة السرية للحالة المتشابهة في علاج الظاهرتين ، فــلا ضرورة لإعادة الكلام فيه مرة ثانية .

وازيدك ــ ايها القارىء ــ علاجاً آخر وهو أنه لايصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها ، فإن صلح لأمتنا في الماضي رسالة الاسلام نظامــاً وتشريعاً ، ووجدت العزة تحت ظلالها ، والقوة والتمكين والحضارة لمــا سارت على مبادئها وأحكامها .. فلا يصلح لأمتنا اليوم الا ماصلح لها بالأمس ، فعندئذ تعود لامتنا عزتها السليبة ، وقوتها المنيعة ، ودولتهــا العتيدة ، واستقرارها المنشود ؛ وترجع ــ كما كانت ــ خير أمة أخرجت للناس هدياً وقدوة وعطاء وقوة .. ورضي الله عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب القائل : « نحن قوم أعزنا الله بالاسلام ، فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله » رواه الحاكم .

ورحم الله محمد اقبال حين قال :

اذا الإيمان ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمن لم يُحْيِ دينا
ومن رضي الحياة بغير دين ... فقد جعــل الفناء له قرينا



انطلاقاً من المبدأ الذي وضعه الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « **لاضرر ولاضرار** » ، وامتثالا لقوله تبارك وتعالى : « **ولاتلقوا بايديكم إلى التهلكة** » ، وأخذاً بواجب المسؤولية التي حتمها رسول الاسلام •• وجب على المربين ــ ولاسيما الآباء والأمهات منهم ــ أن يأخذوا بأسباب الوقاية لأولادهم ، وبوسائل الحيطة والحذر لافلاذ أكبادهم •• حتى لايتعرضوا للأخطار المحدقة التي تصيبهم ، ولا للحوادث الأليمة التي تفاجؤهم ، وربما تفضي بهم ــ في أغلب الاحيان ــ الى المــوت أو التشويــه أو المرض أو الجروح •••

وإليكم ــ ايها المربون ــ اهم هــذه الاسباب الوقائية في تقليل الحوادث :

وهي ملخصة مع بعض التصرف من كتاب « المشكلات السلوكية » للدكتور نبيه الغبرة صفحة : ١٧٧ : (ان النظام المنطقي المنسجم المعتدل الــذي نضعه لاطفالنا ضروري لسلامتهم ، كما هــو ضروري لشعورهم بالاطمئنان ، وان حماية الطفل في **السنة الاولى** تقع على عاتق الاهل كاملة وهم مسؤولون عن أي تفريط ، وأما في **السنة الثانية** فيحسن البدء بتعليم الطفل الحذر من المخاطر ، وذلــك بتلقينه بعض الدروس اللطيفة ، فحتى لايلمس المدفأة أو النار أو الأواني الحارة ••• بشكل اعتباطي ، أو أن يقع فيها ، فيحسن أن نقول له **او ننبهه** بأنها حارة مؤلمةعند اللمس بل ومخيفة، وأن نسمح له بلمسها لمساً لطيفــاً سريعاً بشكل لا يؤذي ، وبذا يخافهــا ويحذرها •• واذا ما رأينا طفلا على وشك من أن يقع على كرسي ، وليس في يــده شيء يؤذيه أو لا يوجــد شيء على الأرض قد يؤذيه ان سقط عليــه ، فلا بأس من تركه يسقط ــ مع أخذ الحيطة ــ وننتهز الفرصة لتعليمــه الحذر ، وعلى العموم فيجب **ان يكون هناك توازن مابين التعليم والحماية ،** وعلى الأهل أن يفطنوا لما يمكن أن يتعرض له الطفل من مخاطر أثناء لعبه ، وأن يأخذوا الاحتياطات اللازمة) •

وفيما يلي بعض الخطوات العملية التي تساعد على الاقلال من الحوادث كما عرضها الدكتور غبرة :

١ ــ يجب وضع السموم في خزانة مغلقة ، وأن يوضع المفتاح في مكان أمين ، كما يجب أن يكتب اسم المادة السامة على الزجاجة بشكل واضح ، وأن لاتوضع الزجاجة حيث يوجد الطعام ، وهذه السموم تشمل أنواعاً عديدة لاستعمالات مختلفة ، وأهمها مبيدات الحشرات ، والقطرونة ..

٢ ــ يجب رمي الأدوية الفائضة عن الحاجة ، وعدم تركها في متناول الاطفال ، وعند استعمال الدواء يحسن ألا يستعمل بوجود الطفل ، لأن الاطفال يحبون التقليد والمحاكاة ، وحوادث تسمم الأطفال بالأدوية ليست بالقليلة ، وإذا ما أردنا أن نعطي طفلا دواء فيجب افهامه أنه دواء وليس شرابا ، والأحسن وضعه في مكان بعيد عن متناول يده ان لم نكن على ثقة منه .

٣ ــ يجب وضع حاجز واق لكل مصادر الاحتراق كالمدافىء بمختلف أنواعها ، وأجهزة التسخين والطبخ والأفران ان كان هناك احتمال وصول الطفل الذي بدأ يحبو ويمشي اليها ، والا فلا بد من وقوع الحوادث ، فكم يحترق أطفال بالمدافىء ، ومواقد الحمامات ، وماشابه ذلك .

ويجب كذلك عدم السماح للطفل باللعب بالأشياء المشتعلة كعود الثقاب (الكبريت) ، بل علينا أن نجعلها في أماكن مرتفعة بعيدة عن متناول يده .

وأما أباريق الشاي ، وأواني أوعية الطبخ فهي مصدر خطر على الاطفال للأشياء الساخنة الموجودة فيها ، **فكم من ام جاهلة** غفلت عن آنية

الطبخ أو القلي وفيها الاشياء المحرقة ، فوقع فيها فلذة كبدها ، فأصيب بالجروح المحرقة ، وسبّبت له التشوهات الدائمة ؟.

وكم من أمّ حمقى وضعت ابريق الشاي على حافة الطاولة ، أو علـى الأرض ، أو على الكرسي ، فوقع طفلها على الابريق ، أو وقع الابريق عليه ، فنتج عن ذلك الإصابات الخطيرة ؟.

ويجب الحذر من الالعاب النارية في المواسم والمناسبات خشيـة التأذي بهـا .

ويجب الاحتراس من أخطار الادوات الكهربائية وأسلاكها مخافـة الإصابـة .

٤ ــ **ويجب** ابعـاد كـل الآلات الحـادة كالمقصات ، والسكاكين ، والشفرات ، والدبابيس ، والأواني الزجاجية بحيث لاتصل الى أيـدي الأطفـال .

٥ ــ **ويجب** عدم السماح للأطفال بممارسة الألعاب التي قد تكون خطرة كاللعب بالحبل وشده حول العنق ، أو اللعب بكيس من البلاستيك وادخال الرأس فيه ، فهذا قد يؤدي الى الاختناق ؛ **ويجب** كذلك تجنيب الطفل الركض وفي فمه طعام ، أو قذف بعض الموالح كالقضامة والفستق في الهواء ثم تلقيها بالفم مباشرة خوفاً من دخول الطعام الى مجرى الهواء فيتسبب الاختنـاق .

٦ ــ **ويجب** على الأم ألا تنيم ابنها في سريرها اذ هناك خطر خنقه ؛ وكم سمعنا عن حوادث من هذا النوع ، فقد تنام الأم ، ثم ينام الطفل

والثدي في فمه ، فبمجرد ميلان خفيف من الأم على الطفل يؤدي الى موته بالاختناق ؟

٧ ــ **ويجب** التأكد من سلامة نوافذ الطابق العلوي ، وكون الطفل لايستطيع اجتيازها ، **ويجب** أن تكون حواجز الشرفات من النوع الفني الحديث التي تسمح للطفل بالمشاهدة ولاتسمح له بتسلقها ، أو على الأقل لايخشى عليه من الخطر إنْ تسلقها وكم من حوادث أليمة ذهبَ ضحيتها أطفال في أجمل العمر نتيجة التساهل في هذا الأمر ؟

٨ ــ **ويجب** الانتباه عند استعمال الآلات الميكانيكية ، والأجهزة الكهربائية ، ولاسيما الغسالات ومفارم اللحم والكبيبة .. فحوادث انسحاب أيدي الاطفال في الغسالة ، أو ذهاب أصابعهم بالمفرمة ليست قليلة !!.

٩ ــ **ويجب** الانتباه الى كون الباب الخارجي للمنزل مغلقاً حتى لايخرج الطفل على حين غرة بدون علم أمه خوفاً من وقوع حادث .

١٠ ــ **ويجب** الانتباه على الباب عند اغلاقه مخافة أن يضع الولد أصابعه في طرفه فيتسبب انضغاط على بعض أصابعه ، فيصاب بإصابات أليمة.

الى غير ذلك من هذه الاسباب الوقائية التي لاتخفى على كل ذي عقل وبصيرة .

تلكم هي أهم الوسائل التي وضعها الاسلام في تربية الولد الجسمية، وهي ــ كما علمت ــ وسائل ايجابية ، وأسباب وقائية لو أخذ بتعاليمها المربون ، ومشى على نهجها الآباء والمعلمون .. لرأينا أبناء هذا الجيل يرتعون في بحبوحة من الصحة ، ويتمتعون بنعمة القوة ، ويسيرون في طريق الأمن والهناءة والاستقرار ..

ومن المعلوم يقيناً أن أمة الاسلام اذا تمتعت بعقل سليم ، وجسم قوي ، وارادة متينة ، وعزيمة جبارة ، وشجاعة فائقة ، ووعي كامل ••• فإنها ستكون المبرّزة في الانتاج ، والسباقة الى الحضارة ، والآخذة بأسباب النصر والمجد ، والعاملة على تحقيق العزة الخالدة للاسلام والمسلمين ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم •

فيا أيها المربون من آباء وامهات ومعلمين ••• :

هذا هو وحده طريق الحياة •

هذا هو وحده طريق القوة •

هذا هو وحده طريق المجد •

هذا هو وحده طريق الخلود •••

فما أحوج الجيل اليوم — الذي هو أمانة في أيديكم — الى تطبيق هذه التعاليم السامية ، والمبادىء الخالدة في اعداده جسمياً ، وتكوينه صحياً ونفسياً •• حتى يستطيع أن ينهض بأعبائه ، ويضطلع بمسؤولياته في حمل الرسالة الاسلامية الى الدنيا كما حملها من قبل جيل الصحابة ، وجيل التابعين ، والاجيال التي تلت من بعدهم ••

عسى أن ينقل جيلنا اليوم الأمم من ظلمات الإلحاد والانحلال والجاهلية الى نور الايمان ، ومكارم الأخلاق ، وهداية الاسلام !!•• وماذلك على الله بعزيز •



الفصل الرابع

٤ ـ مسئولية التربية العقلية

المقصود بالتربية العقلية تكوين فكر الولد بكل ماهو نافع من العلوم الشرعية ، والثقافة العلمية والعصرية ، والتوعية الفكرية والحضارية.. حتى ينضج الولد فكرياً ويتكوّن علمياً وثقافياً ...

وهذه المسؤولية لاتقل خطورة وأهمية عن المسؤوليات التي سبق ذكرها : الإيمانية ، والخلقية ، والجسمية ؛ فالتربية الايمانية **تأسيس** ، والتربية الجسمية **إعداد وتكوين** ، والتربية الخلقية **تخليق وتعويد** .. أما التربية العقلية فإنها **توعية وتثقيف وتعليم** ..

وهذه المسؤوليات الأربعة ، ومسؤوليات غيرها مما سنأتي على ذكره متضافرة مترابطة متساندة في تكوين الولد الشامل ، وتربيته المتكاملة ليكون انساناً سوياً يقوم بواجب، ويؤدي رسالة،وينهض بمسؤولية.. فما أحسن الإيمان حين يؤاخي الفكر ، وماأجمل الأخلاق حين تواكب الصحة !!.. وما أعظم الولد حين ينطلق للحياة العملية وقد اعتنى به المربون من كل جانب ، وأحاطوا بتوجيهه وتربيته واعداده من كل ناحية !!...

واذا كان لابد من بيان المراحل التي يجب أن يسلكها المربون في

كل مسؤولية يقومون بها نحو الولد .. فأرى أن مسؤوليتهم في التربية العقلية تتركز في الأمور التالية :

١ ـ الواجب التعليمي .

٢ ـ التوعية الفكرية .

٣ ـ الصحة العقلية .



١ ـ مسؤولية الواجب التعليمي :

لاشك أن هذه المسؤولية بالغة الاهمية والخطورة في نظر الاسلام ، لأن الاسلام حمل الآباء والمربين مسؤولية كبرى في تعليم الاولاد ، وتنشئتهم على الاغتراف من معين الثقافة والعلم ، وتركيز أذهانهم على الفهم المستوعب ، والمعرفة المجردة ، والمحاكمة المتّزنة ، والإدراك الناضج الصحيح .. وبهذا تتفتّح المواهب ، ويبرز النبوغ ، وتنضج العقول ، وتظهر العبقرية .. ومن المعلوم تاريخياً أن أول آية نزلت على قلب الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه هذه الآيات :

« اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم » .

وما ذاك الا تمجيد لحقيقة القراءة والعلم ، وايذان لرفع منار الفكر والعقل ، وفتح لباب الحضارة على مصراعيه .

واذا أردنا أن نستعرض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض على العلم ، وترفع من منزلة العلماء نجدها كثيرة ومستفيضة يستظهرها الصغير والكبير ، ويرويها العالم والمتعلم ..

فمن هذه الآيات قوله تعالى : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون » (الزمر : ٩)

ـ وقوله : « وقل رب زدني علما » (طه : ١١٤)

ـ وقوله : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (المجادلة : ١١)

ـ وقوله : « ن والقلم ومايسطرون » (القلم : ١ـ٢)

ومن هذه الأحاديث :

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ... ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقا الى الجنة » .

ـ وروى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها الا ذكر الله تعالى ، وما والاه[1] ، وعالماً أو متعلماً » .

ـ وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » .

ـ وروى الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم .. ان الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير » .

ـ وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله

(١) وما والاه : اي اطاع الله .

صلى الله عليه وسلم : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » •

انطلاقاً من هذا التوجيه القرآني والإرشاد النبوي انكبّ المسلمون في عصر الرسالة ، والعصور التي تلت على مدارسة العلوم الكونية ،واعتبروا تعلم كل علم نافع من قبيل الفرض والواجب ، واستفادوا من حضارات الأمم الأخرى في العالم ، فجدّدوا فيها وهضموها ، وطبعوها بطابع الاسلام المتميز ؛ وظل العالم قروناً طويلة يقتبس من علومهم ، ويستفيد من حضارتهم •• وماتألقت الحضارة المادية في العصر الحديث شرقاً وغرباً الا بفضل ماأخذوه من حضارة المسلمين وعلومهم **عن طريق صقلية ، والأندلس ، والحروب الصليبية** ... فكانت الدولة الاسلامية بحق أستاذاً وإماماً للعالم الضال ، والإنسانية الحائرة ••

وإليكم شهادة المنصفين من فلاسفة الغرب على عظمة المجد العلمي والحضاري الذي أحرزه المسلمون في فترات طويلة من التاريخ :

— يقول « شريستي » في حديثه عن الفن الاسلامي : « ظلت أوربا نحو ألف سنة تنظر الى الفن الاسلامي كأنه أعجوبة من الأعاجيب » •

— ويقول « دوزي » المستشرق الهولندي : « ان في كل الاندلس لم يكن يوجد رجل أمي بينما لم يكن يعرف القراءة والكتابة في أوروبا معرفة أولية الا الطبقة العليا من القسس » •

— ويقول « لين بول » في كتابه « العرب واسبانيا » : « فكانت أوربا الأمية تزخر بالجهل والحرمان بينما كانت الأندلس تحمل امامة العلم وراية الثقافة » •

ـ ويقول « بريفولت » في كتابه « تكوين الانسانية » : « العلم هو أعظم ما قدمت الحضارة العربية الى العالم الحديث ، ومع أنه لاتوجدناحية واحدة من نواحي النمو الاوربي الا ويلحظ فيها أثر الثقافة الاسلامية النافذ، الا ان أعظم أثر وأخطره هو ذلك الذي أوجد القوة التي تؤلف العامل البارز الدائم في العالم الحديث ، والمصدر الأعلى لانتصاره أعني العلم الطبيعي والروح العلمية .. وهذه الحقائق مؤداها أن الاسلام دين بناء حضاري » .

ـ ويقول « أبو شبكه » في كتابه « روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة » : « ان زوال الحضارة العربية كان شؤماً على أسبانيا وأوروبا ، فالأندلس لم تعرف السعادة الا في ظل العرب ، وحالما ذهب العرب حلّ الدمار محل الثراء والجمال والخصب .. » .

ـ ويقول « هـ ، ر ، جب » في كتابه « الاتجاهات الحديثة في الاسلام » في معرض المذهب التجريبي الذي قام عليه كل العلم الأوربي والذي هو تراث اسلامي أصيل ... يقول ما نصه : « أعتقد أنه من المتّفق عليه أن الملاحظة التفصيلية الدقيقة التي **قام بها الباحثون المسلمون** قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة ، وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبي الى أوروبا في العصور الوسطى » .

ـ ويقول « فكتور روبنصن » بعد كلام طويل في موازنته بين الحضارة الاسلامية في الاندلس ، وحضارة أوروبا في القرون الوسطى : « .... وكان أشراف أوروبا لايستطيعون توقيع أسمائهم بينما كان أطفال المسلمين في قرطبة يذهبون إلى المدارس ؛ وكان رهبان أوربا يلحنون في تلاوة سِفْر الكنيسة بينما كان معلمو قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع في ضخامتها مكتبة الاسكندرية العظيمة .. » .

ان هذه الاقوال وأقوالا كثيرة غيرها تؤكد لنا بوضوح ما انطوى عليه الاسلام من قوة دفع حضارية ، ومن اشراقة نور علمية •• بينما كان العلماء في أوروبا — في القرون الوسطى — يقتلون في الساحات العامة جهاراً نهاراً لجراءتهم العلمية والفكرية !!••



ولكن ماهو السر في هذا الدفع الحضاري ، والإشراقة العلمية ؟•

السر كامن في المبادىء التي انطوت عليها شريعة الاسلام الخالدة :

أ — ذلك لأن الاسلام روح ومادة ، دين ودنيا فلعبادته ، ومعاملاته ، وتشريعاته الاجتماعية ، وأحكامه الدنيوية •• آثار واضحة في بناء الحضارة الانسانية ، وشعاره في ذلك قوله تعالى :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا » .

(القصص : ٧٧)

وقوله : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله »

(الجمعة : ١٠)

ب — ولأنه يدعو الى المساواة والانسانية ، ليساهم في بناء الحضارة الانسانية كل من ينضوي تحت راية الاسلام بغض النظر عن أجناسهم وألوانهم ولغاتهم •• وشعاره في ذلك قوله تبارك وتعالى :

« ان اكرمكم عند الله اتقاكم » (الحجرات : ١٣)

ج — ولأنه دين الانفتاح والتعارف إلى كل الأمم والشعوب ، وشعاره في ذلك قوله تبارك وتعالى :

« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » (الحجرات : ١٣)

وبناء على هذا النداء انفتح المسلمون على غيرهم ، واستفادوا من حضارات الأمم ، فتكونت لديهم خبرات واسعة في شتى المجالات الصناعية والتجارية والزراعية والفنية .. فصهروها في بوتقة الاسلام ، فجاءت الحضارة فيما بعد مطبوعة بطابعه ، وممهورة بخاتمة .

د ـ ولأنه دين مستمر متجدد على أرقى ما يكون من النظم والاحكام والمبادىء .. وحسبه شرفاً وخلوداً أنه تنزيل رب العالمين ، وتشريع أحكم الحاكمين ، وأنه يفي بحاجات البشرية في كل زمان ومكان ، ويمد الإنسانية بتشريعات حيوية راقية متكاملة الى أن يرث الله الارض ومن عليها ؛ وشعاره في ذلك قوله تعالى :

« ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » (المائدة : ٥٠)

ويكفي هذا الاسلام فخراً وخلوداً أن يشهد عظماء الغرب على عظمته وحيوية تشريعه ، واليكم ما قاله الفيلسوف الانكليزي **« برناردشو »** :
« لقد كان دين محمد موضع تقدير سام لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة ، وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة .. وأرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الانسانية ، وإنّ رجلا كشاكلته لو تولّى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلاته » .

ويقول الدكتور **« ايزكو انساباتو »** : « ان الشريعة الاسلامية تفوق في كثير من بحوثها الشرائع الاوربية ، بل هي التي تعطي للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً » .

ويقول العلامة **« شبرل »** عميد كلية الحقوق بجامعة « فينا » في

مؤتمر الحقوق سنة (١٩٢٧) م : « ان البشرية لتفتخر بانتساب رجل كمحمد (صلى الله عليه وسلم) اليها ، اذ أنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرناً أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد مانكون ، لو وصلنا الى قمته بعد ألفي سنة » !!..

جاء النبيون بالآيات فانصرمت ... وجئتنا بجديد غير منصرمِ

آياته كلما طال المدى جُدُدٌ ... يزينهن جمال العِتْقِ والقِدم

هـ — ولأنه دين يجعل التعليم منذ الصغر الزامياً ومجانياً دون أن يكون تمييز بين العلوم الشرعية والعلوم الكونية الا من ناحية الحاجة والكفاية والاختصاص .

أما ان الاسلام دين يجعل التعليم اجبارياً والزامياً فللأحاديث التالية :

— روى ابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، ولفظ المسلم في الحديث عام يشمل الذكر والأنثى على السواء .

— وروى الطبراني في الكبير عن علقمة عن أبيه عن جده قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ثم قال : « ما بال أقوام لايفقهون جيرانهم ، ولايعلمونهم ، ولا يعظونهم، ولايأمرونهم، ولاينهونهم، ومابال أقوام لايتعلمون من جيرانهم، ولايتفقهون، ولايتعظون ، والله ليعلمنّ قوم جيرانهم ، ويفقهونهم، ويعظونهم ، ويأمرونهم ، وينهونهم ، وليتعلمنّ قوم من جيرانهم ، ويتفقّهون ، ويتّعظون، أو لأعاجلنّهم العقوبة » .

— وروى ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » •

فإذا كان طلب العلم ــ في نظر الاسلام ــ فريضة على المسلم والمسلمة، واذا كان المستنكف عن تعلم العلم أو تعليمه مهددا ــ من قبل الشرع ــ بالعقوبة ، واذا كان من يكتم العلم النافع ملجماً بلجام من نار يوم القيامة •• أفلا يدل كل هذا على أن الاسلام دين يجعل تعلم العلم أو تعليمه واجباً الزامياً ؟!••

اما أن الاسلام دين يجعل التعليم بكل اختصاصاته مجانياً

فللمواقف التي وقفها النبي صلى الله عليه وسلم في مجانية التعليم ، وتحذيره الشديد من أخذ الأجر على التعليم لأصحابه •

فقد ثبت تاريخياً أنه عليه الصلاة والسلام كان لايتقاضى على دعوته وتعليمه من أحد أجراً ، ومبدؤه ومبدأ الرسل من قبله قوله تعالى :

« قل لاأسالكم عليه من اجر ان أجري الا على الله »•

وثبت تاريخياً كذلك أن مصعب بن عمير الذي أرسله عليه الصلاة والسلام داعياً ومعلماً إلى المدينة ، ومعاذ بن جبل الذي أرسله الى اليمن ، وجعفر بن أبي طالب الذي أرسله الى الحبشة •• وعشرات غيرهم كانوا لايتقاضون من أحد أجراً •

ومن تحذيره عن أخذ الاجر أن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ــ كما روى أبو داود عن أبي شيبة ــ قال : « علّمتُ ناساً من أهل الصفّة الكتاب والقرآن ، فأهدى لي رجل منهم قوساً ، فقلت : ليست بمال ، وأرمي عليها في سبيل الله ، لآتينّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأسألنّه ، فأتيته ،

فقلت يارسول الله ، رجل أهدى لي قوساً ممن كنت أعلمه الكتاب والقرآن. وليست بمال ، وأرمي عليهــا في سبيل الله . فقــال : إن كنت تحب أن تكون طوقاً من النار فاقبلها » .

وثبت تاريخياً ايضاً أن أبناء المسلمين الذين كانوا يؤمّون المساجد ، والمدارس .. للعــلم والتعلم كانوا لايبذلون في سبيل تعلمهم أجراً !! ، بــل كانوا يدرسون في بعض العصور على حساب الدولة. ولقد كان **علماء السلف** يحذرون من يتصدى للارشاد والتعليم في أن يأخذ على تعليمه أجراً ، يقول الامام الغزالي رحمه الله : « على المعلم أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ، فلا يطلب على افادة العلم أجراً ، ولايقصد به جزاء ولا شكوراً ، بل يـُعلـّمـُه لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب اليه ، قال سبحانه عــلى لسان أحد أنبيائه :

« ياقوم لا اسالكم عليه مالا ان اجري الا على الله » .

نستنتج من ذلك كله أن الاسلام سنّ مجانية التعليم سواء على صعيد الدولة ، أو على صعيد الافراد حيث يقصد من يتصدى للتعليم في عمله وجه الله ، والتقرب اليه ، وابتغاء مرضاته .. وكان من نتيجة ذلك أن أقبــل الناس على العلم والتعلم بشكل لانظير له في تاريخ البشرية : يقول أحــد المفكرين : « ان الدولة الاسلامية سبقت العالم كله في نشر التعليم مجاناً للمواطنين جميعاً بلا تمييز أو محاباة ، فكانت المدارس مفتوحة على مصاريعها للشعب جميعاً في المساجد ، ودور العلم ، والأماكن العامة .. في كل البلاد التي دخلت الاسلام ؛ ومن بقايا ذلك التعليم الحر المباح التعليم المجانــي القائم بالازهر الشريف ، وبكلية دار العلوم ، وجميع المدارس الشرعية .. فالطلاب يمنحون فيها اعانات مالية لتوفير الغذاء لهم مما تعمل الدول الآن على تعميمه في أرجائها »[1] .

---

(1) عن مجلة التمدن الاسلامي من مقال « التربية الاسلامية » للأستاذ محمود مهدي استانبولي ص ٤٢٢ .

بقي السؤال اذا كان المعلم متفرغاً للتعليم ، وليس عنده مورد آخر يتكسّب منه هل يجوز له أن يأخذ أجراً على تعليمه ؟

لاشك أن المعلم حينما يكون متفرغاً للعلم والتعليم ، وحينما لاتتيسر له الاسباب في الحصول على بُلْغة العيش ، وحينما تتساهل الدولة ، أو يتساهل المجتمع في كفايته وكفالته .. فإنه يجوز أن يأخذ على تعليمه أجراً يحقق له كرامة النفس ، وبُلْغة الحياة .. والى هذا يشير الامام الغزالي رحمه الله في احيائه : « وكذلك للمدرس أن يأخذ ما يكفيه ليفرّغ قلبه عن المعيشة ، وليتجرد لنشر العلم ، فيكون مقصوده نشر العلم ، وثواب الآخرة، ويأخذ الرزق بُلْغة ميسرة للمقصود » .

قال أبو الحسن ـ كما روى القابسي ـ : وقد مرت بي حكاية تذكر عن ابن وهب أنه قال : كنت جالساً عند مالك فأقبل اليه معلم الكتّاب، فقال له : ياأبا عبد الله، اني رجل مؤدّب الصبيان ، وانه بلغني شيء ، فكرهت أن أشارط (أي على الأجر) وقد امتنع الناس عليّ ، وليسوا يعطونني كما كانوا يعطون ، **وقد اضطررت بعيالي وليس لي حيلة الا التعليم** . فقال له مالك : إذهب وشارِطْ ، فانصرف الرجل، فقال له بعض جلسائه : يا أبا عبدالله، تأمره أن يشترط على التعليم ؟ فقال لهم مالك : نعم فَمَن يُمَحِّطُ (أي يصلح) لنا صبياننا ؟ ومن يؤدبهم لنا ؟ لولا المعلمون أي شيء كنا نكون نحن ؟ .

ويزيد الامر تاكيدا ، هذا العصر الذي كثر شره ، وتضافرت المخططات الاستعمارية فيه لطمس معالم الاسلام !!. لذا وجب على الآباء والمربين أن يحرصوا على تعليم أولادهم ولاسيما علم التوحيد والعقيدة ، وتلاوة القرآن، وسائر العلوم الشرعية لأنه مالا يتمّ الواجب الا به فهو واجب ؛ واذا لم

يختاروا لأولادهم المعلمين ــ ولو بالأجر ــ فإن الاولاد سينشؤون على الإلحاد والجهل والتحلل والاباحية ...

وقديماً قال ابن مسعود رضي الله عنه ــ كما روى ابن سحنون عن سفيان الثوري ــ : « ثلاث لابد للناس منهم : من أمير يحكم بينهم ، ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضاً ؛ ولابد للناس من شراء المصاحف وبيعها ، ولولاذلك لبطل كتاب الله ؛ ولابد للناس من معلم يعلم أولادهم ، ويأخذ على ذلك أجراً ، ولولا ذلك كان الناس أميين .. » .

ونضيف شيئاً آخر يتماشى مع هذا الزمن الذي نعيشه ؛ لابد للناس من معلم يعلم أولادهم مسائل العقيدة ، ومبادىء الاخلاق ، ووقائع التاريخ، وتلاوة القرآن .. ولولا ذلك لكان الاولاد ملحدين ضالين ، سواء أكان هذا التعليم بأجر أم بغير أجر !!..

ويشهد لهذه اللابسة الضرورية في اخذ الاجر ملابسة وقعت لبعض الصحابة في سفرة سافروها ، فنزلوا على حي من أحياء العرب فاستضافوهم فأبوا أن يضيفوهم ، فلُدغ سيد ذلك الحي ، فسعوا اليه بكل شيء لاينفعه شيء ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا ، لعله أن يكون عند بعضهم شيء ؛ فأتوهم ، فقالوا : ياأيها الرهط ، ان سيدنا لُدغ ،وسعينا له بكل شيء لاينفعه شيء ، فهل عند أحد منكم من شيء ؟ فقال بعضهم : نعم والله اني لأرقي ، ولكن والله لقد استضفناكم ، فلم تضيفونا ، فما أنا براقٍ حتى تجعلوا لنا جُعْلا (أي أجراً) ، فصالحهم على قطيع من الغنم ، فانطلق يتْفُل عليه ويقرأ : الحمد لله رب العالمين ، فكأنما نشط من عِقال ، فانقلب يمشي ومابه قَلَبَة (أي مرض) ، فقال : فأوفوهم جُعلهم الذي صالحوهم عليه ، فقال بعضهم : اقسموا ؛ قال الذي رقى : لاتفعلوا حتى نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنذكر له الذي كان ، فننظر ما يأمرنا ، فقدموا

على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له فقال : ومايدريك أنها رقية ثم قال قد أصبتم ، اقسموا واضربوا لي معكم سهماً ، وضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، قال البخاري : وقال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : أحق ماأخذتم عليه أجراً كتاب الله »[1] .

فالملابسة على جواز اخذ الأجر في هذا الحديث تتعلق بعدة وجوه :

١ ـ الصحابة في سفرهم هذا كانوا جياعا وبحاجه الى الطعام ، بدليل أنهم استضافوا الحي من العرب فلم يضيفوهم .

٢ ـ سياق الحديث يدل على أن الحي من العرب لم يكن مسلماً بدليل أنهم لم يضيفوهم ، وأحكام دار الحرب[2] تختلف عن أحكام دار الاسلام .

٣ ـ الأجر الذي صالح عليه الصحابة هو مقابل ماطلبه رجال الحي لسيدهم من العلاج والاستشفاء لاأخذاً للأجرة على تعليم القرآن .

لهذه الملابسات جميعها أجاز لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الأجر ، وقد قال لهم تلطيفاً وتكريماً : « أحق ماأخذتم عليه أجراً كتاب الله » أي أحق ما أخذتم عليه أجراً في معالجة الملدوغ هو الرقية بكتاب الله عز وجل .

والذي نخلص اليه بعد ماتقدم أن الشريعة الاسلامية لاتجيز في الأصل أخذ الأجرة على التعليم اللهم الا اذا كانت هناك ملابسة ضرورية على أخذ

---

(١) الحديث بطوله رواه البخاري .

(٢) فيجوز في ديار الحرب ان نأخذ مال الكفار باي وسيلة بشرط ان يكون برضاهم .

الأجرة كأن يكون المعلم متفرغاً للعلم ، ولم يكن له مورد من الكسب سوى التعليم ، أو كانت حالة الاولاد تستدعي أن يُفرّغ لهم أولياؤهم مؤدبين يحفظونهم من عقائد الإلحاد والكفر ، وينشؤونهم على مبادىء الاسلام والتربية الفاضلة ؛ فلهذه الملابسات وغيرها أجازت الشريعة أخذ الأجرة على التعليم سواء أكان التعليم شرعياً أو كان كونياً والله أعلم .

و ـ ولأنه دين يقسم فريضة التعليم الى فريضة عينية وفريضة كفائية ، وفي ذلك تفصيل :

ـ **فإن كان** تحصيل العلم مما له علاقة في تكوين الفرد المسلم روحيا ، وعقليا ، وجسميا وخلقيا ... **فهو من قبيل فرض العين** بالمقدار الذي يحتاج اليه ، ويندرج تحت شعار هذه الفريضة المرأة والرجل ، والصغير والكبير ، والعامل والموظف ، وجميع طبقات الأمة المسلمة ...

وبناء على هذا فان تعلم تلاوة القرآن ، وأحكام العبادات ، ومبادىء الأخلاق الأساسية ، ومسائل الحلال والحرام ، وقواعد الصحة العامة ، وكل مايحتاجه المسلم في أمر دينه ودنياه هو فرض عيني على كل مسلم ومسلمة في هذه الحياة .

ـ **وإن كان** تحصيل العلم مما له علاقة بالزراعة، والصناعة، والتجارة، والطب، والهندسة ، والكهرباء ، والذرة ، ووسائل الدفاع ، وغيرها من العلوم النافعة .. **فهو من قبيل فرض الكفاية** اذا قام به البعض سقط الاثم عن الجميع ، واذا لم يقم به أحد فالمجتمع الاسلامي كله آثم ومسؤول .



هذا هو السر في قوة الدفـع الحضارية والعلمية في بناء الحضـارة الانسانية ، وهذا مما يؤكد عظمة الاسلام ، ومنافسته لروح العصر والتطور، واختصاصه بمقومات الخلود والتجدد والاستمرار ..

واما ما نراه اليوم **من ضعف علمي وتخلف حضاري** .. فيعود الى جهل المسلمين بحقيقة هذا الاسلام العظيم ، والى إبعـاد الاسلام عن تطبيق أنظمته في كـل مجالات الحياة ، والى تآمر أعداء الاسلام في طمس معالم الاسلام ، وفصل الدين عن الدولة ، وحصر النظام الاسلامي في أمور العبادة ، وقضايـا الأخـلاق !!..

ويوم يفهم المسلمون حقيقة الاسلام ، ويوم يطبقون نظامه الشامـل في شتى مجالات الحياة ، ويوم يتنبهون الى المؤامرات التي يحبكها الاعداء والعملاء .. فعندئذ يستعيدون مكانتهم تحت الشمس ، ويرجعون هداة مرشدين ، بل خير أمة أخرجت للناس ..

« وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » . (الانعام : ١٥٣)



ومن الواجب التعليمي الذي يجب انيحرص عليه المربـون والمعلمون والآباء .. هو التركيز في الدرجـة الاولـى علـى تعليم الاولاد ـ وهم في سن التمييز ـ تـلاوة القرآن الكريم ، والسيرة النبوية ، وكل مايحتاجون اليه من العلوم الشرعية ، وبعض القصائد الادبية ، وامثال العرب ..

امتثالا لأمر الرسول عليه الصـلاة والسـلام فيمـا رواه الطبرانـي : « أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فان حملة القرآن في ظلّ عرش الله يوم لاظلّ الا ظِلّه » .

فانطلاقاً من هذا الامر النبوي حرص المسلمون في كل العصور عبر التاريخ على تعليم أبنائهم هذه العلوم الاساسية ، والمواد الضرورية ..

واليكم طرفاً من أقوالهم ، وطاقات تدل على حرصهم وعنايتهم :

ـ وصى عتبة بن أبي سفيان عبد الصمد مؤدب ولده بأن يعلمه كتاب الله ، ويروّيه من الشعر أعفّه ، ومن الحديث أشرفه ..

ـ وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى الولاة مايلي : « أما بعد فعلّموا أولادكم السباحة والفروسية ، وروّوهم ماسار من المثل ، وحَسن من الشعر » .

ـ وذات مرة رأى المفضل بن زيد .. ابن أعرابية مسلمة ، فأعجب بمنظره ، فسألها عنه فقالت : « إذا أتمّ خمس سنوات أسلمته إلى المؤدّب ، فحفّظه القرآن فتلاه ، وعلمه الشعر فرواه ، ورغب في مفاخرة قومه ، وطلب مآثر آبائه وأجداده ، فلما بلغ الحلم حملته على أعناق الخيل فتمرّس وتفرّس ، ولبس السلاح ، ومشى بين بيوت الحي ، وأصغى الى صوت الصارخ » .

ـ وقال الإمام الشافعي رحمه الله : « من تعلم القرآن الكريم عظمت قيمته ، ومن نظر في الفقه نبُل قدره ، ومن كتب الحديث قويت حجته ، ومن نظر في اللغة رقّ طبعه ، ومن نظر في الحساب جزل رأيه » .

ـ وقد أوصى الإمام الغزالي في إحْيائه بتعليم الطفل القرآن الكريم ، وأحاديث الاخبار ، وحكايات الابرار وأحوالهم ، ثم بعض الاحكام الدينية، والشعر الخالي من ذكر العشق وأهله » .

ــ وقد ذكر ابن سينا في كتاب السياسة آراء ثمينة في تربية الأولاد ، ونصح بالبدء بتعليم الطفل القرآن الكريم بمجرد استعداده جسمياً وعقلياً للتعليم ، وفي الوقت نفسه يتعلم حروف الهجاء والقراءة والكتابة ، ويدرس قواعد الدين ، ثم يروي الشعر ، ويبتدىء بالرجز ثم القصيدة ..

ــ وقد أشار ابن خلدون الى أهمية تحفيظ الاولاد القرآن الكريم . وأوضح أن تعليم القرآن هو أساس التعليم في جميع المناهج الدراسية في مختلف البلاد الاسلامية لأنه شعار من شعائر الدين الذي يؤدي الى رسوخ الإيمان .

ومن طريف مايروى كما جاء في كتاب عيون الاخبار لابن قتيبة : « أن رجلا من ثقيف دخل على الوليد بن عبد الملك ، فقال له الوليد : أقرأت القرآن ؟

قال الأعرابي : لا ياأمير المؤمنين شغلتني عنه أمور وهنات .

قال الوليد : أفتعرف الفقه ؟

قال الأعرابي : لا .

قال الوليد : أفرويت من الشعر شيئاً ؟

قال الأعرابي : لا .

فأعرض الوليد عن الأعرابي ، فقال أحد الجالسين ــ وهو عبد الله بن معاوية ــ : ياأمير المؤمنين ــ وأشار الى الرجل ــ

قال الوليد : اسكت فما معنا أحد[1] .

---

(١) اختصرت القصة وتصرفت فيها بعض التصرف .

ويقصد الوليد من كلامه « اسكت فما معنا أحد » أن الذي لم يقرأ القرآن ، ولم يعرف الفقه ، ولم يروِ الشعر ولم يدرس الدين .. يكون كالعدم لاوجود له ولا اعتبار ، وان كان موجوداً بشخصه وحاضراً بذاته !!..

ومن القواعد التي وضعها الاسلام في تعليم الولد ، **البدء بتعليمه في مراحل الطفولة الأولى** حيث يكون الولد أصفى ذهناً ، وأقوى ذاكرة ، وأنشط تعليماً ..

والى هذا أشار المعلم الاول صلوات الله وسلامه عليه بقوله في الحديث الذي رواه البيهقي والطبراني في الاوسط عن أبي الدرداء مرفوعا : « العلم في الصغر كالنقش في الحجر » ، وقد أثبت علم التربية الحديث هذه الظاهرة وأكدها .

وما أحسن ماقال بعضهم :

أرانيَ أنسى ماتعلمت في الكِبَرْ
ولست بناسٍ ماتعلّمتُ في الصّغرْ

وما العلم الا بالتعلم في الصبا
وما الحلم الا بالتحلّم في الكبر

ولو فلق القلب المعلّم في الصبا
لأصبح فيه العلم كالنقش على الحجر

وما العلم بعد الشيب الا تعسّف
إذا كَلّ قلب المرء والسمع والبصر

وما المرء الا اثنان عقل ومنطق
فمَنْ فاته هذا وهذا فقد دَمَرْ



فما حظ المراة من تعلم هذه العلوم ؟

لقد أجمع العلماء والفقهاء سلفاً وخلفاً أن مايجب تعلمه على سبيل فرض العين فالمرأة به كالرجل على حد سواء وذلك لسببين :

الأول : المـرأة كالرجل في التكاليف الشرعية .

الثاني : المرأة كالرجل في نيل الجزاء الأخروي .

اما ان المراة كالرجل في التكاليف الشرعية فلأن الاسلام كلفها بكل التكاليف التي كلف بها الرجل من صلاة وصيام ، وزكاة وحج ، وبرّ وعدل واحسان .. وبيع وشراء ورهن وتوكيل .. وأمرٍ بمعروف ونهي عن منكر .. وغير ذلك من هذه الأعباء والمسؤوليات **اللهم الا في بعض حالات خاصة اعفاها منها :**

ـ إما لوجود المشقة والإخلال بالصحة كإعفائها من الصوم والصلاة في أيام الحيض والنفاس .

ـ وإما لكون الأعباء والأعمال لاتتفق مع تكوينها الجسماني وطبيعة أنوثتها كأن تمارس عمليات القتال أو تكون بنّاءة وحدّادة ..

ـ وإما أن يكون العمل الذي تزاوله يتعارض مع وظيفتها الطبيعية التي خلقت من أجلها كالقيام بمسؤوليات الأسرة ، وتربية الأولاد ، والإشراف على البيت ..

ـ وإما أن يترتب على عملها فساد اجتماعي خطير كأن توجد في وظـائف وأعمال يختلط فيها الرجال بالنساء ..

أما ماعدا ذلك من الأعمال والتكاليف والواجبات فهي كالرجل سواء بسـواء .

وفي تقديري وتقدير ذوي البصائر النيرة أن هـذه الإعفاءات للمرأة تقدير لها ورفع لكرامتها ومنزلتها .

والا فمن يرضى أن يزجّ المرأة بأعمال تقعدها عن واجباتها تجاه زوجها وبيتها وأولادها ؟

ورحم الله شوقي حين قال :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من   همّ الحيـاة وخلّفاه ذليـلا

ان اليتيم هـو الـذي تلقى له   أمّـاً تخلّت أو أبـاً مشغولا

ومن منا يرضى أن يزجّ المرأة بأعمال شاقة ترهق جسمها ، وتفقدها أنوثتها ، وتسبب لها الامراض والعاهات ؟

ومن منا يرضى أن يزج المرأة في وظائف مختلطة تكون سبباً في تلويث عرضها ، وتدنيس شرفها ؟

وهل شيء أغلى عـلى المرأة من العرض والشرف ؟ وكيف تكون تربية الأولاد اذا درجت المرأة في الفساد ، وسارت في طريق الفحشاء ؟ ورحم الله من قـال :

وليس النبتُ ينبت في جنانٍ   كمثل النبت ينبت في الفلاة

وهل يُرجى لأطفال كمال   اذا ارتضعوا ثديّ الناقصات

و ليكم ما يقوله فلاسفة الغرب حول خـروج المراة ، وعملها خـارج المنـزل :

قال العلامة الانكليزي **« سامويل سمايلس »** في كتابه « الأخلاق » :

(ان النظام الذي يقضي بأن تشتغل المرأة في المعامل ودور الصناعات مهما نشأ عنه من الثروة ، فإن نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية ، لأنه

هاجم هيكل المنزل ، وقوّض أركان العائلة ، ومزق الروابط الاجتماعية •••
لأن وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية : كترتيب مسكنها ،
وتربية أولادها ، والاقتصاد في وسائل معيشتها مع القيام بالاحتياجات
العائلية ؛ ولكن المعامل سلختها من كل هذه الواجبات بحيث أصبحت المنازل
غير المنازل ، وأضحى الاولاد يشبّون على غير التربية الحقيقية لكونهم
يلقون في زوايا الاهمال ، وأطفئت المحبة الزوجية ، وخرجت المرأة عن
كونها الزوجة الظريفة ، والقرينة المحبة للرجل ، وصارت زميلته في العمل
والمشاق ، وباتت عرضة للتأثيرات التي تمحو غالباً التواضع الفكري والخلقي
الذي عليه مدار حفظ الفضيلة ••) •

وجاء في مجلة « شجرة الدر » في الجزء السادس من السنة الاولى
عن الكاتبة الانكليزية « مس اني رود » مانصه : (اذا اشتغلت بناتنا في
البيوت خوادم أو كالخوادم فهو خير ، وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل
حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها الى الأبد ؛ ياليت بلادنا
كبلاد المسلمين حيث فيها الحشمة والعفاف والطهر •• وحيث المرأة تتنعم
بأرغد عيش ، وبصيانة العرض والشرف ••

نعم انه عار على بلاد الانكليز أن تجعل بناتها مثلا للرذائل بكثرة
مخالطة الرجال ، فما بالنا لانسعى وراء مايجعل البنت تعمل ما يوافق
فطرتها الطبيعية ـ كما قضت بذلك الديانات السماوية ـ من ملازمة البيت ،
وترك أعمال الرجال للرجال ، وفي ذلك سلامة لشرفها ••) •

واما ان المرأة كالرجل في نيل الجزاء الأخروي فحسبنا أن تتصفح
القرآن العظيم لننظر الآيات المستفيضة التي تسوي المرأة بالرجل في نيل
الاجر والثواب • واليكم طرفاً من هذه الآيات :

ـ « فاستجاب لهم ربهم أني لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى

بعضكم من بعض ، فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب » (آل عمران : ١٩٥)

ـ « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنــة ولايظلمون نقيراً » (النساء : ١٢٤)

ـ « ان المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظــين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجــراً عظيماً » . (الأحزاب : ٣٥)

ومما يدل على أن المرأة كالرجل في نيل الاجر والمثوبة لاتتميز عنــه بشيء ماروواه عبد البر في الاستيعاب ومسلم في صحيحه أن أسماء بنت يزيد ابن السكن رضي الله عنهــا أتت النبي صلى الله عليــه وسلم فقالت : إنــي رسول مَن ورائي من جماعة نساء المسلمين ، كلهن يقلن بقولي ، وعلى مثل رأيي : ان الله بعثك الى الرجال والنساء ، فآمنّا بك واتبعناك ، ونحــن معشر النساء مقصورات مخدّرات ، قواعد بيوت ، وان الرجال فُضّلوا بالجُمعات وشهود الجنائز والجهاد ، واذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربّينا أولادهم ، أفنشاركهم في الاجر يارسول الله ؟

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه الى أصحابه فقــال : « هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالا عن دينها من هذه ؟ » ، فقالوا : بلى يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انصرفي ياأسماء ، وأعلمي مَن وراءك من النساء أن حُسْنَ تبعّل احداكنّ لزوجها ، وطلبها لمرضاته ، واتباعها لموافقتــه يعــدل كل ما ذكرت » ، فانصرفت أسمــاء وهي تهلّل وتكبّر ، استبشاراً بما قال لها عليه الصلاة والسلام .

فيتبين من هذا الحديث النبوي الشريف أن الأجر الذي تناله المرأة في ترتيب مسكنها ، وطاعة زوجها ، وتربية أولادها •• يعدل أجر الرجل في جهاده واختصاصه ••



ومما يدل على أن الاسلام **اعتنى بالبنت من ناحية تعليمها** هذه الاحاديث النبوية الصحيحة :

— روى الترمذي وأبو داود واللفظ له أنه عليه الصلاة والسلام قال : « **من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات ، أو بنتان أو أختان فأدبهن وأحسن اليهن وزوجهن فله الجنة** » ، وفي رواية ، « **وأيما رجل كانت عنده وليدة (أي أمة) فعلمها فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران** » •

— وقد ثبت في صحيح البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخص النساء بأيام يعلمهن فيها مما علمه الله ، وذلك لما جاءته امرأة فقالت : يارسول الله ، ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتي اليك فيه تعلمنا مما علمك الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : جتمعن يوم كذا وكذا ، فاجتمعن فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم علمهن مما علمه الله •

— وجاء في فتوح البلدان للبلاذري أن أم المؤمنين حفصة بنت عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما كانت تتعلم الكتابة في الجاهلية على يد امرأة كاتبة تدعى « الشفاء العدوية » فلما تزوجها عليه الصلاة والسلام طلب الى الشفاء أن تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها أصل الكتابة •

والذي نخلص اليه من هذه النصوص أن الاسلام أمر بتعليم الفتاة العلم النافع ، والثقافة المفيـــدة •• واذا وجد مـــن العلمـــاء قديما من يمنع تعليم المرأة ، فيكون المنع منصباً على تعلم الشعر الفاحش ، والكلام المقذع ، والادب الرخيص ، والعلم الضار •• أما أن تتعلم العلوم التي تنفعها في دينها ودنياها ، وأن تقول الشعر الحكيم الرصين ، والكلام المحكم المجيد •• فلا يوجد من يَنْهى عن ذلك ويمنعه !!••

جاء في مقدمة كتاب المعلمين لابن سحنون : (أن القاضي الورع عيسى ابن مسكين كان يقرىء بناته وحفيداته •• قال عياض : فإذا كان بعد العصر دعا ابنتيه وبنات أخيه ليعلمهن القرآن والعلم ، وكذلك كان يفعل قبله فاتح صقلية « أسد بن الفرات » بابنته أسماء التي نالت من العلم درجة كبيرة •• وروى الخُشني أن مؤدباً كان بقصر الامير محمد بن الاغلب ، وكان يعلم الاطفال بالنهار ، والبنات في الليل ••) •

وقد ثبت تاريخياً أن المرأة في ظل الاسلام وصلت الى أسمى درجات العلم والثقافة ، ونالت أكبر قسط من التربية والتعليم في العصور الاسلامية الاولـــى ••

فكان من النساء المسلمات **الكاتبة والشاعرة** كأمثال عُلَيّة بنت المهدي ، وعائشة بنت أحمد بن قادم ، وولاّدة بنت الخليفة المستكفي بالله •••

وكان منهن **الطبيبة** كأمثال زينب طبيبة بني أوَد التي عرفت بعلاج أمراض العيون ، وأم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي وقد كانت طبيبة شهيرة مبرزة في الطب •••

وكان منهن **المحدّثات** كأمثـــال كريمة المروزية ، والسيدة نفيسة ابنة محمد ، وقد ذكر الحافظ ابن عساكر ــ وهو أحد رواة الحديث ــ أن عدد شيوخه وأساتذته من النساء كان بضعاً وثمانين أستاذة •

وبلغت كثيرات منهن منزلة علمية رفيعة ، فكان منهن الاستاذات والمدرسات للامام الشافعي ، والإمام البخاري ، وابن خلكان ، وابن حيان •• وجميعهم من الفقهاء والعلماء والأدباء المشهورين •• وهذا أكبر دليل على ماتمتاز به التربية الاسلامية من العناية بالعلم والنبوغ الفكري ، والثقافة الاسلامية المتنوعة ••



واذا كان الشرع أذن للمرأة أن تتعلم ماينفعها في أمر دينها ودنياها ••

فيجب ان يكون هذا التعليم بمعزل عن الذكور ، وبمناى عنهم •• حتى يسلم للبنت عرضها وشرفها ، وحتى تكون دائماً حسنة السمعة ، كريمة الخلق ، كثيرة الاحترام ••

ولعل أول كاتب تربوي نادى بالفصل بين الجنسين في حقل التعليم وغيره هو الامام القابسي ، فقد ذكر في رسالته عن التعليم « أن من حسن النظر ألاّ يخلط بين الذكران والإناث » ، ولما سئل « ابن سحنون » عن التعليم المختلط ذكوراً وإناثاً فقال « أكره أن يُعلّمَ الجواري مع الغلمان لأن ذلك فساد لهن » • واذا كان ابن سحنون والقابسي يريان أن تفصل البنات عن الصبيان خشية الفساد •• فرأيهما هذا ـ في الحقيقة ـ مستمد من حكم الشرع ، وحكم الشرع مقدم على كل أمر وحكم في هذه الحياة لقوله تعالى :

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً » .

(الأحزاب : ٣٧)

أما أن رأيهما مستمد من حكم الشرع فللنصوص التالية :

قال تعالى : « واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب » .

(الأحزاب : ٥٣)

واذا كانت هذه الآية نزلت في أمهات المؤمنين .. فالعبرة ـ كما يقول الأصوليون ـ لعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، واذا كانت أمهات المؤمنين المقطوع بعفتهن وطهارتهن مأمورات بالحجاب ، وعدم الظهور أمام الاجانب فالنساء المسلمات بشكل عام مأمورات بالستر وعدم الظهور من باب أولى ، وهذا مايسمى بالمفهوم الأولوي عند الفقهاء وعلماء الاصول .

ـ وقال عز من قائل : « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن الا ماظهر منها ، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولايبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن ... » الآية . (النور : ٣١)

فإذا كان الأمر ـ في هذه الآية ـ يشمل غضّ البصر ، ووضع الخمار على الرأس وفتحة الصدر ، وعدم ابداء الزينة والمفاتن الا للمحارم .. أفليس يدل هذا الشمول على أن المرأة المسلمة مأمورة بالستر والحشمة والعفة وعدم الاختلاط بالاجانب ؟

ـ وقال سبحانه : « ياايها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما » . (الأحزاب : ٥٩)

فكيف تتصور اختلاط المرأة بالأجنبي ، والمرأة المسلمة في هذه الآية مأمورة بالحجاب ، وارتداء الجلباب ؟

ـ وروى الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما خلا رجل بامرأة الا وكان الشيطان ثالثهما » .

ـ وروى البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« اياكم والدخول على النساء ، فقال رجل : يارسول الله ، أفرأيت الحمو (أي أقارب الزوج) ؟ ، قال : الحمو الموت » •

فهذه النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية تحرم اختلاط الرجال بالنساء بشكل قاطع جازم لايحتمل الشك ولا الجدل !!••



فالذين يبيحون الاختلاط ، ويبررونه بتعويدات اجتماعية ، ومعالجات نفسية ، وحجج شرعية ، فإنهم في الواقع يفترون على الشرع ، ويتجاهلون الفطرة الغريزية ، ويتجاهلون الواقع المرير الذي آلت اليه المجتمعات الانسانية قاطبة •••

اما انهم يفترون على الشرع ــ في دعواهم الى الاختلاط ــ فللنصوص الكثيرة التي سبق ذكرها قبل قليل •

اما انهم يتجاهلون الفطرة الغريزية

فلأن الله سبحانه لما خلق الرجل والمرأة ركّب في كل منهما الميل الجنسي الى الآخر •

« فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله » •

فهل يريد دعاة الاختلاط والسفور أن يغيّروا نواميس الكون ، وأن يبدلوا فطرة الانسان ، وأن يحوّلوا سنن الحياة ، ولاسيما اذا كان كل من الرجل والمرأة ــ في حال اختلاطهما ــ جائعين جنسياً ، ومائعين خلقياً فإن الفتنة ــ لاشك ــ أشد ، والانجذاب الى الفاحشة أبلغ وأقوى !!••

ولو كان الاختلاط منذ الصغر ، وفي جميع مراحل العمر يجعل النظر الى المرأة أمراً مألوفاً عادياً لايحرك في نفسي الرجل والمرأة غريزة ولاشهوة •• لانقلبت المودة بين الزوجين الى عداوة ، والرحمة بينهما الى ظلم ، والاتصال

الجنسي الى برود •• ولما رضي أحدهما البقاء مع الآخر في ظلال الزوجية ، وهذا خلاف المشاهد والواقع !!••

اما انهم يتجاهلون الواقع المرير الذي آلت اليه المجتمعات الانسانية في تجربتها للاختلاط فليسألوا مجتمعات الدول الغربية والشرقية عما وصلت اليه المرأة من تحلل وفساد ، واباحية وفجور •• علما أن الاختلاط أمر شائع في كل الطبقات وعلى مختلف المستويات ، في الشارع ، في المدرسة ، في المتجر ، في الدائرة ، في الجامعة ، في المتنزّهات •• فى كل مكان ••

واليكم شيئاً من واقعهم ، ونتائج من تجاربهم بالوقائع والأرقام :

فمن هذه الوقائع :

● جاء في كتاب « الاسلام والسلام العالمي » للشهيد سيد قطب : « أن نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية في أمريكا بلغت في احدى المدن (٤٨) في المئـــة » •

● ونقلت جريدة الأحد اللبنانية في العدد ذي الرقم (٦٥٠) عن الفضائح الجنسية في الجامعات والكليات الأمريكية مايلي :

ــ « الفضائح الجنسية في الجامعات والكليات الأمريكية بين الطلاب والطالبات تتجدد وتزداد كل عام » •

ــ « الطلاب يقومون بمظاهرة في جامعات أمريكا يهتفون فيها نريد فتيات •• نريد أن نرفه عن أنفسنا » •

ــ « هجوم ليلي من الطلاب على غرف نوم الطالبات ، وسرقة ثيابهن الداخليـــة » •

ــ وقال عميد الجامعة معقباً علـــى الحدَث : « ان معظم الطـــلاب والطالبات يعانون جوعاً جنسيا رهيبا ، ولاشك أن الحياة العصرية الراهنة لها أكبر الأثر في تصرفات الطلاب الشاذة » •

ــ ومما ذكرته الجريدة كذلك : « ودلت الاحصائيات في العام الماضي على أن (١٢٠) ألف طفل أنجبتهم فتيات بصورة غير شرعية لاتزيد أعمارهن على العشرين ، وان كثيرات منهن من طالبات الجامعات والكليات •• » •

ــ واستطردت الجريدة قائلة : « وقال تقرير للشرطة في ولاية « بروفيدنس » أن (٦٦) طالباً وطالبة قضوا في أيار الماضي عطلة نهاية الاسبوع في « رودايلند » ولم يعد الطلاب الى الجامعة ، بل الى سجن الولاية ، حيث اعتقلوا وهم في أوضاع مريبة ، وبعضهم كان يتعاطى المخدرات •• » •

ــ ونقلت الجريدة عن المربية الاجتماعية « مرغريت سميث » حديثاً قالت فيه : « ان الطالبة لاتفكر الا بعواطفها ، والوسائل التي تتجاوب مع هذه العاطفة ، ان أكثر من ستين بالمئة من الطالبات سقطن في الامتحانات ، وتعود أسباب الفشل الى أنهن يفكرن في الجنس أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن •• وان (١٠) بالمئة منهن فقط مازلن محافظات ••»

● وذكر « جورج بالوشي » في كتابه « الثورة الجنسية » مايلي : « وفي سنة ١٩٦٢ صرح « كنيدي » بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات لايقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية» •وفي سنة ١٩٦٢ صرّح « خروشوف » ــ كما صرح كنيدي ــ بأن مستقبل روسيا في خطر وأن شباب روسيا لايؤتمن على مستقبلها ، لأنه مائع منحل غارق في الشهوات »•

● ويقول « ديل ديورانت » في كتابه « مباهج الفلسفة » :

ــ « اننا نواجه مرة أخرى تلك المشكلة التي أقلقت بال «سقراط» نعني كيف نهتدي الى أخلاق طبيعية تحل محل الزواجر العلوية التي بطل أثرها في سلوك الناس ؟ اننا نبدد تراثنا الاجتماعي بهذا الفساد الماجن » •

ـ « واختراع موانع الحمل وذيوعها هو السبب المباشر في تغيـر أخلاقنا ، فقد كان القانون الاخلاقي قديماً يقيد الصلة الجنسية بالزواج ... لأن النكاح يؤدي الى الأبوة بحيث لايمكن الفصل بينهما ، ولم يكن الوالد مسؤولا عن ولده الا بطريق الزواج .. أما اليوم فقد انحلت الرابطة بـين الصلة الجنسية وبين التناسل ،وخلقت موقفاً لم يكن آباؤنا يتوقعونه ، لأن جميع العلاقات بين النساء والرجال آخذة في التغير نتيجة هذا العامل .. » .

ـ « .. غير أنه من المخجل أن نرضى في سرور نصف مليون فتـاة أمريكية يقدمن أنفسهن ضحايا على مذبح الإباحية ، وهي تعرض علينا في المسارح وكتب الأدب المكشوف ، تلك التي تحاول كسب المال باستثارة الرغبة الجنسية في الرجال والنساء المحرومين من (حصن) الزواج ورعايته للصحة » .

ـ « ... فكل رجل حين يؤجل الزواج يصاحب فتيات الشوارع ممن يتسكعن في ابتذال ظاهر ، ويجد الرجل لإرضاء غرائزه الخاصة في هذه الفترة من التأجيل ، نظاماً دولياً مجهزاً بأحدث التحسينات ، ومنظما بأسمى ضروب الادارة العلمية ، ويبدو أن العالم قد ابتدع كل طريقة يمكن تصورها لإثارة الرغبات واشباعها .. » .

ـ « وأكبر الظن أن هذا التجدد في الاقبال على اللذة قد تعاون أكثر مما نظن مع هجوم دارون على المعتقدات الدينية ، وحين اكتشف الشبان والفتيات أن الدين يشهّر بملاذّهم التمسوا في العلم ألف سبب وسبب للتشهير بالدين .. » .

ـ « .. ولا مفر من أن يأخذ الجسم في الثورة (الجنسية) ، وأن تضعف القوة على ضبط النفس عما كان في الزمن القديم ، وتصبح العفة التي كانت فضيلة موضعاً للسخرية ، ويختفي الحياء الذي كان يضفي على الجمال

جمالا ، ويفاخر الرجال بتعداد خطاياهم ، وتطالب النساء بحقها فى مغامرات غير محدودة على قدم المساواة مع الرجال ، ويصبح الاتصـال قبل الزواج أمراً مألوفا ، وتختفى البغايا (أى الزانيات بأجر) من الشوارع بمنافسـة الهاويات (أى الزانيات بدافع الهوى) لا برقابة البوليس ••• » [1] •

✻ ونقلت أخبار اليوم القاهرية فى ٢٤/٤/١٩٦٥ هذا الخبر : « خرجت النساء السويديات فى مظاهرة عامة تشمل أنحاء السويد احتجاجاً على اطلاق الحريات الجنسية فى السويد ، اشتركت فى المظاهرات مائة ألف امرأة » •

ونقلت كذلك أنه فى شهر نيسـان عام (١٩٦٤) « أثيرت فى السـويد ضجة كبرى عندما وجه (١٤٠) طبيباً من الأطباء المرموقين مذكرة الى الملك والبرلمان يطلبون فيها اتخاذ اجراءات للحد من الفوضى الجنسية التى تهـدد حقاً حيوية الأمة وصحتها ، وطالب الأطبـاء بسـن قوانين ضد الانحـلال الجنسى •• » •

ـ يكتب القاضى « بن لندسى » فى كتابه « تمرد النشء الجديد » : « ان الصبية فى أمريكا قد أصبحوا يراهقون قبل الأوان ، ومن السن الباكرة جداً يشتد فيهم الشعور الجنسى » • وبحث هذا القاضى عن أحوال /٣١٢/ صبية على سبيل النموذج ، فعلم أن / ٢٥٥ / صبية منهن كن أدركن البلوغ فيما بين الحادية عشرة ، والثالثة عشرة من سني أعمارهن ، يوجد فيهن من

(١) الجزء الأول من كتاب « مباهج الفلسفة » : ص ٦ ـ ١٣٤ .

أمارات الشهوة الجنسية ، والمطالب الجسدية ما لا يكون عادة الا فى بنات الثامنة عشرة فما فوق ••

ـــ ويذكر الدكتور « أديث هوكر » فى كتابه « القوانين الجنسية » : « أنه ليس من الغريب الشاذ حتى فى الطبقات المثقفة أن بنات سبع أو ثمانى سنين يخادن الصبية ، وربما تلوثن معهم بالفاحشة •• » وذكر أمثلة كثيرة على دعواه !! •

ـــ ومما نشرته الصحف البريطانية أن مدرسة شابة فى الخامسة والعشرين من عمرها كانت تدرس لمجموعة من الطلاب المراهقين ممارسة الجنس عمليا ، وقد شوهدت وهى تخلع ثيابها قطعة قطعة •• أمام طلابها •• وهكذا حتى انتهت من عمليتها الاباحية الفاجرة !! ••

ـــ ونشرت صحيفة « الشرق الأوسط » اللندنية فى عـددها الصـادر ١٥/٧/١٩٧٩ أن (٧٥ ٪) من الأواج يخونون زوجاتهم فى أوروبا ، وأن نسبة أقل من المتزوجات يفعلن الشىء ذاته ، وفى كثير من الحالات يعلم الزوج بخيانة زوجته ، وتعلم الزوجة بخيانة زوجها ، ومع هذا قد تستمر العلاقات الزوجية الشكلية دون أن يطرأ عليها أى انفصام !! •

أما العلاقات قبل الزواج فان (٨٠ ـــ الى ٨٥ ٪) من الرجال البالغين لهم خليلات ، وان لكل واحد منهم خليلة واحدة فقط •• وان ما بقى من أفراد المجتمع غير المتزوجين والذين ليس لهم خليلاتهم من الزناة فهم ينتقلون من امرأة لأخرى اشباعاً لغرائزهم ووطرهم !! ••

ـــ ومما نشرته مجلة « الأمان » اللبنانية فى عددها الصادر ٣٠/١١/١٩٧٩

أنَ شاباً من شباب العرب المتفلتين ذهب الى الدينمارك ، وفى أحد المسارح هناك فوجىء بالفنانة (هكذا يسمونها) ، وهى تخلع ثيابها قطعة قطعة •• حتى وقفت عارية تماماً فى وسط المسرح •• ثم دعت كلبها ليقارف معها الفاحشة أمام الناس ، ثم لم تلبث بعد ذلك أن طلبت من الحاضرين متحدية اياهم أن يفعلوا بها مثل ما فعل الكلب أمام الأضواء الباهرة ، والموسيقى الصاخبة •• ورأى بأم عينيه أحد الأفارقة المخمورين وهو يصعد الى خشبة المسرح يحاول دون جدوى أن يقلد الكلب فى عمليته فلم يفلح !! •

ــ هل أتاكن حديث « لوتروكيه » رئيس الجمعية الوطنية فى فرنسا ؟ الرجل العجوز الذى اقتحم الرابعة والسبعين من عمره ، فلم يمنعه وقار الشيخوخة أن يغوص الى أذنيه فى مستنقعات العهر ، والفوضى الجنسية •• لقد اعترف شرطيه الخاص أنه جند عدداً من الفتيات تتراوح أعمارهن بين ١٤ ــ ١٨ سنة لاحياء حفلات عارية فى مسكن حكومى بباريس ، وفى بيوت أنيقة لشخصيات باريسية كبيرة •• وهى مشكلة لاتزال بين يدى القضاء الفرنسى !! ••

ــ وجاء فى تقارير « البوليس السرى الأمريكى بشيكاغو » ، وقد نشرت فى ثلاثة عشر مجلداً ما يلى : « ان هذه الحرية الفاسدة ، وحضارة الخنافس • لم تفسد فقط نظام الأسرة فى أمريكا ، ولكنها أيضاً قد جلبت لأمريكا ثقافة لا يمكن معالجتها بالبوليس والقضاء •• » •

ــ ومما نشرته صحيفة « الهيرالدتريبيون » الأمريكية فى عددها ١٩٧٩/٦/٢٩ ملخصاً لأبحاث قام بها مجموعة من الاختصاصيين الأمريكيين حول ظاهرة غريبة ابتدأت فى الانتشار فى المجتمعات الغربية بصورة عامة ،

وفى المجتمع الأمريكى بصورة خاصة ، وهى ظاهـرة اقتراف الفاحشـة مع المحرمات كالبنت والأخت ..

ويقول الباحثون : « ان هذا الأمر لم يعد نادر الحدوث ، وانما هو لدرجة يصعب تصديقها ، فهناك عائلة من كل عشر عائلات يمارس فيها هذا الشذوذ » !! ..

هذا مع المحارم فكيف اذا اجتمع الشاب والشابة مع بعضهما فى دراسة أو عمل أو وظيفة .. ولم يكن بينهما رابطة من نسب ، ولا صلة من قرابة ..؟ فلاشك أن اقترافهما للفاحشة يكون من باب أولى !! ؟

فهـذه الوقائع التى سردناها عن واقع الأمم الغربية وتجربتهم للاختلاط ما هو الا غيض من فيض ، ونقطة من بحر للانحرافات الجنسية والخلقية التى آلت اليها المجتمعات العالمية قاطبة كنتيجة أليمـة للعنـة التبرج والسـفور والاختلاط فى عصور الانتكاس والضلال .. علماً بأن الاختلاط عند الغربيين والشرقيين يبدأ من الروضة الى الابتدائى الى الاعـدادى الى الثانوى الى الجامعى .. بل الاختلاط ــ كما نوهنا ــ شائع وموجود ومطبق فى سائر حياتهم الاجتماعية على الاطلاق .

فهل يصـدق عاقل ذو بصـيرة ــ بعد الذى أوضحناه ــ أن الاختلاط بين الجنسين ــ كما يدعى دعاة الاختلاط اليوم ــ يحد من ثورة الغريزة ، ويخفف من هياج الشهوة ، ويجعل اجتمـاع الرجال بالنسـاء أمراً مألوفا وعادياً ؟ .

ومن طرائف ما ذكره الشيخ زاهد الكوثرى رحمه فى مقالاته : « أن سفير الدولة العثمانية فى بلاد الانجليز اجتمع مرة مع كبراء الدولة البريطانية، فقال له أحد الكبراء الموجـودين : لماذا تصرون أن تبقى المرأة المسـلمة فى

الشرق متخلفة ، معزولة عن الرجال ، محجوبة عن النور ؟ !! فقال له السفير العثمانى : لأن نساءنا فى الشرق لا يرغبن أن يلدن من غير أزواجهن ، فخجل الرجل ولم يُحْرِ جواباً !! » .

فبأى حديث بعد هذا يؤمنون ؟

***

وفى الحديث عن الاختلاط ونتائجه أريد أن أضع بين يدى الآباء والمربين هذه الحقيقة : ان مخططات الاستعمار والصهيونية ، والمذاهب المادية والاباحية .. تستهدف أول ما تستهدف افساد المجتمع المسلم ، وتهديم كيانه ، وفصم عراه .. وذلك بتمزيق القيم الأخلاقية ، والمفاهيم الدينية بين الشباب والشابات ، واشاعة الميوعة والانحلال فى كل ناحية من نواحى المجتمع المسلم .. فالمرأة عند هؤلاء هى أول الأهداف فى هذه الدعوة الاباحية ، والميدان الماكر ، فهى العنصر الضعيف والعاطفى لتنفيذ آى مخطط لدعوة اباحية ، ومنهج استعمارى ..

ــ يقول أحد أقطاب المستعمرين : « كأس وغانية تفعلان فى تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع ، فأغرقوها فى حب المادة والشهوات » .

ــ ويقول كبير من كبراء الماسونية الفجرة : « يجب علينا أن نكسب المرأة ، فأى يوم مدت الينا يدها فزنا بالحرام ، وتبدّد جيش المنتصرين للدين » .

ــ وجاء فى « بروتوكولات حكماء صهيون » ما يلى : « يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق فى كل مكان فتسهل سيطرتنا ، ان « فرويد » منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية فى ضوء الشمس لكى لا يبقى فى نظر الشاب شىء

مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو ارواء غريزته الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه » .

فالذين يدعون الى اختلاط الأنثى بالذكر في بلاد الاسلام ، ويريدون أن يكون شائعاً مطبقاً في سائر حياتنا الاجتماعية .. **ماهم في الحقيقة الا اداة دعاية وتنفيذ** لمخططات أعداء الاسلام من أصحاب مذاهب مادية والحادية واباحية ، ودعاة أفكار استعمارية وصهيونية وماسونية .. من حيث يعلمون أولا يعلمون ، ومن حيث يشعرون أولا يشعرون .

فما على الآباء والمربين والمسؤولين اذن الا أن يجنّبوا الإناث عن الذكور في التعليم وغير التعليم حتى ينشأ البنات على الفضيلة والعفاف ، ويسلم المجتمع من المفاسد والانحلال ، ويتحقق للشباب والشابات لياقتهم الطبية والنفسية .. وحتى تتحرر الأمة الاسلامية كذلك من مخططات أعداء الاسلام في افساد المرأة المسلمة ..

وما أحسن ما قالته عائشة التيمورية في الافتخار بعلمها وعفافها وحجابها :

بيد العفاف أصون عِزّ حجابي   وبهمتي أسمو على أترابي
ما ضرّني أدبي وحسن تعلّمي   الا بكوني زهرة الألباب
ماعاقني خجلي عن العليا ولا   سَدْلُ الخمار بلمّتي ونقابي



٢ ـ مسؤولية التوعية الفكرية :

ومن المسؤوليات الكبرى التي جعلها الاسلام أمانة في عنق الآباء والمربين جميعاً توعية الولد فكرياً منذ حداثة سنه ، ونعومة أظفاره .. الى

أن يصل سن الرشد والنضج •• والمقصود بالتوعية الفكرية ارتباط الولد :

بالاسلام ديناً ودولة ••

وبالقرآن العظيم نظاماً وتشريعاً ••

وبالتاريخ الاسلامي عزاً ومجداً ••

وبالثقافة الاسلامية العامة روحاً وفكراً ••

وبالارتباط الحركي للدعوة الاسلامية اندفاعاً وحماسة ••

اذن على المربين أن يُعرّفوا الولد منذ أن يعي ويميز على الحقائق التالية :

أ ــ خلود هذا الاسلام ، وصلاحيته لكل الأزمنة والأمكنة لما يمتاز به من مقومات الشمول والخلود والتجدد والاستمرار •

ب ــ آباؤنا الأولون ما وصلوا الى ماوصلوا اليه من عز وقوة وحضارة •• الا بفضل اعتزازهم بهذا الاسلام ، وتطبيقهم لأنظمة القرآن ••

ح ــ الكشف للولد عن المخططات التي يرسمها أعداء الاسلام :

المخططات الصهيونية الماكرة •

والمخططات الاستعمارية الغاشمة •

والمخططات الشيوعية الملحدة •

والمخططات الصليبية الحاقدة •

هذه المخططات التي تستهدف بجملتها محو العقيدة الاسلامية في الأرض ، وغرس بذور الإلحاد في الجيل المسلم ، واشاعة الميوعة والانحلال في الأسرة المسلمة ، والمجتمع المسلم •• والهدف البعيد والقريب من ذلك

اخماد روح المقاومة والجهاد في شباب الاسلام ، واستغلال ثروات البلاد الاسلامية لمصالحهم الذاتية ، ثم بالتالي طمس معالم الاسلام في كل أرجاء المجتمعات التي ينتمي أهلها الى الاسلام !!..

د ـ الكشف عن الحضارة الاسلامية التي كانت الدنيا بأسرها ترتشف من معينها حيناً من الدهر عبر التاريخ .

هـ ـ وأخيراً يجب أن يعرف الولد (أننا أمة لم ندخل التاريخ بأبي جهل ، وأبي لهب ، وأبي بن خلف .. ولكن دخلناه بالرسول العربي صلوات الله عليه وأبي بكر وعمر ...

ولم نفتح الفتوح بحرب البسوس وداحس والغبراء ، ولكن فتحناها ببدر والقادسية واليرموك ...

ولم نحكم الدنيا بالمعلقات السبع ولكن حكمناها بالقرآن المجيد ..

ولم نحمل الى الناس رسالة اللات والعزّى ، ولكن حملنا اليهم رسالة الاسلام ، ومبادىء القرآن)[1] .

والأصل في هذه التوعية الفكرية مارواه الطبراني عن علي كرم الله وجهه مرفوعاً : « أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ... » .

ولقد كان السلف الصالح يهتمون كل الاهتمام لهذه التوعية ، ويوجبون تلقين الولد منذ الصغر تعليم القرآن الكريم ، ومغازي الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومآثر الجدود والأمجاد ...

واليكم ماقالوه واوصوا به في هذا الصدد :

● يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « كنا نعلم أولادنا

---

(١) من خطبة للأستاذ عصام العطار حفظه الله وشفاه .

مغازي رسول الله صلى الله عليـهوسلم كما نعلمهم السورة من القـرآن الكريم » .

● وأوصى الإمام الغزالي في احيائه : « بتعليم الطفل القرآن الكريم ، وأحاديث الاخبار ، و حكايات الابرار ، ثم بعض الأحكام الدينية » .

● وأشار ابن خلدون في مقدمته الى أهمية تعليم القرآن الكريـم للأطفال وتحفيظه ، وأوضح أن تعليم القرآن الكريم هو أساس التعليم في جميع المناهج الدراسية في مختلف البلاد الاسلامية لأنه شعار من شعائر الدين الذي يؤدي الى رسوخ الإيمان ...

● وقد نصح هشام بن عبد الملك مؤدب ولده أن يعلمه كتاب الله ، والشعر الجيد ، والخطابة ، وتاريخ الملاحم ، ويعنى بتعليمه الاخلاق ، ويروضه على مخالطة الناس ...

فهذه الأقوال وأقوالغيرها تعطينا صورة صادقة عنالتوعية الكاملة التي كان عليها المجتمع المسلم في الماضي حكامـاً ومحكومين ، علماء وعامـة ، معلمين ومتعلمين !!..

ولكن ماالسبيل الى هذه التوعيـة ؟

السبيل اليها يتصل بعدة وجوه :

١ ــ التلقين الواعي .

٢ ــ القدوة الواعية .

٣ ــ المطالعة الواعية .

٤ ــ الرفقة الواعيـة .

● والمقصود من **التلقين الواعي** أن يلقن الولد من قبل أبويه ومربيه

حقيقة الاسلام ومابنطوي عليه من مبادىء وتشريعات وأحكام ، وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الخلود ، ومقومات البقــاء ، وطبيعة الاستمرار الــى أن يرث الله الارض ومن عليها • وعلى المربي ــ ولاسيما الأب ــ أن يحرص على إفهام الولد أنْ لاعز الا بالاسلام ، ولا نصر الا بتعاليم القرآن ، ولا قوة ولا حضارة ولانهوض الابشريعة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وعليــه كذلك أن يبصره بكل المخططات اليهودية ، والاستعمارية ، والشيوعية ، والصليبية ••• التي تستهدف القضاء على الاسلام ، وتشويه حقائقــه الناصعة ، ومعــالمه المشرقة •• وتستهدف كذلــك اجتثاث روح المقاومــة والجهاد في نفوس المسلمين ، وتربية الجيل الحاضر على الإلحاد والضلال والاباحيــة ••

كما عليه أن يلقنه حضارة الاسلام الزاهية التي بقيت مئات السنــين تشع على الانسانية نور الحق والمدنية والعرفان ، والتي ظلت أوربا عبر القرون تستقي من معينها ، وتستهدي بنورها وضيائها !!••

ولاشك أن الولد بفضل هذا التلقين الواعي المستمر يرتبط بالاسلام ديناً ودولة ، وبالقرآن الكريم نظاماً وتشريعاً ، وبالتاريخ الاسلامي اعتزازاً وقدوة ، وبالعمل الحركي والجهادي اندفاعاً واقداماً !!••

فما أحوج الاولاد الى مثل هذا التوجيه السامي ، والتلقين الواعــي ، والتربيــة الهادفة !!••

● والمقصود من **القدوة الواعية** أن يرتبط الولد بمرشد مخلص واعٍ فاهم للاسلام ، مندفع له ، مجاهد في سبيله ، مطبق لحدوده ، لاتأخذه في الله لومة لائم ••

وآفة من يتصدون للارشاد اليوم أنهم يعطون لتلامذتهم ومريديهم الصورة المقلوبة المشوهة عن الاسلام الا من رحم ربك وقليل ماهم •

فمنهم من يركز توجيهه وعنايته على اصلاح النفس وتزكيتها •• ويهمل واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمناصحة للحكام ، والوقوف أمام الظلم والظالمين •••

ومنهم من يجعل جُلّ اهتمامه للمظاهر التي أمر الاسلام بها من لحية وجلباب ولباس رأس ••• ويهمل جانب العمل الحركي ، والتجمع الاسلامي لإقامة حكم الله في الارض ••

ومنهم من يولي كل عنايته بالعلم الشرعي ، ويهمل جانب التوجيه الدعَوي ، والتحرك الجهادي •• وهو يظن أنه ينصر الاسلام •• ومنهم •• ومنهم •••

علماً بأن الاسلام كل لايتجزأ فلا يجوز لمرشد ولا لعالم ، ولا لمن يتخذه الناس قدوة أن يكتموا واجباً أمر الله به ، وأن يتغاضوا عن منكر نهى الله عنه •• لعموم قوله تبارك وتعالى :

« إن الذين يكتمون ماأنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك أتوب عليهم وانا التواب الرحيم » •

(البقرة : ١٥٩ ــ ١٦٠)

ولإنذار ما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري : « من كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » •

ومن ملامح انحراف بعض من يتصدون للارشاد اليوم أنهم يدّعون العصمة لأنفسهم ويربطون الحق بأشخاصهم الفانية غير مكترثين بما يحكم

الشرع لهم أو عليهم ظناً منهم أنهم وصلوا المرتبة التي تنزههم عن الخطأ ، والمقام الذي يجنبهم الوقوع في الزلل .. فلا يجوز لأحد من الناس أن ينتقدهم اذا أخطأوا ، ولايصح لمريد أن يراجعهم اذا أمروا .. لوصولهم الى مرتبة الحفظ والعصمة .. علماً بأن العصمة خاصة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ، فهذا الإمام مالك رحمه الله وقف مرة أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : « ما منا الا من رَدّ ورُدّ عليه الا صاحب هذا القبر » ، وأشار الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ .

ومن المواقف الخالدة التي كان يقفها العلماء الواعون المخلصون موقف عالم العصر ومرشده الشيخ « سعيد النورسي » التركي ، الملقب بـ « بديع الزمان » رحمه الله وأجزل مثوبته ؛ هذا الموقف يتلخص أنه حين أحس ذات مرة أن من بين طلابه ومريديه من يذهب في تقديسه وتعظيمه حداً عظيماً ، ويربط معالم الحق بشخصه الفاني ، قال لهم موصياً وموجهاً وناصحاً : « اياكم أن تربطوا الحق الذي أدعوكم اليه بشخصي المذنب الفاني ، ولكن عليكم أن تبادروا فتربطوه بينبوعه الأقدس : كتاب الله ، وسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولتعلموا أنني لست أكثر من دلاّل على بضاعة الرحمن جل جلاله ، ولتعلموا أنني غير معصوم ، قد يفرط مني ذنب أو يبدو مني انحراف ، فيتشوّه مظهر الحق (الذي ربطتموه بي) بذلك الذنب أو الانحراف ، فإما أن أكون بذلك قدوة للناس في هذا الانحراف ، وارتكاب الآثام ، أو صارفاً لهم عن الحق بما شوّهه واختلط به من انحرافي وآثامي » .

فما على المربين إذن الا أن يربطوا أولادهم بمرشد عالم واعٍ مخلص **يعطيهم الاسلام منهاجاً شاملا عاما** سواء مايتعلق في العقيدة والتشريع ، أو مايتصل بالدين والدولة ، أو مايرتبط بالتزكية والجهاد ، أو مايختص بالعبادة والسياسة ..

ويعطيهم التلقين التربـوي والاصلاح النفسي توجيهاً سليماً واعيـا يربطهم بالحق والشرع وتوجيهات السلف .. لابوجوده الفاني ، وشخصه المـذنب ..

ولاشك أن الاولاد حين يرتبطون بالقدوة الواعية ـ بهذا الشكل الذي بيناه ـ فيتربون على التقوى والجهاد ، وينشؤون على الإخبات لله ، والجرأة في الحق ، ويدرجون على التعبد في المحراب ، وعلى مقارعة الاعداء في ميادين القتال عندئذ يكونون من نمط الذي قال عنهم الشاعر الاسلامي :

شباب ذلّلوا سبل المعـالي ... وماعرفوا سوى الاسلام دينا
تعهـدهم فأنبتهـم نباتاً ... كريماً طاب في الدنيا غصونا
اذا شهدوا الوغى كانوا كماة ... يدكّون المعاقل والحصونا
وانْ جَنّ المساء فلاتراهم ... من الإشفاق الا ساجدينـا
كذلك أخرج الاسلام قومي ... شباباً مخلصاً حـراً أمينـا
وعلّمه الكرامة كيف تبنى ... فيأبى أن يُقيّـد أو يهونا

وحين يكونون على هذه الشاكلة يتحقـق على أيديهم كل عزة ونصـر وسيادة للاسلام والمسلمين .

● والمقصود من **المطالعة الواعية** أن يضع المربي بين يدي الولد منذ أن يعقل ويميز مكتبة ـ ولو صغيرة ـ تشمل مجموعة من القصص الاسلامية تتكلم عن سيرة الابطال ، وحكايات الأبرار ، وأخبار الصالحين ..

وتشمـل كذلك مجموعة من الكتب الفكرية تتحدث عن كل مايتعلق بالنظم الاسلامية سواء كانت عقَديـّة أو أخلاقية أو اقتصادية أوسياسية ..

وعن كل ما يتعلق في توضيح المؤامرات التـي تحيكها الصهيونيـة والماسونية والشيوعية والصليبية ، والمذاهب المادية ضد الاسلام والمسلمين.

وتشمـــل أيضاً مجموعة من المجلات الاسلامية الواعية التي تعرض الاسلام ، وتنقل الاخبار ، وتعالج المشكلات ، وتكتب المواضيع بعَرْضٍ شيّق وأسلوب جذاب ..

وعلى المربي أن يختار للولد من هذه الكتب والمجلات والقصص ما يتناسب مع سنه وثقافته حتى تكون الفائدة أنفع ، والثمرة التي يجنيها أجدى وأحسن .. تحقيقاً لاشارات الرسول صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه البخاري عن علي كرم الله وجهه : « حدثوا الناس بما يعرفون .. » ، وفيما رواه الديلمي ، والحسن بن سفيان عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » .

ولاشك أن المربين حينما ينهجون بأولادهم هذا النهج ، ويسلكون معهم هذه السبيل فإنهم يتثقفون بالثقافة الاسلامية الكاملة ، ويدرجون على الوعي الناضج الصحيح .

● والمقصود من **الرفقة الواعية** أن يختار المربون لأولادهم رفقـاء صالحين مأمونين متميزين من غيرهم بالفهم الاسلامي الناضج ، والوعي الفكري النابه ، والثقافة الاسلامية الشاملة .

ولاشك أن الولد منذ أن يعقل ويدرك ، حينما يصاحب البليدين ذهنياً وفكرياً فإنه يكتسب منهم البلادة ؛ وحينما يخالط القاصرين عن ادراك حقيقة الاسلام ونظرته الكلية الى الكون والحياة والانسان فانه يكتسب منهم القصور والمحدودية ...

فلايكفي أن يكون الرفيق صالحاً قانتاً مصلياً •• ولا أن يكون مثقفا ذكيا عبقريا •• بل ينبغي أن يجمع مع فضيلة الصلاح والتقوى فضيلة النضج العقلي ، والوعي الاجتماعي والفهم الاسلامي ••• حتى يكون رفيقاً سوياً ، وصاحباً ناضجا تقيا ••

وقد قالوا قديما : (الصاحب ساحب) •

وقل أهل المعرفة : لاتقل لي من أنا ؟ بل قل لي : من أصاحب ؟ فتعرف من أنـا ؟

وما أحسن ماقاله الشاعر :

عن المـرء لا تسَلْ وسل عن قرينـهِ
فكـل قَرين بالمقـارن يَقتـدي

وما أصدق ماقاله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي : « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » •

فما على المربـين الا أن يهيئوا لأولادهم وهـم في سن التمييز الرفقة الصالحة الواعية التي تبصرهم حقيقة الاسلام ، وتعرفهم مبادئه الشاملة ، وتعاليمه الخالدة ، وتعطيهم الصورة الصادقة عن هذا الدين الذي حمـل لواءه أبطال كرام ، وجدود أمجاد •• فكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس••

واخيرا اريد ان اهمس في أذن المربين والأولياء والآباء بهذه الحقيقة !!••

أليس من المؤسف المؤلم أن يصل شبابنا الى سن التكليف ولم يعلموا أن الاسلام دين ودولة ، ومصحف وسيف ، وعبادة وسياسة •• وأنه الدين الوحيد الذي له ملكة الشمول والخلود والبقاء للزمن المتحضّر ، والحياة المتطـورة ؟••

أليس من المؤسف المؤلم أن يتعلم أبناؤنا في المدارس كل شيء عن رجالات الغرب ، وفلاسفة الشرق ، وعن أفكارهم وآرائهم ، وتاريخ حياتهم، ومآثر أعمالهم .. ولم يعرفوا عن حياة أبطالنا وعظمائنا في التاريخ ، وأخبار الفاتحين ... سوى النذر القليل ؟؟..

ثم أليس من العار والشنار أن يتخرج أولادنا من المدارس وقد مسختهم الثقافات الأجنبية ، والمبادىء الغربية أو الشرقية .. حتى أصبح الكثير منهم أعداء لدينهم وتاريخهم وحضارتهم ؟

ثم بالتالي أليس مما يفتت القلب والكبد أن تنساق الفئة المؤمنة من الشباب وراء أدعياء الإرشاد يعطلون لهم تفكيرهم ، ويقطعونهم من كل صلة ثقافية اسلامية واعية ، ويمنعونهم من كل مرشد عالم مخلص ، يوضح لهم حقيقة الاسلام ونظرته الكلية الشاملة ؟.

واخـــيرا أليس من المخزي المؤسف أن يقتني أبناء هذا الجيل الكتب الإلحادية ، والمجلات الخلاعية ، والقصص الغرامية .. ولم يكن عندهم أدنى اهتمام بالكتب الفكرية التي توضح نظم الاسلام ، وترد على شبهات الأعداء ، وتعرفهم بمفاخر التاريخ ؟!!.

فما عليكم ـ ايها المربون والآباء ـ الا أن تقوموا بواجب المسؤولية تجاه أفلاذ أكبادكم ، وأن تسعوا جاهدين في تصحيح أفهامهـم وأفكارهم إن كانت مشوبة بأفكار دخيلة ، وآراء ضالة !!.. كما عليكم أن تلقنوهم صباح مساء الردّ على دسائس الملحديـن والمبشريـن ، وافتـراءات الماديـين والمستشرقين ..

وفي هذا ـ لاشك ـ توعية لأفكارهم ، وصيانة لعقيدتهم من أن تتأثر بالدسائس المغرضة ، والمبادىء الهدامة ، والعقائد المنحرفة ..

فإن نهجتم هذا النهج ، وسلكتم هذا السبيل اعتز أبناؤكم بدينهم ، وافتخروا بأمجادهم وتاريخهم ، وما عرفوا سوى الاسلام عقيدة وشريعة ، ومصحفاً وسيفاً ، وديناً ودولة ، وعبادة وسياسة .. وكانوا من الجيل الأول الذي قال عنهم الشاعر :

خلّفت جيلا من الأصحاب سيرتهم
تضوع بين الورى رَوْحاً وريْحانا
كانت فتوحهُمو برّاً ومرحمه
كانت سياستهم عدلا واحسانا
لم يعرفوا الدين أوراداً ومسبحة
بل أُشْبِعُوا الدين محراباً وميدانا



٣ ـ الصحة العقلية :

ومن المسؤوليات التي جعلها الله أمانة في عنق الآباء والمربين جميعاً الاعتناء بصحة عقول أبنائهم وتلامذتهم .. فما عليهم الا أن يقدروها حق قدرها ، ويرعوها حق رعايتها ، حتى يبقى تفكيرهم سليماً ، وذاكرتهم قوية ، وأذهانهم صافية ، وعقولهم ناضجة ..

ولكن ماهي حدود مسؤولية الآباء والمربين في صحة الاولاد العقلية ؟

المسؤولية تتركز في تجنيبهم المفاسد المنتشرة في المجتمع هنا وهناك لما لها من تأثير على العقل والذاكرة والجسم الانساني بشكل عام .

وقد أفضنا في الحديث عنها في فصل « مسؤولية التربية الجسمية » من هذا الكتاب ، والآن نلخصها ، ونشير اليها ليكون ـ كل من له في عنقه حق التربية ـ على بينة وهدى وذكرى .

مما أجمع عليه الاطباء ، وحــذر منه علماء الصحــة أن **المفاسد** التي تؤثر على العقل والذاكرة ، وتخمل الذهن ، وتشلّ عملية التفكير في الانسان ، وتحدث أضراراً بالغة في الجسم هي مايلي :

١ً ـ مفسدة تناول الخمور بشتى أشكالها وأنواعها ، فإنهـا تقتل الصحة ، وتورث الجنون •••

٢ً ـ مفسدة العادة السرية فإن الإدمان عليها يورث السل ، ويضعف الذاكرة ، ويسنبب الخمول الذهني ، والشرود العقلي ••

٣ً ـ مفسدة التدخين ، فإن من تأثيره على العقل : أن يهيج الأعصاب، ويؤثر على الذاكرة ، ويضعف ملكة إحضار الذهن والتفكير ••

٤ً ـ مفسدة الاثارات الجنسية كمشاهدة الافـلام الخلاعيــة ، والتمثيليات الماجنة ، والصور العارية •• فإنها تعطل وظيفة العقل ، وتسبب الشرود ، وتقضي على ملكة الاستذكار والتركيز الذهني •• فضلا عن الإلهاء ، واضاعة الوقت الثمين •

يقول الدكتور « ألكيس كارليل » في كتابه « الانسان ذلك المجهول »: « عندما تتحرك الغريزة الجنسية لدى الانسان تفرز غدده نوعاً من المادة التي تتسرب بالدم الى دماغه وتخدّره فلا يعود قادراً على التفكير الصافي » •

الى غير ذلك من هذه المفاسد الخطيرة الضارة التي تضر بعقول الاولاد، وتسبب لهم الآفات والأخطار ••



والذي نخلص إليه بعد ماتقدم من بحوث هذا الفصل أن :

الواجب التعليمي

والتوعية الفكريـــة
والصحة العقلية

هي أبرز المسؤوليات في تربية الأولاد العقلية ؛ فإن قصر الآباء والمربون والمعلمون في القيام بهذه الواجبات ، وفرطوا في هاتيك المسؤوليات •• فان اللـــه سبحانه سيحاسبهم علـــى تقصيرهم ، ويسألهم عـــن نتائـــج اهمالهم •• **فياخجلتهم من الله** اذا وقع عليهم الحق وكانوا من المفرّطين •

وياويلهم من مشهد يوم عظيم اذا كان جوابهم أمام رب العالمين :

« ربنـــا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيـــلا ، ربنا آتهـــم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً » (الأحزاب : ٦٧ ــ ٦٨)

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل فيما رواه ابن حبان : « ان الله سائل كل راع عما استرعاه حَفِظَ أم ضيّع » •

اللهم اجعلنا ممّن يطيعون الله ورسوله ، وممّن تبيض وجوههم يوم الحساب ، وممّن أدّوا مسؤولية أولادهم وأهليهـــم خير أداء •• إنـــك خير مأمول ، وأكرم مسؤول ••



الفصل الخامس

٥ - مَسْؤليّة التربيةِ النّفسيّة

المقصود بالتربية النفسية تربية الولد منذ أن يعقل على الجرأة والصراحة ، والشجاعة ، والشعور بالكمال ، وحب الخير للآخرين ، والانضباط عند الغضب ، والتحلي بكل الفضائل النفسية والخلقية على الإطلاق ...

والهدف من هذه التربية تكوين شخصية الولد وتكاملها واتزانها .. حتى يستطيع — اذا بلغ سن التكليف — أن يقوم بالواجبات المكلف بها على أحسن وجه ، وأنبل معنى .

واذا كان الولد — منذ أن يولد — أمانة بيد مربّيه فالإسلام يأمرهم ويحتم عليهم أن يغرسوا فيه منذ أن يفتح عينيه أصول الصحة النفسية التي تؤهله لأن يكون انساناً ذا عقل ناضج ، وتفكير سليم ، وتصرّف متّزن ، وارادة مستعلية ..

وكذلك عليهم أن يحرروا الولد من كل العوامل التي تغض من كرامته واعتباره ، وتحطم من كيانه وشخصيته ، والتي تجعله ينظر الى الحياة نظرة حقد وكراهية وتشاؤم ..

وأرى أن من أهم العوامل التي يجب على المربين أن يحرروا أولادهم وتلامذتهم منها هي الظواهر التالية :

١ ــ ظاهرة الخجل

٢ ــ ظاهرة الخوف

٣ ــ ظاهرة الشعور بالنقص

٤ ــ ظاهرة الحسد

٥ ــ ظاهرة الغضب(١) .

وان شاء الله في هذا الفصل فسنستعرض كل ظاهرة على حدة بشيء من التفصيل ، ثم نتطرق للعلاج على ضوء ماجاء في الاسلام ، ثم نرشد الى ظاهرة الفضيلة التي تحل محلها ، والله الموفق وهو المستعان .



١ ــ ظاهرة الخجل :

من المعلوم أن ظاهرة الخجل من طبيعة الأطفال « ولعل أولى أماراته تبدأ في سن الأربعة أشهر ، وأما بعد كمال السنة فيصبح الخجل واضحاً في الطفل ، اذ يدير وجهه أو يغمض عينيه أو يغطي وجهه بكفيه إن تحدث شخص غريب اليه »(٣) .

---

(١) اقترح بعض الأخوة أن اضيف الى هذه الظواهر « ظاهرة التسيب » (اللامبالاة) ، « وظاهرة التهور » ، ولكن جاء هذا الاقتراح اثناء تقديم هذا الكتاب للطبع ، وإن شاء الله فستكون الاضافة في الطبعات القادمة إن وفق الله .

(٢) من كتاب المشكلات السلوكية عند الأطفال للدكتور نبيه الغبرة ص ١٥٣ .

« وفي السنة الثالثة يشعر الطفل بالخجل عندما يذهب الى دار غريبة ، فهو قد يجلس هادئاً في حجر أمه أو الى جانبها طوال الوقت لاينبس ببنت شفــة »[1] .

وتلعب الوراثة دورها في شدة الخجل عند الأطفال ، ولاينكر ماللبيئة من أثر كبير في ازدياد الخجل أو تعديله ، فإن الاطفال الذين يخالطون غيرهم ، ويجتمعون معهم يكونون أقل خجلا من الاطفال الذين لايخالطون ولايجتمعون !!..

المعالجة لاتتم الا أن نعوّد الاولاد على الاجتماع بالناس سواء جلب الأصدقاء الى المنزل لهم بشكل دائم، أو مصاحبتهم لآبائهم في زيارة الاصدقاء والأقــارب ، أو الطلب منهــم برفق ليتحدّثوا أمــام غيرهم ســواء كــان المُتَحَدَّث اليهم كباراً أو صغاراً !!..

وهذا التعويد ـــ لاشـــك ـــ يضعف في نفوسهم ظاهرة الخجل ، ويكسبهم الثقة بأنفسهم ، ويدفعهم دائماً الى أن يتكلموا بالحق لايخشون في سبيل ذلك لومة لائم ..

وهذه بعض الامثلة التاريخية والاحاديث النبوية التي تعطي للمربــين جميعاً القدوة الصالحة في تربية السلف الصالح أبناءهم على الجرأة ،ومعالجة ظاهرة الخجل في نفوسهم :

أ ـــ روى البخاري وغيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ـــ وكان دون الحلم ـــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان من الشجر شجرة لايسقط ورقها ، وانها مثل المسلم ، فحدثوني ما هي ؟ فوقع الناس في شجر البواد ي ، قال عبد الله : ووقع في نفسي أنها النخلة ، فاستحييت ، ثم قالوا : حدثنا ما هي يارسول الله ؟ قال: هي النخلة » .

---

(١) من كتاب « المشكلات السلوكية » .. ص ١٥٣ .

وفي روايــة : فأردت أن أقــول : « هي النخلــة » ، فــإذا أنــا أصغر القوم •

وفي رواية : « ورأيت أبا بكر وعمر لايتكلمان ، فكرهت أن أتــكلم ، فلما قمنا حدثت أبي بما وقع في نفسي ، فقال : لأن تكون قلْتَها أحبّ الي من أن يكون لي حُمْرُ النّعَم » •

ب ــ وروى مسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بشراب ، فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ (أي مسنّين) •

فقال للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟

فقال الغلام : لا والله ، لاأوثر بنصيبي منك أحداً •

ج ــ وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ــ وكان دون الحلم ــ أنه قال : كان عمر رضي الله عنه يدخلني ــ أي في أيام خلافته ــ مع أشياخ بدر (أي في المشورة) ، فكأنّ بعضهم وجد في نفسه (أي غضب) ، فقال : لِمَ يدخُل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟

فقال عمر : انه من حيث قد علمتم[1] !!••

فدعاني ذات مرة ، فأدخلني معهم ، فمــا رأيت أنــه دعاني يومئــذ الا لــيريهــم •

---

(١) أي ممن خصه عليه الصلاة والسلام بالدعاء له : « اللهم فقهه فــي الدين وعلمه التأويل » .

قال : ماتقولون في قوله تعالى : « اذا جاء نصر الله والفتح •• » ؟

فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً •

فقال لي : أكذلك تقول : ياابن عباس ؟

فقلت : لا •

قال : فما تقول ؟

قلت : هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له ، قال : « اذا جاء نصر الله والفتح •• » ، وذلك علامة أجلك « فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توّابا » •

فقال عمر رضي الله عنه : ماأعلم منها الا ماتقول •

د ـ ومرّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرة في طريق من طرق المدينة ، وأطفال هناك يلعبون ، وفيهم عبد الله ابن الزبير وهو طفل يلعب ، فهرب الاطفال هيبة من عمر ، ووقف ابن الزبير ساكتاً لم يهرب •

فلما وصل اليه عمر قال له : لِمَ لم تهرب مع الصبيان ؟

فقال على الفور : لست جانياً فأفِرّ منك ، وليس في الطريق ضيق فأوسّعَ لك •

انه جواب جريء وسديد •

د ـ ورأى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ولداً له في يوم عيد ، وعليه ثوب خَلَق ـ أي قديم ـ فدمعت عيناه ، فرآه ولده ، فقال : مايبكيك يا أمير المؤمنين ؟

قال : يابني ، أخشى أن ينكسِر قلبك اذا رآك الصبيان بهذا الثــوب الخَلَق ؟!!•

قال : ياأمير المؤمنين ، انما ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه ، أو عق أمه وأباه ، واني لأرجو أن يكون الله تعالى راضياً عني برضاك •

و ـ ودخل على عمر بــن العزيز رضي الله عنــه في أول خلافتــه وفود المهنئين من كل جهة ، فتقدم من وفد الحجازيين للكلام غلام صغير لم تبلغ سنّه احدى عشر سنة •

فقال له عمر : ارجع أنت ، وليتقدم من هو أسنّ منك !!••

فقال الغلام : أيّد الله أمير المؤمنين ، المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فإذا منح الله العبد لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استحق الكلام ، ولو أن الأمر ـ ياأمير المؤمنين ـ بالسنّ لكان في الأمة من هو أحق منك بمجلسك هــــذا !!••

فتعجب عمر من كلامه وأنشد :

تعلــم فليس المرء يولــد عالماً وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنــده صغير، اذا التفّت عليه المحافل

ز ـ ومما تناقلته كتب الادب أن صبياً تكلم بين يدي الخليفة المأمون فأحسن الجواب •

فقال له المأمون : ابن مَنْ أنت ؟
فقال الصبي : ابن الأدب ياأمير المؤمنين !!•
فقال المأمون : نعم النسب ، وأنشد يقول :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً　　يُغنيك محمودُه عن النسب

ان الفتى من يقول : ها أنـذا　　ليس الفتى من يقول : كان أبي

ح ـ ودخل المأمون مرة بيت الديوان فرأى غلاماً صغيراً على أذنه قلم.

فقال له : من أنت ؟

قال : أنا الناشيء في دولتك ، المتقلّب في نعمتك ، المؤمّل لخدمتك أنا الحسن بن رجاء .

فعجب المأمون من حسن اجابته ، وقال : بالإحسان في البديهة تفاضلت العقول ، ارفعوا هذا الغلام فوق مرتبته .

ط ـ قحطت البادية في أيام (هشام بن عبد الملك) ، فقدمت عليه العرب فهابوا أن يتكلموا وكان فيهم « ورداس بن حبيب » وهو اذ ذاك صبي فوقعت عليه عين هشام ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحد يدخل عليّ إلا دخل حتى الصبيان ؟.

فقال الصبي : ياأمير المؤمنين : إنا أصابتنا سنون ثلاث : سنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، وسنة نقّت العظم (أي أخرجت مخه) وفي أيديكم فضول أموال ، فإن كانت لله ففرّقوها على عباده ، وان كانت لهم فعلامَ تحبسونها عنهم ؟ ، وان كانت لكم فتصدّقوا بها عليهم ، فإن الله يجزي المتصدقين ، ولايضيع أجر المحسنين .

فقال هشام : ما ترك لنا هذا الغلام في واحدة من الثلاث عذراً ، فأمر للبوادي بمائة دينار ، وله بمائة ألف درهم .

فقال الصبي :ارددها يا أمير المؤمنين الى جائزة العرب ، فإني أخاف أن تعجز عن بلوغ كفايتهم .

فقال هشام : أما لك حاجة ؟

قال الصبي : مالي حاجة فيّ خاصة دون عامة المسلمين !

فخرج الصبي وهو من أنبل القوم وأكرمهم •

فيؤخذ من هذه الأمثلة التي سردناها أن أبناء السلف كانوا يتربون على التحرر التام من ظاهرة الخجل ، ومن بوادر الانكماش والانطوائية ، وذلك بسبب تعويدهم على الجرأة ، ومصاحبة الآباء لهم لحضور المجالس العامة ، وزيارة الاصدقاء ، ثم بالتالي تشجيعهم على التحدث أمام الكبار ، ثم دفع ذوي النباهة والفصاحة منهم لمخاطبة الخلفاء والأمراء ، ثم استشارتهم في القضايا العامة ، والمسائل العلمية في مجمع من المفكرين والعلماء •

ظاهرة الجرأة الأدبية ، وهذا كله مما ينمّي في الأولاد ويغرس في نفوسهم أنبل معاني الفهم والوعي ، ويهيب بهم في أن يتدرجوا في مدارج الكمال وتكوين الشخصية ، والنضج الفكري والاجتماعي ••

فما على المربين اليوم — ولاسيما الآباء — الا أن يأخذوا بقواعد هذه التربية الفاضلة حتى ينشأ الاولاد على الصراحة التامة ، والجرأة الكاملة ضمن حدود الادب والاحترام • ومراعاة شعور الآخرين ، وانزال الناس منازلهم •• والاّ فإن الجرأة ستنقلب الى وقاحة ، والصراحة الى قلة أدب مع الآخرين •



وعلينا أن نميز بين الحياء والخجل للفرق الواضح بينهما :

فالخجل — كما مر — هو انكماش الولد وانطواؤه وتجافيه عن ملاقاة الآخرين •

اما الحياء فهو التزام الولد مناهج الفضيلة وآداب الاسلام •

فليس من الخجل في شيء أن نعوّد الولد منذ نشأته على الاستحياء من اقتراف المنكر ، وارتكاب المعصية •

وليس من الخجل في شيء حين نعود الولد على توقير الكبير ، وغض البصر عن المحرمات ، وكف الأذن أن تسترق سراً ، أو تكتشف خبئاً •

وليس من الخجل في شيء حين نعوده على تنزيه اللسان بأن يخوض في باطل ، وعلى فطم البطن عن تناول المحرمات ، وعلى صرف الوقت في طاعة الله ، وابتغاء مرضاته !!••

وهذا المعنى من الحياء هو ماأوصى به رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه حين قال : ــ فيما رواه الترمذي ــ « استحيوا من اللـه حق الحياء ، قلنا : انا نستحيي من الله يارسول الله ــ والحمد لله ــ قال : ليس ذلك •• الاستحياء من الله حق الحياءأن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وماحوى ، وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة، وآثر الآخرة على الأولى ، فمن فعل ذلك استحيا من الله حق الحياء » •

وقال ــ فيما رواه الامام أحمد ــ : « اللهم لايدركني زمان لايُتبَعُ فيه العليم ، ولايُستحيا فيه من الحليم » •

وقال ــ فيما رواه الامام مالك ــ : « ان لكل دين خُلُقاً ، وخُلُق الاسلام الحيـــاء » •

٢ ــ ظاهرة الخوف :

ظاهرة الخوف حالة نفسية تعتري الصغـــار والكبار ، والذكـــور والإناث •• وقد تكون هذه الظاهرة مستحبةان كانت ضمن الحدودالطبيعية

لدى الأطفال ، لأنها تكون وسيلة في حماية الطفل من الحوادث ، وتجنّبه كثيراً من الاخطار ..

ولكن اذا ازداد الخوف عن الحد المعتاد ، وتجاوز حدود الطبيعة .. فإنه يسبب في الأطفال قلقاً نفسياً ، فعنده يعتبر مشكلة نفسية يجب معالجتها والنظر فيهـــا .

يقول المختصون بعلم نفس الأطفال : « إنّ الطفل في السنة الأولى قد يبدي علامات الخوف عند حدوث ضجة مفاجئة أو سقوط شيء بشكل مفاجيء أو ماشابه ذلك ، ويخاف الطفل من الأشخاص الغرباء اعتباراً من الشهر السادس تقريباً ؛ وأما الطفل في سنته الثالثة فإنه يخاف أشياء كثيرة من الحيوانات والسيارات والمنحدرات والمياه وما شابه هذا ..

وبوجه عام فان الإناث أكثر اظهاراً للخوف من الذكور ؛ كما تختلف شدة تبعاً لشدة تخيل الطفل ، فكلما كان أكثر تخيلاً كان أكثر تخوّفاً »(١).

ولازدياد الخوف لدى الأطفال عوامل واسباب ، نذكر أهمها :

- تخويف الأم وليدها بالأشباح أو الظلام أو المخلوقات الغريبة .
- دلال الأم المفرط ، وقلقها الزائد ، وتحسسها الشديد .
- تربية الولد على العزلة والانطوائية والاحتماء بجدران المنزل .
- سرد القصص الخيالية التي تتصل بالجن والعفاريت .

الى غير ذلك من هذه العوامل والأسباب ..

---

(١) من كتاب المشكلات السلوكية عند الأطفال للدكتور نبيـــه الغبرة ص ١٥٠ .

ولعلاج هذه الظاهرة في الأطفال يجب مراعاة الأمور التالية :

١ ـ تنشئة الولد منذ نعومة أظفاره على الإيمان بالله ، والعبادة له ، والتسليم لجنابه في كل ما ينوب ويروع .. ولاشك أن الولد حين يُربّى على هذه المعاني الإيمانية ، ويعوّد على هذه العبادات البدنية الروحية .. فإنه لايخاف اذا ابتلي ، ولا يهلع اذا أصيب .. والى هذا أرشد القرآن الكريم حين قـــال :

« إن الانسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً ، واذا مسه الخير منوعاً الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون » (المعارج : ٢٣)

٢ ـ اعطاؤه حرية التصرف ، وتحمل المسؤولية ، وممارسة الأمور على قدر نموّه ، ومراحل تطوره ، ليدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخـــاري ومسلم « كلــكم راع وكلكم مسؤول عـــن رعيته » .

٣ ـ عدم اخافة الولد ـ ولاسيما عند البكاء ـ بالغول والضبع ، والحرامي ، والجني ، والعفريت ... ليتحرر الولد من شبح الخوف وينشأ على الشجاعة والإقدام .. ويدخل في عموم الخيرية التي وجه اليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ـ فيما رواه مسلم ـ : « المؤمن القوي خـــير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف .. » .

٤ ـ تمكين الطفل منذ أن يعقل بالخلطة العملية مـــع الآخرين ، واتاحة المجال له للالتقاء بهم ، والتعرف عليهم ، ليشعر الطفل من قرارة وجدانه أنه محل عطف ومحبة واحترام ... مع كل من يجتمع به ، ويتعرف عليه ، ليكون من عداد من عناهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه بقوله : ـ فيما رواه الحاكم والبيهقي .. ـ : « المؤمن آلف مألوف ، ولاخير فيمن لايألف ولا يؤلف ، وخير الناس أنفعهم للناس » .

ومما ينصح به علماء النفس والتربية : « ولابأس بأن نجعل الطفل أكثر تعرفاً للشيء الذي يخيفه ، فإذا كان يخاف الظلام فلا بأس بأن نداعبه باطفاء النور ثم اشعاله ، وان كان يخاف الماء فلا بأس بأن نسمح له بأن يلعب بقليل من الماء في اناء صغير أو ما شابهه ، وان كان يخاف من آلة كهربائية كمكنسة كهربائية مثلاً فلا بأس بأن نعطيه بعض أجزائها ليلعب بها ثم نسمح له بأن يلعب بها كاملة ، وهكذا ... »[1] .

٥ ـ تلقينهم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومواقف السلف البطولية ، وتأديبهم على التخلّق بأخلاق العظماء من القواد والفاتحين ، والصحابة والتابعين .. ليتطبّعوا على الشجاعة الفائقة ، والبطولة النادرة وحب الجهاد ، واعلاء كلمة الله .

ولنستمع الى مايقوله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في هذا المعنى : « كنا نعلّم أولادنا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلمهم السورة من القرآن » .

وسبق أن ذكرنا وصية عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ للآباء في تعليم أولادهم مبادىء الفتوّة والفروسية ، ووسائل الحرب والجهاد ـ حين قال : « علموا أولادكم الرماية والسباحة ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً » .

وسبق أن ذكرنا كذلك في مبحث « مسؤولية التربية الإيمانية » الحديث الذي رواه الطبراني : « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ... » . وما هذه التوجيهات من رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه ، وأصحابه الكرام من بعده ..

---

(١) من كتاب المشكلات .. ص ١٥٢ للدكتور نبيه الغبرة .

الا برهان قاطع على اهتمام الاسلام بتربية الاولاد على الشجاعة ، وحثّهم على الاقدام .. ليكونوا في المستقبل جيل الاسلام الصاعد في إشادة صرح الاسلام الشامخ ، ورفع منار العزة الأسلامية في العالمين .



وفي المناسبـة نقتطـف **مـن سيرة أبنـاء الصحابة الكرام مواقف بطوليـة خالـدة** كان لها في التاريخ ذكر ، وفي الأجيال قدوة .. ومازالت أخبارهم مضرب الأمثال ، وسيرتهم مفخرة الاجيال ، ومواقفهم أعجوبـة التاريـخ :

أ ــ لما خرج المسلمون الى أحُد للقاء المشركين ، استعرض النبي صلى الله عليه وسلم الجيش ، فرأى فيه صغاراً لم يبلغوا الحُلم حشـروا أنفسهم مع الرجال ، ليكونوا مع المجاهدين في اعلاء كلمة الله ، فأشفق عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وردّ من استصغر منهم .

وكان فيمن ردّه عليه الصلاة والسلام رافع بن خديج ، وسَمرة بن جندب ، ثم أجـاز رافعاً لما قيل له : انه رامٍ يحسن الرماية .

فبكى سمرة وقال لزوج أمه : أجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم رافعاً وردّني مع أني أصرعه ؛ فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فأمرهما بالمصارعة ، فكان الغالب سَمرة ، فأجازه عليه الصلاة والسلام .

ب ــ لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه الى المدينة المنورة ، وأقاما في غار ثور ثلاثة أيام ، عملت عائشة وأسماء بنتا أبي بكر رضي الله عنهم في تهيئـة الزاد لهمـا ، وقطعت أسمـاء قطعـة

من نطاقها ـ وهومايشد به الوسط ـ فربطت به على فم وعاء الطعام الذي كانت تحمله ، فسميت لذلك : ذات النطاقين ، وعمل عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما على نقل الاخبار ، فلا يسمع من قريش أمراً يبيّتونه من المكروه لهما الا وعاه رضي الله عنه حتى يأتيهما في المساء بخبره ، ويبقى عندهما بعض الوقت ، ثم يخرج من عندهما بالسّحَر ، ويصبح مع قريش بمكّة كأنه كان نائماً فيها ، ومن المعلوم أن عائشة وعبد الله رضي الله عنهما لم يبلغا الحلم بعد .

وهذه شجاعة نادرة لم يقو عليها كثير من الرجال !!..

ج ـ أخرج الشيخان عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : اني لواقف يوم بدر في الصف ، فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما ..

فغمزني أحدهما فقال : يا عماه !!. أتعرف أبا جهل ؟ فقلت : نعم ، وما حاجتك اليه ؟ قال : أُخبرت أنه يسبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي نفسي بيده ، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده (أي شخصي شخصه) حتى يموت الأعجل منا ، فتعجب لذلك ، فغمزني الآخر فقال لي أيضاً مثلها ، فلم ألبث أن نظرت الى أبي جهل وهو يجول في الناس .

فقلت : ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه ، فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ، ثم انصرفا الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبراه ، فقال : أيكما قتله ؟

قال كل منهما : أنا قتلته ، قال : هل مسحتما سيفيكما ؟ قالا : لا .

قال : فنظر النبي صلى الله عليه وسلم في السيفين فقال : كلاكما قتله.

وقضى بسَلَبه[1] لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، والآخر معاذ ابن عفراء رضي الله عنهما •

د ـ و أخرج ابن أبي شيبة عن الشعبي : أن امرأة دفعت الى ابنها يوم أحُد السيف فلم يُطق حمله ، فشدته على ساعده بسير مضفور ، ثم أتت به النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله هذا ابني يقاتل عنك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أي بنيّ ، احمل ها هنا ، أي بنيّ احمل ها هنا (أي اهجم ها هنا) ، فأصابته جراحة ، فصُرع ، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أي بنيّ ، لعلك جزعت !!• قال الولد : لا يا رسول الله !!••

هـ ـ وأخرج ابن سعد في طبقاته ، والبزار وابن الأثير في الإصابة عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : رأيت أخي عُمير ابن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر يتوارى ، فقلت : مالك يا أخي ؟ قال : اني أخاف أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيردّني ، وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة ، قال : فعُرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّه لصغره ، فبكى فأجازه عليه الصلاة والسلام •

فكان سعد رضي الله عنه يقول : فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره ، فقتل وهو ابن ست عشرة سنة رضي الله عنه وأرضاه •

فيؤخذ من هذه الأمثلة التاريخية الخالدة وغيرها •• أن أبناء الصحابة رضي الله عنهم ، كانوا على جانب عظيم من الشجاعة الفائقة ، والبطولة النادرة ، والجهاد الجريء •• وما ذاك الا بفضل التربية القويمة التي تلقوها من مدرسة

---

(1) السلب : مايملكه المقتول كعدة للحرب ونحوها .

النبوة ، والبيت المسلم ، والمجتمع المؤمن المجـاهد الشجاع !!.. بـل كان الأمهات يدفعن بأولادهن الى ساحات الفداء والجهـاد ، ويوم يسمعن خبر النعي ، ونبأ الاستشهاد تقول احداهن قولتها الخـالدة : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من الله أن يجمعني واياهم يوم القيامة في مقر رحمته ».

وبالتالي كان الآباء يربّون أولادهم منذ الصغر على الفروسية والشجاعة والرجولة والإقدام واقتحام الاخطار والشدائد .. حتى اذا بلغوا سن الحركة والانطلاق ـ وهم لم يناهزوا الحلم بعد ـ مضوا في مواكب التحرير والجهاد وابتغاء الرزق دعاة صادقين ، وأبطالا مجاهدين ، وطلاباً للكسب عاملين !!..

ونذكر على سبيل المثال موقفاً نبيلا لغلام مؤمن يسأل أباه أن يمكنـه ليجوب مناكب الأرض ويسعى في أرجائها عسى أن يفتح لنفسه طريق المجد ، ويصل الى قمة السعادة والكرامة .. بل كان يخاطب أباه بأبيات من الشعر تفيض عزة وأنفة واباء !! :

اقـذف السرج عـلى المُـ	ـهـر وقرّطـه اللجـاما
ثـم صبّ الـدرع في رأ	ـسي ونـاولني الحسامـا
فمتى أطلب ان لـم	أطلب الـرزق غـلامـا
سأجـوب الأرض أبغيـ	ـه حـلالاً لا حـرامـا
فلعـل الظّعـن ينفـي الفـ	ـقْر أو يُـدني الحِمامـا

ونشأ هـذا الجيـل الفريد على هـذه الخصال ، ودرجـوا عـلى هـذه المكـارم :

لأنهم تربوا منذ نعومة أظفارهم على الرماية والسباحة وركوب الخيل..
لانهم لم يتربوا على الدلال المفرط ، والانطوائية القاتلة ..

لأنهم كانوا يشعرون بمسؤولياتهم ، والثقة بأنفسهم ..

لأنهم تعودوا على الاخشيشان ، وألعاب الفروسية ، وركوب متن الأسفار ..

لأنهم أُدِّبوا على أن يخالطوا من كان في سنهم من أبناء عمومتهم وعشيرتهم ..

لأنهم كانوا يتلقنون سيرة الابطال والشجعان ، وأخبار الفاتحين والقواد ..

الى غير ذلك من هذه المكارم التي رضعوها ، والتربية القويمة التي تلقنوها !!..

وهل يُنبت الخطيَّ الا وشيجُه
وتُغرَس الا في منابتها النخل

ويوم يمشي الآباء والمربون على هذا المنهج العظيم الذي مشى عليه جدودنا البواسل الأمجاد ..

ويوم يتربى أولادنا على هذه الخصال ، وهاتيك المكارم ..

ويوم يأخذون بقواعد التربية الصحيحة في تحرير الاولاد من الخوف والجبن والخور ..

يوم يفعلون كل هذا ، يتحول الجيل يومئذ من القلق الى الثقة ، ومن الخوف الى الشجاعة ، ومن الخور الى العزيمة ، ومن الخنوع والذلّة إلى حقيقة العزة والكرامة ..

ويكون متحققاً بقوله تبارك وتعالى : « ولله العــزة ولرسوله وللمؤمنين ولكــن المنافقين لايعلمون » . (المنافقون : ٨)



٣ ــ ظاهرة الشعور بالنقص :

الشعور بالنقص حالة نفسية تعتري بعض الاولاد لأسباب خَلْقِيّــة ومرضية ، أو عوامل تربوية ، أو ظروف اقتصادية ...

وهذه الظاهرة هي من أخطر الظواهر النفسية في تعقيد الولد وانحرافه وتحوّله الى حياة الرذيلة والشقاء والإجرام ..

واذا كنا نبحث في أسباب كل ظاهرة وعلاجها عــلى ضوء الاسلام .. فعلينا أن نخصّ هــذه الظاهرة بالتفصيل أسباباً وعلاجاً لأهميتها وخطرها وآثارهــا ..

عسى أن يولي الآباء والأمهات والمربون جميعــاً اهتمامهم في اتخــاذ الأسباب الوقائية ، والوسائل العلاجية في تحرير الولــد من كــل مركبات النقص ، والعُقد النفسية .. ليضمنوا لأولادهم تربيــة نفسية صحيحــة ، وتكويناً خلقياً سليماً !!..

والعوامل التي تسبب ظــاهرة الشعور بالنقص في حيــاة الولد هي كما يأتي :

١ ــ التحقير والإهــانة .
٢ ــ الدلال المفرط .
٣ ــ المفاضلة بين الأولاد .

٤ ــ العاهــات الجسدية .
٥ ــ اليتــم .
٦ ــ الفقر .

وان شاء الله في هــذا البحث فسنفند كل عامــل بشيء من التفصيل، ثم نعرّج الى ذكر العلاج على ضوء الاسلام ، والله المستعان ، ومنه نستمد التأييد والسداد .

اما عامــل التحقير والاهانة فهو من أقبح العوامل في انحرافات الولد النفسية ، بل هو من أكبر العوامل في ترسيخ ظاهرة الشعور بالنقص لــدى الأطفال .. فكثيراً ما نسمع أن الأم أو الأب (شهّر بالولد حين ينحرف أول مرة عن سنن الاخلاق الكريمة ، فــإذا كذب مرة نادينــاه دائمــاً بالكذاب ، واذا لطم أخاه الصغير مرة واحدة ناديناه بالشرير ، واذا احتال على أختــه الصغيرة فأخذ منها تفاحة كانت بيدها ناديناه بالمحتال، واذا أخذ من جيب أبيه قلماً ناديناه بالسارق ، واذا طلبنا منه كأس ماء للشرب فأبى ناديناه بالكسول، وهكذا نشهر به أمام اخوته وأهله من الزلّة الأولى ..)[1] .

ومن مظاهر التحقير والاهانة في بيئاتنا مناداة الولــد بكلمات نابية ، وعبارات قبيحة أمام الإخوة والأقارب، وفي بعض الأحيان أمام أصدقاء الولد، أو أمام غرباء ما سبق أن رآهم واجتمع بهم ؛ وهذا ــ لاشك ــ مما يجعل الولد ينظر الى نفسه أنه حقير مهين ، ومن سقط المتاع لاقيمة له ولااعتبار، وهذا ــ أيضاً ــ مما يولّد في نفسه العُقَد النفسية التي تدفعه الى أن ينظر الى الآخرين نظرة حقد وكراهية .. وأن ينطوي على نفسه فارّاً من أبنــاء الحياة ، منهزماً من تكاليفها ومسؤولياتها !!..

(١) مــن كتاب « أخلاقنا الاجتماعيــة » للمرحــوم الدكتــور مصطفى السباعي ص ١٥٩ .

ومن هنا نعلم أية جناية نجنيها على أبنائنا وبناتنا حين نزجّ بهم الى الحياة في جو هذه التربية الفاسدة المليئة بالأخطاء والمعاملة القاسية .

فكيف نرجو من الأولاد طاعة وبراً ، وتوقيراً واحتراماً ، واتزاناً واستقامة .. ونحن قد غرسنا في نفوسهم وهم صغار بذور هذا الانحراف أو العقوق أو التمرد ..؟

جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو اليه عقوق ابنه ، فأحضر عمر الولد وأنبه على عقوقه لأبيه ، ونسيانه لحقوقه عليه ، فقال الولد: يا أمير المؤمنين أليس للولد حقوق على أبيه ؟

قال عمر : بلى !

قال : فما هي يا أمير المؤمنين ؟

قال عمر : أن ينتقي أمه ، ويحسّن اسمه ، ويعلمه الكتاب (القرآن).

قال الولد : يا أمير المؤمنين ان أبي لم يفعل شيئاً من ذلك ، أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي .. ، وقد سماني جُعَلاً (أي خنفساء) ، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً .

فالتفت عمر الى الرجل ، وقال له : جئت إلي تشكو عقوق ابنك وقد عَقَقْتَه قبل أن يعُقّك ، وأسأت اليه قبل أن يسيء اليك .

ومن طرائف ما ذكر أن أباً عيّر ولده يوماً بأمه ، وقال له : أتخالفني وأنت ابن أمَة ؟ فقال الولد لأبيه : ان أمي والله خير منك يا أبي !!.

قال الأب : لمَ ؟

قال الولد : لأنها أحسنت الاختيار فولدتني من حر ، وأنت أسأت الاختيار فولدتني من أمَة !!..

ونحن لا نشك أن الكلمات النابية القبيحة التي تنزلق من الأب للولد لم تصدر الا عن غاية تأديبية اصلاحية .. لذنب كبير أو صغير وقع فيه وبدر منه !!..

ولكن المعالجة لارتكاب هذا الذنب لا تصلح بهذه الحالة الغضبية ، والطريقة التعنيفية .. التي تترك آثاراً خطيرة في نفسية الولد وسلوكه الشخصي .. وبالتالي تجعل منه انساناً يتطبع على لغة السبّ والشتائم ، ويتخلق بأخلاق المنحرفين الحمقى .. ونكون بهذه المعاملة القاسية قد جنينا على الولد ، وحطمناه نفسياً وخلقياً من حيث نعلم أو لا نعلم ، بدل أن نعدّه انساناً متزناً عاقلا سوياً يمشي في دروب الحياة على نور العقل والاتزان والاستقامة والحق المبين ..

ولكن ماهي معالجة الاسلام للولد اذا وقع منه خطأ أو صدرت هفوة ؟

المعالجة الصحيحة أن ننبهه على خطئه **برفق ولين** ، ونقنعه بالحجج الدامغة ، وأن الذي صدر منه لايرضى به انسان عاقل ذو فهم وبصيرة وفكر ناضج رزين ..

فإن فهم واقتنع وصلنا الى ما نريد في اصلاح خطئه ، ومعالجة انحرافه .. والا فالمعالجة ستكون بأسلوب آخر كما سيأتي بيانه في بحث « التربية بالعقوبة » في القسم الثالث من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » ان شاء الله .

وهذه الطريقة الرفيقة اللينة في التأديب هي طريقة الرسول صلوات الله وسلامه عليه .

وإليكم بعض النماذج في معاملته ولينه ووصاياه :

أ ــ روى الإمام أحمد بإسناد جيــد عن أبي أمامة أن غلاماً شابــاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله ، أتأذن لي في الزنى ؟ فصاح الناس به .. فقال النبي صلى الله عليه وسلم قربوه ادنُ .. فدنا حتى جلس بين يديه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أتحبه لأمك ؟

قال : لا ، جعلني الله فداك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم.

أتحبه لابنتك ؟

قال : لا ، جعلني الله فداك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم .

أتحبه لأختك ؟

قال : لا ، جعلني الله فداك ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم.

ثم ذكر له العمة والخالة ... وهو يقول في كل واحدة : لا ، جعلني ـاك ...

ءوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره ، وقال : «اللهم ر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصّن فرجه » فقام من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس شيء أبغض عليه من الزنى .

ب ــ وروى مسلم في صحيحه عن معاوية بن الحكم السّلمي رضي الله عنه قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عطس رجل من القوم ، فقلت له : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثُكْلَ أمّيــاه !! ما شأنكم تنظرون اليّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهــم فلما رأيتهم يصمّتونني سكتّ ، فلما انتهى عليه الصلاة والسلام من صــلاته

دعاني ، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فو الله ما كهرني ، ولا ضربني ، ولا شتمني .. لكن قال : ان هذه الصلاة لايصلح فيها شيء من كلام الناس انما هو التسبح والتكبير وقراءة القرآن.

ج — وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بال أعرابي في المسجد ، فقام الناس اليه ليقعوا فيه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « دعوه وأريقوا على بوله سَجْلاً[1] من ماء ، فإنما بعثتم ميسّرين ، ولم تبعثوا مُعسّرين » .

ومن وصاياه عليه الصلاة والسلام في الرفق واللين :

— روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله » .

— وروى مسلم عن عائشة كذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ، ولا ينزع من شيء الا شانه » .

— وروى مسلم عن جرير بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من يُحرَم الرفق يُحرَم الخير كلّه » .

فالذي نخلص إليه بعد ماتقدم أن تحقير الولد وتعنيفه بشكل مستمر دائم — ولا سيما أمام الحاضرين — هو من أكبر العوامل في ترسيخ ظاهرة الشعور بالنقص ... ومن أعظم الأسباب في انحرافات الولد النفسية والخلقية .. وخير علاج لهذه الظاهرة هو تنبيه الولد على خطئه اذا أخطأ برفق ولين مع تبيان الحجج التي يقتنع بها في اجتناب الخطأ ؛ وعلى المربي إن أراد زجر الولد وتوبيخه ألا يكون ذلك أمام الحاضرين ، كما يجب أن سلك معه في بادىء الأمر الأسلوب الحسن في اصلاحه وتقويم

(١) السجل : الدلو في البئر .

اعوجاجه ، وهذه الطريقة هي طريقة الرسول عليه الصلاة والسلام في الاصلاح والتربية وتقويم الاعوجاج ..



أما عامل الدلال المفرط فهو أيضاً من العوامل الخطيرة في انحراف الولد النفسي والخلقي .. لما يؤول في الغالب الى استشعاره بمركب النقص ، ونظرته الحاقدة الى الحياة ..

ومن نتائجه في الأحوال العادية الخجل ، والخنوع ، وفقدان الرجولة والشجاعة ، وضعف الثقة بالنفس ، والتدرج نحو الميوعة ، والتخلف عن الأقران ..

أما كون الدلال المفرط يولد في نفس الطفل ظاهرة الشعور بالنقص ، والنظرة الحاقدة الى الحياة فللاعتبارات التالية :

يرى الناس يتقدمون وهو في ذيل القافلة .

يرى الناس في إقدام وشجاعة وهو في خوف وجبن .

يرى الناس في حركة وعراك ومجاهدة .. وهو في صمت وسكون وجمود ..

يرى الناس في تلاق واجتماع وهو في انطوائية وعزلة ..

يرى الناس يبسمون للمصاعب .. وهو في بكاء وجزع اذا أصابته أدنى مصيبة ...

فولد هذا شأنه ، وهذه حاله •• هل يكون انساناً سوياً ؟ وهل يكون عضواً نافعاً للمجتمع ؟ وهل تكون نظرته الى الحياة نظرة أمل وتفاؤل ؟ وهل يكون انساناً ذا شخصية استقلالية يثق بنفسه ، ويعتمد عليها ؟

فإذا كان الجواب لا !!••

فلماذا يغالي الأبوان في تدليل الولد ؟ ، ولماذا يدلّعانه هـذا الدّلع ؟ ولماذا يتعلقان به هذا التعلق الزائد ؟ ولا سيما الأم ، فإن عندهـا من الرعاية المفرطة لوليدها أو من الوسوسة اذا صح التعبير •• ما يدفعها الى أن تفرط في احتضان ابنها وتدليله بشكل يخرجها عن المألوف وحدود الاعتدال ••

وهذه ظاهرة خطيرة نراها في كثير من الأمهات اللواتي لا يعرفن قواعد التربية الاسلامية في تربية الولد :

- فمن مظاهر هذه التربية الخاطئة عند الأم عدم السماح للولد بأن يقـوم بالأعمال التي أصبح قادرا عليها اعتقاداً منها أن هذه المعاملة من قبيل الشفقة والرحمة للولد •

- ومن مظاهر هذه التربية الخاطئة احتضان الولـد بشكل دائـم ، فهي لا تسمح لنفسها ــ ان كانت فارغة ــ أن تتركه أبداً سواء أكان الاحتضان له مبرّراته أم لم يكن ؟

- ومن مظاهر هذه التربية الخاطئة أن لا تترك الأم ولدها يغيب عن ناظريها لحظة واحدة مخافة أن يصاب بسوء •

- ومن مظاهرها أيضا عدم محاسبتها لولدها حينما يفسد أثاث المنزل ، أو عندما يتسلق المنضدة . أو عندما يسوّد الجدار بقلمه •••

وتزداد **ظاهرة التدليل المفرط** في نفس الأبوين سوءاً عندما يرزقان الطفل بعد سنوات كثيرة ، أو أنجبت الأم هذا الطفل بعد عدة اجهاضات مستمرة ، أو كان الطفل ذكراً بعد عدة اناث ، أو أن شُفي الطفل من مرض شديد هدد حياته بالخطر المحدق ...

ولكن ما العلاج الذي وضعه الاسلام للتخفيف من هذه الظاهرة ؟ :

١ ـ تعميق عقيدة القضاء والقدر في نفس الأبوين ، حتى يعتقدا أن ما يصيبهم ويصيب أولادهم من صحة أو مرض ، أو ما يعرض لهم من نعمة أو شقاء ، أو ما يقدر الله عليهم من نسل أو عقم ، أو مايبتليهم به من غنى أو فقر .. كل ذلك بمشيئته الله سبحانه ، وبقضائه وقدره ..

ـ قال تعالى : ((ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ، لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور)) .

(الحديد : ٢٣)

ـ وقال جل جلاله : ((لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ، ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير)) .

(الشورى : ٥٠)

ـ وقال عز من قائل : ((ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله وإنا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون)) .

(البقرة : ١٥٦)

٢ ـ التدرج في تأديب الولد ، فإن كان ينفع مع الولد النصح والوعظ فلا يجوز للمربي أن يلجأ الى الهجر ، وان كان ينفع الهجر فلا يجوز له أن يلجأ

الى الضرب •• واذا عجز المربي عن اصلاح الولد وتقويم اعوجاجه بعد أن اتخذ كل الوسائل التأديبية والزجرية فعندئذ يلجأ الى الضرب غير المبرّح.

وان شاء الله سيكون البحث وافياً مستفيضاً في مبحث « التربية بالعقوبة » في فصل « وسائل التربية المؤثرة في الطفل » في القسم الثالث من كتاب « تربية الأولاد في الاسلام » •

٣ ــ تربية الولد منذ نعومة أظفاره على الاخشيشان ، والثقة بالنفس ، وتحمل المسؤولية ، والجرأة الأدبية ••• حتى يشعر الولد بكيانه ، ووجوده ، وحتى يتحسس بواجبه ومسؤوليته ••

ــ اما ان تكون التربية للولد **قائمة على الاخشيشان** فللحديث الذي رواه الامام أحمد وأبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً : « اياكم والتنعّم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعّمين » •

ــ واما ان تكون التربية قائمة على **الثقة بالنفس وتحمل المسؤولية** فلعموم الحديث الذي سبق ذكره : « كلكم راعٍ ، وكل راع مسؤول عن رعيته » ، فهو يشمل الصغير والكبير ، والمرأة والرجل ، والحاكم والمحكوم •••

ولتوجيه عمر رضي الله عنه فيما رواه البيهقي : « علموا أولادكم السباحة والرماية ، ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثباً » ؛ ومن المعلوم أن الولد ــ وهو صغير ــ حين يتعلم كيف يسبح ؟ ، وكيف يرمي ؟ ، وكيف يركب الخيل ؟ ، يكون قد وثق بنفسه ، وشعر بوجوده وشخصيته ، وبالتالي تدرج على تحمل المشاق والمسؤوليات ••

ــ واما ان تكون التربية قائمة **على الجرأة الأدبية** فلحديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه : « بايعنا رسول الله (صلى) على الطاعة فى المنشط والمكره في العسر واليسر ••• وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخشى في

الله لومة لائم ... » . ولا شك أن هذه المبايعة تشمل الصغار والكبار، والرجال والنساء ...

وسبق أن ذكرنا في فصل « مسؤولية التربية الجسمية » أهم الوصايا النبوية ، وأبرز التعاليم الاسلامية في تربية أجسام الأولاد .. وكلها ـ لا شك ـ تعويد لهم على الثقة بالنفس ، وتحمل الأمانة والمسؤولية ، وإشعار للواحد منهم أنه انسان ذو شخصية وكرامة وكيان !!..

٤ ـ الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو صغير الى أن ترعرع شاباً الى أن بعثه الله نبياً لأن الله سبحانه ادّبه فأحسن تأديبه ، وشمله برعايته، وصنعه على عينه ..

وها نحن أولاء سنسرد بعض النماذج في كل مراحل حياته ـ ولا سيما سن الطفولة والشباب ـ لتكون للمربين هداية ونبراساً ، وللأجيال المؤمنة قدوة وأسوة :

ـ كان عليه الصلاة والسلام في صغره **يرعى الغنم** ، يقول صلى الله عليه وسلم عن نفسه فيما رواه البخاري : « ما بعث الله نبياً الا رعى الغنم ، نعم كنت أرعاها على قراريط[1] لأهل مكة » .

ـ وكان صلى الله عليه وسلم في صغره **يلعب مع الغلمان** ؛ روى ابن كثير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لقد رأيتني في غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب الغلمان ، كلنا قد تعرّى وأخذ ازاره ، وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة ، فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكمني لاكم ـ ما أراه ـ لكمة وجيعة ثم قال : شدّ عليك ازارك ؛ قال : فأخذته فشددته عليّ ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي ، وازاري عليّ من بين أصحابي » .

(١) المراد بالقيراط جزء من الدرهم (عملة عصر النبوة) .

ـ وكان صلى الله عليه وسلم **يقوم بعملية البنـاء؛** روى البخاري ومسلم : « ولما شبّ صلى الله عليه وسلم وبنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى اللهعليه وسلم ينقل الحجارة مع أشراف قريش لبنائها ، فقال العباس لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعل ازارك على عاتقك من الحجارة ، ففعل فخرّ الىالأرض، وطمحت عيناه الى السماء ، ثم قام ، فقال : « ازاري ، ازاري » ، فشدّ عليه ازاره ، وقال : « اني نهيتُ أن أمشي عرياناً » ، وهذا دليل عصمته قبـل النبـوة •

ـ وكان صلى الله عليـه وسلم **يخرج للسفر للتجـارة** ، وقد ثبت انه عليه الصلاة والسلام سافر مرتين : مرة قبل البلوغ مععمه أبي طالب، والمرة الثانية بعد البلوغ بتوجيه خديجة رضي الله عنها •

ـ وكان صلى الله عليـه وسلم في صبـاه **ذا جراة متناهيـة** ، ذكرت كتب السِّيَر أنه عليه الصلاة والسلام استحلف باللات والعزّى وهـو صبيّ ، فقال للمستحلف : لا تسألني بهما شيئاً ، فو الله ما بغضت شيئاً بغضي لهما•

ـ وكان صلى الله عليه وسلم **قد شارك في الحرب وهو دون الحلم** ، فممـا ذكرته كتب السير أنه كان عليه الصلاة والسلام يُنْبِل على أعمامه في حرب الفجـار •

ـ وكان صلى الله عليه وسلم **ذا رأي وحصافة** ، فاحتكم اليه وهو شاب؛ فمما تناقلته كتب السير أن قريشاً حكمتهفي وضعالحجر الأسود، ولقد أعجبت برأيه وحكمه وحصا فته !!••

ويكفيه صلوات الله وسلامه عليـه فخراً وشرفـاً أن يتربى ـ وهـو اليتيم الصغير ـ على خير ما تتحلى به النفوس من كريم الخصال ، وحميد

الصفات ، وجميل العادات •• فلم يسجد لصنم ولـم يشارك الجاهليـة في مفاسدها ، ولم يذق شيئاً من لحوم قرابينها ••

ولا عجب أن ينسب ذلك الى ربه الذي أحاطه بعنايته ، وصنعه علـى عينه ، وتولى تأديبه فقال عليه الصلاة والسلام : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » رواه العسكري •

فهذه اللمحات الخاطفة عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في طفولته • وعن عصمته وأخلاقه في شبابه •• مشاعل هداية في تبيان المنهج التربوي الذي يجب أن يسلكه المربون مع أبنائهم •• ولا شك أنه عليه الصـلاة والسلام قدوة صالحة في طفولته وشبابه ، وفي رجولته وكهولته ، فأولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده •

والذي نخلص إليه بعدما تقدم ان ظاهرة الدلال المفرط هي من اكبر العوامل في انحراف الولد النفسي ، لكونهـا تؤدّي في كثير مـن الأحيـان الى مركب الشعور بالنقص في حياة الطفولة وبعدها ••

فما على الأبوين — ولا سيمـا **الأم** — الا أن يمشوا على السنن التي وضعها الاسلام في تربية الأولاد •

والتي منهـا الاعتدال في محبة الولد ، والتعلق به ، والتسليم لله في كـل ما ينوب ويروع •

والتي منهـا أن يكون التأديب للولد في سن التمييز على حسب ما تقتضيه مصلحة التربية بالعقوبة •

والتي منهـا أن تكون التربية للولـد قائمـة عـلى أسس الاخشيشان ، والاعتماد على النفس ، وتحمل المسؤولية ، وتنمية الجرأة الأدبية ••

والتي منها التأسي بشخصية النبي صلى الله عليه وسلم الطفل باعتبارأنه قدوة قبل النبوة وبعدها .

ويوم يسير المربون على هذه السنن ، ويلتزمون هذه القواعد يكونون قد حرّروا من لهم عليهم حق التربية من العوامل التي تؤدي الى تحطيم الشخصية ، وهدر الكرامة الانسانية ، ويكونون كذلك قد رفعوا من مستوى الولد النفسي والأخلاقي والعقلي ، وأصبح في الحياة انساناً سوياً !!..



أما عامل المفاضلة بين الأولاد فهو كذلك من أعظم العوامل في انحراف الولد النفسي سواء أكانت المفاضلة في العطاء أم في المعاملة أم في المحبة ؟..

وهذه الظاهرة لها أسوأ النتائج في انحرافات الولد السلوكية والنفسية.. لأنها تولد الحسد والكراهية، وتسبّب الخوف والحياء، والانطواء والبكاء.. وتورث حب الاعتداء والمشاجرة والعصيان .. وتؤدي الى المخاوف الليلية، والاصابات العصبية ، ومركبات الشعور بالنقص ...

وكم كان المربي الأول صلوات الله وسلامه عليه حكيماً ، ومربيّاً اجتماعياً عظيماً حين أمر الآباء أن يتقوا الله ، ويعدلوا بين أولادهم ؟!. :

ـــ روى ابن حِبّان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رحم الله والداً أعان ولده على برّه » .

ـــ وروى الطبراني وغيره : « ساووا بين أولادكم في العطية » .

ـــ وروى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اني نحلتُ ابني هـذا ـــ أي أعطيته ـــ غلاماً كان لي .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكُلّ ولدك نحلْتَه مثل هذا ؟

فقال لا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعه .

وفي رواية : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفعلت هذا بولدك كلهم ؟ ، قال : لا .

قال عليه الصلاة والسلام : « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » .

فرجع أبي فردّ تلك الصدقة .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :« يابشير ، ألك ولد سوى هذا ؟

فقال نعم .

قال : أكلهم وهبت له مثل هذا ؟

قال : لا .

قال : فلا تشهدني اذن فاني لاأشهد على جور ــ أي ظلم ــ

ثم قال : أيسرّك أن يكونوا اليك في البر سواء ؟

قال : بلى .

قال : فلا اذن .

ــ وروى أنس أن رجلا كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء ابن له فقبّله وأجلسه على فخذه ، وجاءت ابنة له فأجلسها بين يديه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا سويت بينهما ؟ » .

فيؤخذ من هذه التوجيهات النبوية الكريمة **مبدأ تحقيق العدل** ،

والمساواة ، والمحبة .. فيما بين الاولاد .. دون ان يكون لعنصر التفريق او التمييز مكان بينهم .

نعم !.. قد يكون لعدم محبة الطفل ، والعناية به أسباب ظاهرة :

كأن يكون الطفل من الجنس غير المرغوب فيه جهلاً لكونه أنثى .

أو يكون قليل الحظ من الجمال أو الذكاء ..

أو يكون مصاباً بعاهات جسمية ظاهرة . أو .. أو ..

ولكن كل هذه الأسباب الخَلْقية والخلُقية لاتعد مبررات ـ في نظر الشرع ـ لكراهية الولد ، وتفضيل اخوته عليه .

وكم يكون الأبوان ظالمين وجائرين حينما ينهجان مع الولد هذا النهج السيء ، ويعاملانه هذه المعاملة القاسية ؟

ما ذنب الطفل إن ولد في الحياة وهو أنثى ؟

وماجريمته ان كان دميم الوجه ؟

وما جريرته ان لم يخلق على ذكاء فارط ؟

وما الذي جناه ان كان بطبعه كثير الحركة والتنقل والمشاغبة ؟

وما مسؤوليته اذا قُدِّر له ـ وهو صغير ـ أن يصاب بعاهات جسدية ظاهرة ؟

فإذا كان المربون حريصين على سلامة ابنائهم من العُقَد النفسية . ومركبات الشعور بالنقص ، وآفات القلوب من حقد وحسد وفساد طويّة .. فليس أمامهم من سبيل سوى أن ينفذوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم القائل : « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » ؛ وأن يرضوا بما قسمه الله لهم من معطيات البنين أو البنات ؛ وعليهم كذلك أن يسعوا جهدهم في اشعار

أولادهم جميعاً روح المحبة والأخوة والتسامح والمساواة .. حتى ينعموا في ظلال العدل الشامل ، والنظرة الرحيمة ، والعطف الصادق ، والمعاملة العادلة ..

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل في الحديث الذي رواه ابن حبان : « رحم الله والداً أعان ولده على بِرِّه » .



أما عامل العاهات الجسدية فهو ايضاً من العوامل الكبيرة في انحراف الولد النفسي لما يؤول في الغالب الى الشعور بالنقص ، والنظرة الحاقدة للحياة ..

فالولد حين يصاب ـ منذ الصغر ـ بعاهة جسدية كالعور ، أو الصمم ، أو العته ، أو التهتهة ونقص النطق .. فينبغي أن يلقى ممن يعيشون حوله من أب وأم واخوة وأقرباء وجيران وأصدقاء وأهل .. كل رعاية وعطف ومحبة ، وأخلاق سمحة رضية ، وتعاطف حسن جميل .. تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي وأبو داود : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » ، وقوله فيما رواه البخاري ومسلم : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ؛ وقوله فيما رواه الترمذي وابن حبان : « أكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلُقاً » .

ولكن حين يخاطب المصاب بعاهة العور يا أعور ، وبعاهة الصمم يا أطرش ، وبعاهة العَته ياأجدَب ، وبعاهة نقص النطق يا أخرس ...

فمن البديهي أن تتولد لدى الولد الواعي المميز مركبات الشعور بالنقص ، وآفات العُقد النفسية .. فلا عجب أن نراه في حالة يرثى لها من الصراع النفسي ، والحقد الاجتماعي ، والنظرة المتشائمة للحياة ..

لهذا وجب على المربين أن يعالجوا مشكلة عاهات أبنائهم بالأسلوب الحكيم ، والتربية الصالحة ، والمعاملة الرحيمة ، والمراقبة التامة .. على أساس أن قيمة الانسان في دينه وأخلاقه لافي شكله ومظهره .

● **فأول خطوات هذه المعالجة** ان ينظروا اليهم نظرة حب ورحمة ، وأن يخصوهم بالعناية والرعاية . وأن يشعروهم أنهم متميزون عن غيرهم بالذكاء والمواهب ، والعلم والخبرة ، والنشاط والحيوية .. فهذه النظرة اليهم ، والإشعار لهم يزيل في نفوسهم آفة الشعور بالنقص ، بل يندفعون بكليتهم ـ بكل ثقة واطمئنان ـ نحو العمل البناء ، والانتاج المثمر .

● **وثاني خطوات هذه المعالجة** ان يقوم المربون بواجب النصح والتحذير لكل من كان حول المصاب من خلطاء سواء أكانوا أقارب أم أباعد ؟ حيث يحذرونهم مغبة التحقير والإهانة ، ونتائج الاستهزاء والسخرية ، وما تتركه من أثر سيء في نفوسهم ، وماتحدثه من مضاعفات أليمة في أعماق أحاسيسهم ومشاعرهم ..

وعلى المربين حين يوجهون وينصحون أن يبينوا لكل من يجتمع بالمصاب منهج المربي الاول صلوات الله عليه في دعوته الكبرى الى وحدة اجتماعية متينة متراصة تقوم دعائمها على الصفاء والمحبة ، وتتركز أسسها على التوقير والاحترام ..

وهذه اسس منهجه عليه الصلاة والسلام في تحذيراته من كل ما يمس الكرامة الانسانية ، ويحطم الشخصية المسلمة ، ويمزق الوحدة الاجتماعية المتراصة ...

ـ فمن تحذيراته عليه الصلاة والسلام **من آفات اللسان** قوله فيما رواه البخاري : « وان العبد ليتكلم بالكلمة لايلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم » ؛

وقوله : « ان العبد ليتكلم بالكلمة مايتبين فيها يزلّ الى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب » .

ب ـ ومن تحذيراته صلى الله عليه وسلم **من التحقير بالشماتة** قوله فيما رواه الترمذي : « لاتظهر الشماتة لأخيك ، فيرحمه الله ويبتليك » .

ـ ومن تحذيراته صلى الله عليه وسلم **من التحقير بالاشارة** توجيهه لعائشة

رضي الله عنها فيما رواه أبو داود والترمذي ، قالت عائشة : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم : حسبك من صفيّة كذا وكذا (تشير أنها قصيرة) فقال عليه الصلاة والسلام : « لقد قلت كلمة لو مُزِجت بماء البحر لمَزَجتْه[1] » .

وتندرج هذه التحذيرات كلها تحت قوله تبارك وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ».

(الحجرات : ١١)

● **وثالث خطوات هذه المعالجة** ان يهيّيء المربون لأولادهم المصابين رفقة من الأصحاب حسنة آدابهم ، مرضية عاداتهم .. حيث يجتمعون بهم ، ويلعبون معهم ، ويتبادلون أحاديث المحبة فيما بينهم .. ليشعروا في أعماق وجدانهم محبة الناس لهم ، واهتمامهم بهم وعطفهم عليهم ؛ يقول ابن سينا ـ في معرض تنمية شخصية الطفل ، واشباع غريز حب الاجتماع في نفسه ـ : « أن يكون

(١) أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه او ريحه لشدة نتنها وقبحها .

مع الصبي في مكتبه صِبْيَة حسنة آدابهم ، مرضية عاداتهم لأن الصبي عن الصبي ألقن ، وهو عنه آخذ ، وبه آنس » .

ويقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي في نوادره : « عُرامة[1] الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره » .

والذي نخلص إليه بعدما تقدم أن المربي لا يعدم وسيلة في معالجة مشكلة العاهة الجسدية في ولده المصاب سواء مايتعلق بنظرة الحب والرحمة ، أو تخصيصه بالعناية والرعاية ، أو تحذير البيئة التي يعيش فيها من الهزء والتحقير والإهانة ، أو اعـداد الرفقة الصالحة التي يجتمع بها ، ويلتقي معها .. وبهذا يكون قد أزال من نفسه عقدة الشعور بالنقص ، وهيّأه ليكون عضواً نافعاً في المجتمع ، يبني بساعديه صرح الحضارة ، ويشيد بعزمه مجد أمته ومستقبل بـلاده ...



أما عامـل اليتم فهـو عامل خطير في انحراف الولد النفسي ، ولاسيما اذا وجد اليتيم في بيئة لاترعاه ، ولاتكفكف أحزانه ، ولاتنظر اليه بعين العطف والرحمة والمحبة ...

والاسلام اهتم بشأن اليتيم الاهتمام البالغ من ناحية تربيته ومعاملته ، وضمان معيشته .. حتى ينشأ عضواً نافعاً في المجتمع ، ينهض بواجباته ،ويقوم بمسؤولياته ، ويؤدي ماله وما عليه على أحسن وجه ، وأنبل معنى ...

فمن اهتمام القرآن الكريم بشأن اليتيم أمره بعـدم قهره ، والحط مـن شأنه وكرامته ..

ـ **« فأما اليتيم فلا تقهر »**

(الضحى : ٩)

---

(١) عرامة الصبي : اي انطلاقته وحيويته وقوة الاجتماع مع غيره .

ـ « **أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدّع(١) اليتيم** » .

(الماعون : ١ ـ ٢)

ومن اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بشأنه حضه على كفالته ، وأمره بوجوب رعايته ، وبشارته الأوصياء ـ ان أحسنوا الوصاية ـ أنهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة :

ـ روى الترمذي أنه عليه الصلاة والسلام قال : « أنا وكافل اليتيم في الجنة » ، وأشار بأصبعيه ـ يعني السبابة والوسطى ـ .

ـ روى الامام أحمد وابن حبان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من وضع يده على رأس يتيم رحمة ، كتب الله له بكل شعرة مرت على يده حسنة » .

ـ وروى النسائي بإسناد جيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اللهم اني أُحرِّج حقَّ الضعفين : اليتيم والمرأة » ، ومعنى أحرّج : أُلحق الحرج والإثم بمن ضيّع حقهما .

ورعاية اليتيم وكفالته واجبة في الأصل على ذوي الارحام والأقرباء ، فعلى هؤلاء إن أرادوا أن يعالجو أحوال اليتامى النفسية والخلقية .. فما عليهم الا أن يخصوهم بمزيد من الرحمة والعطف والعناية ، وأن يشعروهم أنهم كأولادهم حباً ومعاملة وملاطفة ..

وفي حال عدم وجود الأوصياء من الاقارب والأرحام **فعلى الدولة المسلمة** أن ترعاهم وتتولى أمرهم ، وتشرف على تربيتهم وتوجيههم ، وترفع من كيانهم وقَدْرهم في الحياة ..

---

(١) أي يزجره وينهره .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ باعتبار أنه الممثل الاول للدولة الاسلامية في المدينة ـ كان يخصّ اليتيم بمزيد من العطف والمعاملة والرحمة، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى يتيماً يوم عيد ، فلاطفه ، وبشّ له ، وأحسن اليه ، وأخذه الى بيته ، وقال له :

« أما ترضى أن أكون لك أباً ، وتكون عائشة لك أماً ؟ » .

وكذلك يجب على الدولة **أن ترعى اللقيط** ، وتقوم على أمره وكفالته في حين وجوده والعثور عليه ، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين جاءه رجل بلقيط ، فقال له : « نفقته علينا وهو حرّ » .

وبهذه المعاملة الحسنة التي ينهجها الاسلام في معاملة كل من اللقيط واليتيم يكون قد قدّم للمجتمع الاسلامي مواطنين صالحين ينهضون بواجباتهم، ويضطلعون بمسؤولياتهم ، فلا يشعرون بنقص ، ولا يتيهون في لجة الهواجس والافكار والتصورات المنحرفة ...

أما عامل الفقر فهو عامل كبير في انحراف الولد النفسي ، ويقوى جانب هذا الانحراف فيه حين يفتح عينيه ، ويرى أباه في ضائقة ، وأسرته في بؤس وحرمان .. ويزداد الأمر لديه سوءاً حين يرى بعض أقربائه أو أبناء جيرانه ، أو رفاقه في المدرسة .. وهم في أحسن حال ، وأبهى زينة ، وأكمل نعمة .. وهو كئيب حزين لايكاد يجد اللقمة التي تشبعه ، والثوب الذي يستره ..

فولد هذه حاله ماذا ننتظر منه أن يكون نفسياً ؟ حتماً سينظر الى المجتمع نظرات الحقد والكراهية ، وحتماً سيصاب بأمراض من مركبات النقص ، والعُقد النفسية ، وحتماً سيتبدل أمله الى يأس ، وتفاؤله الى

تشاؤم .. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل فيما رواه أحمد بن منيع والبيهقي .. : « كاد الفقر أن يكون كفراً » ، بل كان عليه الصلاة والسلام يستعيذ من الفقر في دعائه ، فقد روى النسائي وابن حبان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم اني أعوذ بك من الكفر والفقر » .

والاسلام عالج مشكلة الفقر بأمرين أساسيين :

الأول : احترامه الكرامة الانسانية .

الثاني : سَنّه لمبادىء التكافل الاجتماعي .

أما احترامه الكرامة الانسانية فلأنه سوّى بين جميع الأجناس والألوان والطبقات في الاعتبار والكرامة الانسانية ، واذا كان لابد من المفاضلة فلتكن بالتقوى والانتاج والعمل الصالح ...

والمبدأ الذي طبعه الاسلام في ضمير الزمان الى يوم القيامة قوله تعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. » .

ولأنه لم ينظر الى الصور والأجسام ، وانما جعل النظرة الى القلوب والاعمال ، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة : « ... ان الله لاينظر الى صوركم وأجسادكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم » .

ولأنه رفع من قدر الضعفاء والفقراء ، واعتبر إغضابهم وتحقيرهم اغضاباً للرب سبحانه ، فقد روى مسلم أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر ، فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عدوّ الله مأخذها ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال : « يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ، لئن

كنت أغضبتهم ، لقد أغضبت ربك » ، فأتاهم فقال : يا اخوتاه أأغضبتكم ؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخي ... !..

اما سنته لمبادىء التكافل الاجتماعي فلا شك أن الاسلام سن من مبادىء التكافل في حل مشكلة الفقر ما يعتبر من أرقى وأسمى ما وصل اليه الجهد البشري في العصر الحديث .

وإليكم بعض هذه اللمحات في معالجة الاسلام لمشكلة الفقر في المجتمع :

● انه شرع بيت مال للزكاة تتولاه الدولة المسلمة ، وجعل مصارفه على المستحقين من الفقراء ، والمساكين ، وأبناء السبيل ، والمديونين ، وتحرير الأرقاء .. قال تعالى :

« إنما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب ، والغارمين ، وفي سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » .

(التوبة : ٦٠)

وروى الطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنّ الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا وعروا الا بما يصنع أغنياؤهم ، ألا وان الله يحاسبهم حساباً شديداً ، ويعذبهم عذاباً أليما » .

● انه لم يعتبر المسلم مسلماً اذا بات شبعان ، وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم به ، فقد روى البزار والطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما آمن بي مَن بات شبعان ، وجاره جائع الى جنبه وهو يعلم به » ؛ بل اعتبر اسعافه وادخال السرور عليه من أحسن القربات ، وأفضل الاعمال .. فقد روى الطبراني في الاوسط عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً :

« أفضل الأعمال ادخال السرور على المؤمن ، كسوتَ عورته ، أو أشبعت جوعته ، أو قضيت له حاجة » .

● انه جعل اسعاف الجائع والمحروم في وقت الشدة من أهم الواجبات ؛ فقد روى البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أن أصحاب الصفّة كانوا أناساً فقراء ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس » .

وروى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان معه فضل ظهر (أي مركوب) فليعد به على من لاظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لازاد له ، فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصناف المال ماذكره حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا في فضل » .

● انه أوجب على الحاكم أن يهيىء سبيل العمل لكل من كان قادراً عليه ، فقد روى أبو داود والنسائي والترمذي : « أن رجلا من الانصار جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عطاء ، فقال له : أما في بيتك شيء ؟ قال : بلى يارسول الله ، حِلْس نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه من الماء ، قال : ائتني بهما ، فأتاه بهما ، فأخذهما عليه الصلاة والسلام ، وقال : من يشتري مني هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يزيد على درهم ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما اياه ، فأخذ الدرهمين فأعطاهما الانصاري ، وقال : اشتر بأحدها طعاماً فانبِذْه الى أهلك ، واشترِ بالآخر قدّوماً فأتني به ، فأتاه به ، فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده ، ثم قال : اذهب واحتطب وبع ، ولاأرينّك خمسة عشر يوماً ، ففعل ، فجاء ، وقد أصاب

عشرة دراهم . فاشترى ببعضها طعاماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا خير من أن تجيء . والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة » .

● انه سنّ **قانون التعويض العائلي** لكل مولود يولد في الاسلام سواء أكان المولود ابناً لحاكم أو موظف أم كان ابناً لعامل أو سوقة ...، فقد روى أبو عبيد في كتابه « الاموال » (عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يفرض لكل مولود عطاء الى عطاء أبيه يقدر « بمائة درهم » ، وكلما نما الولد زاد العطاء ، وقد جرى عليه من بعده عثمان وعلي والخلفاء ..) .

هذا عدا عن التربية الوجدانية التي يغرس الاسلام جذورها في قلوب المسلمين ، وفي أعماق مشاعرهم ، وحنايا ضمائرهم .. ليندفع الجميع الى تحقيق التعاون ، والتكافل ، والإيثار ... عن رغبة وايمان ، وطواعية واختيار ..

والواقع التاريخي اكبر شاهد على ما نقول ، واليكم بعض النماذج في تكافل المجتمع المسلم ، وفي تعاطفه وتراحمه وتعاونه :

١ ـ قال محمد بن اسحاق : « كان أناس بالمدينة يعيشون ولايدرون من أين يعيشون ؟ ومن يعطيهم ؟ فلما مات زين العابدين ابن الحسين فقدوا ذلك فعرفوا أنه هو الذي كان يأتيهم بالليل بما يأتيهم به ، ولما مات وجدوا في ظهره وأكتافه أثر حمل الجراب (أي الكيس) الى بيوت الارامل والمساكين » .

٢ ـ وكان الليث بن سعد ذا غلّة سنوية تزيد على سبعين ألف دينار يتصدق بها كلها حتى قالوا انه لم تجب عليه زكاة قط ، واشترى مرة داراً بيعت بالمزاد ، فذهب وكيله يتسلمها فوجد فيها أيتاماً وأطفالا صغاراً ، سألوه

بالله أن يترك لهم الدار ، فلما بلغ ذلك الليث أرسل اليهم أن الدار لكم ، ومعها ما يصلحكم كل يوم .

٣ ـ وكان عبد الله بن المبارك الإمام الكبير المحدّث كثير الصدقات تبلغ صدقاته في السنة أكثر من مائة ألف دينار ، خرج مرة الى الحج مع أصحابه ، فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر ، فأمر بالقائه على مزْبَلَة هناك ، وسار أصحابه أمامه ، وتخلف هو وراءهم ، فلما مر بالمزبلة اذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها ، فأخذت ذلك الطائر الميت ، فأخبرته أنها وأخاها فقيران لايعلم بهما أحد ، ولايجدان شيئاً ، فأمر ابن المبارك بردّ الاحمال ، وقال لوكيله : كم معك من النفقة ؟ قال : ألف دينار ، فقال له : عُدّ منها عشرين ديناراً تكفينا الى « مرو » ، وأعطها الباقي فهذا أفضل من حجنا في هذا العام ، ثم رجع فلم يحج(١) .

ويوم تتضافر جهود الدولة ، وجهود المجتمع ، وجهود الافراد في حل مشكلة الفقر ، لايبقى في المجتمع الاسلامي فقير ، ولا محتاج ، وتنعم الأمة الاسلامية بظلال الأمن ، والرفاهية ، والتكافل والاستقرار .. ويتحرر أبناء المجتمع من كل العوامل الاجرامية ، والانحرافات النفسية .. ونرى بأم أعيننا راية العزة الاسلامية ترفرف في علياء المجد والكرامة ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .



٤ ـ ظاهرة الحسد :

الحسد هو تمني زوال النعمة عن الغير ، وهو ظاهرة اجتماعية خطيرة

---

(١) ومن أراد المزيد في معالجة الاسلام للفقر فليرجع الى كتابنا « التكافل الاجتماعي في الاسلام » فإن فيه ما يشفي الغليل .

ان لم يعالجها المربون في أطفالهم ستؤدي حتماً الى أسوأ النتائج ، وأخطر الآثار ..

وقد لا تكون ظاهرة الحسد واضحة لأول وهلة بالنسبة للأهل ، فيظنون أن أولادهم لا يتوقع منهم الحسد ، ولا يشعرون به ، ولا يقعون فيه.. لذا وجب على كل من يقوم بمسؤولية التربية أن يعالج الحسد بالحكمة ، والتربية القويمة حتى لا يؤدي الى مشاكل صعبة ، ونتائج وخيمة ، ومضاعفات نفسية أليمة .

وقبل أن أتعرض للوقاية والعلاج في استئصال هذه الظاهرة يحسن أن اتعرض **للأسباب التي تؤجج نار الغيرة والحسد** في نفوس هؤلاء الأطفال .

وأرى أن هذه الأسباب تتركز في الأمور التالية :

● خوف الطفل أن يفقد بين أهله بعض امتيازاته كالمحبة والعطف وكونه شخصاً مراداً ، ولا سيما عند مقدم مولود جديد يتصور أنه سيزاحمه في هذه المحبة والعطف .

● المقارنة السيئة بين الأولاد كوصف أحدهم بالذكاء ، والآخر بالغباوة..

● الاهتمام بأحد الأولاد دون الآخرين ، كولد يُحمل ويُداعب ويُعطى.. وآخر يزجر ويهمل ويحرم ..

● الإغضاء والتسامح عن ولد محبوب يؤذي ويسيء ، والترصد بالعقاب لولد آخر تصدر منه أدنى اساءة .

● وجود الولد في بيئة غنية مترفة وهو في فقر شديد ، وحالة من العيش سيئة .

الى غير ذلك من هذه الأسباب التي تؤدي الى أسوأ الآثار في شخصية

الطفل ، وربما يصاب بآفة من مركب النقص ، أو الأنانية القاتلة ، أو الحقد الاجتماعي •• عدا عن اصابته بمضاعفات نفسية كالقلق ، والتمرد ، وعدم الثقة بالنفس ••

والاسلام قد عالج ظاهرة الحسد بمبادىء تربوية حكيمة لو اخذالمربون بأسبابها اليوم لنشأ الأولاد على التوادد ، والإيثار ، والمحبة ، والصفاء •• ولأضمروا كل تعاون ، وخير ، وتعاطف •• بالنسبة للآخرين •

وأرى أن هذه المبادىء التربوية لعلاج ظاهرة الحسد تتجسّد في الأمور التالية :

١ ــ اشعار الطفل بالمحبة :

وهذا ما كان عليه الصلاة والسلام يفعله ، ويأمر أصحابه به ، ويحضهم عليه ، ويراقب تنفيذه هنا وهناك •

وإليكم بعض الأمثلة :

ــ روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما أنه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران • فنزل النبي صلى الله عليه وسلم فحملهما ، ووضعهما بين يديه ، ثم قال : « صدق الله عز وجل :

« **إنما أموالكم وأولادكم فتنة ••** » ، نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران ، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما •

ــ وكان عليه الصلاة والسلام يداعب الحسن والحسين رضي الله عنهما ،

فيمشي على يديه وركبتيه ، ويتعلقان به من الجانبين ، فيمشي بهما ، ويقول: « نعم الجمل جملكما ، ونِعم العِدْلان أنتما » .

ــ وروى البخاري في الأدب المفرد عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أتقبلون صبيانكم فما نقبلهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة»؟

ــ وروى البخاري في أدبه كذلك عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاءت امرأة الى عائشة رضي الله عنها ، فأعطتها ثلاث تمرات ، فأعطت كل صبي لها تمرة ، وأمسكت لنفسها تمرة ، فأكل الصبيان التمرتين ، ونظرا الى أمهما ، فعمدت الأم الى التمرة فشقتها فأعطت كل صبي نصف تمرة ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته عائشة ، فقال : وما يعجبك من ذلك ؟ لقد رحمها الله برحمتها صبيّيْها » !!..

وينبغي ألا يغرب عن البال أن الأخذ بالاحتياطات اللازمة للحيلولة دون اشتداد الحسد عند مقدم طفل جديد من أهم ما ينبغي أن يعتني به المربون ولا سيما الأم ..

هذه الاحتياطات يجب أن تبدأ قبل عدة أشهر من الولادة كتغيير سرير الطفل الأكبر ، أو ارساله الى الروضة .. ولا بأس بالسماح للأخ الكبير بالمساعدة في شؤون الطفل الجديد عند الباسه ، أو تغسيله ، أو اطعامه ؛ ولا بأس كذلك بالسماح له بأن يلاعب أو يداعب أخاه الصغير ولكن مع شيء من المراقبة مخافة ايذائه ؛ وعندما تحمل الأم الطفل الوليد لإرضاعه ، فيستحسن من الأب أن يداعب أخاه الأكبر ، أو يحادثه ويلاطفه ليشعره بالمحبة والعطف والاهتمام ..

والمقصود على العموم اشعار الأخ الأكبر بأنــه محبوب ، وأنه المراد ، وأنه محل العطف والعناية كأخيه الوليد سواء بسواء .

وهذا ما كان يوجــه اليه المربي الأعظم صلوات الله وسلامه عليــه في الأحاديث التي مر ذكرها ، وسبق تعدادها ..

ألا فلينهج المربون طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اشعار الطفل بالمحبة إن أرادوا تكوين شخصيات أطفالهم على الحب والتعاون والايثــار ، وتحريرهم من الحقد والأثرة والأنانية ..

٢ ـ تحقيق العدل بين الأولاد :

فمن المعروف بداهة أن المربين حــين يسوّون بين الأولاد في المعاملة ، ويحققون العدل بينهم في العطاء تتلاشى ظاهرة الحسد في نفوسهم ، وتزول آفات الضغائن والأحقاد من قلوبهم ، بل يعيش الابناء مع اخوتهم ومربيهــم في تفاهم تام ، ومحبة متبادلة ، بل ترفرف على البيت أجنحة المودة ، والاخلاص ، والصفاء ...

فلا عجب أن نرى المعلم الأول ، والمربي الأكبر صلوات الله وسلامه عليه وهو يحض الآباء والمربين جميعاً على تحقيق مبدأ العــدل بين الإخوة ، بــل كان عليه الصلاة والسلام يستنكر كل الانكار على الذين لا يحققون عــدلا ولا رحمة بين أولادهم ، ولا يسوّون بينهم في القسمة والعطاء !!.. واليكم طرفاً من توجيهاته واستنكاراته ، ليعرف من يريد أن يعرف حرص الرسول صلوات الله وسلامه عليه عــلى التربية القويمة ، والاصلاح الاجتماعي !!..
سبق أن ذكرنا في معالجة ظــاهرة الشعور بالنقص عند الأولاد هــذه الأحاديث ، والآن نكرر اعادتها زيادة في **الفائدة :**

ـ « ساووا بين أولادكم في العطية » الطبراني .

ـ وروى أنس أن رجلا كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء ابن لــه فقبّله وأجلسه على فخذه ، وجاءت ابنة له فأجلسها بين يديه . فقال صلى الله عليه وسلم للرجل : « ألا سوّيت بينهما ؟ » .

ـ وروى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أبـاه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقـال : اني نحلت ابني هـذا ـ أي أعطيته ـ غلاماً كان لي .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكلّ ولدك نحلته مثل هـذا ؟ فقال : لا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فارجعه .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بشير . ألك ولد سوى هذا ؟

فقال : نعم .

قال : أكلّهم وهبت لهم مثل هذا ؟

قال : لا .

قال : فلا تشهدني اذن ، فإني لا أشهد على جور ـ أي ظلم ـ

ثم قال : أيسرّك أن يكونوا اليك في البر سواء ؟

قـال : بلى .

قال : فلا اذن .

٣ ـ إزالة الأسباب التي تؤدي الى الحسد :

فعلى المربي أن يكون حكيماً في تربية الولد ، وذلك باتباع أنجع الوسائل في ازالة ظاهرة الحسد من نفسه :

فإذا كان مجيء الوليد الجديد يشعره فقدان محبة أبويه وعطفهما ••
فعلى الأبوين أن يسعيا جهدهما في اشعاره أن هذه المحبة باقية على مدى
الأيام ••

وإذا كان رمي الأبوين له بالغباوة ، والألفاظ القارعة •• يؤجج في
صدره نيران الحقد والحسد •• فعلى الأبوين أن ينزها ألسنتهما عن التقريع
المؤلم ، والكلمات الجارحة ••

وإذا كان تفضيل أحد الأولاد عليه في معاملة أو عطاء •• يغيظه ،
ويولد في نفسه ظاهرة الحسد •• فعلى الأبوين أن يحققا بين الأولاد العدل
والمساواة ••

وهكذا يجب على المربين والآباء والأمهات أن يكونوا حذرين كل الحذر
من أن يتعرض الولد لآفة من هذه الآفات النفسية وعلى رأسها الحسد ••
حتى تكتمل شخصيته ، وينشأ انساناً سويا في ظلال التربية الصالحة ••

وبما أن للحسد آفات نفسية ، وآثاراً اجتماعية حذر عليه الصلاة والسلام
منه ونهى عنه •• واليكم طائفة من تحذيراته وأقواله :

ـ روى أبو داود عن أبي هريرة مرفوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « اياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » •

ـ وأخرج الطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يزال
الناس بخير ما لم يتحاسدوا » ، وأخرج كذلك : « ليس مني ذو حسد » •

ـ وأخرج الديلمي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الحسد
يفسد الإيمان كما يفسد الصبر[1] العسل » •

(١) الصبر : مادة مرّة المذاق كالعلقم .

فما أحوج الآباء والمربين الى هذه المبادىء التربوية في معالجـة الحسد عند الأولاد •• ولا شك أنهم اذا التزموها ، وأخذوا بتوجيهاتهـا •• نشـأ الأولاد على خير ما ينشؤون من الصفاء والمحبة والاخلاص !!••



٥ ـ ظاهرة الغضب :

الغضب هو حالة نفسية ، وظـاهرة انفعالية يحس بها الطفل في الأيـام الأولى من حياته ، وتصحبه في جميع مراحل العمر الى الممات •

وما دامت ظاهرة الغضب خلقاً متأصلا في الانسان منـذ ولادته ، فمن الخطأ أن نعـد الغضب من الظواهر المستقبحة ، والحالات الانفعالية السيئة•• لأن الله سبحانه لما خلق الانسان ، وركب فيه الغرائز ، والميول ، والمشاعر •• كان ذلك لحكمة بالغة ، ومصلحة اجتماعية ظاهرة •

فمن فائدة الغضب :

المحافظة على النفس ، والمحافظة على الدين ، والمحافظـة على العرض ، والمحافظة على الوطن الاسلامي من كيد المعتدين ، ومؤامرات المستعمرين•••

ولولا هذه الظاهرة التي أودعها الله في الانسان لما ثار المسلم وغضب اذا انتهكت محارم الله ، أو امتهن دينه ، أو أراد عدو أن يغتصب أرضه، ويستولي على بلاده ••

وهذا لاشك من الغضب المحمود الذي كان مصاحباً لفعـله عليه الصـلاة والسلام في بعض الحالات :

فقد ثبت في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام قد جاءه من يشفع في حدّ

من حدود الله فغضب ، وظهرت على وجهه آسارير الغضب ، وقـال قولتـه الخالدة : « انما أهلك الذين من قبلكم أنه اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » .

وأخرج الطبراني عن أنس رضي الله عنه أنه قال : « ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقم لنفسه من شيء الا اذا انتهكت لله حرمة ، فإن انتهكت لله حرمة كان أشد الناس غضباً ، وما عُرِض عليـه أمران الا اختار أيسرهما ما لم يكن فيه سخط الله ، فإن كان فيه لله سخط كان أبعد الناس منه » .

واذا كان كثير من علماء الاجتماع والتربية عدّوا الغضب من الرذائل المقوتة ، والعادات المذمومة .. فإنما يقصدون من وراء ذلك الغضب المذموم الذي يؤدي الى أسوأ الآثار . وأوخم العواقب .. وذلك حين الانفعال والغضب من أجل المصالح الشخصية . والبواعث الأنانية .. ولا يخفى ما في هذا الغضب من تمزيق للوحدة ، وتصديع للجماعة ، واستئصال لمعاني الأخوة . والمحبة . والصفاء .. في ربوع المجتمع .

فلا عجب **أن يهتمّ رسول الاسلام** صلوات الله وسلامه عليه **لظاهرة الغضب**، وأن يمتدح الذين يكظمون الغيظ ، ويملكون أنفسهم عند الغضب :

ـ أخرج البخاري أن رجلا قال للنبي صلى الله عليـه وسلم : **أوصني** ، قال : لا تغضب . فردّد مراراً ، قال : لا تغضب .

ـ وأخرج الامام أحمد في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما أنـه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : ما يباعدني من غضب الله عز وجل ؟ قال : لا تغضب .

ـ وأخرج البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخبره في أي الحور العين شاء » .

ـ وروى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماتعدّون الصُّرَعَةَ فيكم ؟ قالوا : الذي لاتصرعه الرجال ، قال : ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب » .

ولا غرابة ايضاً **أن يأمر القرآن العظيم** المؤمنين والمؤمنات بكظم الغيظ . والدفع بالتي هي أحسن ، والإعراض عن الجاهلين .. حتى يتحقق للمجتمع مودته ، ويتم للمسلمين تآلفهم :

ـ « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم » .

(فصلت : ٣٤)

ـ « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » .

(الفرقان : ٦٣)

ـ « الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » .

(آل عمران : ١٣٤)

ـ « وإذا ما غضبوا هم يغفرون » .

(الشورى : ٣٧)



واذا كان لظاهرة الغضب المذموم آثار سيئة على شخصية الانسان ، وعقله ، واتزانه .. وعواقب وخيمة على وحدة المجتمع وترابطه ، وتماسكه..

فما على المربين الا أن يهتموا بعلاج هذه الظاهرة منذ نعومة أظفار الولد الى أن يصل مرحلة التمييز ، الى أن يتدرج الى سن المراهقة ..

وإن خير علاج تقدمه لمعالجة ظاهرة الغضب في الولد **تجنيبه دواعي الغضب وأسبابه** حتى لا يصبح له خلقاً وعادة ، وصدق من قال : « درهم وقاية خير من قنطار علاج » .

● فإذا كان من دواعي الغضب وأسبابه **الجوع** ، فعلى المربي أن يسعى الى اطعام الولد في الوقت المخصص ، لأن اهمال غذائه يؤدي الى أمراض جسمية ، وانفعالات نفسية .. وكم يكون المربي آثماً اذا ضيع من يعيل ؟ ؛ روى أبوداود وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كفى بالمرء اثماً أن يضيّع من **يقوت** » .

● واذا كان من دواعي الغضب وأسبابه **المرض** ، فعلى المربي أن يسعى الى معالجة الولد طبياً ، واعداده صحياً .. امتثالا لتوجيهاته صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وأحمد : « لكل داء دواء فإذا أصاب الدواء الداء برأ باذن الله عز **وجل** » .

● واذا كان من دواعي الغضب وأسبابه **تقريع الولد وإهانته** بدون موجب ، فعلى المربي أن ينزه لسانه عن كلمات التحقير والإهانة .. حتى لا تترسخ في نفس الولد الآفات النفسية ، والانفعالات الغضبية .. ولا شك أن هذا من حسن التربية ، والاعانة على البر .. فقد روى ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أدبوا أولادكم وأحسنوا أدبهم » ؛ ويقول أيضاً فيما رواه ابن حبان : « رحم الله والداً أعان ولده على برّه » .

● واذا كان من دواعي الغضب وأسبابه **محاكاة الولد لأبويه في ظاهرة الغضب** ،

فعلى الأبوين أن يعطيا الولد القدوة الصالحة في الحِلْم ، والأناة ، وضبط النفس عند الغضب •• تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

« والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » :

وتنفيذاً لوصية الرسول صلى الله عليه وسلم القائل في الحديث الذي مرذكره: « ••• ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » •

● وإذا كان من دواعي الغضب وأسبابه لدى الولد **الدلال المفرط والتنعم البالغ** ،

فعلى المربين أن يكونوا معتدلين في محبة الأولاد ، وأن يكونوا طبيعيين في الرحمة بهم والانفاق عليهم تحقيقاً لما ينسب الى علي كرم الله وجهه : « أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هوناً ماعسى أن يكون حبيبك يوماً ما » ، وتطبيقاً لما حذر منه عليه الصلاة والسلام فيما رواه الامام أحمد •• « اياكم والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين » •

● وإذا كان من دواعي الغضب وأسبابه **الهزء والسخرية والتنابز بالألقاب** ،

فعلى المربين أن يجتنبوا هذه المسببات الغضبية •• حتى لا تتأصل ظاهرة الغضب في نفسية الولد ••

وما أعظم تربية القرآن الكريم حين نهى عن السخرية ، وسوء الظن ، والتجسس ، والتنابز بالألقاب •• حين قال في سورة الحجرات :

« يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » •

ومن العلاج الناجع في معالجة الغضب لدى الطفل تعويده على المنهج النبوي في تسكين الغضب ••

وإليكم مراحل هذا المنهج :

١ ـ تغيير العادة التي يكون عليها الغضبان :

روى الامام أحمد وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : اذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فان ذهب عنه الغضب .. والا فليضطجع » .

٢ ـ اللجوء الى الوضوء في حالة الغضب :

أخرج أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الغضب من الشيطان ، وان الشيطان خلق من النار ، وانما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » .

٣ ـ اللجوء الى السكوت في حالة الغضب :

روى الامام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا غضب أحدكم فليسكت » .

٤ ـ التعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

جاء في الصحيحين أنه استبّ رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم وأحدهما يسب صاحبه مغضباً قد احمرّ وجهه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اني لأعلم لو قال : أعوذ باللهمن الشيطانالرجيم لذهب عنه ما يجد » .

هذه هي أهم الوصايا التي وجه اليها رسول الاسلام صلوات اللهوسلامه عليه في تسكين الغضب ، والتخفيف من حدته ..

فما على الآباء والمربين الا أن يؤدبوا أولادهم وتلامذتهم عليها ، عسى أن يعتادوا الحلم ، والأناة ، وضبط النفس عند الغضب ..

وأخـــيراً على المربين أن يقبّحوا لأطفالهم ظاهرة الغضب ، كأن يُروهم حالة انسان غضبان كيف تتسع عيناه ، وتنتفخ أوداجــه ، وتتغير ملامحــه ، ويحمرّ وجهه ، ويرتفع صوته •• ولا شك أن اظهار هــذه الصورة الحسية لدى الطفل أدعى للزجر والاعتبار ••

وكذلك عليهم أن يحذروهم آفات الغضب ، وأخطاره البالغة ، وعواقبه الوخيمــة •••

فهذا التقبيح والتجسيد والتحذير لظاهرة الغضب هي الطريقة التي كان ينهجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في تربية المجتمع ، ومعالجة النفوس؛ فقد روى الامام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا ان الغضب جمرة تتوقد في قلب ابن آدم ، ألا ترون الى انتفاخ أوداجه ، واحمرار عينيه ؟ ، فمن أحس من ذلك شيئاً فالأرضَ الأرضَ •• » •

والذي نخلص اليه بعدما تقدم أن المربين حين يجنبون أولادهم منذ الصغر دواعي الغضب وأسبابه ، وحينما يأخذون بالمنهج النبوي في معالجة الغضب وتسكينه ، وحينما يقبّحون لأطفالهم ظاهرة الغضب تجسيداً وتحــذيراً •• فإن الأولاد ــ لا شك ــ ينشؤون على الحــلم ، والأناة ، والاتزان العقلي ، وضبط النفس •• بل يعطون الصورة الصادقة عن أخــلاق المسلم ، وسلوكه السويّ في الحياة !!••



وحين يحرر المربون أبناءهم وطلابهم ، ومن لهم حق التربية عليهم :

من ظاهرة الخجل

ومن ظاهرة الخوف

ومن ظاهرة الشعور بالنقص

ومن ظـاهرة الحسد

ومن ظـاهرة الغضب

يكونون قـد غرسوا في أنفسهم الأصول النفسية النبيلة التي تتحقق :

بالثبات والجرأة الأدبية

وبالشجاعة والاقدام

وبالشعور بالواجب والكمال

وبالإيثـار والمحبة

وبالحلم والأنـاة .

بل يكونون بهذه التخلية والتحلية قد أعـدوا أولاداً ليكونوا شباب الغـد ، ورجـال المستقبـل .. يواجهـون الحيـاة بابتسامـة متفائلة ، وعزيمة جبارة ، وهمة قعساء ، وأخلاق سمحة كريمة ..

فما أحوجنـا الى مربين يعرفون طريقـة الاسلام في التربيـة النفسية، ومنهج الرسول صلوات الله وسلامه عليه في الإصلاح .. ليؤدوا ما عليهـم من واجب ومسؤوليات .. عسى أن نجد أبناء الجيل وقد اكتملت شخصياتهم، وصلحت سريرتهم ، وسمت أخلاقهم ، وتحررت من الآفات النفسية نفوسهم وقلوبهم .. وما ذلك على الله بعزيز إن جاهد المصلحون ، وقام بمسؤولياتهـم المربون !!..



الفصل السادس

٦- مَسْؤوليّة التربيَةِ الاجْتماعيّة

المقصود بالتربية الاجتماعية تأديب الولد منذ نعومة اظفاره على التزام آداب اجتماعية فاضلة ، وأصول نفسية نبيلة •• تنبع من العقيدة الاسلامية الخالدة ، والشعور الإيماني العميق ، ليظهر الولد في المجتمع على خير مايظهر به من حسن التعامل ، والأدب ، والاتزان ، والعقل الناضج ، والتصرف الحكيم •••

ولا شك أن هذه المسؤولية من أهم المسؤوليات في اعداد الولد لدى المربين والآباء ، بل هي حصيلة كل تربية سبق ذكرها سواء أكانت التربية ايمانية أم خلقية أم نفسية ••• لكونها الظاهرة السلوكية والوجدانية التي تربي الولد على أداء الحقوق ، والتزام الآداب، والرقابة الاجتماعية، والاتزان العقلي ، وحسن السياسة والتعامل مع الآخرين •

ومن الثابت تجربة وواقعاً أن سلامة المجتمع ، وقوة بنيانه وتماسكه••• مرتبطتان بسلامة أفراده واعدادهم •• ومن هنا كانت عناية الاسلام بتربية الأولاد اجتماعياً وسلوكياً •• حتى اذا تربّوا وتكوّنوا وأصبحوا يتقلّبون على مسرح الحياة أعطوا الصورة الصادقة عن الانسان الانضباطي المتّزن العاقل الحكيم ••

فما علـى المربـين الا ان يشمروا عن ساعد الجـد والعزيمـة ، ليقوموا بمسؤوليتهم الكبرى في التربية الاجتماعية على وجههـا الصحيح **عسى أن** يساهموا في بناء مجتمع اسلامي أفضل تقوم ركائزه على الإيمان ، والأخلاق . والتربية الاجتماعية الفاضلة ، والقيم الاسلامية الرفيعة .. وما ذلك على الله بعزيز .

واذا كان لكل تربية وسائل يسير المربون عليهـا ، فما هي الوسائـل العملية التي تؤدي الى تربية اجتماعية فاضلة ؟

الوسائل في ـ نظري ـ تتركز في أمور أربعة :

١ ــ غرس الأصول النفسية النبيلة .

٢ ــ مراعاة حقوق الآخرين .

٣ ــ التزام الآداب الاجتماعية العامة .

٤ ــ المراقبة والنقد الاجتماعي .



١ ــ غرس الأصــول النفسية

آقـام الاسلام قواعد التربية الفاضلة في نفوس الافراد صغاراً وكباراً . رجالا ونساء . شيباً وشباناً •• على أصول نفسيّة نبيلة ثابتة . وقواعد تربوية باقية •• لا يتم تكوين الشخصية الاسلامية الا بها ، ولا تتكامل الا بتحقيقها. وهي في الوقت نفسه قيم انسانية خالدة . ولغرس هذه الأصول النفسية في نفسيات الأفراد والجماعات أصدر الاسلام توجيهـاته القيمـة . ووصاياه الرشيدة •• لتتم التربية الاجتماعية على أنبل معنى . وأكمل غـاية •• حتى ينشأ المجتمع على التعاون المثمر . والترابط الوثيق . والأدب الرفيع . والمحبة المتبادلة . والنقد الذاتي البناء ••

وإليكم اهم هذه الأصول النفسية التي يسعى الاسلام لغرسها :

١ ــ التقـــوى :

هي نتيجة حتمية . وثمرة طبيعية للشعور الإيماني العميق الذي يتصل بمراقبة الله عز وجل . والخشية منـه . والخوف من غضبه وعقابه . والطمع بعفوه وثوابه •• وهي ــ كما عرفها العلماء ــ أن لا يراك الله حيث نهـاك . وأن لا يفقدك حيث أمرك . أو هي ــ كما قال البعض ــ : « اتقـاء عذاب الله سبحانه بصالح العمل ، والخشية من الله تعالى في السر والعلن •• » •

ومن هنا كان اهتمام القرآن الكريم بفضيلة التقوى والأمر بها ، والحض عليها في كثير من آياته البينات ، حتى ان القارىء لا يمر على قراءة صفحة أو

صفحات من القرآن الكريم الا ويجد لفظة التقوى منسابة في الذكر الحكيم هنا وهنـاك .

ومن هنا كان اهتمام الصحابة الكرام ، والسلف الصالح بالتقـوى ، والتحقق بها ، والاجتهاد لها ، والسؤال عنها .. فقد ورد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبيّ بن كعب عن التقوى ، فقـال له : أما سلكت طريقـاً ذا شوك ؟ قال : بلى ! قال : فما عملت ؟ قال : شمرت واجتهدت ، قال : فذلك التقـوى .

« فذلك التقوى ، حساسية في الضمير ، وشفافية في الشعور ، وخشية مستمرة ، وحذر دائم ، وتوقٍّ لأشواك الطريق .. طريق الحياة .. الـذي تتجاذبه أشواك الرغائب والشهوات ، وأشواك المطامع والمطامح ، وأشـواك المخاوف والهواجس ، وأشواك الرجاء الكاذب فيمن لايملك رجاء ، والخوف الكاذب ممن لايملك نفعاً ولا ضراً ، وعشرات غيرها من الأشواك .. »[1] .

وتقوى الله ــ فضلا عن أنها تسلك قلب المؤمن بخشية الله ، والمراقبة له ــ هي منبع الفضائل الاجتماعية كلها ، والسبيل الوحيد في اتقاء المفاسد والشرور والآثام والأشواك .. بل هي الوسيلة الأولى التي توجد في الفرد وعيه الكامل لمجتمعه ، ولكل من يلتقي معهم من أبناء الحياة .

ولعل في تكرار الرسول صلى الله عليه وسلم قـوله : « التقوى ههنا » ثلاث مرات ــ كما سيأتي ــ ما يؤكد أهمية هذا الأصل النفسي في التربيـة الاجتماعية ، ولا سيما في النهي عن مساس الكرامة ، والإضرار بالناس .

وهذه بعض النماذج عن أثر التقوى في سلوك الفرد ومعاملته :

أ ــ يروي الغزالي في احيائه أنه كان عند يونس بن عبيد حُلَل مختلفة

(١) من كتاب الظلال لسيد قطب رحمه الله ج ١ ص ٤٠ .

الأثمان ، منها ضرب قيمة كل حلة منه أربعمائة درهم ، وضرب كل حلة مائتان، فسر الى الصلاة ، وخلّف ابن أخيه في الدكان ، فجـاء أعرابي وطلب حـلّة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين ، فاستحسنها ورضيها ، فاشتراها ـ أي بأربعمائة درهم ـ فمشى بها وهي على يديه فاستقبله يونس ، فعرف حلّته ، فقال للأعرابي بكم اشتريت ؟ فقال : بأربعمائة ، فقـال : لاتساوي أكثر من مائتين فارجع حتى تردها ، فقال : هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأناأرتضيها، فقال له يونس : انصرف معي فإن النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها • ثم رده الى الدكان ورد عليه مائتي درهم ، وخاصم ابن أخيه في ذلك وقاتله . وقال : أما استحييت ؟ أمـا اتقيت الله ؟ تربح مثـل الثمن وتترك النصـح للمسلمين ؟ فقال : والله ما أخذها الا وهو راضٍ بها ، قال : فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك !!••

ب ـ وقال عبد الله بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي اللهعنه الى مكة فعرّسنا في بعض الطريق ، فانحدر بنا راعٍ مـن الجبل ، فقال له : يا راعي ، بعني شاة من هذا الغنم •

فقال : اني مملوك •

فقال له ـ اختباراً ـ : قل لسيدك أكلها الذئب •

فقال الراعي : فأين الله ؟

فبكى عمر رضي الله عنه ثم غدا مـع المملوك ، فاشتراه من مـولاه وأعتقه ، وقال : أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة ، وأرجو أن تعتقك فيالآخرة•

ج ـ وكثير من الناس يعرفون قصة الأم مع ابنتها : الأم تريد أن تخلط اللبن طمعاً في زيادة الربح ، والبنت تذكرها بمنع أمير المؤمنين •

الأم تقول : أين نحن من أمير المؤمنين ؟ انه لا يرانا ••

وترد الابنة بالجواب المفحم : ان كان أمير المؤمنين لا يرانا فرب أمير المؤمنين يرانا !!..

فعلى فضيلة التقوى والمراقبة لله يجب أن ننشيء أبناءنا !!

٢ ــ الأخوة :

هي رابطة نفسية تورث الشعور العميق بالعاطفة والمحبة والاحترام .. مع كل من تربطه واياه من أواصر العقيدة الاسلامية ، ووشائج الايمان والتقوى .. فهذا الشعور الأخوي الصادق يولد في نفس المسلم أصدق العواطف النبيلة في اتخاذ مواقف ايجابية من التعاون ، والايثار ، والرحمة ، والعفو عند المقدرة ... واتخاذ مواقف سلبية من الابتعاد عن كل ما يضر بالناس في أنفسهم و أموالهم وأعراضهم والمساس بكراماتهم .. ولقد حثّ الاسلام على هذه الأخوة في الله ، وبيّن مقتضياتها وملتزماتها في كثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية :

ــ **قال تعالى : « إنما المؤمنون إخوة »** .

(الحجرات : ١٠)

ــ **وقال أيضا : « سنشد عضدك بأخيك »** .

(القصص : ٣٥)

ــ **وقال كذلك : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا »** .

(آل عمران : ١٠٣)

ــ **وقال عليه الصلاة والسلام** ــ فيما رواه مسلم ــ : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، وماله ، وعرضه ؛ التقوى ههنا (ثلاث مرات) ، ويشير الى صدره .. » .

ـ وأخرج البخاري ومسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » •

ـ وأخرج مسلم وأحمد : « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى » •

ـ وروى مسلم في صحيحه : « ان الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلهم في ظلّي يوم لا ظلّ الا ظلّي » •

وكان من نتيجة هذه الأخوة والمحبة في الله أن تعامل أفراد المجتمع الاسلامي عبر التاريخ ، وخلال العصور على أحسن ما تعامل الناس مواساةً وايثاراً وتعاوناً وتكافلا ••

وإليكم بعض النماذج :

أ ـ روى الحاكم في المستدرك أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بعث بثمانين ألف درهم الى عائشة رضي الله عنها ، وكانت صائمة ، وعليها ثوب خلَق ، فوزعت هذا المال من ساعتها على الفقراء والمساكين •• ولم تبق منه شيئاً ، فقالت لها خادمتها : يا أم المؤمنين ما استطعت أن تشتري لنا لحماً بدرهم تفطرين عليه ، فقالت : يا بنيّة لو ذكرتِني لفعلت •

ب ـ وروى الطبراني في الكبير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار ، فجعلها في صرة ، ثم قال لغلامه : اذهب بها الى أبي عبيدة ابن الجراح ، ثم تشاغَلْ في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع ، فذهب بها الغلام اليه •• فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك ، فقال أبو عبيدة : وصل الله عمر ورحمه ، ثم قال : تعاليْ يا جارية ، اذهبي بهذه السبعة الى فلان ، وبهذه الخمسة الى فلان ، وبهذه الخمسة الى فلان ••

حتى أنفدها ، ورجع الغلام الى عمر فأخبره ، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ ابن جبل ، فقال : اذهب بها الى معاذ وتشاغل في البيت حتى تنظر ماذا يصنع، فذهب بها اليه ، فقال : يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال : رحمه الله ووصله ، تعالي يا جارية ، اذهبي الى بيت فلان بكذا ، اذهبي الى بيت فلان بكذا .. فاطلعت امرأة هي امرأة معاذ وقالت : نحن والله مساكين فأعطنا ، فلم يبق في الخرقة الا ديناران فرمى بهما اليها ، ورجع الغلام الى عمر فأخبره ، فسر بذلك فقال : « انهم اخوة بعضهم من بعض » .

ج ـ وفي عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ أصاب الناس قحط وشدة ، وكانت قافلة من الشام مكونة من ألف جمل عليها أصناف الطعام واللباس قد حلت لعثمان رضي الله عنه ، فتراكض التجار عليه يطلبون أن يبيعهم هذه القافلة ، فقال لهم : كم تعطونني ربحاً ؟ قالوا خمسة في المائة ، قال : اني وجدت من يعطيني أكثر ، فقالوا ما نعلم في التجار من يدفع أكثر من هذا الربح ؟ فقال لهم عثمان : اني وجدت من يعطيني على الدرهم سبعمائة فأكثر ، اني وجدت الله يقول :

« مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

(البقرة : ٢٦١)

أشهدكم ـ يا معشر التجار ـ أن القافلة وما فيها من بر ، ودقيق ، وزيت ، وسمن .. قد وهبتها لفقراء المدينة ، وانها صدقة على المسلمين .

روى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عمر رضي الله عنهما : « لقد أتى علينا زمان وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم » .

فعلى خلق الأخوة والمحبة يجب أن ننشىء أبناءنا !!..

٣ ـ الرحمـــة :

هي رقـــة في القلب ، وحساسية في الضمير ، وارهـــاف في الشعور .. تستهدف الرأفة بالآخرين ، والتألم لهم ، والعطف عليهم ، وكفكفة دمـــوع أحزانهم وآلامهم .. وهي التي تهيب بالمؤمن أن ينفر من الايذاء ، وينبو عن الجريمة ، ويصبح مصدر خير وبر وسلام للناس أجمعين .

ولقد جعل رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه رحمة الناس بعضهم بعضاً لرحمة الله اياهم ، فقد أخرج الترمذي وأبو داود وأحمد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « الراحمون يرحمهـــم الرحمن ، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم من في السماء » .

وحَكَمَ صلى الله عليـــه وسلم على العارين من الرحمة بأنهـــم هـــم الأشقياء ، فقد روى الترمذي وأبو داود وغيرهما عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لاتُنْزَعُ الرحمة الا من شقي » .

ورحمة المؤمن لا تقتصر على اخوانه المؤمنين ، وانما هو ينبوع يفيض بالرحمة على الناس جميعاً ، وقد قال رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه لأصحابه مرة ــ فيما رواه الطبراني ــ : « لن تؤمنوا حتى ترحموا ، قالوا : يا رسول الله ، كلنا رحيم ، قال : انه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنهـــا رحمة العامة » .

بل هي رحمة تتجاوز الانسان الناطق الى الحيوان الأعجم :

فالمؤمن وحده هو الذي يرحمه ، ويتقي الله فيه ، ويعلم أن الله سبحانه سيحاسبه ويسأله إذا قصّر في حقّه أو تسبب في ايذائه ، وقد أعلن النبي صلى الله عليه وسلم أن الجنة فتحت أبوابها لبغيٍّ سقت كلباً فغفر الله لهـــا ، وأن

النار فتحت أبوابها لامرأة حبست هرة حتى ماتت ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض .

ورأى عمر رضي الله عنه رجلا يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له : « ويلك قُدْها الى الموت قوداً جميلا » .

وإليكم بعض النماذج من آثار الرحمة في المجتمع الاسلامي :

أ ـ يروي المؤرخون أن عمرو بن العاص في فتح مصر نزلت حمامة بفسطاطه (أي خيمته) فاتخذت من أعلاه عشاً ، وحين أراد عمرو الرحيل رآها ، فلم يشأ أن يهيجها بتقويضه الفسطاط ، فتركه وتكاثر العمران من حوله ، فكانت مدينة « الفسطاط » .

ب ـ وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان معروفاً في الجاهلية بالشدة والقسوة .. فلما فجر الاسلام ينابيع الرحمة في قلبه .. كان يرى نفسه مسؤولا أمام الله عن بغلة عثرت بأقصى العراق لأنه لم يعبّد لها الطريق.

ح ـ وهذا أبو بكر رضي الله عنه يودّع جيش أسامة بن زيدويوصيهم قائلا : « لا تقتلوا امرأة ولا شيخاً ولا طفلا ، ولا تعقروا نخلا ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، وستجدون رجالا فرّغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم ما أفرغوا أنفسهم له .. » .

د ـ ومن الأمثلة **« الوقف الخيري عند المسلمين »** :

١ ـ **وقف الكلاب الضالة** حيث توضع في أماكن مخصوصة للرعاية استنقاذاً لها من عذاب الجوع ، حتى تستريح بالموت أو الاقتناء .

٢ ـ **وقف الأعراس :** حيث يستعير الفقراء من وقف الحلى والزينة في مناسبات الاعراس والافراح . وبهذا يتيسر للفقير أن يظهر يوم الفرح بحلة رائقة ، وبمظهر جميل ، فيكتمل شعوره ، وينجبر خاطره ..

٣ ـ **وقف مؤنس المرضى والغرباء :** وذلك بتعيين من كان رخيم الصوت، حسن الأداء ؛ ليرتلوا الأناشيد الفكاهية ، والقصائد الشعرية طـول الليل ؛ بحيث يرتل كل منهم ساعة حتى مطلع الفجر سعياً وراء التخفيف عن المريض الذي ليس له من يخفف عنه ، وايناس الغريب الذي ليس له من يؤنسه .

٤ ـ **وقف الزبادي : فكل** خـادم كسرت آنيته، وتعرض لغضب مخدومه، له أن يذهب الى ادارة الوقف ، فيترك الإناء المكسور ، ويأخذ اناء جديداً بدلا منه ، وبهذا ينجو من الغضب أو العقاب ...

هذا عدا عن وقف اطعام الجائع ، وسقاية الظمـآن ، وكسوة العاري ، وايواء الغريب ، ومعالجة المريض ، وتعليـم الجاهل ، ودفن الميت ، وكفـالة اليتيم ، واغاثة الملهوف ، ومواساة العاجز ..

ولا شك أن هذه الأوقاف والمبرات ودور العلم وغيرها ما هي الا أثر من آثار نوازع حب الخير ، وعاطفة الرحمة التي أودعها الله في قلوب المؤمنين الرحماء ، ونفوس المسلمين الاتقياء .. وهي مفخرة من مفاخر حضارتنا فـي التاريخ !..

فعلى هذه المعاني النبيلة من الرحمة يجب أن ننشىء أبناءنا !!..

٤ ـ الايثـار :

وهو شعور نفسي يترتب عليـه تفضيـل الانسان غيره على نفسه في الخيرات والمصالح الشخصية النافعة ..

والإيثار خلق نبيل اذا قصد به وجه الله تعـالى كان من أول الاصول النفسية على صدق الايمان ، وصفاء السريرة ، وطهارة النفس .. وهو فـي

الوقت نفسه دعامة كبيرة من دعائم التكافل الاجتماعي ، وتحقيق الخير لبني الانسان ..

وحسبنا أن القرآن الكريم سجل للأنصار ــ وهم جمهور المجتمع الاسلامي بها ــ هذه الصور الراقية من صور الإخاء والمواساة والايثار والنبل والتعاطف .. فقال :

« والذين تبوّؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولايجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يُوقَ شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

(الحشر : ٩)

هذا الإيثار الطوعي ، والتعاطف الاجتماعي الذي تجلى في أخلاق الأنصار لن تجد له مثيلا في تاريخ البشرية ، وفي أخبار الأمم ..

لقد شارك الأنصار اخوانهم المهاجرين الذي اضطهدوا في دينهم ، وأخرجوا من ديارهم ، وأضحوا لا يملكون شيئاً من متاع الحياة وزينتها .. لقد كان الأنصاري يؤاخي المهاجر ويناصره ، بل ويؤثره على نفسه في كثير من حظوظ الحياة . واذا مات أحدهما ورثه الآخر ..

وإليكم بعض الصور من مظاهر الايثار في المجتمع الاسلامي الاول :

أ ــ ذكر الغزالي في الإحياء عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أُهديَ الى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة فقال : فلان أحوج اليه مني ، فبعث به اليه ، فبعث هو أيضاً الى آخر يراه أحوج منه ، فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى رجع الى الأول بعد أن تداوله سبعة .

ب ــ وهذه زينب بنت جحش الأسدية أم المؤمنين التي كانت تلقّب « بأم المساكين » لإيثارها ومواساتها .

فقد روى ابن سعد في طبقاته أن برزة بنت باتع حدّثت أنه لما خرج العطاء أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه نصيبها منه ، فلما دخل عليها حامل المال ، قالت : غفر الله لعمر ! غيري من أخواتي كان أقوى على قسم هذا مني ، فقالوا : هذا كله لك ، قالت : سبحان الله ، واستترت منه بثوب ثم قالت: صبّوه واطرحوا عليه ثوباً .

قالت راوية القصة : ثم قالت لي : ادخلي يدك فاقبضي منه قبضة فاذهبي بها الى بني فلان ، وبني فلان من أهل رحمها وأيتامها ، فقسمت حتى بقيت منه بقية تحت الثوب ، فقالت لها برزة بنت باتع : غفر الله لك يا أم المؤمنين ، والله لقد كان لنا في هذا حق ، فقالت : فلكم ما تحت الثوب .. قالت : فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة و ثمانين درهماً .

وقبل قليل روينا خبر عائشة رضي الله عنها التي وزعت عطاءها الذي بلغ ثمانين ألف درهم على الفقراء والمساكين ولم تُبْقِ لنفسها درهماً تفطر عليه ، ولو ذكرتها الخادمة لفعلت ، فنسيت نفسها في سبيل اسعاد غيرها .

ج ـ ومن عجائب الإيثار ما ذكره العدوي ـ كما روى القرطبي ـ حين قال : « انطلقت يوم اليرموك أطلب ابنَ عمٍّ لي ـ ومعي شيء من الماء ـ وأنا أقول ان كان به رمق سقيته ، فإذا أنا به ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار برأسه أنْ نعم ، فإذا برجل يقول : آه .. آه ! فأشار اليّ ابن عمي أن انطلق اليه ، فإذا هو هشام ابن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ فأشار أنْ : نعم ، فسمع آخر يقوه : آه .. آه ! فأشار هشام أن انطلق اليه فإذا هو قد مات ، فرجعت الى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات » ولم يشرب أحد الماء لإيثار كل واحد منهم صاحبه .

فعلى هذه المعاني الكريمة من الايثار والتضحية ونكران الذات يجب أن ننشىء أبناءنا ..

٥ ـ العفــو :

هو شعور نفسي نبيل يترتب عليه التسامح والتنازل عن الحق مهما كان المعتدي ظالماً وجائراً •• بشرط أن يكون المعتدى عليه قادراً على الانتقام ، وأن لا يكون الاعتداء على كرامة الدين ، ومقدسات الاسلام •• وإلاّ •• كان العفو ذلة ومهانة واستسلاماً وخضوعاً •• والعفو بهذا المعنى وبهذه الشروط شيمة خلقيــة أصيلة تدل على ايمان راسخ ، وأدب اســلامي رفيع •• فلا عجب أن نرى القرآن العظيم يأمر به ، ويحض عليه في أكثر مــن آية في كتاب الله عز وجل :

ـ « وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوُا الفضل بينكم •• » •

(البقرة : ٢٣٧)

ـ « ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم » •

(فصّلت : ٣٤)

ـ « وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » •

(الفرقان : ٦٣)

ـ « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » •

(آل عمران : ١٣٤)

ومن المعلوم بداهة أن نفسية المؤمن حينما تكون متخلّقة بأخلاق الحلم والعفو والتسامح •• فإنه يكون مثلا يحتذى في الملاطفة وسموّ الخلق ، ولين الجانب ، وحسن المعشر •• بل يكون كالملك يمشي على الأرض نبــلا وطهراً وصفــاء !!••

وإليكم بعض الصور والنماذج في الحلم والعفو والسماحة في سيرة السلف عبر التاريخ :

أ ــ قال عبد الله بن طاهر : كنت عند المأمون يوماً ، فنادى بالخادم : ياغلام ، فلم يجبه أحد ، ثم نادى ثانياً وصاح : يا غلام ، فدخل غلام تركي وهو يقول : أما ينبغي للغلام أن يأكل ويشرب ؟ كلما خرجنا من عندك تصيح : ياغلام ، ياغلام ، الى كم ياغلام !؟.. فنكس المأمون رأسه طويلا ــ فما شككت في أن يأمرني بضرب عنقه ــ ثم نظر اليّ ، فقال : يا عبدالله، ان الرجل اذا حسنتْ أخلاقه ، ساءت أخلاق خدمه ، وانا لا نستطيع أن نسيء أخلاقنا لنحسن أخلاق خدمنا ..!!

ب ــ ومما يروى أن زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما استدعى غلاماً له ، وناداه مرتين فلم يُجبه ، فقال له زين العابدين : أما سمعت ندائي؟ فقال : بلى ، قد سمعت ، قال : فما حملك على ترك اجابتي ؟ قال : أمِنْت منك ، وعرفت طهارة أخلاقك فتكاسلت ، فقال : الحمد لله الذي أمِنَ مني غلامي !..

ومما يروى عنه أيضاً انه خرج مرة الى المسجد فسبّه رجل ، فقصده غلمانه ليضربوه ويؤذوه ، فنهاهم زين العابدين وقال لهم : كفّوا أيديكم عنه، ثم التفت الى ذلك الرجل وقال : يا هذا ، أنا أكثر مما تقول ، وما لا تعرفه مني أكثر مما عرفته ، فإن كان لك حاجة في ذكره ذكرته لك، فخجل الرجل واستحيا، فخلع زين العابدين قميصه ، وأمر له بألف درهم ، فمضى الرجل وهو يقول : أشهد أن هذا الشاب ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومما يروى عنه كذلك ان غلامه كان يصب له الماء بإبريق مصنوع من خزف (من طين) فوقع الابريق على رجل زين العابدين فانكسر ، وجرحت رجله ، فقال الغلام على الفور ــ يا سيدي ــ يقول الله تعالى :« والكاظمين

الغيظ » ، فقال زين العابدين : لقد كظمت غيظي ، ويقول : « والعافين عن الناس » ؛ فقال : لقد عفوت عنك ، ويقول : « والله يحب المحسنين » ، فقال زين العابدين : أنتَ حر لوجه الله !!..

ج ــ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قدم عُيَيْنَة ابن حصين نزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر اذ كان القراء أصحاب مجلس أمير المؤمنين ومشاورته ، كهولا كانوا أو شباناً ..

فقال عيينه : استأذن لي على أمير المؤمنين ، فاستأذن له فلما دخل قال: هيه يا ابن الخطاب ، فو الله ما تعطينا الجزل (أي الكثير) ، ولا تحكم بيننا بالعدل ، فغضب عمر حتى همّ أن يوقع به .

فقال الحرّ : يا أمير المؤمنين ، ان الله يقول لنبيه : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » ، وان هذا من الجاهلين ، فو الله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقّافاً عند كتاب الله عز وجل !!..[1] .

د ــ ومما جاء في أسباب النزول أن قريباً لأبي بكر رضي الله عنه اسمه « مسطح » كان يعيش على احسان أبي بكر وكفالته ، لم يتورّع عن الخبط في عرض السيدة عائشة لما شيّع عليها المنافقون ما شيّعوا في حادثة الإفك ، فنسي مسطح بذلك حق الاسلام ، وحق القرابة ، وحق التكافل .. مما أثار حفيظة أبي بكر رضي الله عنه ، وجعله يحلف أن يهجر قريبه هذا ، ولايصله ؛ فنزل قوله تعالى :

« ولا يأتل[2] أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، وليعفوا وليصفحوا ألا تحبّون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم » .

(التوبة : ٨٠)

---

(١) رواه البخاري .
(٢) ولا يأتل : ولا يحلف .

فعفا أبو بكر رضي الله عنه وصفح ، وعاد الى عطائه الأول قائــلا : اني أحب أن يغفر الله لي ...!

وما هذا الخلق العظيم من العفو والصفح والتسامح والحلم .. الا بفضل ما اقتبسوه تأسياً من أخلاق الداعية الأول صلوات الله وسلامه عليه ، وبفضل ما امتثلوه من توجيهاته الكريمة عليه الصلاة والسلام .. حتى تسمو أخلاقهم من توجيهاته الكريمة التحلي بخصال التسامح والحلم .. حتى تسمو أخلاقهم على أخلاق السوقة والعبيد ، وتتميز مكارمهم من مكارم الخاصة والعامة ..

روى أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كظم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيّره في أي الحور العين شاء » .

وروى الطبراني عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى اللهعليه وسلم : « ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ، ويرفع الدرجات » ؟ ، قالوا: نعم يارسول الله ، قال : « تحلم على من جهل عليــك ، وتعفو عمن ظلمك . وتعطي مــن حرمك ، وتصل من قطعك » .

فعلى هذه الفضائل من الحلم والتسامح والعفو يجب أن ننشىء أبناءنا !!

٦ ــ الجــــرأة :

هي قوة نفسية رائعة يستمدها المؤمن من الايمان بالواحد الأحد الذي يعتقده ، ومن الحق الذي يعتنقه ، ومن الخلود الذي يوقن به ، ومن القدر الذي يستسلم اليه ، ومن المسؤولية التي يستشعر بها ، ومن التربيــة التي يُنَشَّأ عليها ..

وعلى قدر نصيب المؤمن من الإيمان بالله الذي لايغلب ، وبالحق الذي لايخذل ، وبالقدر الذي لايتحول ، وبالمسؤولية التي لاتكل ، وبالتربية التي

لاتسل" •• بقدر هذا كله يكون نصيبه من قوة الشجاعة والجرأة ، وقول كلمـــة الحـــق ••

ونرى هذا بارزاً في شخصية أبي بكر رضي الله عنه الذي كان أرجح المؤمنين ايماناً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد تمثل ايمانه فيمواقف جعلت عمر القوي الشديد يقول عنه : « والله لو وزن ايمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح ايمان أبي بكر •• » •

موقفـه : يـوم توفي الرسول صلوات الله وسلامه عليـه فذهل المسلمون، وأخرجتهم الفجيعة عن وعيهم ورشدهم ، حتى روي أن عمر قال : من قال إن" محمداً مات ضربت عنقه بسيفي هذا !• هنالك وقف أبو بكر رضي الله عنه يؤذن في الناس بصوت جهير ويقول : « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لايموت » ، وتلا قوله تبارك وتعالى :

« وما محمد إلا رسول قـد خلت من قبله الرسل ، أفإن مـات أو قتـل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضـر الله شيئـاً وسيجزي الله الشاكرين » •

(آل عمران : ١٤٤)

وموقفـه بعد ذلك يوم تردّد المسلمون في إنفـاذ جيش اسامة الذي جهزه النبي صلى الله عليه وسلم الى الشام قبل مرض موته ، فقد طلبوا من أبي بكر أن يوقف مسيرهذا الجيش، بسبب أن الغد مليء بالاحداث والاحتمالات، ولايدري أحد ماذا يفعل العرب في القبائل والقرى اذا علموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات •• ولكن أبا بكر أجابهم في حزم عازم ، وقال : « والذي نفس أبي بكر بيده ، لو ظننت أن السباع تختطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما كنت أحل" عقدة عقدها رسول الله بيده ، ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته •• » •

وموقفه رضي الله عنه في حرب المرتدين وما نعي الزكاة في الوقت الذي برزت فيه قرون العصبية الجاهلية كأنها قرون الشياطين ، وكان المسلمون ـ بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم ـ كالغنم في الليلة المطيرة ، كما وصفتهم السيدة عائشة رضي الله عنها ، وحتى قال بعض المسلمين لأبي بكر : يا خليفة رسول الله . لا طاقة لك بحرب العرب جميعاً .. الزم بيتك ، وأغلق بابك ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .. ولكن هذا الرجل الخاشع البكّاء ، الرقيق كالنسيم ، اللّين كالحرير ، الرحيم كقلب الأم ، ينقلب في لحظات الى رجل ثائر كالبحر ، زائر كالليث ، يصيح في وجه عمر : أجبار في الجاهلية ، وخوّار في الاسلام ؟ لقد تمّ الوحي واكتمل .. أفينقص الدين وأنا حي ؟ والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ، والله لأقاتلنهم ماastمسك السيف بيدي ، فما كان من عمر رضي الله عنه الا أن قال : لقد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق[1] .

ومن هنا كانت فضيلة **الجرأة بالحق من أعظم الجهاد** لما روى ابو داود والترمذي وابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .

ومن هنا كان الذي يستشهد في سبيل كلمة الحق سيد الشهداء لما روي عن الحاكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام الى امام جائر فأمره ونهاه فقتله » .

ومن هنا كان صلى الله عليه وسلم **يأخذ العهد من أصحابه على أن يقولوا بالحق أينما كانوا :** فقد روى مسلم في صحيحه عن عبادة بن الصامت رضي الله

(١) من كتاب « الايمان والحياة » للاستاذ يوسف القرضاوي ص ٢٧٤ مع شيء من التصرف .

عنه أنه قال : « بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنْشَط والمكْره ، وعلى أثَرَةٍ علينا ، وعلى ألاّ ننازع الأمر أهله الا أن تروا كفراً بَواحاً عندكم من الله فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لانخاف في الله لومة لائم » .

ومن هنا كان امتداح الله سبحانه للذين يبلغون رسالات ربهم ولا يخشون أحداً إلا الله ، قال تعالى : ((الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ، ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً)) .

(الأحزاب : ٣٩)

ولو أردنا أن نتصفح سِفْر رجال الاسلام في التاريخ لرأيناه سفراً حافلا بالامجاد والبطولات، زاخراً بالجرأة الادبيةفي سبيل الحق والاسلام ..

وإليكم بعض الأمثلة الحية من مواقفهم البطولية :

أ ـ من مواقف **العزّ بن عبد السلام** أنه قال مرة لسلطان مصر « نجم الدين أيوب » ، وكان في مجلس حافل برجال الدولة : يا أيوب !.. ماحجتك عند الله اذا قال لك : ألم أبوّيء لك ملك مصر ثم تبيح الخمور ؟ فقال : هل جرى هذا ؟ فقال : نعم ، الحانة الفلانية يباع فيها الخمور ، وتستباح فيها المنكرات ، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة ، فقال : هذا أنا ماعلمته هذا من زمان أبي ، فقال العز بن عبد السلام : أنت من الذين يقولون :

إنا وجدنا آباءنا على أمة(1) وإنا على آثارهم مقتدون)) .

(الزخرف : ١٣)

فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة واغلاقها ..

ب ـ كان سلمة بن دينار **المكنى بابي حازم** يدخل على معاوية ، فيقول :

---

(1) أمّة : طريقة ودين .

السلام عليك أيها الأجير ، فإذا حاولوا أن يقولوا لأبي حازم قل : السلام عليك أيها الامير ، أبى عليهم ذلك ، ثم التفت الى معاوية فقال له : « انما أنت أجير هذه الأمة ، استأجرك ربك لرعايتها » .

ج ـ واليكم هـذه المحاورة التي جرت بينه وبين سليمان بن عبد الملك :

قال سليمان : يا أبا حازم مالنا نكره الموت ؟

قال : لأنكم خربتم آخرتكم ، وعمرتم الدنيا ، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران الى الخراب .

قال سليمان : فكيف القدوم غداً على الله ؟

قال : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله ، وأما المسيء فكالعبد الآبق يقدم على مولاه .

قال سليمان : أي القول أعدل ؟

فقال : قول الحق عند من تخافه أو ترجوه .

قال سليمان : فأي المؤمنين أكْيَس ؟ (أي أعقل) .

قال : رجل عمل بطاعة الله ، ودلّ الناس عليها .

قال سليمان : فأيّ المؤمنين أحمق ؟

قال : رجل انحطّ في هوى أخيه وهو ظالم ، فباع آخرته بدنيا غيره .

قال سليمان : هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا ، فتصيب منا ، ونصيب منك ؟

قال : أعوذ بالله !..

قال سليمان : ولِمَ ذاك ؟

قال : أخشى أن أركن اليكم قليلا ، فيذيقني الله ضعف الحياة ، وضعف المـمـات ٠

فقال له سليمان وقد قام ليذهب : أوصني ياأبا حازم ٠٠

فقال : سأوصيك وأوجز : « عظّم ربك ، ونزّهه أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك » !!٠٠

فعلى هذه الفضيلة من الثبات والجرأة في الحق يجب أن ننشيء أولادنا!!..



تلكم هي أهم الاصول النفسة التي يسعى الاسلام جهده الى غرسها في نفس المؤمن ، وكلها تتضافر في تكوين الشخصية المسلمة ، وكلها تشـير الى أن الاسلام في تحقيق التربية الاجتماعية لدى الأفراد يجب أن يبدأ من نقطة بناء الفرد بناء صحيحاً ، وان أي تربية أو تكوين لايقوم على هـذه الأصول النفسية التي وضع قواعدها الاسلام فإن التربية تكون فاشلة ، وان ارتباط الفرد بالمجتمع يكون أوهن من بيت العنكبوت ٠

لـذا وجب عـلى الآبـاء والمربـين جميعاً وعلى الأمهـات بشكل خـاص

أن يرسّخوا في نفوس أطفالهم عقيدة الايمان والتقوى ، وفضيلة الأخوة والمحبة ، ومعاني الرحمة والإيثار والحلم ٠٠ وخُلق الإقدام والجرأة في الحق ٠٠ وغيرها من الاصول النفسية النبيلة ٠٠ حتى اذا شبّ الاولاد عن الطوق ، وبلغوا السنّ التي تؤهلهم أن يخوضوا خضمّ الحياة ٠٠ أدّوا ما عليهم من واجبـات ومسؤوليات دون تواكل أو تردد أو قنوط ٠٠ ثم بالتالي قاموا بكل الالتزامات نحو الآخرين دون اهمال لحق أو تقصير في الواجب ٠٠ بل كانت معاملاتهم وآدابهم وأخلاقهم الاجتماعية على أحسن ما رأى الناس ، وأسمى مما يتصوره الخيال ٠

وأي نظام في التربية لايقوم على هذه الأصول النفسية ، والأسس التربوية ، يكون كمن رأى شجرة بدأ يدب فيها الاصفرار والذبول فأخذ يعالجها من أوراقها ، ولم يلتفت الى اصلاح الجذر الذي اذا صلح صلحت الشجرة كلها ..

وبعبارة أوضح أن الذي يقوم بسؤولية التربية الاجتماعية اذا لم تَبْنِ تربيته على هذه الأصول النفسية الثابتة كان كمن يرقم على ماء ، ينفخ في رماد ، ويصرخ في واد دون فائدة أو جدوى ..



مراعاة حقوق الآخرين

سبق أن ذكرنا في مبحث « غرس الاصول النفسية النبيلة » أن الاسلام أقام قواعد التربية الفاضلة على أصول نفسية نبيلة تتصل بالعقيدة ، وترتبط بالتقوى ... لتتم التربية الاجتماعية لدى الفرد على أنبل معنى ، وأكمل غاية ... حتى ينشأ المجتمع على التعاون المثمر ، والترابط الوثيق . والأدب العالي ، والمحبة المتبادلة ، والنقد الذاتي البناء ..

وكنا ألمحنا الى أن من أميزالأصول التي يجب أن يقوم التعامل الاجتماعي على أساسها هي : عقيدة الايمان والتقوى . وفضيلة الأخوة والمحبة . ومبادىء الرحمة والإيثار والحلم .. وخلق الإقدام والجرأة في الحق ..

وكنا أكدنا أن المربين جميعاً اذا لم يرسخوا هذه الاصول النفسية في نفوس أطفالهم منذ الصغر .. فإنهم — ولاشك — سيسيرون في المجتمع في طريق الشذوذ والانحراف .. بل يكونون أداة هدم واجرام وتخريب لكيان المجتمع وتماسكه .. واذا شبّوا على هذا الفساد والانحراف .. لاينفع معهم توجيه ولا تربية ولا اصلاح !!..

فالذي نخلص اليه بعد هذه التقدمة أن مراعاة حقوق المجتمع متلازمة كل التلازم مع الأصول النفسية النبيلة ، بل بعبارة أوضح أن الاصول النفسية معنى، وان مراعاة حقوق المجتمع مظهر، وان شئت فقل : الأولى روح،

والثانية جسم ، فلا يمكن استغناء الاولى عن الثانية بحال .. والا كان الخلل والفوضى والاضطراب ..

ولكن ماهي أهم هذه الحقوق الاجتماعية التي يجب أن نرشد الولد اليها ، وننشئه عليها ، ونأمره بها .. حتى يعتاد عليها ويقوم بأدائها خير قيام ؟..

أهم هذه الحقوق هي :

١ ــ حق الأبوين .

٢ ــ حق الأرحام .

٤ ــ حق المعلم .

٥ ــ حق الرفيق .

٦ ــ حق الكبير .

ولنتكلم عن كل حق من هذه الحقوق بشيء من التفصيل ، ليقوم المربي على غرسها وترسيخها في الولد منذ نشأته وعلى الله التكلان ، وهو المستعان:

١ ــ حق الأبوين :

ان من أهم ما يجب أن يحرص المربي عليه تعريف الولد بحق والديه عليه وذلك ببرّهما وطاعتهما والاحسان اليهما والقيام بخدمتهما ، ورعاية شيخوختهما ، وعدم رفع الصوت فوق صوتهما ، والدعاء لهما بعد مماتهما .. الى غير ذلك من هذه الحقوق الواجبة ، والآداب الأبوية اللازمة ..

وهذه طائفة **من وصايا النبي صلى الله عليه وسلم** في برّ الوالدين ، فعلى الآباء والمربين أن يعلّموها أولادهم منذ الصغر حتى يأخذوا بها ، ويعملوا على ارشاداتها .

ا ــ رضي الله في رضاهما : روى البخــاري (في الأدب المفرد) عــن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « ما من مسلم له والدان مسلمان يصبح اليهما محتسباً الا فتح الله له بابين ــ يعني الجنة ــ وان كان واحداً فواحــد ، وان غضب أحدهما لم يرض الله عنه حتى يرضى عنه ، قيل : وان ظلماه ؟ قال : وان ظلمــاه » .

وجــاء في سبـُل الســـلام عــن عبد الله بن عمرو بن العــاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رضي الله في رضى الوالدين، وسخط الله في سخط الوالدين » .

ب ــ برهما مقدم على الجهاد في سبيل الله : روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : أجاهد ، قال : لك أبوان ؟ قال : نعم ، قال : ففيهما فجاهد .

وروى أحمد والنسائي عن معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمــة رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أردت الغزو وجئت أستشيرك ، فقال : هل لك من أم ؟ قال نعم ، قال : « الزمها فــان الجنة عند رجليها » .

وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : أقبل رجل الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبايعك عــلى الهجرة والجهاد أبتغي الاجر من الله ، قال : فهل من والديك أحد حيّ ؟ قال : بل كلاهما قال : فتبتغي الأجر من الله ؟ قال : نعم ، قال : « فارجع الــى والديك فأحسن صحبتهما » .

ح ــ من البر الدعاء لهما بعد مماتهما وإكرام صديقهما : امتثالا لأمر الله

تبارك وتعالى : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقــل رب ارحمهما كمــا ربياني صغيراً » .

(الاسراء : ٢٤)

وروى البخاري في (الادب المفرد) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « ترفع للميت بعد موته درجته فيقول : أي ربي أي شيء هــذا ؟ فيقول له : ولدك استغفر لك » .

وروى أبو داود وابن ماجه والحاكم عن مالك بن ربيعــة قال : بينمــا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة ، فقال : يارسول الله ، هل بقي علي من برّ أبوي شيء أبرّهما به بعــد وفاتهما ؟ قال : نعم ، « الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما ، واكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لاتوصل الا بهما » .

هذا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يضرب لنا المثل الصالح في الولد الصالح البار ، ويروي لنا نعبد الله بن دينار ذلك فيقول : ــ كما روى مسلم في صحيحه ــ ان عبد الله ابن عمر لقيه رجل بطريق مكة فسلّم عليه عبد الله ، وحمله على حمار كان يركبه ، وأعطاه عمامة كانت على رأسه ، قال ابن دينار : فقلنا له : أصلحك الله انهم الأعراب ، وانهم يرضون باليسير ، فقال عبد الله : ان أبا هذا كان ودّاً لعمر بن الخطاب ، واني سمعت رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أبرّ البر صلة الرجل أهل ودّ أبيه » .

وجاء في (مجمع الزوائد) عن أنس رضي الله عنه أن رسول اللــه صلى الله عليه وسلم قال : « من البرّ أن تصل صديق أبيك » .

د ــ تقديم الأم بالبر على الأب : لمــا روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ،

من أحق بحسن صحابتي ؟ قال : أمك . قال : ثم مَن ؟ قال : أمك . قال : ثم من ، قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك .

وروى ابن كثير في تفسيره عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم هل أديت حقها ؟ قال : لا ، ولا بزفرة[1] واحدة .

وجاء في (مجمع الزوائد) عن بريدة أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله اني حملت أمي على عنقي فرسخين في رمضاء شديدة لو ألقيت فيها بضعة لحم لنضجت فهل أديت شكرها ؟ فقال : لعله أن يكون لطلقة واحدة .

والاسلام قدم الأم بالبر على الأب لسببين :

الأول : ان الأم تعاني بحمل الولد وولادته وارضاعه والقيام على أمره وتربيته أكثر مما يعانيه الاب ، وجاء ذلك صريحاً في قوله تبارك وتعالى :

« ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير » .

وقبل قليل سمعنا قول الرجل الذي قال للرسول صلى الله عليه وسلم اني حملت أمي على عنقي ... فهل أديتُ شكرها ؟ وسمعنا جوابه عليه الصلاة والسلام : « لعله أن يكون لطلقة واحدة » .

ومن طرائف مايذكر في هذا أن رجلا سمع أعرابياً حاملا أمه في الطواف وهو يقول :

---

(١) يقصد التوجع الذي تلاقيه الأم أثناء الحمل والولادة .

اني لهـا مطية لا أذعر[1] اذا الركاب[2] نفرت لا أنفر

ماحملت وأرضعتني أكثر الله ربي ذو الجلال أكبر

ثم التفت الى ابن عباس وقال : أتراني قضيت حقّها ؟ .

قال لا والله ولا طلقة من طلقاتها .

الثاني : ان الأم ـــ بما جبلت عليه من عاطفة وحب وحنان ـــ أكثر رحمة وعناية واهتماماً من الأب .. فالولد قد يتساهل في حق أمه عليه لما يرى من ظواهر عطفها ورحمتها وحنانها .. لهذا جاءت الشريعة الغراء موصية الولد بأن يكون أكثر براً بها ، وطاعة لها .. حتى لايتساهل في حقها ، ولايتغاضى عن برها واحترامها واكرامها ..

ومما يؤكد حنان الأم وشفقتها أن الولد مهما كان عاقاً لها ، مستهزئاً بها، معرضاً عنها .. فإنها تنسى كل شيء حين يصاب بمصيبة ، أو تحل عليه كارثة ..

ذكر أبو الليث السمرقندي عن أنس رضي الله عنه : (أن شاباً كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى علقمة ، فمرض واشتد مرضه ، فقيل له : قل لا اله الا الله فلم ينطق لسانه ، فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هل له أبوان ؟ فقيل : أما أبوه فقد مات ، وله أمّ كبيرة ، فأرسل اليها ، فجاءت ، فسألها عن حاله فقالت : يارسول الله كان يصلي كذا وكذا ، وكان يصوم كذا وكذا ، وكان يتصدق بجملة دراهم ماندري ماوزنها وما عددها ؟ قال : فما حالك وحاله ؟ قالت : يارسول الله أنا عليه ساخطة

---

(1) لا أذعر : لا أفزع .

(2) الركاب : الابل .

واجدة ، قال لها : ولمَ ذلك ؟ قالت : كان يؤثر عليّ امرأته ويطيعها في الاشياء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سخط أمه حجب لسانه عن شهادة أن لااله الا الله » .

ثم قال : يا بلال ، انطلق واجمع حطباً كثيراً حتى أحرقه بالنار ، فقالت : يا رسول الله ! ابني وثمرة فؤادي تحرقه بالنار ، بين يدي ؟ وكيف يحتمل قلبي ذلك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يسرّك أن يغفر الله له فارضي عنه ؟ فوالذي نفسي بيده لاينتفع بصلاته ولا بصدقته .. مادُمت ساخطة ، فرفعت يدها وقالت : أُشهد الله تعالى في سمائه ، وأنت يارسول الله ومن حضر أني قد رضيت عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بلال ، انطلق فانظر هل يستطيع علقمة أن يقول : لا اله الا الله فلعل أمه قد تكلمت بما ليس في قلبها حياء من رسول الله ؛ فانطلق بلال ، فلما انتهى الى الباب سمعه يقول : لا اله الا الله ؛ ومات من يومه وغسل وكفن ، وصلّى النبيّ عليه الصلاة والسلام عليه ، ثم قام على شفير القبر ، وقال : يامعشر المهاجرين والانصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله ، ولايقبل منه صرف[1] ولاعَدل[2]) وروى الحديث بلفظ آخر الطبراني وأحمد . لهذين السببين كان بر الأم مقدماً على بر الأب ..

ألا فليعلم المربون هذا ، ليقوموا بمهمتهم الكبرى في تلقين الولد حقيقة البر ، والعطف على الأم ، والعناية بها ، والقيام بحقها ..!!

هـ ـ آداب البر بالأبوين : على المربين ان يلقنوا الأولاد هذه الآداب السلوكية مع آبائهم وأمهاتهم وهي مرتبة كما يلي : ألا يمشوا أمامهم ، وألا ينادون بأسمائهم ، وألا يجلسوا قبلهم ، وألا يتضجروا من نصائحهم ، وألا

---

(١) الصرف : التوبة .
(٢) العدل : الفدية .

يأكلوا من طعام ينظرون اليه ، وألا يرْقَوا مكاناً عالياً فوقهم ، وألا يخالفوا أمرهم ...

والأصل في مراعاة هذه الآداب قوله تبارك وتعالى :

« وقضى ربك ألا تعبدوا الا إياه وبالوالدين احساناً ! إما يبلغنّ عندك الكِبَر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف(١) ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً واخفض لهما جنا ح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » .

(الاسراء : ٢٣ ــ ٢٤)

وقوله عليه الصلاة والسلام :

ــ « ما برّ أباه من سدّد اليه الطرف بالغضب » (مجمع الزوائد) ج : ٨ .

ــ عن عائشة رضي الله عنها قالت : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل ومعه شيخ فقال له : يا هذا من هذا الذي معك ؟ قال : أبي ، قال : فلا تمش أمامه ، ولاتجلس قبله ، ولاتَدْعُهُ باسمه ، ولاتستسب له » (مجمع الزوائد) ج : ٨ .

وهذه طائفة من اخبار السلف في التزام هذه الآداب مع آبائهم :

● ذكر صاحب عيون الأخبار هذا الخبر : قيل لعمر بن زيد : كيف برّ ابنك بك ؟ قال : ما مشيت نهاراً قط إلاّ وهو خلفي، ولا ليلا إلاّ مشىأمامي، ولا رقى سطحاً وأنا تحته .

---

(١) افّ : كلمة تضجر وتأفف .

● وذكر صاحب (مجمعَ الزوائد) هذه القصة : عن أبي غسان الضبّي قال : خرجت أمشي مع أبي بظهر الحرة ، فلقيني أبو هريرة فقال : مــن هذا ؟ قلت : أبي ، قال : « لاتمش بين يدي أبيك ولكن امش خلفه أو الى جانبه . ولا تَدَعْ أحداً يحول بينك وبينه . ولاتمش فوق اجّار (سطح) أبيك . ولا تأكل عَرْقاً[1] قد نظر أبوك اليه لعلّه اشتهاه » .

● ومما جاء في (عيون الاخبار) : قال المأمون رحمه الله : لم أر أحداً أبرّ من الفضل بن يحيى بأبيه ، بلغ من بره أن يحيى كان لايتوضأ الا بماء مسخن ، وهما في السجن ، فمنعهما السجان من ادخال الحطب في ليلة باردة . فقام الفضل — حين آخذ أبوه يحيى مضجعه — الى قمقم كان يسخن فيه الماء ، فملأه ثم أدناه من نار المصباح ، فلم يزل قائماً وهو في يده حتى أصبح . فعل كل هذا برّاً بأبيه ليتوضأ بالماء الساخن .

● وحضر صالح العباسي مجلس المنصور مرة ، وكان يحدثه ، ويكثــر من قوله : (أبي رحمه الله) ، فقال له حاجبه الربيع : لاتكثر من الترحم على أبيك بحضرة أمير المؤمنين ، فقال : لاألومك فانك لم تذق حلاوة الآباء ، فتبسم المنصور وقال : هذا جزاء من تعرض لبني هاشم .

● وروى ابن حبان في صحيحه : أن رجلا أتى أبا الدرداء ، فقال : ان أبي لم يزل بي حتى زوّجني ، وانه الآن يأمرني بطلاقها ؟ قال : ماأنا الذي آمرك أن تَعُقّ والديك ، ولا بالذي آمرك أن تطلّق امرأتك غير أنــك ان شئت حدثتك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعته يقول: الوالد أوسط أبواب الجنة ، فحافظ على ذلــك الباب ان شئت أو دَعْ[1] . قال : فأحسب عطاء قال : فطلّقها .

---

(1) العَرْق : العظم اذا اخذ عنه معظم اللحم

(1) دعْ : اي اترك وتجنب .

وفي رواية ابن ماجه والترمذي أن رجلا أتى أبا الدرداء فقال : ان لي امرأة ، وان أمي تأمرني بطلاقها ؟ ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الوالد أوسط أبواب الجنة ، فإن شئت فأضع هذا الباب أو احفظه •

● وروى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان تحتي امرأة أحبها ، وكان عمر يكرهها ، فقال لي : طلقها فأبيت ، فأتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك له ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : طلقها •

و ـ التحذير من العقوق : العقوق معناه العصيان والمخالفة وعدم أداء الحقوق •• فمن العقوق أن ينظر الولد الى أبيه نظرة شزر عند الغضب •

ومن العقوق أن يعتبر الولد نفسه مساوياً لأبيه •

ومن العقوق أن يتعاظم الولد عن تقبيل يدي والديه أو لاينهض لهما احتراماً واجلالا ••

ومن العقوق أن يستحوذ الغرور على الولد فيستحيي أن يُعرّف بأبيه لاسيما اذا كان الولد في مركز اجتماعي مرموق •

ومن العقوق ألا يقوم الولد بحق النفقة على أبويه الفقيرين فيضطرهما الى اقامة الدعوى عليه ليلزمه القاضي الانفاق عليهما •

ومن أكبر العقوق أن يتأفف الولد من أبويه ويتضجر منهما ويعلو صوته عليهما ، ويقرّعهما بكلمات مؤذية جارحة ، ويجلب الاهانة لهما ، والمسبة لشخصهما ••

فلا عجب أن يحذر عليه الصلاة والسلام من العقوق ، وأن يبين ما للعاق من الإثم والوزر وحبوط العمل ، والانتقام في العاجلة والآجلة :

ــ روى البخاري ومسلم عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً ؟ قلنا : بلى يارسول الله ، قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس ، فقال : ألا وقول الزور ، وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت (رحمة به واشفاقاً عليه) .

ــ وروى أحمد والنسائي والبزار والحاكم عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثلاثة حرّم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة : « مدمنُ الخمر ، والعاق لوالديه ، والديّوث الذي يقر الخبث في أهله » .

ــ وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من الكبائر شتم الرجل والديه ، قال : يا رسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ، قال : نعم يسبّ أبا الرجل فيسب أباه ، ويسب أمه فيسب أمه » .

ــ وروى أحمد وغيره عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر كلمات ، قال : « لاتشرك بالله شيئاً وان قتلت وحرّقت ، ولاتعُقّنّ والديك وان أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ... » .

ــ وروى الحاكم والأصبهاني عن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كل الذنوب يؤخر الله ما شاء الى يوم القيامة الا عقوق الوالدين ، فإن الله يعجّله لصاحبه في الحياة قبل الممات » .

ـ وسبق أنذكرنا حديث علقمة في بحث « تقديم الأم على الأب في البر » فارجع اليه لترى نتيجة من يعق والديه .

ـ وروى الاصبهاني وغيره عن أبي العباس الأصم عن العوّام بن حوشب رضي الله عنه قال : نزلت مرة حياً ، والى جانب ذلك الحي مقبرة ، فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج رجل رأسه رأس حمار ، وجسده جسد انسان ، فنهق ثلاث نهقات ، ثم انطبق عليه القبر ، فإذا عجوز تغزل شعراً أو صوفاً ، فقالت امرأة : ترى تلك العجوز ؟ قلت : مالها ؟ قالت : تلك أم هذا ، قلت : وماكانت قصته ؟ قالت كان يشرب الخمر فاذا راح تقول له أمه : يابنيّ اتق الله الى متى تشرب هذه الخمر ؟ فيقول لها : انما أنت تنهقين كما ينهق الحمار ، قالت : فمات بعد العصر ، قالت : فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم ، فينهق ثلاث نهقات ثم ينطبق عليه القبر .



هذه هي أهم الأسس التي يجب على المربي أن ينشيء ولده عليها ، ويلقنه اياها حتى يتدرج الولد على البر ، ويفهم منذ نعومة أظفاره حق الابوين ..

واذا كان الولد منذ الصغر يقوم بهذا الحق على الوجه الصحيح الذي يريده الاسلام فان قيامه بالحقوق الاخرى من أرحام وجيران ومعلمين .. يكون أرغب وآكد .. لأن فضيلة بر الوالدين هي منبع الفضائل الاجتماعية جميعاً ، فمن السهل على الولد الذي تربى على البر واحترام الأبوين .. أن يتربى على احترام الجار ، واحترام الكبير ، واحترام المعلم ، واحترام الناس جميعاً ...

لهذا كله ـ كان تركيزي في البحث على حق الوالدين أكثر من أي

حق من الحقوق الاجتماعية التي سيأتي التفصيل عنها ، ذلك لأن فضيلة البر بالأبوين هي أس الفضائل جميعاً ، بل هي منطلق لكل حق اجتماعي في هذا الوجود !!..

فاستنتاجاً مما ذكر نضع بين يدي المربي أهم التوجيهات التي يجب أن يلقن عليها الولد :

١ ــ اطاعة الأم والأب في كل ما يأمران به الولد الا المعصية .

٢ ــ مخاطبتهما بلطف وأدب .

٣ ــ النهوض لهما اذا دخلا عليه .

٤ ــ تقبيل يديهما صباحاً ومساء وفي المناسبات .

٥ ــ المحافظة على سمعتهما وشرفهما ومالهما .

٦ ــ اكرامهما واعطاؤهما كل ما يطلبان .

٧ ــ مشاورتهما في كل الاعمال والامور .

٨ ــ الإكثار من الدعاء والاستغفار لهما .

٩ ــ اذا كان عندهما ضيف فالجلوس بقرب الباب ، ومراقبة نظراتهما لعلهما يأمران بشيء خفية .

١٠ ــ العمل على مايسرهما من غير أن يأمرا الولد به .

١١ ــ عدم رفع الصوت عالياً أمامهما .

١٢ ــ عدم مقاطعتهما أثناء الكلام .

١٣ ــ عدم الخروج من الدار اذا لم يأذنا .

٤١ ــ عدم ازعاجهما اذا كانا نائمين .

١٥ ــ عدم تفضيل الزوجة والولد عليهما •

١٦ ــ عدم لومهما اذا عملا بعمل لايعجبك •

١٧ ــ عدم الضحك بحضرتهما اذا لم يكن ثمّة موجب للضحك •

١٨ ــ عدم تناول الطعام مما يليهما •

١٩ ــ عدم مد اليد الى الطعام قبلهما •

٢٠ ــ عدم النوم والاضطجاع وهماجالسان الا اذا أذنا بذلك •

٢١ ــ عدم مد الرجلين أمامهما •

٢٢ ــ عدم الدخول قبلهما ، أو المشي أمامهما •

٢٣ ــ تلبية ندائهما بسرعة في حال ندائهما •

٢٤ ــ اكرام أصحابهما في حياتهما وبعد موتهما •

٢٥ ــ عدم مصاحبة انسان غير بارّ بوالديه •

٢٦ ــ الدعاء لهما ولاسيما بعد الموت فإنهما ينتفعان به ، والإكثار من قوله تعالى : « رب ارحمهما كما ربياني صغيراً » •

حــق الأرحـــام:

الأرحام هم ممن ترتبط بهم ــ أيها الانسان ــ بصلة القرابة والنسب ، وهم على الترتيب التالي : الآباء والأمهات ، والاجداد والجدات ، والإخــوة والأخوات ، والأعمام والعمــات ، وأولاد الاخ ، وأولاد الأخت ، والأخوال والخالات ، ثم من يليهم من الاقرباء ، الاقرب فالأقرب ••

وهؤلاء سمّوا في الشرع أرحاماً لسببين :

الأول : لاشتقاق الرحم من اسم الرحمن ؛ وهذا ماأكده النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي عن عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم ، وشققت لها اسماً من اسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها قطعته » •

ولايخفى ما في هـذا الاشتقاق من باعث إلى الرحمة ، ومن دافع الى العطف والحنان نحو من له حق الصلة من ذوي القرابة والنسب •

الثاني : لانحدار القرابة من الأصل الـذي ينتمي اليـه الانسان ، وهـذا ماعناه النبي صلى الله عليه وسلم في توجيهاته الكريمة في وجوب الصلة ، والتحذير من القطيعة ••

وهذا ــ لاشك ــ مما يحرك عاطفة القرابة من أعماقها ، ويثير في الحنايا مشاعر أخوية ما أسماها !!••

فما على المربين اذن ــ بعد تبيان هذه الحقائق ــ الا أن يشمروا عن ساعد الجد والعمل ، ليُبَصِّروا الولد منذ سن الوعي والتمييز بحقوق القرابة والرحم •• لتنمو في نفسية الولد نزعة التطلع الى الاجتماع بالآخرين، وتتأصل في ذاتيته محبة من تربطه واياهم رابطة النسب •• حتى اذا بلغ الولد سن الرشد والنّضج العقلي قام بواجب العطف والاحسان لهم ،واحترم كبيرهم ، ورحم صغيرهم ، وكفكف دموع الحزن عن مصابهم ، ومدّ يد العون والاحسان الى مكروبهم وفقيرهم •• وهذا لايتأتى الا بتأديب الولد على هذه الخصال ، وتعويده على هاتيك الفضائل والمكارم •

فلا عجب حين نتلو كتاب الله عز وجل أن نمرّ علىالآيات التي تحض على صلة الرحم ، وتأمر بالإحسان الى ذي القربى ••

واليكم ــ أيها المربون ــ طاقة من هذه الآيات :

ـ « واتقوا الله الذي تساءلون به الأرحام إن الله كان عليكم رقيباً »
(النساء : ١)

ـ « وآتِ ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذّر تبذيراً » .
(الاسراء : ٢٦)

ـ « واعبدو الله ولا تشركوا به شيئاًوبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى ... »
(النساء : ٣٦)

وبالمقابل القرآن الكريم يحذر من قطيعة الرحم ، ويعتبر هذه القطيعة بغياً وافساداً في الأرض يستحق صاحبها اللعنة وسوء الدار ، قال تعالى :

ـ « والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة وسوء الدار » .
(الرعد : ٢٥)

ـ وقال أيضاً : « فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا ارحامكم ، اولئك الذين لعنهم الله وأعمى أبصارهم » .
(محمد : ٢٣)

فإذا كانت هذه نهاية ومصير من يقف من رَحِمِه هذا الموقف الظالم المعادي .. فما على المربين الا أن يبينوا لمن كان لهم عليهم حق التربية مغبّة القطيعة ، ومايترتب عليها من نتائج وخيمة لاتحمد عقباها ، كما عليهم أن يبصروهم بالثمرات التي يجنونها من صلتهم للرحم ، وقيامهم بحق القرابة ..

واليكم ــ أيها المربون ــ أفضل الثمرات في صلة الرحم ، أرشد اليها المربي الاول صلوات الله وسلامه عليه عسى أن تعلموها أولادكم ، وتلقنوها لمن كان له حق التربية عليكم :

● **صلة الرحم شعار الايمان بالله واليوم الآخر** لما روى الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

● **صلة الرحم تزيد في العمر ، وتوسع في الرزق** لما روى الشيخان عن انس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أحبّ أن يبسَط له في رزقه ويُنْسَأَ له في أثره (يزاد له في عمره) فليصل رحمه » .

● **صلة الرحم تدفع عن الواصل ميتة السوء** لما روى ابو يعلى عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم سمعه يقول : « ان الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ، ويدفع بهما ميتة السوء ، ويدفع بهما المكروه والمحذور » .

● **صلة الرحم تعمّر الديار وتثمّر الأموال** لما روى الطبراني والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله ليعمّر بالقوم الديار ، ويثمّر لهم الاموال ، ومانظر اليه منذ خلقهم بغضاً لهم ، قيل وكيف ذاك يارسول الله ؟ قال : بصِلتهم الرحم » .

● **صلة الرحم تغفر الذنب وتكفّر الخطايا** لما روى ابن حبان والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : اني أذنبت ذنباً عظيماً فهل لي من توبة ؟ فقال : هل لك من أم ؟ قال : لا ، قال : فهل لك من خالة ؟قال : نعم ، قال : فبرّها .

● **صلة الرحم تيسر سبيل الحساب وتدخل صاحبها الجنة** لما روى البزار

والطبراني والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كنّ فيه حاسبه الله حساباً يسيراً وأدخله الجنة برحمته ، قالوا : وماهي يارسول الله بأبي أنت وأمي ؟ قال : تعطي من حرمك ، وتصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك ، فإذا فعلت ذلك يدخلك الله الجنة » .

وروى الشيخان عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « لايدخل الجنة قاطع رحم » .

● **صلة الرحم ترفع الواصل الى الدرجات العلى يوم القيامة** لما روى البزار والطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ؟ قالوا : نعم يارسول الله ، قال : تحلّم على من جهل عليك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك » .

فحينما يضع المربي بين يدي الولد هذه الفضائل التي تنال من يصل رحمه .. فلا شك أن الولد يندفع بكليته الى محبة أقربائه ، وصلة أرحامه ، فيعرف لهم فضلهم ، ويؤدي اليهم حقهم ، ويشاركهم في آلامهم وأفراحهم ، ويفرّج عن مكروبهم وفقيرهم .. وهذا لعمري غاية البر ، ومنتهى الصلة ..

فما أحوجنا الى مربين يعلّمون الاولاد هذه الحقائق ، ويرشدونهم الى هاتيك المكارم والخصال !!..

٣ ــ حق الجار :

ومن الحقوق التي يجب أن يهتم المربون لها ، ويعتنوا بها حق الجار ولكن من هو الجار ؟ هو كل مجاور لك عن اليمين والشمال ، والفوق والتحت .. الى أربعين داراً .. فكل هؤلاء جيرانك ، لهم عليك حقوق.

وعليهم لك واجبات •• وهذا المعنى للجوار مستفاد من الحديث الذي رواه الطبراني عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يارسول الله اني نزلت في محلّة بني فلان ، وان أشدهم اليّ أذى أقربهم لي جواراً ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعلياً رضي الله عنهم يأتون المسجد ، فيقومون على بابه ، فيصيحون : ألا ان أربعين دارا جار ، ولايدخل الجنة من خاف جارُه بوائقه (شروره) •

وحقوق الجار — في نظر الاسلام — ترجع الى أربعة أصول : هي ألا يلحق الرجل بجاره أذى ، وأن يحميه ممن يريده بسوء ، وأن يعامله باحسان، وأن يقابل جفاءه بالحلم والصفح ••

أ — كف الأذى عن الجار :

والأذى أنواع منها : الزنى ، والسرقة ، والسباب ، والشتائم ، ورمي الأوساخ •• وأخطرها الزنى ، والسرقة ، وانتهاك الحرمة ، وهذا مما أكده رسول الاسلام صلوات الله وسلامه عليه لما كان يوجه أصحابه اكرم الخصال وينهاهم عن أقبح الفعال •• روى الامام أحمد والطبراني عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : ما تقولون في الزنى ؟ قالوا حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام الى يوم القيامة ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره ، قال : ماتقولون في السرقة ؟ قالوا : حرمها الله ورسوله فهي حرام ، قال : لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من جاره •

أما أذى اليد وأذى اللسان فيدخل في مضمون قوله عليه الصلاة

والسلام : « والله لايؤمن ، والله لايؤمن ، والله لايؤمن ، قيل : مَنْ يارسول الله ؟ قال الذي لايأمن جاره بوائقه (شروره) » رواه الشيخان .

ويروى عن عبد الملك بن مروان قال : لمؤدِّب ولده : اذا روّيتَهم شعراً فلا ترو ّهم الا مثل قول « العُجَير السلولي » :

يبين الجار حين يبين عني ولم تأنس اليّ كلاب جاري

وتظعن جارتي من جنب بيتي ولم تستر بستر من جدار

وتأمن أن أطالع حين آتي عليها وهي واضعة الخمار

كذلك هدي آبائي قديماً توارثه النجار عن النجار

ويشبهه قول حاتم الطائي في الحفاظ على عرض الجار :

اذا ما بتّ أختتل[1] عرس جاري

ليُخفيني الظلام فما خفيتُ

أ أفضح جارتي وأخون جاري

فلا والله أفعل ما حييتُ

وكذلك قول عنترة :

وأغض طرفي ان بدت لي جارتي .

حتى يُواري جارتي مأواها

ومما يؤذي الجار النظر اليه بعين الاحتقار ، مثلما يفعل من لم يتربوا تربية فاضلة اذ يزرون جارهم الفقير ، ويحتقرون ابن حيّهم المسكين ، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

---

(١) أختتل : أرقب العرس من حيث لايشعرون .

فما أحد منا بمُهْدٍ لجاره أذاة ولا مُزْرٍ به وهو عائد
لأنا نرى حقّ الجوار أمانة ويحفظه منا الكريم المعاهد

ب ــ حماية الجار :

حماية الجار ، وكف الظلم عنه ، أثر من آثار طهارة النفس ، بل مكرمة من أنبل المكارم الخلقية في نظر الاسلام ، ومما ينبه لشرف همة الرجل نهوضه لإنقاذ جاره من مصيبة نالته ، أو بلاء حلّ به ، وكانت حماية الجار من أشهر مفاخر العرب التي ملأت أشعارهم ، وسطرتها دواوينهم .

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه :

ولا ضيفنا عند القرى بمدفّع
وما جارنا في النائبات بمُسْلَمِ

وقال أيضاً :

يواسون مولاهُمْ في الغِنا
ويحمون جارَهم إنْ ظُلِمْ

وقال حسان بن نشبة :

أبوا أن يُبيحوا جارَهم لعدوِّهم
وقد ثار نقعُ الموتِ حتى تكوثرا

وكان لأبي حنيفة جار بالكوفة اذا انصرف من عمله يرفع صوته في بيته منشداً :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسِداد ثَغْرِ

فيسمع أبو حنيفة غناءه بهذا البيت ، فاتفق أن أخذ الحرس في ليلة من الليالي هذا الجار وحبسوه ، ففقد أبو حنيفة صوته تلك الليلة ، وسأل عنه في الغد فأخبروه بحبسه ، فركب الى « الأمير عيسى بن موسى » وطلب منه اطلاق الجار ، فأطلقه في الحال ، فلما خرج الفتى دعا به أبو حنيفة ، وقال له سراً : فهل أضعناك يا فتى ؟ قال : لا ، ولكن أحسنتَ وتكرمتَ ، أحسن الله جزاءك ، وأنشد :

وما ضرّنا أنّا قليل وجارُنا
عزيز وجارُ الأكثرين ذليل

والأصل في حماية الجار ، ودفع الظلم عنه ، وعدم خذلانه ما رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يسلمه (يخذله) ؛ من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كُرْبة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » .

فإن كان هذا في حق المسلم واجباً ولازماً فانه في حق الجار أوجب وألزم .. لما للجار على الجار من واجبات وحقوق .

ج ـ الاحسان الى الجار :

لا يكفي المرء في حسن الجوار أن يكف أذاه عن الجار ، أو يدفع عنه بيده أو جاهه يداً طاغية ، بل يدخل في حسن الجوار أن يجامله بنحو التعزية عند المصيبة ، والتهنئة عند الفرح ، والعيادة عند المرض ، والبداءة بالسلام ، وارشاده الى ما ينفعه بعلمه ونصحه من أمر دينه ودنياه .. وعلى العموم أن يواصله بما استطاع من اكرام ..

والأصل في هذا الإحسان ما رواه الخرائطي والطبراني عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله ، فليس ذلك بمؤمن ، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه ، أتدري ما حق الجار ؟ : اذا استعانك أعنته ، واذا استقرضك أقرضته ، واذا افتقر عدت عليه ، واذا مرض عدته ، واذا أصابه خير هنأته ، واذا أصابته مصيبة عزّيته ، واذا مات اتبعت جنازته ، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريح الا بإذنه ، ولا تؤذه بقتار ريح قدرك الا أن تغرف له منها ، وان اشتريت فاكهة فاهد له ، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده » .

وقد عدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرام الجار في خصال الإيمان فقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » . الشيخان .

وقال تعالى : « وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب(١) والصاحب بالجنب(٢) وابن السبيل »

(النساء : ٣٦)

ومما يؤكد هذه الحقوق للجار القريب ، والجار البعيد ... ما رواه الطبراني عن جابر رضي الله عنه : « الجيران ثلاثة : جار له حق : وهو المشرك ؛ وجار له حقان : وهو المسلم ، له حق الجوار ، وحق الاسلام ؛ وجار له ثلاثة حقوق : مسلم له رحم ، فله حق الجوار والاسلام والرحم » .

قال مجاهد : كنت عند عبد الله بن عمر ، وغلام له يسلخ شاة ، فقال : يا غلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي ، حتى قال ذلك مراراً ، لأني سمعت

---

(١) الجار البعيد الذي لايمت اليك بقرابة .
(٢) من يرافقك في نحو سفر أو تعلم أو صناعة ..

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه » البخاري ومسلم •

والمتأدبون بأدب القرآن يحافظون على حقوق الجار حق الرعاية ؟ قالت عائشة رضي الله عنها : « لاتبالي المرأة اذا نزلت بين بيتين من الانصار صالحين الا أن تنزل بين أبويها » •

ومن الاحسان الى الجار بذل ما يطلبه من نحو النار والملح والماء ، واعارته ما اعتاد الناس استعارته من أمتعة البيت ، وحاجات المنزل •• كالقدر، والصفحة ، والسكين ، والقدوم ، والغربال •• وحمل كثير من المفسرين الماعون في قوله تعالى : « ويمنعون الماعون » • على هذه الأدوات ونحوها ، ذلك أن منعها دليل لؤم الطبيعة ، ودناءة النفس ؛ قال مهيار :

لجارهم من دارهم مثلُ ما لَهم

على راحةٍ من عيشهم ولغُوبِ

وكان العرب يضربون المثل في حسن الجوار بأبي دؤاد ، وهو كعب ابن أمامة فيقولون : « جار كجار أبي دؤاد » وكان أبو دؤاد هذا ان هلك لجاره بعير أو شاة أخلفها عليه ، واذا مات الجار أعطى أهله مقدار ديّته من ماله •

قال الخوارزمي في(مفيد العلوم) : كان لعبد الله بن المبارك جاريهودي، فأراد أن يبيع داره فقيل له : بكم تبيع ؟ قال : بألفين ، فقيل له : لاتساوي الا ألفاً ، قال : صدقتم ، ولكن ألف للدار ، وألف لجوار عبد الله بن المبارك، فأخبر ابن المبارك بذلك فدعاه فأعطاه ثمن الدار ، وقال : لاتبعها • ولولا ما لقيه اليهودي من ابن المبارك من حسن الخلق ، وكريم المعاملة لما وقف من بيع الدار هذا الموقف !!•

د ــ احتمال أذى الجار :

للمرء فضل في أن يكف عن جاره الأذى ، وله الفضل في أن يجيره ويدفع عنه يد السوء ، وله فضل في أن يواصله بالإحسان جهده ، وهناك فضل رابع هو أن يتجاوز عن أخطائه . ويتغاضى عن هفواته ، ويتلقى كثيراً من اساءاته بالصفح والحلم ، ولاسيما اساءة صدرت من غير قصد ، أو اساءة ندم عليها ، وجاء معتذراً منها ، قال الحريري في مقاماته : « وأراعي الجار ولو جار » .

ولا شك أن الذي يحلم على من جَهِل عليه ، ويحسن الى من أساءاليه ، ويعفو عمن ظلمه يكون في أعلى مراتب الكرامة ، وفي أرفع منازل السعادة يوم القيامة .. روى البزار والطبراني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنـه قال : « ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قـال : تحلُم على من جهل عليك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعـك » .

وكثيراً ما يكون الصفح عن المذنب ، والعفو عن المسيء ، دواء لسوء خلُقه ، وتقويماً لانحرافه واعوجاجه ، فيعود الجفاء الى إلْفَة ، والمناوأة الى مسالمة ، والبغضاء الى محبة .. ، وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

« ولاتستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الـذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌ حميم »

(فصلت : ٣٤)

ومن المسلّم به عند علماء التربية والاخلاق أن التسرع الى دفع السيّئة بمثلها أو بأشد منها دون نظر الى ما يترتب عليها من الأثر السيء ، والنتائـج الوخيمة دليل واضح على ضيق الصدر ، والعجز عن كبح جمـاح الغضب ، وانما يتفاضل الناس في الاخلاق والسيادة .. على قدر تدبّرهم للعواقب ، وتبصرهم للنتائج ، واسكاتهم لثورة الانفعال اذا طغت .. ومن هنا كان الذي

يملك نفسه عند الغضب من أقوى الأقوياء ، ومن أعظم الابطال في نظر النبي العظيم صلوات الله وسلامه عليه[1] .

تلكم أهم الاصول في حقوق الجوار ، وأميز الأسس في معاملة الجار .. فما على المربين الا أن يسعوا جهدهم في تخليق الولد ــ منذ التمييز ــ على فضيلة حسن الجوار ، ومراعاة حقوق الجار .. حتى اذا بلغ السن التي تؤهله لأن يتعامل مع الآخرين ، ويساكنهم ، ويكون بجوارهم .. كف الأذى عنهم ، وحماهم من كل ظلم واعتداء ، وواصلهم بالبر والإحسان ، واحتمل منهم كل ما يلقاه من اساءة وأذى ..

وتخليق الولد على هذه الاصول الأربعة في حقوق الجوار لا يتم الا بشيئين :

الأول : تلقينها شفوياً في المناسبات وغير المناسبات ..

الثاني : تطبيقها عملياً مع من كان من سنه من أبناء الجيران ..

ولا شك أن الولد حينما يتخلق على هذه الخصال الكريمة منذ الصغر تنمو في نفسه نزعة التطلع الى الاجتماع بالآخرين ، بل يصبح انساناً اجتماعياً بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، بل تتلاشى من نفسيته آفات العزلة والانكماش والانطوائية .. فيثبت وجوده حيثما كان ، ويبرز شخصيته أينما وجد .. وما ذاك الا بفضل التربية الاجتماعية التي تخلّق بها ، وتدرّج عليها ، وسلك وسائلها وأسبابها ..

---

(1) في الحديث : « ليس الشديد بالصّرَعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » .

ألا فلينتبه المربون الى الأسس والوسائل التي تنمي شخصية الولـد ، وتجعله من أماجد الناس وفضلائهم !!

٤ ـ حق المعلم :

ومن الحقوق الاجتماعية الهامة التي يجب أن يتنبّه المربون لها ، ويذكّروا بها ، ويلحوا عليها تربية الولد على احترام المعلم ، وتوقيره ، والقيام بحقه .. حتى يتنشّأ الولد على الأدب الاجتماعي الرفيع تجاه من له عليه حق التعليم والتوجيه والتربية ولا سيما ان كان المعلم يتصف بالصلاح . ويتّسم بالتقوى ، ويتميز بمكارم الأخلاق ..

ولقد وضع نبي الاسلام صلوات الله وسلامه عليه أمام المربين وصايا كريمة ، وتوجيهات سامية في اكرام العلماء ، واجلال المعلمين ، ليعلم الناس لهم فضلهم ، وليقوم من كان له شرف التّلمذة بحقهم ، ويلتزم التلاميذ الأدب معهم ..

وإليكم هذه الطاقة العطرة من الوصايا والتوجيهات :

ـ روى أحمد والطبراني والحاكم عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس من أمتي من لم يُجِلّ كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا (حقه) » .

ـ وروى الطبراني في (الأوسط) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعلموا العلم ، وتعلموا للعلم السكينة والوقار ، وتواضعوا لمن تعلّمون منه » .

ـ وروى الطبراني في (الكبير) عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال : « ثلاث لا يستخف بهم الا منافق : ذو الشيبة في الاسلام ، وذو العلم ، وامام مُقْسِط » .

— روى الامام أحمد عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم لا يدركني زمان، لايُتْبَع فيه العليم[1]، ولايستحيا فيه من الحليم ، قلوبهم قلوب الأعاجم ، وألسنتهم ألسنة العرب » .

— وروى البخاري عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحُد (يعني في القبر) ، ثم يقول : أيّهما أكثر أخذاً للقرآن ؟ ، فإذا أشير الى أحدهما قدّمه في اللحد » .

ونستخلص من مجموعة هذه الوصايا الأمور التالية :

● على المتعلم **أن يتواضع لمعلمه** ، ولايخرج عن رايه وتوجيهه ، بل يكون معه كالمريض مع الطبيب الماهر ، فيشاوره فيما يقصده ، ويتحرى رضاه فيما يعتمده ، بل عليه أن يعلم أن ذله لمعلمه عزّ وخضوعه له فخر ، وتواضعه له رفعة .

ومما يقال : ان الشافعي رضي الله عنه عوتب على تواضعه للعلماء ، فقال :

أُهين لهم نفسي فهمْ يُكرِمونَها

ولن تُكْرَمَ النفس التي لا تُهينُها

وأخذ ابن عباس رضي الله عنه مع جلالة قدره ، وعلو منزلته بركاب زيد بن ثابت الانصاري وقال : « هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا » .

---

(١) يتعوذ من زمن يعرض فيه الناس عن العالم الفقيه .

وقال الإمام أحمد بن حنبل لخلف الأحمر : « لا أقعد الا بين يديك، أمرنا أن نتواضع لمن نتعلم منه » .

وقال الامـام الغزالي : « لا ينـال العـلم الا بالتواضـع ، والقـاء السمع .. » .

● وعلى المتعلم ان ينظر الى معلمه **بعين الاجلال ، ويعتقد فيه درجة الكمال** فإن ذلك أقرب الى الاستفادة منه ، والنفع به .

وكان الإمام الشافعي رحمه الله يقول : « كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحاً رقيقاً هيبة لئلا يسمع وقعها » .

وقال الربيع : « والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر الـيّ هيبة له » .

وحضر أحد أولاد الخليفة المهدي عند شُريك ، فاستند الى الحـائط ، وسأله عن حديث فلم يلتفت اليه شُريك، ثم عاد، فعاد شريك بمثل ذلك ، قال ابن الخليفة : تستخف بأولاد الخلفاء هذا الاستخفاف ؟ قال : لا ، ولكن العـلم أجلّ عند الله من أن أضيعه[1] .

وينبغي ألا يخاطب معلمه بتاء الخطـاب أو كافه ، بل ينـاديه بقوله : يا سيدي ، ويا معلمي ، ويا أستاذي ... وكذلك لايذكر اسم معلمه فـي غيبته الا مقروناً بما يشعر السامع بإجـلاله وتوقيره كقوله : قال : معلمنـا الفاضل كذا ، أو قال : أستاذنا فلان كذا .. أو قال مرشدنا الفلاني كذا ..

---

(١) لكونه مستندا غير متأدب بجلسته في حلقة العلم .

● وعلى المتعلم ان يعرف **لمعلمه حقه ، ولاينسى له فضله** ، قال شعبة : « كنت اذا سمعت من الرجل الحديث كنت له عبداً ما يحيا » ، وقال : « ما سمعت من أحد شيئاً الا واختلفت[1] اليه أكثر مما سمعت منه » .

ورحم الله شوقي حين قال :

قم للمعلم وفّه التبجيلا

كاد المعلم أن يكون رسولا

أعلمتَ أشرف أو أجلّ من الذي

يبني وينشيء أنفساً وعقولا

وينبغي للولد المتعلم أن يدعو لأستاذه مدةحياته ، ويرعى ذريتهوأقاربه وأهل ودّه بعد وفاته ، ويعتمد زيارة قبره ، والاستغفار له ، والصدقة عنه في كل فرصة سانحة ، ويراعي في العلم والدين والأخلاق عادته ، ويقتدي بحركاته وسكناته ، ويتأدب بآدابه باعتباره الأسوة الحسنة ، والقدوة الصالحة ..

● وعلى المتعلم ان **يصبر على سوء خلق معلمه وجفوته** .. ولايصده عن ذلك ملازمته ، والاستفادة منه ، ويبدأ هو عند جفوة المعلم وغضبه بالاعتذار والتوبة مما وقع منه ، وينسب موجب الغضب اليه ، ويجعل العتب عليه ، فإن ذلك أبقى لمودة أستاذه ، وأحفظ لقلبه ، وأنفع للطالب في دينه ودنياه وآخرته ..

ومما ينقل عن بعض السلف : « من لم يصبر على التعليم ، بقي عمره في عماية الجهالة ، ومن صبر عليه آل أمره الى عز الدنيا والآخرة » .

---

(١) ترددت اليه للخدمة .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : « ذَللْت طالباً فعززتُ مطلوباً » .

وقال الشافعي رحمه الله : قيل لسفيان بن عيينة : ان قوماً يأتونك من أقطار الأرض تغضب عليهم يوشك أن يذهبوا أو يتركوك ، فقال للقائل : « هم حمقى اذا هم تركوا ماينفعهم لسوء خلقي » .

ولبعضهم قوله :

ان المعلم والطبيب كلاهما

لا ينصحان[1] اذا هما لم يُكرَما

فاصبرْ لدائك ان جفوتَ طبيبه

واصبرْ لجهلك ان جفوتَ معلماً

● وعلى المتعلم أن **يجلس بين يدي معلمه جلسة الأدب** بسكون وتواضع واحترام .. مصغياً الى أستاذه ، ناظراً اليه ، مقبلا بكليته عليه ، غير ناظر الى يمينه أو شماله أو فوقه أو قدامه بغير حاجة ...

وعلى المتعلم كذلك أن يكون متجنباً في حضرة معلمه كل ما يخل بالوقار، وينافي الأدب والحياء . فلا ينبغي أن ينظر اليه ، ولا يضطرب لضجة يسمعها أو يلتفت اليها ولا سيما عند القاء درسه .. ولا يعبث بيديه أو رجليه أو غيرهما من أعضائه ، ولا يعبث بيده في أنفه أو يستخرج منها شيئاً ، ولا يفتح فاه ولا يقرع سنه ولا يضرب الأرض براحته أو يخط عليها بأصابعه ، ولا يشبّك بيديه أو يلعب بإزاره ، ولا يكثر كلامه من غير حاجة ، ولا يحكي ما يضحك لغير عجب ولا لعجب رافعاً صوته في الضحك ، فإن غلبه تبسم تبسماً بغير

---

(١) ليس ذلك على اطلاقه لأن بعض المعلمين والاطباء يعملون لوجه الله ، لايريدون من وراء عملهم جزاء ولاشكورا .

صوت البتّة ، ولا يكثر التنحنح من غير حاجة اليه ، ولا يبصق ولا يتنخّم ما أمكنه ، فإن اضطر الى اخراج النخامة من فيه يأخذها بمنديل أو ورقة تستعمل لذلك ، واذا اضطر للعطاس خفّض صوت عطاسه جهده ، وستر وجهه بمنديل أو نحوه ، واذا تثاءب ستر فاه بيده بعد ردّه جهده ؛ ومما قاله علي كرم الله وجهه في تبيان حق العالم على المتعلم :

« من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة ، وتخصّه بالتحية ، وأن تجلس أمامه ، ولا تشيرنّ عنده بيديك ، ولا تغمز بعينيك غيره ولا تقولنّ : قال فلان خلاف قوله ، ولا تغتابنّ عنده أحداً ، ولا تطلبنّ عثرته ، وان زلّ قبلت معذرته ، وعليك أن توقره لله تعالى ، وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته ، ولا تسارر أحداً في مجلسه ، ولا تأخذ بثوبه ، ولا تلح عليه اذا كسل ، ولا تشبع من طول صحبته ، فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء .. » .

ولقد جمع رضي الله عنه في هذه الوصية ما فيه الكفاية ، وما يشفي الغليل !..

● **وعلى المتعلم الا يدخل على معلمه في الفصل أو البيت أو المكان المخصص له إلا باستئذان** سواء كان المعلم وحده أو كان مع غيره ، فإن استأذن ولم يأذن له انصرف ولا يكرر الاستئذان ، وان شك في علم المعلم به فلا يزيد في الاستئذان فوق ثلاث مرات ، وليكن طرق الباب خفيفاً بأدب بأظفار الأصابع ثم بالحلقة ثم بالجرس قليلا .. فإن كان الموضع بعيداً عن الباب فلا بأس برفع ما يُسْمع لضرورة الأمر .

وينبغي أن يدخل على المعلم كامل الهيئة ، متطهر البدن ، نظيف الثياب .. لاسيما ان كان يقصد مجلس العلم ، فإنه مجلس ذكر ، واجتماع عبادة ..

وينبغي أن يدخل على المعلم ، وقلبه فارغ من الشواغل ، ونفسه صافية من الاحوال النفسية .. ليعي مايقول ، وينشرح صدره لما يسمعه ؛ واذا حضر مكان المعلم فلم يجده جالساً انتظره كيلا يفوّت على نفسه درسه ، ولايطرق عليه ليخرج اليه ، وان كان نائماً صبر حتى يستيقظ أو ينصرف ثم يعود ..

فقد روي أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يجلس في طلب العلم على باب زيد بن ثابت حتى يستيقظ ، فيقال له : ألا نوقظه لك ؟ ، فيقول : لا ، وربما طال مقامه وقرعته الشمس ، وكذلك كان السلف يفعلون .

● **وعلى المتعلم اذا سمع المعلم يذكر دليلا لحكم ، أو فائدة مستغربة ، أو يحكي حكاية أو ينشد شعراً .. وهو يحفظ ذلك أصغى إليه إصغاء مستفيد** له في الحال ، متعطش اليه فرح به كأنه لم يسمعه قط .

قال عطاء : « اني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه ، فأريه من نفسي أني لاأحسن منه شيئاً » ؛ وعنه قال : « ان الشاب ليتحدث بحديث فأسمع له كأني لم أسمعه ، ولقد سمعته قبل أن يولد » .

وقال أبو تمام في صفات الصديق وآداب الصداقة :

مَنْ لي بإنسان اذا أغضبتُه
وجهلتُ كان الحلم ردَّ جوابه

واذا طربتُ الى المدام شربت من
أخلاقه وسكرتُ من آدابه

وتراه يصغي للحديث بسمعه
وبقلبه ولعله أدرى به

هذا مما يستحب في معاملة الصديق للصديق ، ومعاملة المعلم أولى وأوجب •

ولاينبغي لطالب العلم أن يكرر سؤال مايعلمه ، ولااستفهام مايفهمه فإنه يضيع الوقت ، وربما أضجر المعلم ؛ قال الزهري : « اعادة الحديث أشد من نقل الصخر » •

وينبغي ألاّ يقصر في الإصغاء والفهم أو يشتغل ذهنه بفكر أو حديث ثم يستعيد المعلم ما قاله لأن ذلك اساءة أدب ، بل يكون مصغياً لكلامه ، حاضر الذهن من أول مرة •

واذا لم يسمع كلام المعلم لبعده أو لم يفهمه بعد الإصغاء اليه ، فله أن يسأل المعلم اعادته وتفهيمه بعد بيان عذره بسؤال لطيف •



تلكم أهم الآداب التي يجب أن يتلقنها الولد من معلميه ومربيه ، وهي آداب تربوية نبيلة ، وحقوق اجتماعية كريمة ••

ومن المعلوم أن الولد حينما يفتح عينيه على تلقين هذه الآداب ، ويتربى منذ نعومة أظفاره على التخلق بهاتيك الحقوق •• فلا شك أن الولد أدى ما عليه من حقوق تجاه من كانوا له سبباً في العلم ، والتربية ، والاخلاق ، وتكوين الشخصية •••

ومما لاجدال فيه أن التركيز من قبل المعلمين والمربين في اعداد الولد خلقياً واجتماعياً يجب أن يكون مقدماً على تكوينه العلمي والثقافي ، لأن التحلي بالمكارم ـ كما يقولون ـ مقدم على تعليم المسائل ••

لهذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يهتمون بأدب أطفالهم وتلامذتهم أكثر مما يهتمون في تلقينهم العلم ، وتزويدهم المعرفة ..

قال الحبيب بن الشهيد لابنه : « يا بني اصحب الفقهاء والعلماء ؛ وتعلم منهم ، وخذ من أدبهم ، فإن ذلك أحب الي من كثير من الحديث » .

وقال مخلد بن الحسين لابن المبارك : « نحن الى كثير من الأدب أحوج الى كثير من الاحاديث » .

وقال بعض السلف لابنه : « يابني لأن تتعلم باباً من الادب أحب الي من أن تتعلم سبعين باباً من أبواب العلم » .

وقال سفيان بن عيينة : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الميزان الاكبر ، وعليه تعرض الاشياء على خُلُقه وسيرته وهديه .. فما وافقها فهو الحق ، وما خالفها فهو الباطل » .

وقال ابن سيرين : « كانوا يتعلمون الهدى[1] كما يتعلمون العلم » .

ومما يجب التنبه له أن هذه الآداب التي يجب التزامها هي في حق المعلمين ، الاتقياء في أنفسهم ، الأوفياء لدينهم ، الذين يرجون لله وقاراً ، ويؤمنون بالاسلام عقيدة وشريعة ، وبالقرآن منهاجاً ودستوراً .. هؤلاء يجب أن يلقن الولد احترامهم ، وأن يعرف فضلهم ، وأن يؤدي لهم حقهم .. ما داموا على الهدى والصراط المستقيم ..

أما المعلمون الملحدون ، والمربون اللادينيون فهؤلاء ليس لهم في القلوب اجلال ، ولا في النفوس احترام .. لكونهم أهدروا انسانيتهم بالإلحاد ، وأسقطوا اعتبارهم ومهابتهم بالكفر والضلال ..

---

(1) الهدى : اي هدي محمد صلى الله عليه وسلى ، وسيرة السلف .

فعلى الأب أن يغضب لله ، حين يعلم أن معلماً ملحداً يلقن ولده مبادىء الكفر ، ومفاهيم الزيغ والإلحاد .. بل عليه أن يقيم الدنيا ويقعدها ، وأن تغلي في عروقه حمية الاسلام .. تجاه هذه الشراذم الباغية ، والحثالات العميلة الخائنة .. حتى يرى هذه الجراثيم البشرية قبعت في جحورها ، وتوارت في أوكارها .. فما عاد يرتفع لهم رأس ، أو ينطق لهم لسان !!..

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ».

(الأنبياء : ١٨)

ورحم الله من قال :

ان عادت العقرب عُدْنا لها

وكانتِ النعلُ لها حاضره

ولايكفي الأب أن يغضب لله في الوقوف أمام معلم ملحد ، ومربٍّ ضال خائن .. بل عليه أن يغرس في ولده خلق الجرأة الادبية ، والمجاهرة بالحق .. لينشأ الولد على مقاومة أعداء الاسلام مهما كان لهم من القوة والتسلط والنفوذ ..

وحينما يعلم أعداء الله والاسلام من معلمين وغير معلمين .. أن الأمة لهم بالمرصاد ، وأن الاستنكار والمواجهة لأفعالهم وأقوالهم منبعث من الكبار والصغار !!..

هل يتجرأ أحد منهم على أن يجهر بإلحاد ؟

هل يستطيع مجرم من هؤلاء أن يتهجم على الاسلام ؟

هل نسمع أو نرى أن عدواً تطاول على ذات الله ، أو طعن بشخصية لرسول عليه الصلاة والسلام ؟ حتماً الجواب ، لا !!.

اذن فما على الآباء الا أن يفهموا هذه الحقيقة ، وأن يؤدوا ماعليهم من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن يقفوا في وجه كل عميل خائن ، وأن يُخلّقوا أولادهم بخلق الجرأة والمجابهة •• حتى لايتمادى العملاء ، ولايخرج من جحورهم الأعداء والجبناء ، وحتى تبقى دائماً العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ••

ورحم الله امرءاً أراهم من نفسه قوة ، ومن جهاده عزة ، ومن جرأته قولة حق !!••

٥ ـ حق الرفيق :

من الأمور الهامة التي يجب أن يلحظها المربون في الولد اختيار الرفيق المؤمن ، والجليس الصالح •• لما له من تأثير كبير في استقامة الولد ، وصلاح أمره ، وتقويم أخلاقه •• وقد صدق من قال : « الصاحب ساحب » ، وصدق من مثّل : « لاتقل لي من أنا ؟ بل قل لي من تصاحب ، تعرفني مَن أنا !! » •

ورحم الله الشاعر الذي يقول :

عن المرء لاتسَلْ وسل عن قرينه
فكل قرينٍ بالمُقارنِ يقتدي

ولنستمع الى المربي الأول عليه أفضل الصلاة والتسليم كيف يوجه الآباء والمربين في اختيار الرفقة الصالحة لأولادهم ، ومن لهم حق التربية عليهم :

ـ روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مثل الجليس الصالح ، والجليس

السوء كمثل حامل المسك ، ونافخ الكير ، فحامل المسك اما أن يُحذِيَك[1] ، أو تشتري منه ، أو تجد منه ريحاً طيبة ؛ ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك ، أو تجد منه ريحاً منتنة » .

ـ وروى أبو داود والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام : « لاتصاحب الا مؤمناً ولا يأكل طعامك الا تقي » .

ـ وروى ابن عساكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اياك وقرين السوء فإنك به تُعرَف » .

ـ وروى الترمذي وأبو داود عنه عليه الصلاة والسلام « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » .

من هذا كله وجب على المربي أن ينتقي للولد ـ ولاسيما بعد أن يبلغ سن التمييز ـ أن ينتقي له الزمرة الصالحة من الرفقاء من سنه ، يختلط بهم ، ويلهو معهم ، ويدرس واياهم ، ويتفقدهم بالزيارة ، ويعودهم اذا مرضوا ، ويقدم لهم الهدية اذا نجحوا ، ويذكرهم اذا نسوا ، ويعينهم اذا احتاجوا .. وهذا ـ لاشك ـ ينمي في الولد النزعة الاجتماعية التي فطر عليها ، ويجعل منه في المستقبل رجلا متوازناً سوياً يؤدي حق المجتمع على الوجه الصحيح الذي يرضي الله عز وجل ، ويأمر به الاسلام !!..

ولكن ماهي أهم حقوق المصاحبة التي يجب على المربين أن يرسخوها في الولـــد ؟

---

(١) يحذيك : يعطيــك .

الحقوق هي كما يـلي :

أ ـ السلام[1] إذا لقيه :

لما روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولاتؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

ب ـ عيادته إذا مرض :

لما روى البخاري عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عودوا المريض ، وأطعموا الجائع ، وفكّوا العاني (الأسير) » .

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، واجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » .

ج ـ تشميته إذا عطس :

لما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له

---

(1) وكيفية السلام وآدابه ستأتي في مبحث « التزام الآداب الاجتماعية » ان شاء الله .

آخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فاذا قال له يرحمك الله ، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » •

د ـ زيارته في الله :

لما روى ابن ماجه والترمذي •• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عاد مريضاً أو زار أخاً في الله ناداه منادٍ بأن طبْتَ وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلا » •

وروى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أن رجلا زار أخاً له في الله في قرية أخرى ، فأرصد الله تعالى له على مدرجته (الطريق) ملكاً فلما أتى عليه قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخاً لي في هذه القرية ، قال : هل لك من نعمة تربُّها عليه (تقوم بها) ؟ قال : لا ، غير أني أحببته في الله تعالى ، قال : فإني رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه » •

هـ ـ إعانته وقت الشدة :

لما روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايُسْلِمه (لايترك نصرته) ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كُربة فرّج الله عنه كربة من كُرَب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » •

و ـ اجابة دعوته اذا دعـاه :

لما روى الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز، واجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » •

ز ـ التهنئة بالشهور والأعيـاد مما اعتاده الناس :

لما روى الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما : « من لقي أخـاه عند الانصراف من الجمعة فليقل تقبل الله منا ومنك » .

وروى صاحب المقاصد عن خالد بن معـد أنّه لقي واثلة بن الأسقع في يوم عيد فقال له : تقبل الله منا ومنك ، فقال له واثلة : مثل ذلك .

وجاء في الصحيحين أن طلحة قام لكعب بن مالك وهنأه بتوبة اللـه عليـه .

وروى صاحب (الجامع الكبير) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جـده مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه وسلم : « أتدرون ماحق الجار (ويدخل الرفيق) ؟ ان استعان بك أعنته ، وان استقرضك أقرضته ، وان أصابه خير هنأته ، وان أصابته مصيبة عزيته .. » .

ح ـ المهاداة في المواسم والمناسبات :

لما روى الطبراني في (الاوسط) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنـه قال : « تهادوا تحابوا » ؛ وللطبراني في (الأوسط) عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يانساء المؤمنين تهادين ولو فرسن[1] شاة فإنه ينبت المودة ،ويذهب الضغائن » ؛ وللديلمي عـن أنس مرفوعاً : « عليكم بالهدايا فإنها تورث المودة ، وتذهب بالضغائن » ؛ وأخرج الإمام مالك في الموطأ « تصافحوا يذهب الغِل (الحقد) ، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء » .



(١) فرسن : ظلف الشاة (أي القدَم) .

ومما يتفرع عن حق الرفيق المؤمن الدائم حق الرفيق المؤقت ، وهو الذي يصحبك في سفر أو دراسة أو وظيفة .. وهو الذي عبر عنه القرآن الكريم حين قال : « والصاحب بالجنب » . هذا الرفيق ينبغي أن ينال ممن جاوره كل عطف ورعاية واكرام ، وتعاون وايثار ، ولين جانب . وكرم أخلاق . وهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القدوة الصالحة كان يعطي لأمته الأسوة الحسنة في ملاطفة أصحابه في السفر والحضر ، والسلم والحرب ، والحلّ والترحال ..

أسند الطبري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معه رجل من أصحابه وهما على راحلتين ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم غَيْضة (مجتمع شجر) ، فقطع قضيبين أحدهما معوجّ ، فخرج وأعطى لصاحبه القويم (أي الجيد منه) ، فقال الرجل : كنتَ يارسول الله أحقّ بهذا ! فقال : كلا يافلان ان كل صاحب يصحب آخر فإنه مسؤول عن صحابته ولو ساعة من نهار » .

وقال ربيعة بن أبي عبد الرحمن : « للسفر مروءة وللحضر مروءة ، فأما المروءة في السفر فبذل الزّاد ، وقلة الخلاف على الأصحاب ، وكثرة المزاح في غير مساخط الله ، وأما المروءة في الحضر فالادمان الى المساجد ، وتلاوة القرآن ، وكثرة الإخوان في الله عز وجل » .

ومما ينسب لبعض بني أسد قولهم :

اذا ما رفيقي لـم يكن خلف ناقتي
له مركب فضلا فلا حمِلَت رِجْلي
ولم يك من زادي له شطرُ مِزوَدي
فلا كنتُ ذا زادٍ ولاكنتُ ذا فضلِ

شريكانِ فيما نحن فيه وقد أرى
عليّ له فضلا بمـــا نال من فضلي



تلكم ــ أيها المربون ــ أهم الأسس والقواعد في تلقين الولد ــ منذ أن يفتح عينيه ــ حق الرفيق ، واحترام الصديق .. وهي من أعظم العوامل في تنمية النزعـــة الاجتماعية ، وتقوية ظاهرة المحبة في الله لدى الولد ؛ هذه النزعة حينما تقوم على أسس المحبة والاخلاص ، والوفاء والايثار ، والبذل والتعاون .. فإن دعائم التكافل والسلام والاستقرار تترسخ في المجتمع المسلم ، وان مبادىء العدل والإخاء والمساواة .. تنتشر في ربوع الارض ، وأطراف المعمورة .. لماذا ؟ لأن الفرد المسلم أعطى لكل ذي بصيرة النموذج الحي عن الاسلام في سلوكه وأخلاقه ، وملاطفته ومعاملته ..

فما أحوج المجتمع الاسلامي الى مربين أفاضل ، وآباء أكارم ... يغرسون في الولد منذ نشأته هذه الأسس من التربية الفاضلة ، والأخـــلاق القويمـــة .. حتى ينشأ الولد على كريم الخصال ، ويترعرع على أفضـــل المكارم ، وانكار الذات !!..

٦ ــ حــق الكبــــير :

الكبير هو من كان أكبر منك سنـــاً ، وأكثر منك علماً ، وأرفع تقـــوى وديناً ، وأسمى جاهاً وكرامة ومنزلة ..

فهؤلاء ان كانوا مخلصين لدينهم ، معتزين بشريعة ربهم .. فيجب على الناس أن يعرفوا لهم فضلهم ، ويؤدوا لهم حقهم ، ويقوموا بواجب احترامهم ... امتثالا لأمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي عرّف المجتمع فضلهم ، وأوجب على الناس حقهم ...

وإليكم طاقة عطرة من توجيهاته الكريمة في توقير الكبير :

ـ روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ماأكرم شاب" شيخاً لسنّه الا قيّض الله (أي قدّر) له من يكرمه عند سنّه » •

ـ وروى أبو داود والترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : « ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حق كبيرنا »•

ـ وروى أبو داود عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من اجلال الله تعالى اكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير العالي فيه والجافي عنه (أي التارك له) ، واكرام ذي السلطان المقسط (العادل) » •

ـ وروى أبو داود عن ميمون بن أبي شبيب رحمه الله أن عائشة رضي الله عنها مرّ بها سائل فأعطته كِسْرة (قطعة خبز) ، ومرّ بها رجل عليه ثياب وهيئة فأقعدته فأكل فقيل لها في ذلك ؟ فقالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزلوا الناس منازلهم » وفي رواية : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننزل الناس منازلهم » •

روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أراني في المنام أتسوّك بسواك فجاءني رجلان أحدهما أكبر من الآخر ، فناولت السواك الاصغر (منهما) ، فقيل لي كبّر فدفعته الى الاكبر منهما » •

ونستخلص من مجموعة هذه الأحاديث الصحيحة الأمور التالية :

١ ـ انزال الكبير منزلته اللائقة به :

كأن يستشار في الأمور ، ويقدم في المجلس ، ويبدأ به بالضيافة ••

تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام : « أنزلوا الناس منازلهم » • ومما يؤكد هذا مارواه الامام أحمد بإسناد صحيح عن شهاب بن عبّاد أنه سمع بعض وفد عبد القيس وهم يقولون : قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاشتدّ فرحهم ، فلما انتهينا الى القوم أوسعوا لنا ، فقعدنا ، فرحب بنا النبي صلى الله عليه وسلم ، ودعانا ، ثم نظر الينا ، فقال : من سيدكم وزعيمكم ؟ فأشرنا جميعنا الى المنذر بن عائذ ••• فلما دنا منه المنذر أوسع القوم له حتى انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم •• فقعد عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرحب به وألطفه ، وسأله عن بلادهم ••• الى آخر الحديث•

ومن الأمور المسلم بها والمجمع عليها لدى أهل الحديث أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يبدؤون بالضيافة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم من كان على يمينه ، فظل هذا الفعل سنة متبعة من هديه عليه الصلاة والسلام •

ب ـ البدء بالكبير بالأمور كلها :

كأن يتقدم الكبير على الصغير في صلاة الجماعة ، وفي التحدث الى الناس ، وفي الأخذ والعطاء عند التعامل ••• لما روى مسلم عن أبي مسعود قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول : « استووا ولاتختلفوا فتختلف قلوبكم ، ليَلِني منكم أولو الأحلام والنُّهى (هم الرجال البالغون) ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » •

وروى الشيخان عن أبي يحيى الأنصاري قال : انطلق عبد الله بن سهل ومحيّصة بن مسعود الى خيبر وهي يومئذ صُلح ؛ فتفرقا فأتى محيّصة الى عبد الله وهو يتشحّط في دمه قتيلا ثم قدم المدينة ، فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيّصة وحويّصة ابنا مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذهب عبد الرحمن يتكلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : « كبّر كبّر » (أي يتكلم

الأكبر سناً) ، وهو ــ أي عبد الرحمن ــ أحدث[1] القوم .. الى آخر الحديث وسبق أن كرنا قبل قليل حديث السواك ، وأنه عليه الصلاة والسلام أمر في المنام أن يناوله الى الرجل الأكبر .

ج ــ الترهيب من استخفاف الصغير من الكبير :

كأن يهزأ منه ، ويسخر عليه ، ويوجه كلاماً سيئاً اليه ، ويسيء الأدب في حضرته ، وينهر في وجهه ... لما روى الطبراني في الكبير عن أبي أمامة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاث لا يستخف بهم الا منافق: الشيبة في الاسلام ، وذو العلم وامام مقسط » .

ويتفرع عن هذه المعاني في توقير الكبير فضائل اجتماعية شرعية ترتبط بالاحترام ، فعلى المربين أن يُخلّقوا أولادهم عليها ، ويأمروهم بها :

أ ــ الحيــاء :

وهو خُلُق يبعث على ترك القبيح ، ويمنع من التقصير في حق الكبير ، ويدفع الى اعطاء ذي الحق حقه ...

لهذا « كان الحياء خيرا كله » كما روى الشيخان عن عمران بن حصين .

ومما يدل على فضيلة الحياء ما رواه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عائشة « لو كان الحياء رجلا لكان رجلا صالحاً ، ولو كان الفحش رجلا لكان رجل سَوْء » .

وروى ابن ماجه والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول

---

(١) اي اصغرهم سناً .

الله صلى الله عليه وسلم : « ما كان الفحش في شيء الا شانه ، وما كان الحياء في شيء الا زانه » .

وروى مالك وابن ماجه عن زيد بن طلحة بن ركانة يرفعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لكل دين خلقاً ، وخلق الاسلام الحياء » .

وروى البخاري ومسلم عنه عليه الصلاة والسلام : « .. والحياء شعبة من الإيمان » .

فلا عجب بعد هذا التوجيه النبوي في بيان فضيلة الحياء أن يتخلّق أبناء الصحابة بهذا الخلق الرفيع ، وأن تظهر بوادره أمام من يكبرهم سناً ، ويعلوهم منزلة ..

روى الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : « لقد كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً فكنت أحفظ عنه فما يمنعني من القول الا أن ههنا رجالا هم أسنّ مني » .

ب ــ القيام للقادم :

القيام للقادم كالضيف أو المسافر أو العالم أو الكبير .. أدب اجتماعي نبيل يجب أن يؤمر الولد به ، ويتخلّق عليه للأدلة التالية :

أ ــ روى البخاري وأبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلاً وهدياً برسول الله صلى الله عليه وسلم ــ في قيامها وقعودها ــ من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : وكانت اذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام اليها فقبلها

وأجلسها في مجلسه ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل عليها قامت من مجلسها وقبلته وأجلسته في مجلسها » •

ب ــ وروى النسائي وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدثنا فإذا قام قمنا قياماً حتى نراه دخل الى بعض أزواجه » •

ج ــ وروى أبو داود عن عمر بن السائب أنه بلغه أن رسول اللــه صلى اللــه عليه وسلم كان جالساً فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعــض ثوبه فقعد عليــه ، ثم أقبلت أمــه فوضع لها شق ثــوبه من الجانب الآخــر فجلست عليه ، ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول اللــه صلــى اللــه عليه وسلم فأجلسه بين يديــه •

د ــ وروى الشيخان أن سعد بن معاذ لما دنا الى المسجد قال النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار : « قوموا الى سيدكم أو خَيْركم » •

هـ ــ ومن الاحاديث الصحيحة الثابتة الدالة على جواز القيام ماجاء في حديث ابن مالك المتفق عليه ، وهو يقص خبر تخلّفه عن غزوة تبوك قال : فانطلقت أتأمّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة ، ويقولون : لتَهْنِك توبة الله عليك ، حتى دخلــت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام اليّ طلحة بن عُبَيد الله رضي الله عنه يهرول حتى صافحني وهنأني ••

وقد استدل أهل العلم والاجتهاد من مجموع هذه الاحاديث وغيرها على جواز القيام لأهل العلم والفضل في المواسم والمناسبات •

وأما ماثبت أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن القيام فمحمول على من

قصد القيام لذاته ، واستشرفه وتطلّع اليه ، ومحصول كذلك على تقليد صفة خاصة من القيام فيها معنى الكِبر والتعظيم كان ينتهجها الأعاجم في تعظيم بعضهم بعضاً كأن يقعد المعظّم مكرماً مبجلا والناس حوله واقفون •

ج ـ تقبيل يد الكبير :

ومن الآداب الاجتماعية التي ينبغي أن يعتادها الولد ، ويحرص المربي على تلقينها والتخلق بها أدب تقبيل يد الكبير ، لما لهذا الأدب الاجتماعي من أثر كبير في تعليم الولد التواضع والاحترام وخفض الجناح وإنزال الناس منازلهم ••

ومما يدل على هذا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعمل الصحابة ، واجتهاد الأئمة :

أ ـ أخرج أحمد والبخاري في (الأدب الصغير) ، وأبو داود ، وابن الأعرابي عن زارع وكان في وفد (عبد القيس) قال : لما قدمنا المدينة جعلنا نتبادر من رواحلنا ، فنقبّل يد النبي صلى الله عليه وسلم ورجله •

ب ـ وروى البخاري في الادب المفرد عن الوازع بن عامر قال : قدمنا ، فقيل ذلك رسول الله ، فأخذنا بيده ورجليه نقبلها •

د ـ وأخرج ابن عساكر عن أبي عمار : أن زيد بن ثابت قُرِّبت له دابة ليركبها فأخذ ابن عباس بركابها ، فقال زيد : تنحّ ياابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بكبرائنا وعلمائنا ، فقال زيد : أرني يدك ! فأخرج يده فقبلها فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا !!•

هـ ـ وروى البخاري في الادب المفرد عن صهيب قال : رأيت علياً يقبل يد العباس ورجليه •

و ـ وأخرج الحافظ أبو بكر المقرّي عن أبي مالك الأشجعي قال : قلت لابن أبي أوفى ناولني يدك التي بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فناولنيها فقبّلتها •

هذا غيض من فيض مما ثبت في تقبيل يد أهل العلم والفضل ••فما على المربين الا أن يعوّدوا أطفالهم على هذا الخلق الكريم ، والأدب الرفيع •• حتى ينشؤوا على التواضع الجمّ ، والاخلاق العالية الندية •• في احترامهم الكبار ، وتوقيرهم العلماء ، وتعاملهم مع الآخرين ••

ولكن على المربين أن ينتبهوا في تخليق الولد على القيام والتقبيل الى أمرين هامين :

الأول : ألا يُغالوا[1] في ذلك ، لما للمغالاة من تغاضٍ عن المساوىء ، ومجافاة للحق ، وانتكاس لحقيقة الاحترام ، وتحطيم لشخصية الولد النفسية •

الثاني : ألا يزيدوا عن الحد الذي أمر به الشرع الاسلامي كالانحناء أثناء القيام ، أو الركوع أثناء التقبيل •



تلكم أهم الأسس التي وضعها الاسلام في مراعاة حقوق الآخرين ؛ فما على المربين الا أن ينشّئوا الاولاد عليها ، ويلقنوهم اياها ، ويرشدوهم اليها ، حتى يتدرج الولد على احترام الكبير ، واكرام ذي الشيبة •• وحتى يفهم منذ نعومة أظفاره حق من يكبره سناً ، وأدب من يفوقه علماً وفضلا ومنزلة ••

ولاشك أن المربي حين يضع بين يدي الجيل هذه القواعد في تخليق الولد

---

(١) المغالاة : هو الافراط في القيام والتقبيل عن الحد المعتاد المتعارف عليه.

على احترام الآخرين ، والتأدب معهم ، والإحسان اليهم .. فالولد يندفع بكليته الى توقير ذوي الفضل . واجلال ذي الشيبة .. وهذا لعمري غايـه



الأدب . ومنتهى التوقير والاحترام . فما أحوجنا الى مربين آكارم . ومعلمين أفاضل .. يفهمون حقائق التربية في الاسلام ، ثم ينطلقون جادين عازمين الى تعويد هذا الجيل هاتيك المكارم . وتخليقهم على هذه الفضائل ، وتأديبهم على هذه الخصال !!..

فإن هم انطلقوا في هذا السبيل . وصمموا على تنفيذ هذا المنهج وصلت الأمة الاسلامية الى الذروة في الخلق الاجتماعي النبيل . والأدب الاسلامي الرفيع .. وعندئذ يفرح المؤمنون بالجيل الناشيء . والمجتمع الفاضل . والاستقرار المنشود .

٣ - التزام الآداب الاجتماعية العامة

ومن القواعد التي وضعها الاسلام في تربية الولد اجتماعياً تعويده منذ نعومة أظفاره على آداب اجتماعية عامة . وتخليقه على مبادىء تربوية هامة .. حتى اذا شبّ الولد عن الطوق . وتدرّج في سني الطفولة . وأصبح يدرك حقائق الاشياء .. كان تعامله مع الآخرين في غاية البر والاحسان . وكان سلوكه في المجتمع في منتهى المحبة والملاطفة، ومكارم الأخلاق ..

ولاشك أن هذه الآداب الاجتماعية التي سأفصل عنها في هذا البحث . مرتبطة كل الارتباط ببحث « غرس الاصول النفسية » الذي فصلنا عنه في أول هذا الفصل . لأن التعامل الاجتماعي . أو التزام الآداب العامة حينما يقوم على عقيدة الإيمان والتقوى . ومبادىء الاخوة والرحمة . ومكارم الإيثار والحلم .. فإن تربية الولد الاجتماعية تبلغ مراتبها العالية : وغاياتها المثلى .. بل يظهر الولد في سلوكه وأخلاقه وتعامله في المجتمع على أحسن ما يظهر به انسان سويّ ، وعاقل ذكي ، وامرؤ حكيم ، ورجل متوازن ..

وهذا ما حرص عليه الاسلام في وضع المناهج التربوية لتكوين الولد خلقياً . واعداده سلوكياً واجتماعياً ..

واذا كنا نضع لكل مبحث في التربية الاجتماعية خطوطاً عريضة توضح للمربين السبيل ، وتنير لهم الطريق ،

الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أحب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ اذا حضر غذاؤه واذا رفع » .

ب ــ التسمية في أوله والحمد في آخره :

لما روى أبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى ، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل : باسم الله أوله وآخره » .

وروى الامام أحمد وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أكل وشرب قال : « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » .

ج ــ الا يعيب طعاماً قدم اليه :

لما روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط : ان اشتهاه أكله ، وان كرهه تركه » .

د ــ أن ياكل بيمينه ومما يليه :

لما روى مسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : كنتُ غلاماً في حجر[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت يدي تطيش في الصحفَة (تتحرك في الإناء) ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياغلام سَمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » .

هـ ــ الا ياكل متكئاً :

لما فيه من الضرر الصحي وظواهر الكِبر ، روى البخاري عن أبي

---

(١) اي تحت نظره .

الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من أحب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ اذا حضر غداؤه واذا رفع » .

ب ــ التسمية في أوله والحمد في آخره :

لما روى أبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى ، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل : باسم الله أوله وآخره » .

وروى الامام أحمد وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أكل وشرب قال : « الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » .

ج ــ الا يعيب طعاماً قدم اليه :

لما روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط : ان اشتهاه أكله ، وان كرهه تركه » .

د ــ أن ياكل بيمينه ومما يليه :

لما روى مسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : كنتُ غلاماً في حجر[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت يدي تطيش في الصحفَة (تتحرك في الإناء) ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياغلام سَمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » .

هـ ــ الا ياكل متكئاً :

لما فيه من الضرر الصحي وظواهر الكِبر ، روى البخاري عن أبي

---

(١) اي تحت نظره .

جحيفة وهب بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا آكل متكئاً » .

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً مُقْعِياً[1] يأكل تمراً » .

و ــ يستحب التحدث على الطعام :

لما روى مسلم عن جابر رضي الله عنه « أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأُدْمَ ، فقالوا : ماعندنا الا خلّ ، فدعا به فجعل يأكل منه ويقول : نعم الأدم الخل ، نعم الأدم الخل » . وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يتحدث الى أصحابه وهو يأكل على المائدة في أكثر من مناسبة .

ز ــ يستحب أن يدعو لمضيفه اذا فرغ من الطعام :

لما روى أبو داود والترمذي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء الى سعد بن عبادة ، فجاء بخبز وزيت[2] فأكل ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » .

ح ــ ألا يبدأ بالطعام ويوجد من هو أكبر منه :

لما روى مسلم في صحيحه عن حذيفة رضي الله عنه قال : « كنا اذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضع يده » .

ط ــ ألاّ يستهتر بالنعمة :

لما روى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول

(١) المقعي : هو الذي يلصق إليتيه بالأرض وينصب ساقيه .

(٢) عند احمد والطبراني : فقرب اليه زبيباً وهو الصواب ؛ قال الحافظ : وما الزيت الا تصحيفاً عن الزّبيب .

الله صلى الله عليه وسلم اذا أكل طعاماً لَعِقَ أصابعه الثلاث . وقال اذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها وليُمِطْ عنها الأذى وليأكلها ولايدعها للشيطان . وأمرنا أن نسلُتَ القصعةَ . وقال : « انكم لاتدرون في أي طعامكم البركة » .

اما أدب الشراب فهو كما يلي :

أ ـ استحباب التسمية والحمد والشرب ثلاثاً :

لما روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتشربوا واحداً كشرب البعير . ولكن اشربوا مثنى وثلاث ، وسمّوا اذا أنتم شربتم ، واحمَدوا اذا أنتم رفعتم » . أي انتهيتم من الشرب .

ب ـ كراهية الشرب من فم السقاء :

لما روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُشْرَب مِنْ في السقاء أو القربة (أي فمها) ». لمنافاة الشرب للذوق الاجتماعي ، ومخافة أن يكون قد وقع في الماء ما يضر بالصحة .

ج ـ كراهيـــة النفخ في الشراب :

لما روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يُتَنَفَّس في الإناء أو يُنفخَ فيه » . ولايخفى ما في هذا النفخ والتنفس من الأضرار الصحية ،والمنافاة للآداب الاجتماعية ..

د ـ استحباب الشرب والاكل في حال الجلوس :

لما روى مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه نهى أن يشرب الرجل قائماً ، قال قتادة : فقلنا لأنس : فالأكل ؟ قال :

ذلك أشرّ » • وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لايشربنّ أحد منكم قائماً ، فمن نسيَ فليستقىء » (أي يتقيأ) •

وما صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه شرب قائماً فلبيان الجواز . كأن يكون الشارب في حالة يكون الشرب فيها قائماً أفضل من الشرب جالساً كشربه عليه الصلاة والسلام من ماء زمزم تحقيقاً لمبدأ « يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر » •

هـ ـ النهي عن الشرب من آنية الذهب والفضة :

لما روى الشيخان عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الذي يشرب في آنية الفضة فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم» وفي رواية لمسلم : « من شرب في اناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر في بطنه ناراً من جهنم » • لما لاستعمال هذه الآنية من مظهر الكبر والاستعلاء ، وجرح كرامــة الفقــير •

و ـ النهي عن امتلاء المعدة في الأكل والشرب :

لما روى الامام أحمد والترمذي وغيرهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه . فإن كان لابد فاعلا ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنَفَسِه » •

فعلى المربين أن يتقيدوا بهذه الآداب ، وأن يعلموها أولادهم .. ليعتادوها في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس •

٢ ـ أدب الســلام :

للسلام آداب ، فعلى المربي أن يرسخها في الولد ، ويعوده اياها ، وهي مرتبة كما يلي :

أ ــ أن يعلمه أن الشرع أمر بالسلام :

امر الله به في قرآنه حين قال :

« يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها » .

(النور : ٢٧)

« فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على انفسكم تحيةً من عند الله مباركة طيبة ».

(النور : ٦١)

وأمر به عليه الصلاة والسلام في تأديبه لأمته : روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيّ الاسلام خير ؟ قال : « تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا . ولاتؤمنوا حتى تحابّوا . أو لا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

ب ــ أن يعلمه كيفية السلام :

وهو أن يقول المبتدىء بالسلام : « السلام عليكم ورحمة الله وبركاته »، ويقول المجيب بصيغة الجمع : « وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته » ولو كان المسلّم عليه واحداً .

وهذا التعليم لكيفية السلام مستفاد من الأحاديث الصحيحة : روى أبو داود والترمذي عن عمران بن الحصين رضي الله عنهما قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليكم ، فرد عليه ثم جلس ، فقال

النبي صلى الله عليه وسلم « عشر » ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه فجلس ، فقال « عشرون » ، ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليه فجلس ، فقال « ثلاثون » .

وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا جبريل يقرأ عليك السلام » ، قالت : وعليه السلام ورحمة الله وبركاته .

ج ـ أن يعلمه أدب السلام :

وهو تسليم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد ، والقليل على الكثير ، والصغير على الكبير . لما روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يسلم الراكب على الماشي ، والماشي على القاعد . والقليل على الكثير » ؛ وفي رواية البخاري : « يسلم الصغير على الكبير » .

د ـ أن ينهاه عن السلام الذي فيه تشبه بالأجانب :

لما روى الترمذي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس منا من تشبّه بغيرنا . لاتشبهوا باليهود ولا بالنصارى ، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع ، وتسليم النصارى الإشارة بالأكفّ » ، وفي هذا النهي تمييز لخصائص هذه الأمة الاسلامية من الامم الاخرى في آدابها الاجتماعية ، ومزاياها السلوكية والأخلاقية .

هـ ـ على المربي أن يبدأ الأولاد بالسلام :

تعليماً منه وتعويداً ، اقتداء بالمربي الاول عليه الصلاة والسلام حيث كان يسلم على الصبيان اذا مر بهم ؛ روى الشيخان عن أنس رضي الله

عنه « أنه مرّ على الصبيان فسلم عليهم وقال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله » ، وفي رواية لمسلم : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على غلمان فسلم عليهم » • وفي رواية أبي داود « أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ على غلمان يلعبون فسلم عليهم » • وفي رواية ابن السنّي قال لهم : « السلام عليكم يا صبيان » •

و ــ ان يعلمه ان يرد على غير المسلم بلفظ « وعليكم » :

لما روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم » • كما عليه أن يعلمه ألا يبدأ أهل الكفر بالسلام لحديث مسلم « لاتبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام ••• » •

ز ــ أن يعلمه أن الابتداء بالسلام سنة ، والردّ واجب :

لما روى ابن السني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أجاب السلام فهو له ، ومن لم يُجِب فليس منا » •

وروى الترمذي عن أبي أمامة قيل : يا رسول الله ، الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام ؟ قال : أولاهما بالله تعالى ، وفي رواية أبي داود : « ان أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام » •

وعلى المربي أن يعلم الولد أن هناك أحوالا خاصة يكره فيها السلام : من هذه الأحوال : المتوضىء ، ومَن في الحمام ، ومن يأكل ، ومن يقاتل ، وعلى تالٍ للقرآن ، وذاكر لله ، وملبٍّ في الحج ، وخطيب في الجمعة أو غيرها ، وواعظ في مسجد أو غيره ، ومقرر فقه ، ومشتغل في درس ، وباحث في علم ، ومؤذن أو مقيم للصلاة ، ومن على حاجته ، أو مشتغل بالقضاء ،

أو ما شاكل ذلك .. فمن سلّم في حالة لا يُستَحبّ فيها السلام لم يستحق المسَلِّم جواباً .

فعلى المربين أن يتقيدوا بآداب السلام ويعلموها أولادهم . ليعتادوها في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس .

٣ ـ أدب الاستئذان :

وللاستئذان آداب فعلى المربي أن يرسخها في الولد . ويعلمها اياه امتثالا لقوله تبارك وتعالى :

« يا أيها الذين آمنوا ليستأذِنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلُم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاثُ عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوّافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبيّن الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، وإذا بلغ الأطفال منكم الحلُم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم .. » .

(النور : ٥٨ ـ ٥٩)

يأمر الله سبحانه المربين في هذا النص القرآني أن يرشدوا أطفالهم الذين لم يبلغوا سن البلوغ الى أن يستأذنوا على أهليهم في ثلاثة أحوال :

الأول : من قبل صلاة الفجر لأن الناس اذ ذاك يكونون نياماً في فرشهم .

الثاني : وقت الظهيرة (أي القيلولة) لأن الانسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله .

الثالث : من بعد صلاة العشاء لأنه وقت نوم وراحة .

وشرع الاستئذان في هذه الاوقات الثلاثة لما يخشى أن يكون الرجل او المرأة في حالة لا يحب أن يطلع عليها أحد من أولاده الصغار .

أما اذا بلغ الاطفال سن البلوغ والرشد فعليهم أن يستأذنوا في هذه الاوقات الثلاثة وفي غيرها امتثالا لقوله تبارك وتعالى :

« وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم.. »

ولايخفى مافي هذه اللفتات القرآنية من اهتمام الاسلام في تربية الولد اجتماعياً وتكوينه سلوكياً وخلقياً .. حتى اذا بلغ سن الشباب كان النموذج الحي عن الانسان الكامل في أدبه وخلقه . وتصرفه واتزانه ..

وللاستئذان آداب اخرى وهي مرتبة كما يلي :

ا ــ أن يسلم ثم يستأذن :

لما روى أبو داود أن رجلا من بني عامر استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت فقال : أألج ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه : « آخرج الى هذا فعلمه الاستئذان . فقل له : قل : السلام عليكم . أأدخل ؟ فسمعه الرجل فقال : السلام عليكم . أأدخل ؟ فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم فدخل » .

ب ــ ان يعلن عن اسمه او صفته أو كنيته :

لما جاء في الصحيحين في حديث الإسراء المشهور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثم صعد بي جبريل الى السماء الدنيا فاستفتح (قرع الباب) ، فقيل من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومَنْ معك ؟ قال : محمد . ثم صعد بي الى السماء الثانية والثالثة وسائرهن . ويقال في باب كل سماء : مَنْ هذا ؟ فيقول : جبريل » .

وفي الصحيحين عن أبي موسى لما جلس النبي صلى الله عليه وسلم على

بئر البستان ، وجاء أبو بكر فاستأذن ، فقال أبو موسى من ؟ قال : أبو بكر ثم جاء عمر فاستأذن ، فقال : من ؟ قال : عمر ، ثم عثمان كذلك .

وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال : « أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فدققت الباب فقال : مَنْ ذا ؟ فقلت : أنا ، فقال عليه الصلاة والسلام : أنا أنا ؟ كأنه كرهها » .

ج ـ أن يستأذن ثلاث مرات :

لما في الصحيحين عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الاستئذان ثلاث ، فإن أُذِن لك والا فارجع » .

ويحسن أن يكون بين استئذان المرة الاولى والثانية انتظار مقدار صلاة أربع ركعات مظنّة أن يكون المستأذن عليه في صلاة أو في قضاء حاجة ...

د ـ أن لا يدقّ الباب بعنف :

ولاسيما ان كان رب المنزل أباه أو أستاذه أو ذا فضل .. أخرج البخاري في (الأدب المفرد) عن أنس رضي الله عنه « أن أبواب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تقرع بالأصابع » . وكان السلف يقرعون أبواب أشياخهم بالاظافر . وهذا يدل على مبالغتهم في الاحترام والأدب . وهو حسن لمن قرُب محله من بابه ، وأما من بعد عن الباب فيقرع بحسب ما يحصل به المقصود . وأما اذا كان على الباب جرس كما جرى العرف اليوم . فيقرع المستأذن بقرعة خفيفة لطيفة لتدل على لطفه وكرم أخلاقه ومعاملته .

هـ ـ أن يتحوّل عن الباب عند الاستئذان :

مظنّة وقوف امرأة أجنبية أثناء فتح الباب ، والاستئذان شرع من أجل

النظر ، وهذا ما أكده عليه الصلاة والسلام لأصحابه حين قال : — كما روى الشيخان — « انما جعل الاستئذان من أجل البصر » .

وروى الطبراني عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تأتوا البيوت من أبوابها ولكن ائتوها من جوانبها فاستأذنوا . فإن أذن لكم فادخلوا والا فارجعوا » ؛ وروى أبو داود « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول : السلام عليكم ، السلام عليكم » .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من اطلع في بيت قوم فقد حلّ لهم أن يفقؤوا عينه » . وفي رواية للنسائي أنه صلى الله عليه وسلم قال : « من اطلع في بيت قوم ففقؤوا عينه فلا ديّة ولا قصاص » .

و — أن يرجع إذا قال له رب المنزل ارجع :

لقوله تبارك وتعالى :

« يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم » .

(النور : ٢٧ — ٢٨)

وعلى المستأذن ألا يجد في ذلك حرجاً ولا غضاضة لامتثاله أمر الله سبحانه في الرجوع .

قال قتادة : قال بعض المهاجرين : لقد طلبت عمري كله هذه الآية ؛ فما

أدركتها أن أستأذن على بعض اخواني فيقول لي : ارجع ، فأرجع وأنا مغتبط .

هذه أهم القواعد التي وضعها الاسلام في آداب الاستئذان ، فما على المربين إلا أن يتقيدوا بها ، ويعلموها أولادهم ، ليعتادوها في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس .

٤ ـ أدب المجلس :

للمجلس آداب ، فعلى المربي أن يعلمها الولد ، ويرشده اليها ، ويلاحظه عند تطبيقها ، وهي مرتبة كما يلي :

أ ـ أن يصافح من يلتقي بهم في المجلس :

لما روى ابن السني وأبو داود عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : اذا التقى المسلمان ، فتصافحا وحمدا الله تعالى ، واستغفرا غفر الله عز وجلّ لهما » .

وروى الترمذي وابن ماجة وغيرهما عن البراء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل أن يتفرقا » .

وفي الموطأ للامام مالك عن عطاء الخرساني قال : « قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : تصافحوا يذهب الغِلّ (الحقد) ، وتهادوا تحابّوا وتذهب الشحناء » .

ب ـ أن يجلس في المكان الذي يخصصه له رب المنزل :

لكون رب المنزل أعرف بالمكان الذي يجلس فيه ضيفه . وهو صاحب الحق في ذلك ، وقد قيل قديماً « أهل مكة أدرى بشعابها » وقيل حديثاً : « وربّ البيت أدرى بالذي فيه » . وهذا يتفق مع قوله تبارك وتعالى :

« فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم » .

فالضيف ــ كما قررت الآية ــ رهن اشارة مضيفه في كــل شيء حتى الرجوع ، ويتفق مع قوله عليه الصلاة والسلام : « ومن دخل دار قوم فليجلس حيث أمروه فإن القوم أعلم بعورة دارهم » • مجمع الزوائد •

ج ــ أن يجلس في محاذاة الناس لا في وسطهم :

وهذا أدب اجتماعي كريم لأنه اذا جلس في الوسط استدبر بعض الناس بظهره فيؤذيهم بذلك ويسبونه ويلعنونه •

روى أبو داود بإسناد حسن عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليــه وسلم « لعن مــن جلس في وسط الحَلْقَة » ؛ وروى الترمذي عن أبي مِجْلَز « أن رجلا قعد وسط حلقة فقال حذيفة : ملعون على لسان محمد صلى الله عليه وسلم من جلس وسط الحلقة » •

وهذا محمول ان كان في المجلس سعة ، وأما ان كان في المجلس ضيق واضطر الناس أن يجلسوا في الوسط فلا اثم ولا حرج لقوله تبارك وتعالى : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » •

د ــ أن لا يجلس بين اثنين إلا بإذنهما :

لما رواه الترمذي وأبو داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جــده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قــال : « لا يحل لرجــل أن يفرق بين اثنين الا بإذنهما » ، وفي رواية لأبي داود : « لا يجلس بين رجلين الا بإذنهما » •

هـ ــ أن يجلس القادم حيث ينتهي به المجلس :

لما روى أبو داود والترمذي عن جابر بن سمرة رضي الله عنهمــا قال : « كنا اذا أتينا النبي صلى الله عليه وسلم جلس أحدنا حيث ينتهي » •

وهذا محمول ان كان القادم رجلا عادياً ، أما ان كان ذا قـدر من علم ، أو منزلة من جاه • • فلا بأس مـن الحاضرين أو ربّ المنزل أن يضعوه في المكان المناسب لقوله عليه الصلاة والسلام : « أنزلوا الناس منازلهم » ،وسبق أن ذكرنا[1] أن وفد عبد القيس حينما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم كيف رحب بهم ، وأوسع لهم ، وقرب زعيمهم المنذر بن عائذ اليه ، وأقعـده عليه الصلاة والسلام على يمينه بعد أن رحّب به وألطفه •

و ــ ألاّ يتسارّ اثنان في حضرة ثالث في المجلس :

لما روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنـه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا كنتم ثلاثة فـلا يتناجى[2] اثنان دون الثالث من أجل أن ذلك يحزنه » •• والعلة في النهي أن الثالث يظن الظنون ، ويحزن لعدم الاكتراث به ، أما اذا تناجى اثنان دون اثنين أو أكثر فانه يجوز ان لـم يورث ذلك شبهة •

ز ــ من خرج من مجلسه لحاجة ثم رجع اليه فهو أحق به :

لما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اذا قام أحدكم من مجلس ثم رجع اليه فهو أحق به » •

ح ــ أن يستأذن قبل انصرافه من المجلس :

لقوله عليـه الصلاة والسلام ــ كما روى الشيخان ــ : « انما جعـل الاستئذان من أجل البصر » ، وهذا يشمل استئذان الدخول ، واستئـذان الانصراف •• وهذا غاية ما حرص عليه الإسلام في الحفاظ على حرمة البيوت. وصيانة الأعراض والحرمات ••

---

(١) ذكرنا ذلك في مبحث « حق الكبير » فارجع اليه ص ٤٢٧ .

(٢) يتناجى اثنان : يتكلمان سراً .

ط ـ أن يقرأ دعاء كفارة المجلس :

لما روى الحاكم عن أبي برزة رضي الله عنــه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يقوم من المجلس قال : « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك » ، فقال رجــل يا رسول الله إنــك لتقول قولا ما كنت تقوله فيما مضى ؟ قال : « ذلك كفارة لما يكون في المجلس » •

هذه أهم القواعد التي وضعها الاسلام في آداب المجلس ، فما على المربــين إلا أن يلتزموها ، ويتقيدوا بها ، ويعلموها أولادهــم ، ليعتادوهــا في حياتهــم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس •

٥ ـ أدب الحـــديث :

ومن الآداب الاجتماعية الهامــة التي ينبغي على المربــين أن يعيروهــا اهتمامهم تعويد الولد منـــذ الصغر على أدب الكلام ، وأسلوب الحـــديث ، وأصول الحـــوار •• حتى اذا ترعرع الولد ، وبلـــغ سن البلوغ عرف كيف يحدث الناس ، وكيف يستمع منهم ؟ وعلم كيف يحاورهم ويدخل الســرور عليهـــم ؟

وهذه جملة آداب من أدب الحديث نسردها لتكون للمربين تبصرة وذكرى:

أ ـ التكلم باللغة العربية الفصحى :

لكون اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ، ولغة نبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ولغـــة الرعيل الأول من أصحابه الكرام رضوان الله عليهـــم أجمعين ، ولغة من تبعهم بإحسان الى يوم الدين •

فمن الجحود لهذه اللغة أن نعدل عنها ، ونتكلم بلغة عامية لا تمت الى

العربية بصلة ولا بنسب ؛ وزينة الانسان فصاحةِ لسانه ، وجمال الرجل حلاوة منطقــه ..

روى الحاكم في مستدركه عن علي بن الحسين رضي الله عنهما : أقبل العباس رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلّتان ، وله ضفيرتان ، وهــو أبيض ، فلما رآه تبسّم ، فقــال العباس : يا رسول الله ما أضحكك ؟ أضحك الله سنّك ، فقال : « أعجبني جمال عمّ النبي » صلى الله عليه وسلم ، فقال العباس : ما الجمال ؟ قال : «اللسان» ؛ وعندالعسكري: ما الجمال في الرجل ؟ قال : « فصاحة لسانه » .

روى الشيرازي والديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنــه قال : قلنــا : يا رسول اللهما رأينا أفصحمنك ؟ قال : « إن الله تعالىلم يخلقني لحّاناً ، اختار لي خير الكلام : كتابَه القرآن » .

ب ـ التمهّل بالكلام أثنــاء الحديث :

ومن أدب الحديث التمهــل في الكلام حتى يفهم المستمع المراد منــه ، ويعقل مَن في المجلس مغزى الحديث ويتدبروه ، وهــذا ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم تعليماً لأمته ؛ روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها : « ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يســرد الحديث كسردكم هــذا ، يحدّث حديثاً لو عــدّه العادّ لأحصاه » وزاد الإسماعيلي في روايته : « انما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما تفهمه القلوب » .

وروى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان كلامه صلى الله عليه وسلم فصلا يفهمه كل من سمعه » .

ج ـ النهي عن التكلف في الفصاحة :

ومن أدب الحديث الابتعاد عن التنطّع في الكلام ، والتكلف في فصاحة

اللسان . لما روى أبو داود والترمذي بالسند الجيد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل يُبغض البليغ من الرجال : الذي يتخلل بلسانه كما تتخلّل البقر بلسانها »[1] .

وفي الصحيحين عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان اذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه ، واذا أتى على قوم فسلّم عليهم .. وكان صلى الله عليه وسلم يتكلم بكلام فصل لا هزْرَ[2] ولا نَزْر ، ويكره الثرثرة في الكلام والتشدّق به (أي التكلّف) » .

د ـ المخاطبة على قدر الفهم :

ومن أدب الحديث أن يتحدث المتكلم بأسلوب يناسب ثقافة القوم . ويتفق مع عقولهم وأفهامهم وأعمارهم لقوله عليه الصلاة والسلام : « أمرنا معاشر الأنبياء أن نحدث الناس على قدر عقولهم »[3] .

وفي صحيح البخاري عن علي موقوفاً : «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكذّب الله ورسوله » .

وفي مقدمة صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « ما أنت بمحدّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » .

وللديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه : « لاتحدثوا أمتي من أحاديثي الا ما تحمله عقولهم ، فيكون فتنة عليهم » .

---

(١) قال في النهاية : « هو الذي يتشدق في الكلام ، ويفخم به لسانه ويلفه ، كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفاً » اهـ .

(٢) الهزر والنزر : الكثير والقليل .

(٣) رواه الديلمي بسند ضعيف وله شواهد كثيرة مما رفع الحديث الى مرتبة الحسن لغيره ، ارجع الى كتاب « كشف الخفاء » للعجلوني لفظ «أمرنا» .

هـ ــ التحدث بما لا يخلّ ولا يملّ :

ومن أدب الحديث إعطاء الحديث حقه حيث لا يصل الأمر الى الاختصار المخلّ . ولا الى التطوال المملّ . ليكون الحديث أوقع في نفوس السامعين. وأشوق الى قلوبهم •• روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : كنت أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت صلاته قصداً ، وخطبته قصداً. (أي وسطاً) • وروى الامام أحمد وأبو داود من حديث حكيم ابن حزام رضي الله عنه قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة ، فقام متوكئاً على عصا ــ أو قوس ــ فحمد الله وأثنى عليه ، فكانت كلمات خفيفات طيبات مباركات •

وفي الصحيحين : « كان ابن مسعود يذكرنا في كل خميس ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكّرتنا كل يوم ، فقال : أما انه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملّكم ، واني أتخوّلكم (أتعهدكم) بالموعظة كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوّلنا مخافة السآمة علينا » •

ولا بأس بالاستشهاد بشواهد الشعر ، وطرائف الحكمة ، لقول علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه : « إنّ القلوب تملّ كما تملّ الابدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة » •

و ــ الاصغاء التام الى المتحدث :

ومن أدب الحديث الإصغاء التام الى المتحدث ، ليَعي السامع ما يقول، ويستوعب ما يحدث •• فكان الصحابة حينما يحدثهم النبي صلى الله عليه وسلم بحديث كأنّ على رؤوسهم الطير من فرط المهابة ، وشدة الاهتمام ••

وفي مقابل هذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يُصغي كل الإصغاء الى من يحدثه أو يسأله ، بل يقبل عليه بكليته ويلاطفه ، روى أبو داود عن أنس

رضي الله عنه قال : ما رأيت رجلا التقم أذُن النبي صلى الله عليه وسلم — يعني يكلّمه سراً — فينحّي رأسه عنه (أي يرفعه عنه) حتى يكون الرجل هو الذي يُنحّي رأسه . وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيد رجل فترك يده ، حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده .

ز — اقبال المتحدث على الجلساء جميعا :

ومن أدب الحديث أن يقبل المتحدث بنظراته وتوجيهاته على الجلساء جميعاً ، حيث يشعر كل فرد منهم أنه يريده ويخصّه .

روى الطبراني بإسناد حسن عن عمرو بن العاص قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثه على شرّ القوم ، يتألفه بذلك . وكان يقبل بوجهه وحديثه عليّ حتى ظننت أني خير القوم ، فقلت : يا رسول الله أنا خير أم أبو بكر ؟ فقال : أبو بكر ، قلت يا رسول الله أنا خير أم عمر؟ قال : عمر . قلت يا رسول الله أنا خير أم عثمان ؟ قال : عثمان ، فلما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم صدّ عني ، فودِدْتُ أني لم أكن سألته .

ح — مباسطة الجلساء أثناء التحدث وبعده :

ومن أدب الحديث مباسطة المتحدث جلساءه أثناء الحديث وبعده ، حتى لايشعروا بالسأم ، ولا ينتابهم الملل أثناء الحديث .

روى الامام أحمد عن أم الدرداء رضي الله عنها قالت : كان أبو الدرداء اذا حدّث حديثاً تبسّم ، فقلت : لا ، يقول الناس : انك أحمق — أي بسبب تبسمك في كلامك — فقال أبو الدرداء : ما رأيت أو سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدّث حديثاً الا تبسّم ، فكان أبو الدرداء اذا حدث حديثاً تبسم اتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك .

وروى مسلم عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة رضي الله

عنه : أكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال جابر : نعم كثيراً. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقوم من مصلاّه الذي فيه يصلي الصبح حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت قام ، وكانوا يتحدثون — والرسول جالس — فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون، ويتبسم صلى الله عليه وسلم.

هذه أهم القواعد التي وضعها الاسلام في آداب الحديث ، فما على المربين الا أن يأخذوا بها ، ويعلموها أبناءهم ، ليعتادوها في حياتهم الاجتماعية وفي تعاملهم مع الناس .

٦ — أدب المـــزاح :

ما أجمل المسلم في الحياة حينما يجمع مع الجدّ — الذي يسعى اليه — روح الدعابة ، وفكاهة الحديث ، وعذوبة المنطق ، وطرافة الحكمة !!..

وما أحسنه وأكرمه حينما يملك القلوب بجاذبية حديثة ، ويأسر النفوس بلطيف معشره ، وكريم مداعبته !!.. ذلك لأن الاسلام بمبادئه السمحة يأمر المسلم أن يكون آلفاً مألوفاً بسّاماً مرحاً خلوقاً ، كريم الخصال ، حميد الفعال ، حسن المعشر .. حتى اذا خالط الناس ، واجتمع بهم ، رغبوا به ، وانجذبوا اليه ، والتفوا حوله .. وهذا غاية ما يحرص عليه الاسلام في تربية الأفراد ، وتكوين المجتمعات ، وهداية الناس ..

ولكن هل للمسلم أن ينطلق في المرح والمداعبة والمزاح كما يشاء وحيث أراد أم لهذا آداب وضوابط ؟

نعم للمزاح والمداعبة آداب وضوابط وهي مرتبة كما يلي :

أ — عدم الاكثار منه والافراط فيه :

لما روى البخاري في (الأدب المفرد) والبيهقي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لست من دَدٍ ، ولا الدّدُ مني » أي : لست من أهل اللعب واللهو ، ولا هما مني .

لأن الاكثار من المزاح . والإفراط في المرح والمداعبة يخرج المسلم عن مهمته الاساسية التي خلق من أجلها ألا وهي عبادة الله . واقامة حكم الله في الأرض . وتكوين المجتمع الصالح .. والصحابة الكرام الذين تربوا فيمدرسة النبوة كانوا يتمازحون فيما بينهم ولكن اذا جدّ الجد كانوا هم الرجال ، روى البخاري في (الأدب المفرد) : « كان أصحاب النبي صلى الله عليهوسلم يتبادحون (يترامون) بالبطيخ ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال » .

وفي الإكثار من المزاح كذلك اماتة للقلب ، وتوريث للعداوة ، وتجريء للصغير على الكبير ، وقد قال عمر رضي الله عنه : « من كثر ضحكه قلّت هيبته ، ومن مزح استُخِفّ به » .

ب ــ عدم الأذى فيه والاساءة لأحد :

فالمزاح مندوب اليه بين الأهل والاقرباء ، والإخوان والاصدقاء بشرط ألا يكون فيه أذى لأحد ، أو استخفاف بمخلوق ، أو حزن للغير ..

واليكم طرفا من هديه عليه الصلاة والسلام في نهيه الأصحاب عن المزاح الذي فيه اساءة :

ــ في (سنن أبي داود) و (الترمذي) : عن عبد الله بن السائب عنأبيه عن جده أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يأخذنّأحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً ، ومن أخذ عصا أخيه فليردّها » .

ــ وروى أبو داود عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : حدثنا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يسيرون مع النبي صلى الله عليهوسلم، فنام رجل منهم ، فانطلق بعضهم الى حبل معه فأخذه ، ففزع ، فقال رسولالله صلى الله عليه وسلم : « لا يحلّ لمسلم أن يروّع مسلماً » .

– وفي يوم الخندق كان زيد بن ثابت رضي الله عنه ينقل التراب مع المسلمين فنعس . فجاء عمارة بن حزم فأخذ سلاحه ، وهو لا يشعر . فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

– وروى البزار والطبراني وابن حبان عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه أن رجلا أخذ نعل رجل ، فغيّبها وهو يمزح ، فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لاتروّعوا المسلم . فإن روعة المسلم ظلم عظيم » .

فما بالك بالذي يستهزيء مازحاً ، ويغتاب مازحاً ، ويحقّر مازحاً . وينتهك حرمة الدين مازحاً ، فإنه آثم وواقع في الحرام من حيث يعلم أو لا يعلم ؟!!..

ج – تجنب الكذب وقول الزور :

كثير ممن يتصدرون المجالس ويمزحون يلفقون القصص المضحكة ، والحكايات المثيرة لإضحاك الناس ، ومباسطتهم ، وادخال السرور عليهم .. ولاشك أنهذه التلفيقات من الكذب أو الزور .. وهي مما نهى الاسلام عنه . وهدّد الرسول عليه الصلاة والسلام من يفعلها ، روى أبو داود والترمذي والنسائي والبيهقي عن بَهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذبَ ويل له ، ويل له » .

– وروى أحمد وأبو داود عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كبُرتْ خيانة أن تُحدّث أخاك حديثاً هو لك مصدّق ، وأنت له كاذب » .

– وروى أحمد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن العبدُ الإيمان كله حتى يترك الكذِب في المَزاحة ، والمِراء (الجدال) وإن كان صادقاً » .

ومن البدع الشائعة في بلادنا بدعة العادة الفاشية بين الناس المسماة بـ « كذبة نيسان » .. وهي بدعة قبيحة ممقوتة ذميمة أخذناها عن الغربيين وليست من أخلاقنا الاسلامية ، وتقاليدنا الصالحة .. ولا شك أنها من الكذب المحرم . والزّور السافر ، والمزاح الباطل ..

واذا كان عليه الصلاة والسلام يعطي أصحابه القدوة الصالحة في كل شيء **فاليكم نماذج من مزاحه صلى الله عليه وسلم ، لنعرف كيف يمزح ولايقول الا حقـا :**

ـ روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهراً ، وكان يُهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم هدية من البادية. فيجهزه النبي صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يخرج الى البادية . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ان زاهراً باديتنا ونحن حاضِروه » . وكان النبي يحبه ، وكان زاهر رجلا دميماً . فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وهو يبيع متاعه . فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره . فقال زاهر : مَنْ هذا ؟ أرسلني . فالتفت زاهر فعرف النبي صلى الله عليه وسلم . فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه . فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من يشتري هذا العبد ؟ » ، فقال : يا رسول الله اذاً والله تجدُني كاسداً . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لكن عند الله لست بكاسد أو قال : أنت عند الله غالٍ » .

ـ وفي (سنن أبي داود) عن عوف بن مالك الأشجعي قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك . وهو في قبة من أدم (من جلد)

ـ صغيرة ـ فسلّمت فردّ ، وقال : « أدخُلْ » فقلت : أكلّي يا رسول الله؟ قال : « كلّك » فدخلت .

ـ وروى الترمذي وأحمد عن أنس رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستحمله ـ أي يطلب منه دابة ـ فقال له صلى الله عليه وسلم. « اني حاملك على ولد الناقة » (ظنّ الصغير) فقال : يا رسول الله ماأصنع بولد الناقة ؟ فقال : « وهل يلد الإبل الا النوق » ؟

ـ وروى ابن بكار عن زيد بن أسلم أن امرأة يقال لها أم أيمن الحبشية، جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إنّ زوجي يدعوك ، فقال: « من هو ؟ أهو الذي بعينيه بياض ؟ » فقالت : ما بعينيه بياض ، فقال : « بلى بعينيه بياض » ، فقالت : لا والله ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما من أحد الا « بعينيه بياض » . (ويقصد البياض المحيط بحدقة العين) .

ـ وروى الترمذي عن الحسن البصري رضي الله عنه قال : أتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ادعُ الله أن يدخلني الجنة ، فقال : « يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز » قال : فولّت ـ أي ذهبت ـ وهي تبكي ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أخبروها أنها لاتدخلها وهي عجوز ، ان الله تعالى يقول :

((انا انشأناهنّ انشاءً ، فجعلناهنّ أبكاراً عُرباً أترابا[1]))

ويقصد أنها تدخل الجنة وهي شابة .

فما على المربين الا أن يأخذوا بهدي النبي عليه الصلاة والسلام في ادب المزاح ، ويعلموها ابناءهم ، ليعتادوا في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع النـاس .

---

(١) والمراد انهن مستويات في سن واحد ، العُرب : المفصحة عن محبة زوجها ، والأتراب : الفئة التي يكون أفرادها في سن واحدة .

٧ ـ أدب التهنئــة :

ومن الآداب الاجتماعية التي يجب مراعاتها في اعداد الولد تربويـاً . وتكوينه اجتماعياً •• تعويده على أدب التهنئة، وتعريفه على كيفيتها وأصولها. لتنمو في شخصيته نزعة حب الاجتماع ، وتتوثق روابط المحبة والأخوة مع من يصلهم ، ويلتقي معهم ، ويرتبط بهم •• واذا كانت المناسبـات التي يعتادها الناس في التهاني كثيرة •• فعلى المربين بشكل عام ، والآباء بشكل خاص أن يصحبوا تلامذتهـم وأولادهم الى من يقدمون اليـه أحرّ التهاني بمناسبة سعيدة ، أو فرح ميمون•• حتى تنطبع الحالة والكيفية في قلوبهم وذاكرتهم•• فتصبح في نفوسهم مع الأيام خلقاً وعادة ••

واذا كان لابد من أي عمل صالح يقوم به المسلم في الحياة ، من ثمرة يجنيها ، ومن مثوبة عند الله ينالها •• فإن تهنئة المسلم ، وملاطفته ، وادخال السرور عليه هو من أعظم القربات في نظر الاسلام ، وأحب الاعمال الى الله بعد الفرائض ، بل هو من موجبات المغفرة ، والطريق الى الجنة •

ـ روى الطبراني في (الصغير) عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : « من لقي أخاه بما يحب ليسرّه بذلك سرّه الله عز وجل يوم القيامة » •

ـ وروى الطبراني في (الكبير) عن الحسن بن علي رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان من موجبات المغفرة ادخالك السرور على أخيك المسلم » •

ـ وروى الطبراني في (الأوسط والكبير) عـن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أحب الاعمال الى الله تعالى بعد الفرائض ادخال السرور على المسلم » •

ـ وروى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : « من أدخل على أهل بيت من المسلمين سروراً لم يرضَ الله له ثواباً دون الجنة » .

وللتهنئة آداب نلخصها فيما يلي :

أ ــ اظهار الفرح والاهتمام في مناسبة التهنئة :

لما جاء في الصحيحين في قصة توبة كعب بن مالكٍ رضي الله عنه ، قال كعب : « سمعت صوت صارخ يقول : بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر ، فذهب الناس يبشروننا ، وانطلقت أتأمّم (أقصد) رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئونني بالتوبة ، ويقولون : « لِيَهْنِك توبة الله تعالى عليك » حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس ، فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني ، وكان كعب لا ينساها لطلحة ، قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ــ وهو يبرق وجهه من السرور ــ : أبشر بخيرِ يومٍ مرّ عليك منذ ولدتك أمك »[1] .

ب ــ التلفظ في المناسبة بعبارات لطيفة وأدعية مأثورة :

السنة النبوية أرشدتنا الى كلمات بالتهنئة لطيفة ، وجمل من الدعاء رقيقة وطريفة ، على المسلم أن يتعلمها ، ويحسن أداءها ، ليقوم على تطبيقها في الوقت المناسب ، ولا بأس أن نأتي على بعض هذه الطرائف والكلمات التي أرشد النبي عليه الصلاة والسلام اليها ، وأُثِرَتْ عن أصحابه الكرام والسلف الصالح :

---

(١) تتلخص قصة كعب انه تخلف عن غزوة تبوك من غير عذر ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بمقاطعته خمسين يوما ، وبعد الخمسين نزلت الايات في توبته وتوبة صاحبيه ، وكان ماكان من أمر التهنئة . ارجع الى رياض الصالحين تجد القصة بتمامها في باب « التوبة » .

١ ـ تهنئة من ولد له مولود :

يستحب أن يقال له : « بورك لك بالموهوب ، وشكرت الواهب ، ورزقت برّه ، وبلغ أشدّه » .

ويستحب أن يردّ المهنيء فيقول : « بارك الله لك ، وبارك عليك ، ورزقك الله مثله » .

وهذه العبارات مروية عن سيدنا الحسين بن علي ، والامام الحسن البصري رضي الله عنهم .

٢ ـ تهنئة لمن قدم من سفر :

يستحب أن يقال له : « الحمد لله الذي سلّمك ، وجمع الشمل بك وأكرمك » ، مروي عن السلف .

٣ ـ تهنئة لمن قدم من الجهاد :

يستحب أن يقال له : « الحمد لله الذي نصرك ، وأعزك وأكرمك » .
لما روى مسلم والنسائي وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزو ، فلما دخل استقبلته فأخذت بيده فقلت : « الحمد لله الذي نصرك ، وأعزك ، وأكرمك » ، ولا بأس أن يقال له كذلك : « الحمد لله الذي سلّمك ، وجمع الشمل بك وأكرمك » .

٤ ـ تهنئة لمن قدم من حج :

يستحب أن يقال له : « قبل الله حجّك ، وغفر ذنبك ، وأخلف نفقتك » ؛
لما روى ابن السني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « جاء غلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اني أريد الحج ، فمشى معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا غلام ، زوّدك الله التقوى ، ووجهك في الخير ، وكفاك الهمّ . فلما رجع الغلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يا غلام قبل الله حجّك ، وغفر ذنبك ، وأخلف نفقتك » .

٥ ـ تهنئة عقد النكاح :

يستحب أن يقال لكل من الزوجين بعد النكاح : « بارك الله لك ، وبارك عليك ، وجمع بينكما في خير » ؛ لما روى أبو داود والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رفّأ الانسان اذا تزوج قال : بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير» .

ويكره أن يقال له : « بالرّفاء[1] والبنين » ، لأن ذلك من تهاني الجاهلية ، روى أحمد والنسائي وغيرهما عن عقيل بن أبي طالب أنه تزوج امرأة من جشم ، فدخل عليه القوم ، فقالوا : بالرّفاء والبنين ، فقال : لاتفعلوا ذلك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ، قالوا : فما نقول يا أبا زيد ؟ قال : قولوا : بارك الله لكم ، وبارك عليكم ، انا كذلك كنا نؤمر .

٦ ـ التهنئة بالعيد :

يستحب أن يقول المسلم للمسلم بعد صلاة العيد : « تقبل الله منا ومنك » .

قال في (المقاصد) مروي في العيد : أن خالد بن معدان لقي واثلة بن الأسقع في يوم عيد فقال له : « تقبل الله منا ومنك » ، فقال له مثل ذلك ، وأسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم .

٧ ـ تهنئة من صنع اليه معروفا :

يستحب أن يقال لمن صنع اليه معروفاً : « بارك الله لك في أهلك ومالك ، وجزاك الله خيراً » ؛ لما روى النسائي وابن ماجه عن عبد الله بن أبي

---

(١) الرفاء : بكسر الراء وبالمد : وهو الاجتماع .

ربيعة قال : « استقرض النبي صلى الله عليه وسلم مني أربعين ألفا . فجاءه مال فدفعه الي وقال: «بارك الله في أهلك ومالك، انما جزاء المُسْلِف (المقرض) الحمد والثناء » .

وروى الترمذي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ صُنع اليه معروف فقال لفاعله : « جزاك الله خيراً » . فقد بلغ في الثناء » .

والأفضل في حق المهنِّيء أن يتقيد بالمأثور . واذا أحب أن يزيد بتعابير من عنده فيها رقة ولطافة ، ودعاء .. فله ذلك بشرط ألا تكون هذه التعابير مقتبسة من أصل أجنبي ، ومأخوذة من تقليد جاهلي لتتّسم بالتميّز العقيدي. والأصالة الاسلامية ..

ج ـ تستحب المهاداة مع التهنئة :

ومن الامور المستحبة في التهنئة تقديم الهدية لأهل المولود أو القادم من سفر أو الذي دخل ليلة الزفاف أو غيرها من المناسبات للأحاديث التي تحض على المهاداة وترغب فيها :

ـ روى الطبراني والعسكري عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : «تهادوا وهاجروا تورثوا أبناءكم مجداً ، وأقيلوا الكرام عثراتهم » .

ـ وللطبراني في (الأوسط) عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا نساء المؤمنين تهادين ولو فرسن[1] شاة فإنه ينبت المودة ، ويذهب الضغائن » .

---

(١) فرسن شاة : ظلف شاة (اي المقدم) .

ـ وروى البخاري في (الأدب المفرد) وأحمد •• عن أبي هريرة مرفوعاً: « تهادوا فإن الهدية تذهب وَحَرَ[1] الصدر » •

ـ وللديلمي عن أنس مرفوعاً : « عليكم بالهدايا فإنها تورث المودة . وتذهب الضغائن » •

ـ وروى الطبراني في (الأوسط) عن عائشة مرفوعاً : « تهادوا تحابّوا » •

فإذا كانت هذه الأحاديث تؤكد ظاهرة المهاداة بين أبناء المجتمع فيغير المناسبات•• فتأكيدها المهاداة في مناسبات التهنئة والأفراح أظهر وأبلغ•• لما لهذه المهاداة من أثر بالغ في تماسك الأمة ، ووحدة الجماعة ، وزرع بذور المحبة أو الإخاء والصفاء في تربية المجتمع المسلم ، والشعب المؤمن ••

فما على المربين الآن يرسخوا أدب التهنئة في أسرهم وأولادهم ، حتى يعتادوها في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس ..

٨ ـ أدب عيادة المريض :

ومن الآداب الاجتماعية الهامة التي يجب على المربين أن يعيروها اهتمامهم، ويعوّدوها أطفالهم أدب عيادة المريض ، لتتأصل في نفس الطفل منذ نعومة أظفاره ظاهرة المشاركة الوجدانية، وظاهرة التحسس بآلام الآخرين ، ولا يخفى أن هذه الظاهرة اذا نمت وتعمّقت في نفوس الصغار منذ نشأتهم درجوا على الحب والإيثار والتعاطف •• بل تصبح هذه المعاني في نفوسهم خلقاً وعادة •• فلا يقصرون في حق ، ولا يتقاعسون عن واجب •• بل يشاركون أبناء المجتمع في سرائهم وضرائهم، ويتحسسون آمالهم وآلامهم، ويقاسمونهم

---

(١) وحر الصد : غشه وحقده .

أفراحهم وأحزانهم •• وهذا لعمري غاية ما يحرص عليه الاسلام في تكوين المجتمع ، وتربية الأفراد •• على خصال الخير، ومبادىء الفضيلة والأخلاق ••

من أجل هذا كله أمر الاسلام بعيادة المريض . بل جعل هذه العيادة من حق المسلم على المسلم :

– روى الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله عنهما : « أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وتشميت العاطس، وابرار المقسم ، ونصرة المظلوم ، واجابة الداعي ، وافشاء السلام » •

وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، واجابة الدعوة ، وتشميت العاطس » •

ومن أجل هذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يتسابقون الى الخيرات. والتي منها عيادة المريض ليحظوا بالجنة في مقعد صدق عند مليك مقتدر ؛ روى البخاري في (الأدب المفرد) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أصبح اليوم منكم صائماً ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : من عاد منكم اليوم مريضاً ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال من شهد منكم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : من أطعم اليوم منكم مسكيناً ؟ قال أبو بكر : أنا » ، قال « مروان » أحد رواة الحديث : بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما اجتمعت هذه الخصال في رجل الا دخل الجنة » •

ولعيادة المريض آداب نرتبها فيما يلي :

ا – المسارعة الى عيادته :

لقوله عليه الصلاة والسلام : « اذا مرض فعده » ، فينبغي أن تكون العيادة – كما دل عليه الحديث – من أول المرض •

ولكن هناك أحاديث تدل على أن العيادة بعد ثلاثة أيام ، فمن هـذه الأحاديث :

ما رواه ابن ماجه والبيهقي قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم لايعود مريضاً الا بعد ثلاث » .

وروى الطبراني في (الأوسط) عن ابن عباس رضي الله عنهما : «العيادة بعد ثلاث سُنّة » .

ومما يروى عن الأعمش : « كنا نقعد في المجلس فإذا فقدنا الرجل ثلاثة أيام سألنا عنه فإن كان مريضاً عدناه » ؛ وللتوفيق بين هذه الأحاديث أقول : اذا كان المرض خطيراً فالمسارعة مطلوبة ، وأما اذا كان عادياً فبعد ثلاثة أيام لما ورد .

ب ـ تخفيف العيادة أو اطالتها على حسب المريض :

فإن كان المريض في حالة خطيرة يحتاج الى من يتعهده ويقوم على أمره ولا سيما النساء فالعيادة ينبغي أن تكون خفيفة للغاية ؛ وان كان المريض في حالة مرضيّة ، يستأنس بالذين يجلسون معه ، ويتحدثون اليه فلا بأس بالإطالة المعتدلة .. أما الدخول الى المريض فالأفضل أن يكون يوماً بعد يوم ان كانت حالة المريض حسنة ؛ للحديث الذي رواه البزار والبيهقي والطبراني والحاكم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « زُرْ غِبّاً[1] تزدد حبّاً » .

وما أحسن قول ابن دريد :

عليكَ بإغباب[2] الزيارة انها
إذا كثرتْ كانت الى الهجر مسلكا

---

(١) غبا : الغب الزيارة فترة بعد فترة ، وقيل اسبوعا بعد اسبوع .
(٢) باغباب : باقلال .

فإني رأيتُ الغيثَ يُسأم دائباً
ويُسأل بالأيدي اذا هو أمسكا

ج ـ الدعاء للمريض عند الدخول عليه :

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول : « اللهم ربَّ الناس . أذهب البأس (المرض) ، اشفِ أنت الشافي ، لاشفاء الا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً » .

وروى أبو داود والترمذي والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من عاد مريضاً لم يحضره أجله فقال عنده سبع مرات : « أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم أن يشفيَك » الا عافاه الله من هذا المرض .

د ـ تذكير المريض بوضع يده على موضع الألم والدعاء لنفسه بالمأثور :

لما روى مسلم عن أبي عبد الله عثمان بن أبي العاص أنه شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعاً يجده في جسده ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ضع يدك على الذي يألم من جسدك وقل : بسم الله ـ ثلاثاً ـ وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » .

هـ ـ استحباب سؤال اهل المريض عن حاله :

لما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي توفي فيه عليه الصلاة والسلام ، فقال الناس : يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : « أصبح بحمد الله بارئاً » .

و ـ استحباب قعود العائد عند راس المريض :

لما روى البخاري في (الأدب المفرد) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عاد المريض جلس عند رأسه ثم قال سبع مرات : « أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيَك » . فان كان في أجله تأخير عوفي من وجعه .

ز ـ استحباب تطييب نفس المريض بالشفاء والعمر الطويل :

لما روى الترمذي وابن ماجه عن أبي سعد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا دخلتم على مريض فنفّسوا له في أجله (بطول العمر) ، فان ذلك لايردّ شيئاً ، ويطيّب نفسه »، ويقال له : « لابأس طَهور ان شاء الله » كما جاء في حديث ابن عباس .

ح ـ استحباب طلب العوّاد الدعاء من المريض :

لما روى ابن ماجه وابن السني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا دخلت على مريض فمره فليدعْ لك ، فإن دعاءه كدعاء الملائكة » .

ط ـ تذكيره بلا اله الا الله ان كان في حال الاحتضار :

لما روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقّنوا موتاكم لا اله الا الله » .

وروى أبو داود والحاكم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة » .

هذه أهم الاداب التي شرعها الاسلام في عيادة المريض ، فعلى المربين ان يقوموا على تنفيذها ، ويعلّموها أبناءهم حتى يعتادوها في حياتهم الاجتماعية ، وفي تعاملهم مع الناس !!..

٩ ـ ادب التعزيـة :

ومن الآداب الاجتماعية التي يجب على المربين أن يعتنوا بها ويهتموا لها آدب التعزية لمن مات لهم ميت أو فقدوا عزيزاً غالياً .. ومعنى التعزية تصبير أهل الميت بكلمات لطيفة أو بعبارات مأثورة تسلي المصاب ، وتخفف حزنه . وتهوّن عليه المصيبة . والتعزية مستحبة ولو كان ذمياً لما روى ابن ماجه والبيهقي عن عمرو بن حزم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «ما من مؤمن يعزّي أخاه بمصيبته الا كساه الله عز وجل من حُلل الكرامة».

وروى الترمذي والبيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ عزّى مصاباً فله مثل أجره » .

وينبغي أن تكون التعزية لجميع أهل البيت وأقاربه الكبار والصغار ، والرجال والنساء[1] .. سواء أكان ذلك قبل الدفن أو بعده الى ثلاثة أيام ، الا اذا كان المعزّي أو المعزّى غائباً فلا بأس بالتعزية بعد الثلاث .

وللتعزية آداب اهمها :

أ ـ التلفظ بالمأثور ان أمكن :

يقول الامام النووي في كتابه (الأذكار) : وأحسن مايعزّى به ، مارويناه في صحيحي البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : « أرسلت

(١) استثنى العلماء المراة الشابة فقالوا : لايعزيها الا محارمها .

احدى بنات النبي صلى الله عليه وسلم اليه تدعوه وتخبره أن صبياً لها في الموت ، فقال لمن أرسلته : ارجع اليها فأخبرها (أن لله ماأخذ ، وله ما أعطى . وكل شيء عنده بأجل مسمى) ، فمرها فلتصبر ولتحتسب •• » •

ويقول الإمام النووي : وأما لفظ التعزية فلا حجر فيه . فبأي لفظ عزّاه حصلت ، واستحب أصحابنا أن يقول في تعزية المسلم للمسلم : « أعظم الله أجرك ، وأحسن عزاءك ، وغفر لميتك » ؛ وفي تعزية المسلم بالكافر : « أعظم الله أجرك ، وأحسن عزاءك » ؛ وفي تعزية الكافر بالمسلم : « أحسن الله عزاءك ، وغفر لميتك » ؛ وفي تعزية الكافر بالكافر : « أخلف الله عليك » •

ب ـ استحباب صنع الطعام لاهل الميت :

استحب الشرع الاسلامي صنع الطعام لأهل الميت لأنه من البر والإحسان وتقوية الصلات الاجتماعية ، ولأن أهل الميت مشغولون بصاحبهم ، ومكلومون بمصابهم ، روى أبو داود وابن ماجه والترمذي عن عبد الله بن جعفر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اصنعوا لآل جعفر طعاماً[1] ، فإنه قد أتاهم أمر يشغلهم » • واتفق الأئمة على كراهة صنع أهل الميت طعاماً للناس يجتمعون عليه لحديث جرير قال : « كنا نعد الاجتماع الى أهل الميت ، وصنيعة الطعام بعد دفنه من النياحة »[2] .

وأما مايفعله بعض الناس اليوم من صنع طعام ، أو تقديم ضيافة أثناء

---

(١) أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا بعد ان أعلم آل جعفر بمقتل جعفر بن أبي طالب في غزوة مؤتة .

(٢) استثنى الفقهاء من يحضر من اماكن بعيدة للتعزية ؛ ولايمكن لاهل الميت الا ان يضيفوه .

التعزية فمن البدع السيئة التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وعلى المعزّي أن يرفض أي ضيافة تقدم اليه لكونها تتنافى مع الهدي النبوي ، والأدب الاسلامي .

ج ـ اظهار التاسي لمن يواسيهم ويعزيهم :

وذلك بالتخشع عند الإنصات الى القرآن الكريم ، والتحدث بأحاديث تتفق مع المصيبة . والتلفظ بألفاظ التعزية المأثورة ، والمروية عن السلف ، الى غير ذلك مما يتفق مع هـول المناسبة ، وترتبط بالتعزية ..

أما أن يبتسم ، أو يضحك ، أو يلغو بكلام باطل ، أو يخوض في أحاديث غير مناسبة ، أو يأتي بنكات مضحكة .. فيكون قد أساء الأدب في حضرة من يُعزّيه ، ووقع في الإثم من حيث يعلم أو لا يعلم .

فالترحم على الميت ، واظهار الحزن عليه ، وتعداد مآثره .. هو أفضل ما يعزّى به أهل الميت ، وهكذا كان السلف يفعلون ، وعلى هذا المنهج يواسون ويُعزّون : روى أبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما حديثاً طويلا فيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة رضي الله عنها : « ما أخرجك يافاطمة من بيتك ؟ قالت : أتيت أهل هـذا الميت ، فترحمت اليهم ميتهم أو عزّيتهم به » .

د ـ النصح بالمعروف عند رؤية المنكر :

قد يفاجأ المعزّي بوجود بدع ومنكرات في المكان الذي تكون فيه التعزية ، كتصدير صورة الميت ، أو تدخين الناس والقارىء يقرأ ، أو عزف موسيقى حزينة، أو تقديم ضيافة الى المعزّين ، أو غير ذلك من المنكرات المنهيّ عنها في الدين ، فما هو موقفه منها ، بل ما هو الواجب الذي يحتمه عليـه الاسـلام ؟

الواجب عليه أن يكون جريئاً بالحق ناصحاً بالمعروف لاتأخذه في الله لومة لائم .. ولايمنعه هول المناسبة في أن يتكلم الحق ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ولايمنعه خشية الناس أن ينصح ويقول ، ويأمر وينهي ، فالله سبحانه أحق أن يخشاه .

روى ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : لايحقرَنّ أحدكم نفسه ، قالوا : يا رسول الله : وكيف يحقِّر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أن عليه مقالا ثم لايقول فيه ، فيقول الله عز وجل يوم القيامة : ما منعك أن تقول فيّ كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس ، فيقول : فإياي كنتَ أحقّ أن تخشى .

والنبي صلى الله عليه وسلم لما كان يبايع أصحابه يبايعهم على السمـع والطاعة والنصح لكل مسلم ، روى الشيخان عن جرير رضي الله عنه قال : « بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة والنصح لكـل مسـلم » .

وقد أنذر النبي صلى الله عليه سلم الذين يقدرون أن يغيروا المنكر ولايغيرونه أنذرهم بعقاب من الله قبل أن يموتوا ، روى أبو داود عن جرير بن عبد الله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من رجلٍ يكون في قـوم يُعمَلُ فيهـم بالمعاصي يقدرون أن يُغيِّروا عليـه ، ولايغيِّرون الا أصابهم الله منه بعقاب قبل أن يموتوا » .

ولاشك أن الأمر بالمعروف ينبغي أن يكون بالرفـق واللين ، والموعظـة الحسنة ، والأسلوب المناسب الحكيم .. عسى أن تنفتح للموعظة قلوب ، وتتأثر بها نفوس .. وربّ كلمة لينة رفيقة حكيمة مخلصة بدلت السامع الى انسان آخر ، فأصبح من زمرة عباد الله الصالحين المؤمنين ، وصـدق

الله العظيم القائل : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » .

هذه أهم القواعد التي وضعها الاسلام في أدب التعزية ، فما على المربين الا أن يرشدوا اليها أبناءهم حتى يعتادوها في حياتهم الاجتماعية وفي تعاملـهم مـع النـاس !!

١٠ ـ أدب العطاس والتثاؤب :

ومن الآداب الاجتماعية التي أمر الاسلام بها وحض عليها أدب العطاس ، وآدب التثاؤب ، فعلى المربين أن يعوّدوها أبناءهم ، ويعيروها اهتمامهم ... ليظهر الاولاد في المجتمع بمظهر لائق كريم بالتزامهم هذه الآداب ، وتحققهم بهاتيك الاخـلاق .

ولكن ماهو ادب العطاس الذي ارشد اليه نبي الاسلام عليه الصـلاة والسـلام ؟

أ ـ التقيد بالفاظ الحمد والرحمة والهداية كما ثبت في السنة :

لما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فاذا قال له : يرحمك الله ، فليقل : يهديكم اللهويصلح بالكم » ، وفي رواية أبي داود والترمذي فليقل : « يغفر الله لنا ولكم » .

فنستنتج من هذه الاحاديث الامور التالية :

يقول العاطس : « الحمد لله » أو « الحمد لله رب العالمين » أو الحمد لله على كل حال »[١] .

---

(١) كما جاء في بعض الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى كتاب « الأذكار » للنووي « تشميت العاطس وحكم التثاؤب » .

ويقول له صاحبه : « يرحمك الله » .

ويجيب العاطس : « يهديكم الله ويصلح بالكم » أو « يغفر الله لنا ولكم » .

وعلى المسلم أن يتقيد بهذه الكلمات لأنها مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ب ـ لا يشمت العاطس إذا لم يحمد الله :

لما روى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا عطس أحدكم فحمد الله فشمّتوه ، فإذا لم يحمد الله فلاتشمتوه » .

وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : « عطس رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم فشمّت أحدهما ولم يُشمِّت الآخر ، فقال الذي لم يشمته : عطس فلان فشمتّه وعطست فلم تشمتني ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « هذا حَمِد الله ، وانك لم تحمد الله » .

ولا بأس أن يتلفظ بعض الحاضرين بالحمد ، ليتذكر العاطس حمد الله بعد عطاسه .

ج ـ وضع اليد أو المنديل على الفم والتخفيض من الصوت ما أمكن :

لما روى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عطس وضع يده أو ثوبه على فمه ، وخفّض ـ أو غضّ ـ بها صوته » .

وروى ابن السني عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله عز وجل يكره رفع الصوت بالتثاؤب والعطاس » .

د ـ التشميت إلى ثلاث مرات :

اذا تكرر العطاس من انسان بشكل متتابع ، فمن السنة أن يشمّته الى أن يبلغ ثلاث مرات • لما روى مسلم وأبو داود والترمذي عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه : « عطس رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا شاهد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ، ثم عطس الثانية أو الثالثة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ، هذا رجل مزكوم » أي مصاب بالزكام (الرشح) •

ولايشمّت بعد ثلاث مرات لما روى ابن السني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا عطس أحدكم فليشمّته جليسه ، واذا زاد عن ثلاثة فهو مزكوم ، ولايشمّت بعد ثلاث » •

واستحب كثير من العلماء أن يدعو له جليسه بالعافية والسلامة بعد ثلاث مرات ، ولايكون من باب التشميت •

هـ ـ يشمت غير المسلم بيهديكم الله :

لما روى أبو داود والترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجون أن يقول لهم : « يرحمكم الله » ، فيقول : « يهديكم الله ويصلح بالكم » •

و ـ لا تشمّت المراة الشابة الأجنبية :

ذهب أكثر أهل العلم والاجتهاد أنه « يكره كراهة تحريم أن يشمّت الرجل المرأة الأجنبية اذا عطست ولايكره ذلك للعجوز » •

قال ابن الجوزي : وقد روينا عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه « أنه كان عنده رجل من العبّاد ، فعطست امرأة الامام أحمد ، فقال لها العابد : يرحمك الله ، فقال الامام أحمد : عابد جاهل » • ويقصد أنه جاهل بكراهية تشميت المرأة الأجنبية •

اما ادب التثاؤب فهو كما يلي :

أ ـ ردّ التثاؤب ما استطاع :

لما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله تعالى يحب العطاس ، ويكره التثاؤب ، فاذا عطس أحدكم وحمد الله تعالى ، كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له : يرحمك الله ، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان ، فاذا تثاءب أحدكم فليردّه ما استطاع ، فان أحدكم اذا تثاءب ضحك منه الشيطان » •

ب ـ وضع اليد على الفم اذا ملكه التثاؤب :

لما روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا تثاءب أحدكم فليمسك بيده على فيه (فمه) فإن الشيطان يدخل » ، وذهب كثير من أهل العلم والاجتهاد الى استحباب وضع اليد على الفم عند التثاؤب سواء أكان التثاؤب في الصلاة أو خارجها •

ج ـ يكره رفع الصوت عند التثاؤب :

لما روى مسلم وأحمد والترمذي ••• عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله يحبّ العطاس ويكره التثاؤب ، فإذا تثاءب أحدكم فلا يقل : هاه هاه ، فان ذلك من الشيطان يضحك منه » •

وروى ابن السني عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله عز وجل يكره رفع الصوت بالتثاؤب والعطاس » .

فائدة : مما يروى عن السلف أن من ملكه التثاؤب وتخيّل بذاكرته أنه عليه الصلاة والسلام لم يتثاءب قط يذهب عنه التثاؤب بإذن الله .

هذه أهم القواعد التي وضعها الاسلام في أدب العطاس والتثاؤب فما على المربين إلا أن يحرصوا على تطبيقها في أسرهم وبين أولادهم وأهليهم ، حتى يعتادوها في حياتهم الاجتماعية وفي تعاملهم مع الناس !!..



تلكم أظهر القواعد والأسس في أدب الاجتماع ، وفي أصول التعامل واللقاء ..

وكم يحظى المسلم بالاحترام ، ويكون محل تقدير واجلال ، حينما يطبق هذه الآداب عملياً ، ويظهر فيها اجتماعياً ، ويحققها سلوكياً ..؟

وكم يبلغ قمة المثل والأخلاق حينما يعرف المسلم الأدب في طعامه وشرابه ، وفي سلامه واستئذانه ، وفي مجالسته وحديثه ، وفي طرائفه ومزاحه ، وفي تهنئته وتعزيته وفي عطاسه وتثاؤبه ..؟ وهي آداب أوجبها الاسلام على الصغير والكبير ، والمرأة والرجل ، والحاكم والمحكوم ، والأمير والسوقة ، والعالم والعامي .. لتظهر في الوجود الإنساني معالم المجتمع الفاضل متجسدة في المسلمين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ، وتباين ألوانهم وثقافاتهم ..

وقد تجسدت هذه الآداب في المجتمع الاسلامي حقبة من الزمن لمّا كان للمسلمين دولة وكيان ، وحكومة وسلطان .. ولمّا كان الخليفة المسلم يفرض هذه الآداب فرضاً ، ويراقب من يقوم على تطبيقها أو يقصر فيها .. ولمّا كان المجتمع الاسلامي متكافلا متضامناً في النصح والتناصح ، والرقابة والنقد

الاجتماعي ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر •• وكان الناس في هذه الحقبة يدخلون في الاسلام أفواجاً وجماعات •• لأنهم كانوا حينما ينظرون الى المسلمين يرون الاسلام متجسداً في أدبهم وأخلاقهم ، متمثلا في سلوكهم ومعاملتهم ، متحققاً في أخذهم وعطائهم •• فمن الطبيعي أن يدخل الناس في عدل الاسلام ، وأن يؤمنوا برسالته الخالدة عن طواعية واختيار ، وهذه هي أخلاق المسلمين وآدابهم الاجتماعية !!••

وانه لايصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح عليه أولها •• فما على المربين اليوم الا أن يشحذوا هممهم ، ويجمّعوا قواهم ، ويطلقوا نشاطهم وعزائمهم في تربية هذا الجيل المسلم الناشيء على هذه الآداب الاجتماعية الفاضلة . وأن يبدؤوا معهم منذ الصغر ، لتكون الثمرات أفضل ، والنتائج أحسن ؛ والله سبحانه سيثيبهم خيراً ، ويدّخر لهم يوم القيامة أجراً اذا هم قاموا بهذه المسؤولية ، وأدوا ما عليهم من واجب ، والله يجزي العاملين الصادقين المخلصين ، ولايضيع أجر من أحسن عملا •

وفي الختام أحب أن أشير الى مسألتين هامتين :

أ ــ هذه الآداب الاجتماعية ــ التي سبق ذكرها ــ لم يعتن بها دين أو عقيدة أو مجتمع كالاسلام والمسلمين •

ب ــ هذه الآداب تدل على أن الاسلام دين اجتماعي جاء لإصلاح المجتمعات الانسانية لاديناً فرديا ، ولاتشريعا كهنوتيا •• كما أنه ليس حبرا على ورق أو كتاباً على الرف •

« هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين » • (لقمان : ١١)

٤ – المراقبة والنقد الاجتماعي

ومن المبادىء الاجتماعية الهامة في تكوين الولد سلوكيا ، وتربيته اجتماعياً .. تعويد الولد منذ نعومة أظفاره على رقابة المجتمع ، والنقد والاجتماعي البناء لكل من يعايشهم ، وينتمي اليهم ، ويلتقي معهم ، والنصح لكل انسان يرى منه شذوذا أو انحرافا ..

وبالاختصار تعويد الولد منذ نشأته على واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من قواعد الاسلام الاساسية في حراسة الرأي العام ، وفي محاربة الفساد والانحراف ، وفي الحفاظ على قيم الأمة الاسلامية ومثلها وأخلاقها ..

فما أحوجنا الى مربين جادين وواعين يغرسون في الطفل منذ أن يفتح عينيه خلق الجرأة والشجاعة وقولة الحق .. حتى اذا بلغ الولد السن التي تؤهله في أن ينقد ، وأن ينصح ، وان يقول .. قام بواجب النصح ، ومسؤولية النقد خير قيام ، بل انطلق في مضمار الدعوة الى الله . وفي تبليغ رسالة الاسلام . وفي تقويم الاعوجاج والانحراف .. دون أن يأخذه في الله لومة لائم ، ودون أن يصده عن اعلان كلمة الحق مستبد أو ظالم .

ولكن ماهي الاصول والمراحل في تكوين الولد على النقد الاجتماعي . وحراسة الرأي العام ؟

الآن أضع بين يدي المربين جميعاً أهم هذه الأصول والمراحل حتى يقوموا بمسؤوليتهم بواجب التربية والإعداد والتكوين :

١ ـ حراسة الرأي العـام وظيفة اجتماعية :

فرض الاسلام حراسة الرأي العام الذي يتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على مجموع الامة على اختلاف أصنافها وأنواعها دون أن يكون بينها تفريق أو تمييز ، فرضها على الحكام والعلماء ، على الخاصة والعامة ، على الرجال والنساء ، على الشيب والشباب ، على الصغار والكبار ، عـلى الموظفين والعمال . على الكل على حد سواء ، واعتبر هذه المهمة وظيفة اجتماعية لايعفى منها أي انسان ، كل عـلى حسب حاله ، وحسب طاقته ، وحسب ايمانـه ..

والأصل في هذا قوله تبـارك وتعالى : **« كنتم خير أمـة أخرجت للنـاس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »** .

(آل عمران : ١١٠)

وقوله في وظيفة المؤمنين الاجتماعية : **« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم »** .

(التوبة : ٧١)

والنبي صلوات الله وسلامه عليه حين كان يأخذ البيعة من أصحابه ، ومن كل من ينتمي الى جماعة المسلمين .. كان عليه الصلاة والسلام يعاهدهم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ... وعلى أن يقولوا بالحقّ أينما كانوا لايخافون في الله لومة لائم ..

روى الشيخان عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : « بايعنا رسول

الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثَرَةٍ علينا (الإيثار) ، وألاّ ننازع الأمر أهله الا أن تروا كفراً بَوَاحاً عندكم من الله فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كُنّا ، لانخاف في الله لومة لائم » .

وقد مثّل لهم عليه الصلاة والسلام رقابة المجتمع للفرد ، ورقابة الفرد للمجتمع بمثال السفينة ، ليؤكد لكل مسلم وظيفته الاجتماعية في الرقابة والنقد الاجتماعي ، والأخذ على يد الظالم ، حتى تسلم للأمة عقيدتها وأخلاقها ،ويتحقق لها كيانها ووجودها ، وتكون دائماً في مأمن من عبث العابثين ، واستبداد الطغاة الظالمين . روى البخاري والترمذي عن النعمان ابن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا (اقترعوا) على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها اذا استقَوْا من الماء مرّوا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنّا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإنْ أخذوا على أيديهم نجوْا ونجوا جميعاً » .

ـ ومما يؤكد وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جميع أبناء الأمة الاسلامية ، وأنه وظيفة اجتماعية على كل فرد مسلم استحقاق بني اسرائيل لعنة الله لعدم تناهيهم عن المنكر ، ولايستحق الانسان لعنة الله الا اذا ترك أمراً واجباً في عنقه ، فدلت آية : « لُعِنَ الذين كفروا من بني اسرائيل ... » على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل مسلم رجالا ونساء ، شيباً وشباناً ، صغاراً وكباراً .. ويدل على هذا الوجوب أيضاً قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي : « لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم في مجالسهم ، وواكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى

ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان متكئاً ، فقال : لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم (تُلزموهم) على الحقّ أطراً » .

ــ ومما يؤكد هذا الوجوب كذلك شمول الهلاك لكل متقاعس عن حق الاسلام والمجتمع في التقويم والاصلاح، والضرب على يد العابثين المفسدين .. روى الشيخان عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل علينا فَزِعاً يقول : لا اله الا الله ، ويل للعرب من شرٍّ قد اقترب ، فُتح اليوم من رَدْم يأجوج ومأجوج مثلُ هذه ، وحلَّقَ بين أصبعيه : الابهام والتي تليها ، فقلت : يارسول الله : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم اذا كثر الخَبَث (الفسوق والمنكر) .

ــ ومما يؤكد هذا الوجوب كذلك أن الله سبحانه لايستجيب الى دعاء أحد من الأمة حتى الخيار منهم لكونهم تقاعسوا عن واجب مجاهدة الضالين، ومقاومة الظالمين . روى الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفسي بيده لتأمُرُنّ بالمعروف ، ولتنهَوُنّ عن المنكر ، أو ليوشِكنّ الله يبعث عليكم عذاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم » .

وروى ابن ماجه وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت : « دخل النبي صلى الله عليه وسلم فعرفت في وجهه أنه قد حضره شيء فتوضأ ، وما كلّم أحداً ، فلَصِقْتُ بالحجرة استمع ما يقول ، فقعد على المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال : ياأيها الناس : انّ الله يقول لكم : مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم ، وتسألوني فلا أعطيكم ، وتستنصروني فلا أنصركم ، فما زاد عليهم حتى نزل » .

وأما مايحتجّ به البعض من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ــ فيما

رواه مسلم .. — : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ؛ فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » أن الأمر بالمعروف باليد على الأمراء . وباللسان على العلماء ، وبالقلب على عوام الناس .. فهذا الاحتجاج لاينهض على دليل ، ولايستند على حجة لأن لفظ « مَنْ » في قوله عليه الصلاة والسلام : « من رأى منكم ... » هو لفظ يدل على العموم . ويشمل كل من استطاع تغيير المنكر باليد أو اللسان أو الإنكار بالقلب سواء أكان المنكِر من الأمراء أو العلماء أو عامة الناس اذا فقهوا الخطر الذي يترتب عليه تفشّي المنكر ، وذلك للعموم الذي يدل عليه الحديث الذي سبق . ولعموم كلمة « أمة » الواردة في قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »، فإن كلمة « أمة » تشمل الأمة بأسرها على اختلاف طبقاتها ومستوياتها سواء أكانوا حكاماً أم علماء أم عامة ..؟ والا فكيف يتأتى للأمة أن تكون واقفة بالمرصاد للذين يتآمرون على دينها وأخلاقها ، ويعبثون بعقائدها ومقدساتها . ويعيثون في الارض ظلماً وفساداً ، ويريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم .. كيف يتأتى لهم الوقوف اذا لم تتضافر الأمة بأسرها على مقاومة المنكر . وتقف صفاً واحداً أمام العابثين والظالمين !!؟.

الا فليغرس المربون في نفوس الناشئة بذور الجرأة الأدبية ، والشجاعة النفسية في القول والعمل .. حتى ينشأ الولد منذ نعومة أظفاره على حراسة الرأي العام ، وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والنقد الاجتماعي البناء الحكيم لكل انسان ..

٢ ـ الأصول المتبعة في هذه الحراسة :

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصول متبعة ؛ وشروط لازمة ؛ فعلى المربين أن يأخذوا أنفسهم بها ؛ ويعلموها أبناءهم ؛ ويلقنوها صغارهم ..

حتى يعقل الولد هذه الأصول ، ويسير على هذه القواعد ، فإذا قام بمهمة الدعوة الى الله وأمر غيره بالمعروف ، ونهاه عن المنكر كانت الاستجابة له أكثر ، والتأثير به أقوى ..

والأصول المتبعة ــ كما يراها كثير من العلماء والدعاة ــ هي ما يلي :

أ ــ ان يكون فعله مطابقا لقوله :

لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

« يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون كبُر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » .

(الصف : ٣)

ويقول : « أتامرون الناس بالبِرّ وتنسَون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » .

(البقرة : ٤٤)

ولقوله عليه الصلاة والسلام ــ فيما رواه الشيخان عن أسامة ــ قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يؤتى بالرجل يوم القيامة ، فيلقى في النار . فيقولون : يافلان ! مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنتآمرُ بالمعروف ولاآتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه» .

ولقوله صلوات الله وسلامه عليه فيما رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي : « أتيت ليلة أسرِيَ بي على قوم تُقرَض شفاههم بمقاريض من نار ، فقلت : من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون ، ويقرؤون كتاب الله ولايعملون به » .

وكان السلف رضوان الله عليهم يتحرجون من الدعوة الى الله ، وتعليم الغير قبل أن يحاسبوا أنفسهم وأولادهم وأهليهم . ويأمروهم بالبر والتقوى والعمل الصالح !!..

فهذا عمر بن الخطاب رضي‌الله عنه كان قبل ان‌يأمر الناس بأمر ، وينهاهم عن نهي ، يجمع أهل بيته ويقول لهم « أما بعد ، فاني سأدعو الناس الى كذا وكذا وأنهاهم عن كذا وكذا ، واني أقسم بالله العظيم لايبلغني عن أحد منكم أنه فعل مانهيت الناس عنه ، أو ترك ما أمرت الناس به الا نكّلت به نكالا شديداً » ثم يخرج رضي الله عنه فيدعو الناس الى مايريد فما يتأخر أحد عن السمع والطاعة .

وهذا مالك بن دينار اذا حدث الناس بهذا الحديث : « ما من عبديخطب خطبة الا الله سائله عنها يوم القيامة ماأردْتَ بها»(1) بكى ، ثم يقول : أتحسبون أن عيني تقرّ بكلامي عليكم ، وأنا أعلم أن الله سائلي عنه يوم القيامة ، قال : ما أردتَ به ، فأقول أنت الشهيد على قلبي لو لم أعلم أنه أحبّ اليك لم أقرأ على اثنين أبداً .

ألا فليتأدب الدعاة بهذا الأدب الاسلامي الرفيع ، ليقبل الناس قولهم . ويستجيبوا الى موعظتهم وارشادهم !!..

ب ـ أن يكون المنكر الذي ينهى عنه مجمعاً على إنكاره :

من الأمور التي لايختلف فيها اثنان من رجال العلم والاصلاح أن المنكر الذي ينهى عنه المسلم يجب أن يكون مما أجمع على انكاره لدى أهل الفقه . وأئمة الاجتهاد .. أما ما كان من خلاف بين المجتهدين الثقاة فلا يعد في الشرع منكراً ، فلا يجوز لمن كان حنفيّ المذهب أن ينكر على من كان شافعي المذهب ، ولايجوز كذلك لمن كان متمذهباً على مذهب الامام أحمد أن ينكر على من كان متمذهباً على مذهب الإمام مالك ، لأن كل واحد من هؤلاء الأئمة قد بذل أقصى مافي وسعه ليصل الى الحكم الصحيح عن طريق الدليل ، وكل

(1) رواه البيهقي وابن أبي الدنيا .

إمامٍ من هؤلاء يستقي مذهبه من المصادر التشريعية المعروفة : الكتاب ، والسنة ، والقياس ، والإجماع .. فلماذا الانكار على متبع المذهب وهو يقلد اماما جبلا في العلم ، وقدوة في الصلاح والورع ، وآية في الذكاء والفهم والنبوغ ..؟! وقد قالوا قديماً : « من قلّد عالماً لقي الله سالماً » .

أما هؤلاء الذين ينكرون على غيرهم لكونهم مقلدين بدعوى أنهم مجتهدو هذا الزمان ، فهؤلاء في موقفهم المتعنّت هذا مفرّقون لوحدة الأمة ، ومعوّقون لمسيرة الجماعة الاسلامية نحو العز والنصر ..

فنصيحتنا الى هؤلاء أن يعدّلوا من موقفهم ، ويخففوا من غلوائهم وحدّتهم ، وأن يقدّروا ظرف المسلمين العصيب الذي يتهددهم ، والاخطار الأليمة التي تحيط بهم ، وأن يأخذوا بالمبدأ الذي يقول : « نعمل فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه » ، فإذا هم أخذوا بهذه النصيحة بعين الاعتبار فيكونون ممن ساهموا في وحدة الأمة وتماسكها ، بل أصبحوا ردءاً وسنداً لمسيرة جماعة المسلمين نحو النصر . بل وحدوا جهودهم مع العاملين المخلصين لإقامة دولة الاسلام .. وما ذلك على الله بعزيز .

ج ـ أن يكون متدرّجاً في إنكار المنكر :

فعلى المنكر أن يتدرج بإزالة المنكر على مراحل : (فيبدأ **بالتعرف على المنكر ابتداء من غير تجسس ،ثم تعريف فاعل المنكر بانه منكر ، ثم النهي بالوعظ والارشاد والنصح والتخويف بالله تعالى ، ثم التعنيف بالقول الغليظ لمن لاينفع فيه النصح والارشاد ، ثم التهديد والتخويف بقول المنكر لأفعلن كذا وكذا ، ثم التغيير باليد** ككسر الملاهي ، وخرق زقاق الخمر ، ومنع الاعتداء على الناس . . ، **ثم تغيير المنكر بالجماعة** وغيرها من غير سلاح ، وهذا جائز للآحاد للضرورة والاقتصار على الحاجة ، وشرط أن لايترتب عليه

فتنة بين الناس ، ثم تغيير المنكر بالجماعة أي قيام الشعب أو جزء منه بالسلاح. ولايستقل به الأفراد لأنه يؤدي الى مزيد الفتن ، وهيجان الفساد ، وخراب البلاد ..)[1] .

والمبدأ المتبع في تغيير المنكر – كما ذكر الفقهاء – أنه لايجوز أن يلجأ الى الأشد اذا كان ينفع الأخف ، فإذا وصل المنكِر الى التغيير مثلا بالملاطفة والنصح فلا يجوز له أن يلجأ الى التعنيف بالقول الغليظ ، واذا كان ينفع التعنيف فلا يجوز له أن يلجأ الى التغيير باليد ، وهكذا ..

فعلى المُنْكِر أن يكون حكيماً عالماً بالأصول المتبعة في انكار المنكر حتى لايقع في عثرات قد تؤدي الى نتائج لاتحمد عقباها « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » .

د – أن يكون لطيفاً رفيقاً حسن الخلق :

من الصفات الكريمة التي يجب أن يتحلى بها من يتصدى لدعوة الناس الى الخير ، ونهيهم عن الشر لين الجانب وحسن الخلق ، ليكون التأثير أبلغ، والاستجابة أقوى ؛ وهذه الصفة من اللطف والرفق واللّين هي من أميز ما يجب أن يظهر به الداعية في طريق الاصلاح والتبليغ والدعوة الى الله .. بل كان عليه الصلاة والسلام يأمر بها ، ويعطي لأصحابه القدوة فيها ..

– روى البيهقي عن عمرو بن شعيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أمر بمعروف فليكن بمعروف » .

– وروى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الرفق لايكون في شيء الا زانه ، ولاينزع من شيء الا شانه » .

---

(١) إحيـاء العلوم للغزالي ٢ : ٢٩٢ مع بعض التصرف .

ــ وفي رواية لمسلم : « إنّ الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف ، ومالا يعطي على سواه » .

أما قدوته عليه الصلاة والسلام في الرفق واللين فتتجسد في الأمثلة التالية :

ــ روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « بال أعرابي في المسجد فقام الناس اليه ليقعوا فيه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دعوه ، وأريقوا على بوله سَجْلا (دلواً) من ماء ، فإنما بعثتم مُيسِّرين ، ولم تبعثوا مُعسِّرين » .

ــ روى الإمام أحمد بإسناد جيد عن أبي أمامة رضي الله عنه أن غلاما شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يانبي الله أتأذن لي في الزنى » ، فصاح الناس به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « قرّبوه . ادْنُ » ، فدنا حتى جلس بين يديه فقال عليه الصلاة والسلام : « أتحبه لأمك ؟ » قال : لا ، جعلني الله فداك . قال : « كذلك الناس لايحبونه لأمهاتهم » . « أتحبّه لابنتك ؟ قال : لا ، جعلني الله فداك ، قال : « فكذلك الناس لايحبّونه لبناتهم » ، وزاد الراوي ابن عوف حتى ذكر العمة والخالة ، وهو يقول في كل واحد : لا ، جعلني الله فداك ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « كذلك الناس لايحبونه » ، ثم وضع الرسول صلى الله عليه وسلم يده على صدره ، وقال : « اللهم طَهِّر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصّن فرجه » ، فلم يكن شيء أبغض اليه من الزنى .

ــ روى مسلم أن معاوية بن الحكم السلمي حدث يوماً فقال : بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم . فقلت : واثُكْل أمّياه !.. ماشأنكم تنظرون الي ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم . فلما رأيتهم يصمّتونني سكتُّ ، فلما صلى عليه الصلاة والسلام ، فبأبي هو وأمي . ما رأيت معلماً

قبله ولابعده أحسن تعليماً منه ، فوالله ما كهرني ، ولاضربني ، ولاشتمني ..
وانما قال : إنّ هذه الصلاة لايصلح فيها شيءٌ من كلام الناس انما هو التسبيح
والتكبير وقراءة القرآن ..

ـ دخل واعظ الى أبي جعفر المنصور ، فأغلظ عليه في الكلام ، فقال أبو
جعفر : ياهذا ارفق بي ، أرسل الله سبحانه من هو خير منك الى من هو شرّ
مني أرسل الله موسى الى فرعون ، فقال له :

« فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » .

فخجل الرجل على مابدر منه ، وعرف أنه لم يكن أفضل من موسى
عليه السلام ، وأن أبا جعفر لم يكن أشرّ من فرعون ، وصدق الله العظيم
حين أدّب نبيه عليه الصلاة والسلام بهذا الخطاب :

**« فبما رحمة من الله لنتَ لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من
حولك ، فاعفُ عنهم ، واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ، وإذا عزمت فتوكل على
الله إن الله يحب المتوكلين » .**

(آل عمران : ١٥٩)

هـ ـ أن يكون صابراً على الأذى :

من البديهي أن يتعرض الناقد للمجتمع ، أو الداعية الى الله .. لأصناف
الأذى ، وأنواع الالم لما يلقاه من تعنّت المستكبرين ، وحماقة الجاهلين ،
واستهزاء الساخرين .. وهذا ـ لاشك ـ سنةُ الله في الأنبياء والدعاة
والمصلحين في كل زمان ومكان .

**« الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا
الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين » .**

(العنكبوت : ٣)

« أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثَلُ الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزُلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصـر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب » .

(البقرة : ٢١٤)

ومن هنا كانت وصية لقمان لابنه وهو يعظه :

« يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانْهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور » .

(لقمان : ١٧)

ومـن هنـا كان الابتـلاء في سـبيل اللـه سبيلا الـى الجنـة ، وتكفيراً للخطايا الماضية :

« فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقُتلوا لأكفرنّ عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب » . (آل عمران : ١٩٥)

وروى الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن سعد ابن أبي وقاص قال : قلنا يارسول الله : أي الناس أشد بلاء ؟ قال : « الأنبياء ثم الامثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه ، فان كان دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وان كان في دينه رقّة ابتلاه الله على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة » .

وروى مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حفّت الجنة بالمكاره ، وحُفّت النار بالشهوات» . وحسب الداعية الناصح ،والمجاهد الناقد .. أن يتأسى بسيد الدعاة صلوات الله وسلامه عليه الذي أصابه من الأذى والمكروه والاتهام ما لم يُصِب داعية قبله ولابعده: سلك معه المشركون

طريق الإغراء والاغواء ليصدوه عن تبليغ الدعوة فما استكان وما خضع ؛ وسلكوا معه طريق المقاطعة الشاملة له ولمن آزره ليصدوه عن تبليغ الدعوة فما استكان وما خضع ؛ وقرروا أخيراً اغتياله وملاحقته ليصدوه عن تبليغ الدعوة فما استكان وما خضع ..وظل عليه الصلاة والسلام مثابراً في طريق الدعوة ، متحملا أصناف الأذى ، صامدا ثابتاً راسخاً .. الى أن جاء نصر الله والفتح .

فما أجدر الذين يحملون بأيديهم لواء الرسالة الاسلامية ، ويهدفون الى اقامة حكم الله في الأرض !. ما أجدرهم أن يوطّنوا نفوسهم على الصبر، وأن يتحملوا المشاق والأذى في سبيل الله !!. إن أرادوا نجحاً على الأيام مضموناً .. ونصراً في المستقبل محققاً موجودا ..

وهنا قد يعترض سؤال : هل يجوز لمنكِر المنكَر اذا خاف على نفسه الضرر ولم يرجُ زواله هل يجوز له التغيير ؟

الظاهر أنه يجوز له تغيير المنكر لقوله تبارك وتعالى على لسان لقمان الحكيم :

« وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور » . (لقمان : ١٧)

فالنص القرآني لم يقيد الأمر الإلهي في تغيير المنكر بخوف نفس أو رجاء ازالة ...، وهذا يدل على أن النية اذا خلصت لله ، فليقتحم المسلم تغيير المنكر كيف كان ولا يبالي لأن هذا الاقتحام والاقدام من عزم الأمور . ومن منطلقات الايمان ..

يقول أبو بكر بن العربي : « ان من رجا زواله (أي المنكر) وخاف

على نفسه من تغييره الضرب أو القتل جاز له عند أكثر العلماء الاقتحام عند هذا الضرر ، وان لم يرجُ زوالَه فأي فائــدة عنده ؟ » ويعلق ابن العربي على ما أورده عن العلماء بقوله : « والذي عندي أن النية اذا خلصت فليقتحم كيف ما كان ولا يبالي »[1] .

وجاء في شرح شرعة الاسلام للشيخ علي زاده : « ولايتحبب الى الناس بالمداهنة ، ولا يخاف لوماً ولا شتماً ولاضرباً بل ولايخاف قتلا ، فان السلف كانوا ينكرون على الأمة والأمراء .. ولايبالون أصلا .. » .

هذا عدا عن **العــلم** الذي يجب أن يتصفه به الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر حتى يكون نقده ونصحه وأمره ونهيه .. على وفق أحكام الشريعة ومبادئها العامة الشاملة ..

تلكم أهم الأصول المتبعة في حراسة الرأي العام ، والنقد الذاتي لأفراد المجتمع ، فعلى المربين أن يحققوها في أنفسهم ، ويعلموها أبناءهم .. حتى يلتزم الولد هذه الآداب حين يدخل مدرسة الحياة ، ويخوض معاركهــا ، ويقوم بمهامها ومسؤولياتها !..

٣ ـ التذكير الدائم بمواقف السلف :

ومن العوامل التي ترَسِّخُ في المسلم خلق الجرأة والشجاعة ، وتهيب به نحو حراسة الرأي العام ، واتخاذ مواقف حاسمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عرض المواقف التاريخية التي وقفها السلف الصالح والجدود البواسل الأمجاد في تغيير المنكر ، وتقويم المعوجّ .. وهي لاشك ـ ان

---

(١) شرح شرعة الاسلام للشيخ علي زادة ص ٤٩٧ ، وابو بكر بن العربي من علماء المالكية .

أحسن عرضها – تركت أفضل الأثر في نفوس الناشئة . وفي عزائم الشباب . بل تدفعهم دفعاً الى أن يقفوا ببسالة واقدام في وجه المنحرفين والمفسدين والملحدين .. الذين لايقيسون للاسلام حرمة ، ولا للأخلاق الفاضلة وزناً أو قيمة .. وما أكثرهم في هذا الزمن الذي نعيش فيه ، وتتطلع اليه !!..

واليكم نماذج من مواقفهم الحاسمة لتكون للشباب ذكرى وعبرة :

أ – رُوي أن أبا غياث الزاهد كان يسكن المقابر ببخارى ، فدخل المدينة ليزور أخاً له ، وكان غلمان الأمير (نصر بن أحمد) ومعهم المغنون والملاهي يخرجون من داره ، وكان يوم ضيافة الأمير ، فلما رآهم الزاهد . قال : « يانفس وقع أمر ، ان سكتِّ فأنت شريكة » . فرفع رأسه الى السماء ، واستعان بالله ، وأخذ العصا ، فحمل عليهم حملة واحدة ، فولوا منهزمين مدبرين الى دار السلطان ، وقصّوا على الأمير . فدعا به وقال له : « أما علمت أنه من يخرج على السلطان يتغدّى في السجن ؟ » فقال له أبو غياث : « أما علمت أنه من يخرج على الرحمن يتعشى في النيران ؟ » ، فقال له : « مَنْ ولاّك الحِسبة[1] ؟ » ، فقال : « الذي ولاّك الإمارة » ، فقال الأمير : « ولاني الخليفة » ، فقال أبو غياث : « ولاني الحسبة ربّ الخليفة » ، فقال الأمير : « ولّيتُكَ الحسبة بسمرقند » ، فقال : « عزلت نفسي عنها » . قال الأمير : « العجب في أمرك تحتسب حين لم تؤمر ، وتمتنع حيث تؤمر » ، قال : « لأنك ان وليتني عزلتني ، واذا ولاني ربي لم يعزلني أحد » ، فقال الأمير : « سل حاجتك » ، فقال : « حاجتي أن تردّ عليّ شبابي » ، فقال : « ليس ذلك اليّ » ، قال : « هل لك حاجة أخرى ؟ » ، قال : « أن تكتب الى مالك خازن النار أن لايعذبني » ، قال : « ليس لي ذلك أيضاً » ، قال : « هل لك حاجة أخرى ؟ » قال : « أن تكتب الى رضوان خازن الجنان يدخلني

---

(١) اي وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الجنة » ، قال : « ليس ذلك الي أيضاً » . قال أبو غياث : فانها مع الرب الذي هو مالك الحوائج كلها لاأسأله حاجة الا أجابني اليها » ، فخلّى الأمير سبيله[1] .

ب ــ وذكر الغزالي في احيائه : عن الأصمعي قال : « دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان . وهو جالس على سريره ، وحوله الأشراف من كل بطن ، وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته . فلما بصر به قام اليه . وأجلسه معه على السرير ، وقعد بين يديه ، وقال له : ياأبا محمد ماحاجتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين . اتق الله في حرم الله ، وحرم رسوله . فتعاهــده بالعمارة ، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار ، فانك بهم جلست هذا المجلس ، واتق الله في أهل الثغور فانهم حصن المسلمين . وتفقد أمور المسلمين فانك وحدك المسؤول عنهم ، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ، ولاتغلق بابك دونهم ، فقال : أجل ، أفعل ، ثم نهض وقام . فقبض عليه عبد الملــك فقال : ياأبا محمد انما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك أنت ؟ فقال : مالي الى مخلوق حاجة ، ثم خرج ، فقال عبد الملك : هذا وأبيك الشرف » .

ج ــ وقد جاء في كتاب الشقائق النعمانية لعلماء الدولة العثمانية ، أن السلطان سليم خان أمر بقتل مائة وخمسين رجلا من حفّاظ الخزائن ، فتنبه لذلك المفتي العالم (علاء الدين علي بن أحمد المفتي) ، فذهب الى الديوان العالي ، ولم يكن من عادتهم أن يذهب المفتي الى الديوان العالي الا لحادث عظيم ، فتحيّر أهل الديوان ، ولما دخل الديوان سلّم على الوزراء فاستقبلوه وأجلسوه في صدر المجلس ، ثم قالوا له : أي شيء دعا المولى الى المجــيء الى الديوان العالي ؟ فقال : أريد أن أدخل على السلطان ، ولي معه كلام ،

---

(١) من كتاب شرح شرعة الاسلام للشيخ علي زادة ص ٤٩٧ .

فعرضوه على السلطان خان ، فأذن له وحده ، فدخل وسلّم عليه وجلس ، ثم قال : وظيفة أرباب الفتوى أن يحافظوا على آخرة السلطان ، وقد سمعت أنك أمرت بقتل مائة وخمسين رجلا لايجوز قتلهم شرعاً ، فعليك بالعفو عنهم، فغضب السلطان وكان صاحب حدّة . وقال : إنّك تتعرض لأمر السلطنة وليس ذلك من وظيفتك ، قال : لا . بل أتعرض لأمر آخرتك وأنه من وظيفتي . فان عفوت فلك النجاة . والا عليك عقاب عظيم . فانكسرت عند ذلك ثورة غضبه . وعفا عن الكل ، ثم تحدث معه ساعة . ولما أراد أن يقوم ، قال له : تكلست في أمر آخرتك . وبقي لي كلام يتعلق بالمروءة . قال السلطان وماهو ؟ قال : ان هؤلاء من عبيد السلطان فهل يليق بعرض السلطنة أن يتكفّفوا الناس ؟ قال : لا . قال : فقرّرهم في مناصبهم ، فقبله السلطان ، وقال : ألا اني أعذبهم لتقصيرهم في خدمتهم ، قال المفتي : هذا جائز ، لأن التعزير مفوض الى السلطان ، ثم سلم عليه وانصرف وهو مشكور .

د ـ وروى الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة العليا الشرعية بمصر رحمه الله قال : « حدثني صديقي الكريم محمد فهمي الناضوري باشا عن أحمد أفندي بدوي عن أبيه عن جده . وكان من الشيوخ بالأزهر في زمن الخديوي اسماعيل قال : لما وقعت الحرب بين مصر والحبشة ، وتوالت الهزائم على مصر لوقوع الخلاف بين قواد جيوشها ، ضاق صدر الخديوي بذلك . فركب يوما مع شريف باشا وهو محرج . فأراد أن يفرّج عن نفسه فقال الشريف باشا : ماذا تصنع حينما تلمّ بك مُلِمّة . تريد أن تدفعها ؟ فقال : ياأفندينا ان الله عوّدني اذا حاق بي شيء من هذا أن ألجأ الى صحيح البخاري يقرؤه لي علماء أطهار الأنفاس فيفرّج الله عني ، قال : تكلم شيخ الأزهر ، وكان الشيخ العروسي ، فجمع له من صلحاء العلماء جمعاً أخذوا يتلون في البخاري أمام القِبْلة القديمة في الأزهر ، قال : ومع ذلك ظلت أخبار الهزائم تتوالى ، فذهب الخديوي ، ومعه شريف باشا الى العلماء ، وقال لهم

غضباً : إمّا هذا الذي تقرؤونه ليس صحيح البخاري ، أو انكم لستم العلماء الذين نعهدهم من رجال السلف الصالح ، فان الله لم يدفع بكم ولابتلاوتكم شيئاً ، فوجم العلماء لذلك ، وابتدره شيخ من آخر الصف يقول له : منك يا اسماعيل ، فإنا روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لتأمُرنّ بالمعروف ، ولتنهونّ عن المنكر ، أو ليسلطنّ الله عليكم أشراركم ، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم » أو كما قال ، فزاد وجوم المشايخ ، وانصرف الخديوي ومعه شريف باشا ولم يتكلما بكلمة ، وأخذ العلماء يلومونه ويؤنّبونه ، فبينما هم كذلك اذا بشريف باشا عاد يسأل : أين الشيخ القائل للخديوي ما قال ؟ ، فقال : « أنا » ، فأخذه وقام ، وانقلب العلماء بعد أن كانوا يلومونه يودعونه وداع من لايأمل أن يرجع ، وسار شريف باشا الى أن دخلا على الخديوي في قصره ، فاذا به قاعد في البهو ، وأمامه كرسي أجلس عليه الشيخ ، وقال له : أعد ماقلته لي في الأزهر ، فأعاد الشيخ كلمته ، وردد الحديث وشرحه ، فقال له الخديوي : وماذا صنعنا حتى ينزل بنا هذا البلاء؟، قال له : ياأفندينا ، أليست المحاكم المختلطة قد فتحت بقانون يبيح الربا ؟، أليس الزنى برخصة ؟ أليس الخمر مباحاً ؟ أليس .. أليس .. ؟، وعدّد له منكرات تجري بلا إنكار ، وقال : كيف ننتظر النصر من السماء ؟ فقال الخديوي : وماذا نصنع وقد عاشرنا الاجانب وهذه مدنيتهم ؟ قال : اذن فما ذنب البخاري ، وماحيلة العلماء ؟ ففكر الخديوي ملياً ، وأطرق طويلا ثم قال : صدقت .. صدقت ... وعاد الشيخ بعد هذا الى الازهر ، واخوانه قد يئسوا منه ، فكأنما قد ولد جديداً »[1] .

هـ ــ وذكر صاحب (كنز الجوهر في تاريخ الازهر) أنه في سنة (١٢٠٩) هـ « حضر الى الشيخ الشرقاوي شيخ جامع الازهر أهل قرية « بشرقية بلبيس » .. وذكروا له أن أتباع « محمد بك الألفي » ظلموهم ،

(١) من أخلاق العلماء للشيخ محمد سليمان ص ٩٧ .

وطلبوا منهم مالا قدرة لهم عليه ، فاغتاظ الشيخ من ذلك ، وحضر الى الازهر وجمع المشايخ ، وقفلوا أبواب الجامع ، وذلك بعد أن خاطب (مراد بك ، وإبراهيم بك) وهما صاحبا الامر والنهي ، ولكنهما لم يبديا شيئاً ، ولم يحركا ساكناً في هذا الأمر الهام ..

وكان من نتيجة ذلك أن أمر المشايخ الناس بغلق الأسواق والحوانيت احتجاجاً على هذا الظلم ، ثم ركبوا ثاني يوم الى بيت (مراد بك ، وابراهيم بك) وتبعهم كثير من العامة ، وازدحموا أمام الباب والبركة ، بحيث يراهم (ابراهيم بك) ، فأرسل اليهم سكرتيره الخاص (أيوب بك) ، فوقف بين أيديهم وسألهم عن مرادهم ، فقالوا : « نريد العدل ، وابطال الحوادث ، والمكوسات (الضرائب الكثيرة) التي ابتدعتموها » ، فقال : « لايمكن الاجابة الى كل هذا ، فانا ان فعلنا ذلك لضاقت علينا المعايش » ، فقالوا: «ليس هذا بعذر عند الحال ، وما الباعث على الاكثار من النفقات والمماليك ، والأمير يكون أميراً بالإعطاء لا بالأخذ » ، فقال : حتى أبلّغ ، وانصرف . وانفض المجلس وركب المشايخ الى الجامع الازهر ، واجتمع أهل الاطراف ، فبعث (مراد بك) يقول : « أجيبكم الى جميع ماذكرتموه الا شيئين : ديوان بولاق ، وطلبكم المتأخر في الجامكية » ، ثم طلب أربعة من المشايخ عينهم بأسمائهم ، فذهبوا اليه بالجيزة ، فلاطفهم ، والتمس منهم السعي في الصلح ، وفي اليوم الثالث اجتمع الأمراء والمشايخ في بيت (ابراهيم بك) ، وفيهم الشرقاوي ، وانعقد الصلح على رفع المظالم ، وأن يسيروا في الناس سيرة حسنة ، وكتب القاضي كتابا في ذلك ، وقّع عليه الباشا والأمراء ، وانجلت الفتنة » .

والأمثلة[1] على مواقف السلف كثيرة ، وتدل كلها على قيام الناس

---

(١) من اراد المزيد من هذه المواقف فليرجع الى كتابنا « الى ورثة الأنبياء » والى كتاب « الاسلام بين العلماء والحكام » للشيخ المجاهد الشهيد « عبد العزيز البدري »، والى كتاب « من أخلاق العلماء » للشيخ محمد سليمان ، والى ماكتبه الامام الغزالي في الاحياء .. يجد فيها من المواقف البطولية ما يشفى الغليل .

بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صيانة للمجتمع من أن يتطرق اليه عبث أو فوضى ، وتثبيتاً لترابط الامة وتماسكها ، وما الفرد في المجتمع الا لبنة من لبناته ، فعليه أن يوجه الرأي العام الى مافيه جلب للمصالح ، ودرء للمفاسد •• وأن يتفاعل مع الناس في اقامة الصرح الاجتماعي على أساس من العقيدة الاسلامية الخالصة ، والمبادىء الخلقية الفاضلة ، واعلان كلمة الحق دون أن تأخذه في الله لومة لائم ، والاسلام — بتوجيهاته الكريمة — جعل أي مسلم رقيباً على نفسه ، ورقيباً على غيره ، ليقوم بالدور الكبير ، والمهمة العظمى في البناء والاصلاح ، والتواصي بالحق ، والتواصي بالصبر •• وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

« والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (سورة العصر)



تلكم أهم الأسس التي وضعها الاسلام في النقد الاجتماعي ، ورقابة المجتمع ، وحراسة الرأي العام المتجسدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ••

وأضيف أمراً آخر أضعه بين يدي المربين ، ليوجّهوا اليه ، ويذكّروا فيه ، ويركزوا عليه ألا وهو تصحيح مفهوم التصور عن شمولية الاسلام لأنظمة الحياة ، هذه الشمولية التي توفق بين مطالب الفرد ومصالح الجماعة ، وتؤمن سيادة الأمة وسلامة العالم •• هذه الشمولية التي تجمع بين الدين والدنيا ، والروح والمادة ، والمصحف والسيف ، والعبادة والجهاد •••

هذه الشمولية التي تتجسد في العقيدة والإيمان ، والتقوى والاحسان، والصلاة والصوم ، والخير والبر ، والصبر على الضر ، والصدق والوفاء ،

والحب والإخاء ، والبذل والسخاء ، والعهد والوعد ، والعزم والقصد، والحرب والسلم ، والعقوبة والقصاص ..

وهذه آيات الله تنطق بالحق ، وتصحّح المفهوم ، وترشد الى خصيصة الشمول والعموم :

« ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قِبَل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون . يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى ، فمن عُفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون » (البقرة : ١٧٦ ــ ١٧٩)

وكم يكون المسلم جاهلا حين يظن أن الاسلام دين عبادة ، وليس دين جهاد ؟

وكم يكون الانسان واهماً حين يتصور أن الاسلام لايدعو الى نظام حكم ، ولاينظم شؤون الحياة ؟

« أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب » ؟

وأخيراً : أريد أن ألفت نظر المربين الى أن الولد لايتربى على المراقبة

والنقد الاجتماعي إلا أن نعالج فيه ظاهرة الخجل والخوف .. وقد عالجناها في مبحث « مسؤولية التربية النفسية » : فارجع اليه ــ أخي المربي ــ لتعرف منهج الاسلام في تربية الولد على الجرأة والشجاعة . وتحرره من ظواهــر الخجل والخوف والانطوائية .. وعلى الله قصد السبيل !!.



الفصل السابع

٧- مسئولية التربية الجنسية

المقصود بالتربية الجنسية تعليم الولد وتوعيته ومصارحته منذ أن يعقل القضايا التي تتعلق بالجنس ، وترتبط بالغريزة ، وتتصل بالزواج .. حتى اذا شب الولد وترعرع وتفـّهم أمور الحياة عرف مايحل ، وعرف مايحرم، وأصبح السّلوك الاسلامي المتميز خلـُقاً له وعادة ، فلا يجري وراء شهوة ، ولايتخبط في طريق تحلل ..

وأرى أن هذه التربية الجنسية التي يجب أن يهتم المربون لها، ويركزوا عليها تقوم على المراحل التالية :

- في سن مابين (٧ — ١٠) سنوات الذي يسمى بسن التمييز يُلقن الولد فيه آداب الاستئذان ، وآداب النظر .
- وفي سن مابين (١٠ — ١٤) سنة الذي يسمى بسن المراهقة يُجنـّب الولد فيه كل الاستثارات الجنسية .
- وفي سن مابين (١٤ — ١٦) سنة الذي يسمى بسن البلوغ يعلـّم الولد فيه آداب الاتصال الجنسي اذا كان مهيأً للزواج .

- وفي سن مابعد البلوغ الذي يسمى بسن الشباب يعلّم الولدفيه آداب الاستعفاف اذا كان لايقدر على الزواج •

- وأخيرا : « هل يجوز مصارحة الولد جنسيا » وهو في سن التمييز ؟

والآن أضع بين يديك ــ أخي المربي ــ هذه البحوث مرتبة مفصلة . لتعرف كيف تأمر ولدك بها . وتوجهه اليها ؟ ولتعلم أيضا أن هذا الاسلام العظيم لم يترك جانبا من جوانب التربية الا وقد أرشد المربين اليه . ودلهم عليه !!• لتقوم بمسؤوليتك كاملة تجاه من جعل الله في عنقك حق التربية والتوجيه •••

واليك هذه البحوث مرتبة في مراحلها وعلى الله قصد السبيل :

١ ــ آداب الاستئذان :

لا أريد أن أبحث معك ــ أخي المربي ــ أدب الاستئذان في هذا الفصل الذي بين يديك لكوني بحثته مفصلا في الفصل الذي قبله •

ولكن الذي أريد أن أتعرّض له هو تعويد الولد أصول الاستئذان على الأهل في أوقات يكون الرجل أو المرأة في حالة لايحب أن يطلع عليها أحد من الأولاد الصغار •

والقرآن الكريم قد فصل هذا الأدب الأسري بأوضح بيان حين قال :

« يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات : من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوّافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، واذا بلغ الاطفال الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم •• »

(النور : ٥٨ ــ ٥٩)

فالله سبحانه يرشد المربين في هذا النص الى أصول التربية المنزلية في استئذان الصغار على أهليهم حينما يكونون في سن ما قبل البلوغ •

وهذا الاستئذان يكون في ثلاثة أحوال :

الأول : من قبل صلاة الفجر لأن الناس اذ ذاك يكونون نياما في فرشهم .

الثاني : وقت الظهيرة لأن الانسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله .

الثالث : من بعد صلاة العشاء لكون الوقت وقت نوم وراحة .

ولايخفى مافي هذا الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة من تعليم الولد أصول الأدب مع الاهل حتى لايفاجأ الولد اذا دخل باطلاع على حالة لايحسن أن يرى أهله فيها ••

أما اذا بلغ الاولاد سن الرشد والبلوغ فعلى المربين أن يعلموهم آداب الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة وفي غيرها امتثالا لقوله تبارك وتعالى :

« واذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم » •

والذي عنده دراية في أصول التربية وقواعدها يعلم بيقين أن هذه اللفتات القرآنية تدل دلالة واضحة على أن الاسلام أهتم اهتماما بالغا في تربية الولد منذ أن يعقل على الحياء الممدوح ، والسلوكية الاجتماعية الخيّرة، والأدب الاسلامي الرفيع •• حتى اذا بلغ الولد سن الشباب كان النموذج الحي في كريم أخلاقه ، وحميد فعاله !!•

وكم تكون الفضيحة بالغة حين يدخل الولد الى غرفة النوم فجأة ويرى أبويه في اتصال جنسي ، ثم يخرج ويحدث أصدقاءه الصغار بما رأى ؟ وكم يكون الولد منذهلا كلما عادت الصورة الى ذهنه ، وتخيل المشهد في خاطره ؟

وكم ينحرف الولد اذا تحسس الميل الى الجنس الاخر وسبق أن رأى كيف يكون الاتصال ، وتتم اللذة ؟

فما على المربين الا أن يأخذوا بأدب القرآن الكريم في تلقين الولد منذ أن يعقل آداب الاستئذان اذا أرادوا لأولادهم الخلق الفاضل ، والشخصية الاسلامية المتميزة ، والسلوك الاجتماعي الخير !!..

٢ ــ آداب النظر :

ومن القضايا الهامة التي يجب أن يركز المربي عليها ، ويهتم لها أن يعود الولد في سن تمييزه آداب النظر حتى يعلم الولد مايحل من النظر اليه ومايحرم .. وفي ذلك صلاح أمره ، واستقامة أخلاقه اذا شارف على البلوغ ، وبلغ سن التكليف ..

وهذه الآداب من النظر التي يجب أن يتلقنها ويعود عليها مرتبة كما يلي:

آ ــ أدب النظر الى المحارم :

كل امرأة تحرم على الرجل حرمة مؤبدة فهي من ذوات محارمه .

وكل رجل حرم على المرأة الزواج منه حرمة مؤبدة فهو من ذوي محارمها .

وعلى هذا يدخل في المحارم :

● **المحرمات بسبب النسب** : وهن سبع نسوة ذكرهن الله تعالى بقوله : **((حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت))** (النساء : ٢٣)

● **والمحرمات بسبب المصاهرة** : وهن اربع من النسوة :

١ ــ زوجة الأب لقوله تعالى : **((ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء ..))** (النساء : ٢٢)

٢ ــ زوجة الابن لقوله تعالى : **((وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم))** (النساء : ٢٣)

٣ ـ أم الزوجة لقوله تعالى : « **وأمهات نسائكم** »

(**النساء : ٢٣**)

٤ ـ بنت الزوجة لقوله تعالى : « **وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** »

(النساء : ٢٣)

● **والمحرمات بسبب الرضاع**(١) : لقوله تعالى : « **وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة** » .

وقوله عليه الصلاة والسلام : ـ فيما رواه مسلم وأصحاب السنن ـ « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » .

فما حُرم عن طريق النسب من أم وبنت وأخت وعمة وخالة وبنت الأخ وبنت الأخت حرم نظيره عن طريق الرضاع كالام من الرضاع ، والبنت من الرضاع ، والاخت من الرضاع .. وهلمّ جرا .

فالمَحْرَم الذكر يحل له أن يرى من محارمه النساء الصدر ومافوق ، وما تحت الركبتين الى أسفل إنْ أمن شهوته وشهوتها .. وان لم يأمن الشهوة فلا يحل له النظر سدا للذرائع .

وبناء على هذا يباح للذكر المَحْرَم النظر من ذوات محارمه الى مواضع زينتها الظاهرة والباطنة وهي . الراس ، والشعر ، والعنق ، والصدر ، والأذن ، والعضد ، والساعد ، والكف ، والساق الذي تحت الرّكبة الى القدم ، والوجه ، والثـــدي ..

أما ما عدا ذلك من البطن والظهر والفخذ .. فلا يحل له النظر اليه أبدا .

(١) الرضاع المحرّم ولو مصّة عند فقهاء الحنفية ، وخمس رضعات معلومات عند فقهاء الشافعية والأحوط ماذهب اليه الحنفية .

والأصل في ذلك قوله تعالى : **« ولايبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن او اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني اخواتهن ... »** (النور : ٣١)

فيحرم على المحرم الذكر ولاسيما اذا بلغ سن المراهقة أن يرى أحد محارمه من النساء وقد ارتدت الثياب القصيرة التي ارتفعت الى ما فوق الركبتين . وكشفت عن الفخذين .. أو ارتدت ثوبا يصف أو يشف ما تحته وبدت العورة التي يحرم النظر اليها . كما يحرم على البنت أو المرأة أن ترى ذلك ـ بين السّرة والركبة ـ من أحد محارمها ولو كان ابنها . أو أخاها . أو أباها .. وان أمنت الفتنة ولم تخف الشهوة ولو من أجل التغسيل والتدليك في الحمام ..

« تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعدّ حدودالله فأولئك هم الظالمون »

ب ـ أدب النظر الى المخطوبة :

الشريعة الاسلامية أجازت للخاطب أن ينظر الى مخطوبته . كما أجازت للمخطوبة أن تنظر الى خاطبها ليكون كل من الاثنين على بينة من الأمر في اختيار شريك الحياة . والأصل في ذلك قول النبيّ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه مسلم .. ـ للمغيرة بن شعبة : «أنظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما» أي هذا النظر أدعى لدوام المحبة والالفة .

وروى مسلم والنسائي أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه تزوج امرأة من الانصار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظرت اليها ؟

قال : لا ، قال : « فانظر اليها فان في أعين الأنصار شيئاً » (يعني الصغر) . ولكن لهذا النظر آداب فعلى الخاطب أن يراعيها :

١ ــ لايجوز أن ينظر الخاطب الا الى الوجه والكفين بعد أن يعزم على الزواج منهـا •

٢ ــ يجوز تكرار النظر اذا دعت الحاجة حتى تنطبع الصورة الحسية في الذهن •

٣ ــ يجوز أن تحدثه ، ويجوز أن يحدثها في جلسة الخطوبة والنظر •

٤ ــ لايجوز مصافحة المخطوبة بحال لكونها أجنبية قبل اجراء العقد ، والأجنبية يحرم مصافحتها لما روى البخاري عن عائشة : ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة في المبايعة قط ، وانما مبايعتها كانت كلاماً •

٥ ــ لايجوز أن يجتمعا الا بوجود أحد محارم المخطوبة لأن الاسلام يحرم الخلوة بالأجنبية ، لما روى الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام : « ألا لايخلونّ رجل بامرأة ، ولاتسافرنّ امرأة الا ومعها ذو محرم » •

هذا ولابد من الاشارة هنا الى أن ماانتشر في بعض الاوساط المتحللة من أن الخاطب يختلط بخطيبته بلا حدود ولاقيود بدعوى التعرف على أخلاقه وأخلاقها •• إنّ هذه الدعوى يرفضها الاسلام ، بل يحاربها •• لكونها تتنافى مع أبسط مبادىء الفضيلة والأخلاق •• لأن هذه الخلطة تسيء الى سمعـة المخطوبة أكثر من أن تسيء الى سمعة الخاطب ، فقد لايتم الزواج فتصبـح الفتاة عرضة للتهمة ، ومثارا للشبهة •• مما يجعلَ الكثير من الناس في اعراض تام عن الزواج منها •• ومعنى هذا أنها أصبحت عانسا في سوق الكساد • ومن ناحية أخرى فان هذه الخلطة الآثمة لن تحقق أهدافها للتكلّف الظاهر الذي يبديه كل واحد منها الى الاخر ، وكم سمعنا عن رجال ونساء بقـوا في الخطوبة سنين ، فلم تمض فترة زمنية على الزواج من بعضهم بعضا وإذ تحدث الفرقة ، ويقع الطلاق !!•• فأين التعرف على الأخلاق بخلطة الخطوبة ؟ ألا فليتذكر أولو الألباب ••

ج ـ أدب النظر الى الزوجة :

فيجوز للزوج أن يرى من زوجته كل شيء بشهوة أو بغير شهوة .. لأنه لما جاز المس والجماع فلأن يجوز ما دونهما وهو النظر الى جميع بدنها من باب أولى ، وان كان الافضل ألا ينظر أحدهما الى عورة صاحبه لحديث عائشة رضي الله عنها : « قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ير مني ولم أر منه »[1] ، والأصل في جواز الرؤية لكل شيء ما رواه أبو داود والترمذي والنسائي عن معاوية بن حيدة قال : قلت يارسول الله : عوراتنا ما نأتي منها ومانذر ؟ قال : « احفظ عورتك الا من زوجتك أو ما ملكت يمينك » .

وقال تعالى : ((**والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين**)) . (المؤمنون : ٥ ـ ٦)

د ـ أدب النظر الى المرأة الاجنبية :

لايجوز للرجل البالغ أن ينظر الى امرأة أجنبية ولو كانت غير مشتهاة ولكن ماهي المرأة الأجنبية وما هو الرجل الأجنبي ؟

الرجل الأجنبي : هو من يحلّ للمرأة الزواج منه كابن عمها ، وابن عمتها ، وابن خالها ، وابن خالتها ، وزوج أختها ، وزوج خالتها ..

والمرأة الاجنبية : هي من يحلّ للرجل الزواج منها كابنة عمه ، وابنة عمته ، وابنة خاله ، وابنة خالته ، وزوجة أخيه ، وزوجة عمه ، وزوجة خاله ، وأخت زوجته وعمتها وخالتها ...

ويلحق بالرجل الصبيّ إنْ كان مراهقاً أو مميزاً يفرّق بين الشوهاء والحسناء ، فلا يجوز لأحدهما النظر الى المرأة الأجنبية ..

(١) انظر فتح القدير ج ٨ « كتاب الحظر ، فصل النظر » .

والأصل في تحريم النظر قوله تبارك وتعالى : ((**قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ...))**

(النور : ٣١)

أما الأحاديث :

ــ فقد روى الطبراني والحاكم ، وقال الحاكم صحيح الإسناد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل : « النظرة سهم من سهام ابليس ، من تركها من مخافتي أبدلته ايما نا يجد حلاوته في قلبه » .

ــ وروى أحمد والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم ينظر الى محاسن امرأة ثم يغض بصره الا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه » .

ــ وروى أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا اذا حدثتم ، وأوفوا اذا وعدتم ، وأدوا اذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم » .

ــ وروى الشيخان .. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنى فهو مدرك لامحالة، العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » .

ـ وروى مسلم والترمذي •• عن جرير رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة فقال : « اصرف بصرك » •

ـ وروى أبو داود والترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وعنده ميمونة . فأقبل ابن أم مكتوم . وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « احتجبا منه » . فقلنا : يارسول الله أليس هو أعمى لايبصرنا ولايعرفنا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أفعميا وان أنتما ألستما تبصرانه ؟ »

فهذه النصوص تؤكد تأكيدا تاما بما لايقبل الجدل أن نظر الرجل الى المرأة الأجنبية حرام ؛ وأن نظر المرأة الى الرجل الأجنبي حرام أيضا اذا كانا في مجلس واحد وترتب من النظر فتنة •

(ولاشك أن الغاية التي يهدف إليها الاسلام من غض البصر ـ كما يقول صاحب الظلال ـ هو اقامة مجتمع نظيف لاتهاج فيه الشهوات في كل لحظة ، ولاتستثار فيه الغرائز في كل حين •

فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي بالانسان الى سعار شهواني لاينطفىء ولايرتوي ، والنظرة الخائنة . والحركة المثيرة ، والزينة المتبرجة ، والجسم العاري •• كلها لاتصنع شيئاً الا أن تهيج ذلك السّعار الشهواني المجنون •• واحدى وسائل الاسلام الى انشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هـذه الاستثارة وابقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليماً وبقوة الطبيعـة دون استثارة مصطنعة •

لقد شاع في وقت من الأوقات أن النظرة البريئة ، والحديث الطلق ، والاختلاط الميسور . والدعابة المرحة بين الجنسين ، والاطلاع على مواضـع الفتنة المخبوءة ••• شاع أن هذا تنفيس وترويح ، واطلاق للرغبات الحبيسة ،

ووقاية من الكبت ومن العقد النفسية ، وتخفيف من حدّة الضغط الجنسي وما وراءه من اندفاع غير مأمون ••• ولكن نسي هؤلاء الذين يتمسكون بمثل هذه النظريات والأفكار أن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق في التكوين الحيوي ؛ لأن الله سبحانه قد ناط به امتداد الحياة على هذه الأرض ، وتحقيق الخلافة لهذا الانسان فيها ؛ فهو ميل دائم يسكن فترة ثم يعود ، واثارته في كل حين تزيد من عرامته ، وتدفع الى الإفضاء المادي للحصول على الراحة . فاذا لم يتم هذا تعبت الأعصاب المستثارة وكان هذا بمثابة عملية تعذيب مستمرة •

فالنظرة تثير ، والحركة تثير ، والضحكة تثير ، والدعابة تثير ، والنبرة المعبرة عن هذا الميل تثير ••• والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات بحيث يبقى هذا الميل في حدوده الطبيعية ثم يلبى تلبية طبيعية عن طريق الزواج المشروع ؛ وهذا هو المنهاج الذي اختاره الاسلام وارتضاه للجنس البشري ليتم له هدوءه النفسي . واستقراره الفكري ، وراحته العصبية ، ورباطه السليم الذي يربط بين سائر أبناء الانسان •••) ! ــ أهـ•

وما أحسن ما قال بعضهم في استثارة النظر :

كل الحوادث مَبْداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرةٍ فعلت في قلب صاحبها فعل السّهام بلا قوس ولا وَتر
والمــرء مــادام ذا عــين يقلّبها في أعين الغيد موقوفٌ على خطر
يســرّ مقلته ما ضــرّ مهجتَه لا مرحباً بســرور عــاد بالضَّرر

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : ــ فيما رواه الطبراني « ثلاثة لاترى أعينهم النار : عين حرست في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله ، وعين كفّت عن محارم الله » •

هـ ـ أدب نظر الرجل الى الرجل :

لايجوز أن ينظر الرجل الى الرجل فيما بين سرّته الى ركبته سواء أكان الرجل المنظور اليه قريبا أم بعيدا وسواء أكان مسلما أو كافرا ..؟

أما ماعدا ذلك كالبطن والظهر والصدر .. فانه يجوز اذا أمن الناظر الشهوة ..

والأصل في حرمة هذا النظر ما رواه مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاينظر الرجل الى عورة الرجل ، ولا المرأة الى عورة المرأة .. »

وما رواه أحمد وأصحاب السنن .. « احُفظ عورتك الا من زوجتك أو ماملكت يمينك » .

وأخرج الحاكم عنه عليه الصلاة والسلام : « مابين السرة والركبة عورة » .

وروى الحاكم أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا مكشوف الفخذ ، فقال له موّجهاً ومرشدا : « غط فخذك فان الفخذ عورة » ، وفي رواية للترمذي : « الفخذ عورة » .

فمن هذه النصوص يتبين :

أنه لايجوز للرجل أن يكشف جزءا من سرته الى ركبته لافي رياضة ، ولا في سباحة ، ولا في تدريب ، ولا في حمام .. وإن أمن الشهوة .. واذا أمره أحد في كشف جزء من عورته فعليه ألا يطيعه للحديث : ((لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق)) .

أما مانسب الى المالكية بأن العورة هي السوأتان فقط،وماعدا السوأتان يجوز كشفه .. فهذا الادعاء غير صحيح بل هو من الجهل والتضليل .

ان العورة عند المالكية تقسم الى قسمين :

١ ــ عورة بالنسبة للصلاة .

٢ ــ وعورة بالنسبة للنظر .

أما العورة بالنسبة للصلاة فتنقسم الى قسمين :

عورة مغلظة : وهي السواتان (القبل والدبر) .

عورة مخففة : وهي مابين السرة الى الركبة .

ــ فالعورة المغلظة اذا كشفت في الصلاة تعاد مطلقا سواء أخرج وقتها أم لم يخــرج ؟

ــ والعورة المخففة اذا كشفت في الصلاة تعاد في الوقت فقط ، أما اذا خرج وقتها فلا تعاد .

أما العورة بالنسبة للنظر : فيحرم كشفها سواء أكانت مغلظة أم كانت مخففة .

ــ فعورة الرجل مع رجل آخر مابين سرته الى ركبته .

ــ وعورة المرأة مع المرأة اذا كانتا مسلمتين مابين السرة والركبة .

ــ وعورة المرأة المسلمة مع المرأة الكافرة كلها عورة ماعدا الوجه والكفان في قول ، وجميع بدنها في قول آخر .

ــ وعورة المرأة مع محارمها هي غير الوجه وغير اليدين وغير الرأس وغير العنق وغير ظهر القدمين .. أما ماعدا ذلك فهو عورة لايحــل النظر اليــه[1] ...

---

(١) هذا هو مذهب المالكية ، انتهى ملخصاً من « حاشية الدسوقي على الشرح الكبير » .

فيتبين من هذا النص الفقهي المالكي أن الأئمة الاربعة رضي الله عنهم متفقون على أن عورة الرجل مع الرجل هي مابين السرة الى الركبة ، وبناء على هذا يحرم النظر فيما بينهما ، ويحل النظر فيما عدا ذلك[1] .

و ـ أدب نظر المرأة الى المرأة :

لايجوز أن تنظر المرأة الى المرأة مابين سرتها الى ركبتها سواء أكانت المرأة المنظورة اليها قريبة أم بعيدة ؟ وسواء أكانت مسلمة أم كافرة ؟

والأصل في ذلك الحديث الذي سبق ذكره : « لاينظر الرجل الى عورة الرجل ولا المرأة الى عورة المرأة » وحديث الذي رواه الحاكم : « مابين السرة والركبة عورة » ، وحديث « الفخذ عورة » .

---

(١) ثبت في الصحيحين عن انس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر ، قال (اي انس) : فصلينا عندها صلاة الغداة، فركب نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وركب أبو طلحة وانا رديف أبي طلحة ، فأجرى نبي الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر ، وان ركبتي لتمس فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وانحسر الازار عن فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم واني لأرى بياض فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم ...

حديث انس هذا محمول ـ كما قال الامام النووي في شرح مسلم ـ : « على أن فخذه عليه الصلاة والسلام انحسر (أي انكشف) بغير اختياره لضرورة الإغارة والإجراء .. وليس فيه أنه استدام كشف الفخذ مع امكان الستر ، واما قول انس فاني لأرى فخذه صلى الله عليه وسلم فمحمول على انه وقع بصره عليه فجأة لا انه تعمده » اه .

واحتج ابن حزم الظاهري بحديث انس على أن فخذ الرجل ليس بعورة ولكن الفقهاء ردوا عليه بوجوه :

١ ـ ثبت من عدة أحاديث أن فخذ الرجل عورة ، اقواها ما رواه مالك واحمد وابو داود والترمذي وذكره البخاري في صحيحه معلقا عن جرهد قال : ←

فمن هذه النصوص يتبين :

يحرم على المراة ان تنظر الى فخذ ابنتها أو اختها أو امها أو جارتها او صديقتها .. لا في حمام ولا في غيره ..

والحكمة في هذا التحريم لتكون المرأة مصونة من هياج الغريزةوتوقدها حين ترى منظرا مثيرا . أو مشهدا فيه فتنة .. وقد تؤدي هذه الاستثارة الجنسية بالمرأة الى « السّحاق » الذي هو اتصال المرأة بالمرأة اطفاء لثــورة الغريزة فيها . واخمادا لعرامها ..

ومن علامات الساعة ــ كما صح في الأحاديث ــ : « اكتفاء الرجــال بالرجال (أي اللواط) . واكتفاء النساء بالنساء (أي السحاق) » .

مرّ علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بردة وقد انكشفت فخذي ، فقال: غط فخذيك فان الفخذ عورة » ..

٢ ــ قال علماء الأصول : اذا تعارض حديثان ، فاذا امكن التوفيق بينهما وفق ، وقد وفق النووي بين حديث أنس وحديث جرهد حيث حمل حديث انس على كشف النبي صلى الله عليه وسلم فخذه بغير اختياره لضرورة الاغارة على يهود خيبر كما سبق ذكره ..

٣ ــ على فرض أنه ما أمكن التوفيق بين الحديثين المتعارضين قا لعلماء الأصول : **« اذا تعارض المحرّم والمبيح رجح المحرم »** ؛ فبناء على هذه القاعدة المعتبرة لدى علماء الأصول اخذ العلماء بجانب حرمة كشف الفخذ من غــير مــا ضرورة .

٤ ــ ثبت في الصحيحين أن الله سبحانه عصم نبيّه عليه الصلاة والسلام من كشف العورة قبل النبوة في حال الصبا . فكيف يقر كشف فخذه بعد النبوة بقصد منه واختيار ؟ .

٥ ــ الأئمة المجتهدون مجمعون على أن فخذ الرجل عورة . وان النظر اليه حرام ولم يشذّ سوى الظاهرية ومن ذهب مذهبهم .. والأئمة الاعلام ــ كمــا رايت ــ ردوا مزاعمهم . وفندوا آراءهم ..

٦ ــ كشف الفخذين من غير ما ضرورة لا ينفق مع الذوق السليم ، بل يصطدم مع الحياء الاسلامي النبيل . ويتنافى مع أدب الاجتماع ، واخلاقية الاسلام ..

فعلى المسلمات الغيورات أن يتجنبن النظر الى عورات نساء مثلهن سواء أكان ذلك أثناء خلع الثياب للاستحمام ، أو التّدليك في الحمام ، أو في حفلات الأعراس حيث العري السافل والتكشف الممقوت الذي يندى له جبين الحياء !!.

وعلى الرجال الغيورين أن لايأذنوا لزوجاتهم ولا لبناتهم في دخول الحمامات العامة لاشتمالها على التكشف والعري والمفاسد كما هو شائع في أوساطنا الاجتماعية اليوم .

والرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن ذلك :

ـ روى النسائي والترمذي وحسنه والحاكم عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته (زوجته) الحمام » .

ـ وروى الطبراني أن نساء حمص أو الشام دخلن على عائشة رضي الله عنها فقالت : أنتن اللاتي تدخلن نساءكن الحمامات ؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها الا هتكت الستر بينها وبين ربها » .

ـ وروى ابن ماجه وأبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ستفتح عليكم أرض العجم ، وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال الا بإزار ، وامنعوها النساء الا مريضة أو نفساء » .

ز ـ ادب نظر المراة الكافرة الى المراة المسلمة :

يحرم على المرأة المسلمة أن تكشف شيئا من مفاتنها أمام امرأة كافرة الا ما يبدو عند المهنة ـ أي الخدمة ـ كاليدين والوجه والرجلين لعموم قوله تعالى كما جاء في سورة النور : « **ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن .... او نسائهن ....** » .

فمن قوله تعالى : **((أو نسائهن))** يفهم أن المرأة المسلمة لايجوز أن تبدي زينتها الا اذا كان بحضرتها نساء مسلمات صالحات . أما اذا كان في المجلس نساء غير مسلمات أو نساء مسلمات فاجرات فلا يجوز لها ابـداء الزينـة .

والحكمة في هذا التحريم هو ماجاء في حاشية الدسوقي : « .. فعورة الحرة المسلمة مع الحرة الكافرة ما عدا الوجـه واليدان على المعتمـد ، (والحكمة) : لئلا تصفها لزوجها الكافر ، فالتحريم لعارض لا لكونها عورة ».

ويحرم كذلك على المرأة المسلمة أن تكشف شيئاً من مفاتن جسمها أمام امرأة مسلمة فاجرة أيضا حتى لاتصف محاسنها عند الرجـال .. جـاء « في الهدية العلائية » ما يلي : « ... ولاينبغي للمرأة الصالحة أن تنظر اليها الفاجرة لأنها تصفها عند الرجال فلا تضع (أي المرأة الصالحة) جلبابها ولا خمارها » أهـ .

وللشيخ الوقور العلامة أبي الاعلى المودودي فهم خاص في قوله تعالى : **((أو نسائهن))** نذكره كما ورد في كتابه « تفسير سورة النور » : (ان المراد بقوله تعالى : **((أو نسائهن))** النساء المختصات بهن بالصحبة والخدمة والتعارف سواء أكنّ مسلمات أو غير مسلمات . وأن الغرض من الآية أن تخرج من دائرة الأجنبيات اللاتي لايعرف شيء عن أخلاقهن وآدابهن وعاداتهن ، أوتكون أحوالهن الظاهرة مشتبهة لايوثق بها . فليست العبرة في هذا الشأن بالاختلاف الديني . بل هي بالاختلاف الخلقي . فللنساء المسلمات أن يظهرن زينتهن بدون حجاب ولاتحرج للنساء الكريمات المنتميات الى البيوت المعروفة الجديرة بالاعتماد على أخلاق أهلها سواء أكنّ مسلمات أو غير مسلمات .

وأما الفاسقات اللاتي لاحياء عندهن ولايعتمد على أخلاقهن وآدابهن

فيجب أن تحتجب عنهن كل امرأة مؤمنة صالحة ولو كـن مسلمات لأن صحبتهن لاتقل عن صحبة الرجال ضرراً على أخلاقها ..!) أهـ .

ولكن أين هؤلاء النساء الكريمات غير المسلمات ذوات الاخلاق والفضل في هذا العصر ؟ في تقديري أن هذا لايوجد الا في بيئات محدودة ، فعلى المرأة المسلمة أن تحتاط لدينها وسمعتها مخافة التأثر بأخلاق غير دينها ، أو بأخلاق مسلمات مستهترات لايرعين شرفاً ولا حرمة !!..

ح ـ أدب النظر الى الأمرد :

الأمرد هو الشاب الذي لم تنبت لحيته بعد ، وهو الذي يتراوح عمره مابين (١٠ إلى ١٥) سنة .

والنظر الى الأمرد جائز اذا كان لضرورة كالبيع والشراء ، والأخذ والعطاء ، والتطبيب والتعليم ونحوها من مواضع الحاجة .

أما اذا كان النظر من أجل الالتذاذ بالجمال فهو حرام لكونه يجر الى الشهوة ويؤدي الى الفتنة ..

ودليل الحرمة قوله تعالى : « **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ..** »

ولقد بالغ السلف الصالح في الإعراض عن المرد الحِسان والنظر اليهم ومجالستهم :

ـ قال الحسن بن ذكوان : « لاتجالسوا أولاد الاغنياء فان لهم صورا كصور العذارى وهم أشد فتنة من النساء » .

ـ ودخل سفيان الثوري الحمام فدخل عليه صبي حسن الوجه فقال : « أخرجوه عني فاني أرى مع كل امرأة شيطانا . ومع كل أمرد سبعة عشر شيطانا » .

ـ وجاء رجل الى الامام أحمد ومعه صبي حسن الوجه فقال له :

مَنْ هـذا منك ؟

قال : ابن أختي .

قال : « لاتجيء به الينا مرة أخرى . ولاتمش معه بطريق لئلا يظن بك من لايعرفك ويعرفه بسوء » .

ـ وقال سعيد المسيب : « اذا رأيتم الرجل يحدّ النظر الى الغـلام الأمرد فاتهموه » .

والحكمة في تحريم النظر الى الأمرد من غير ما ضرورة هي مخافة الوقوع في الفاحشة سدا للذرائع ، وحسما للفساد ..

والمسلم التّقي الورع هو الذي يحتاط دائما لدينه وخلُقه وسمعته ، ويتقي بحذر مواطن التهم ..

ط ـ أدب نظر المرأة الى الاجنبي :

يجوز للمرأة المسلمة أن تنظر الى الرجال وهم يمشون في الطرقات ، أو هم يلعبون ألعابا غير محرمة ، أو هم يتعاطون البيع والشراء ، أو غير ذلك . والدليل على هذا ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل ينظر الى الحبشة وهم يلعبون في حرابهم في المسجد يوم العيد ، وعائشة رضي الله عنها تنظر اليهم من ورائه وهو يسترها منهم حتى ملّت ورجعت وذلك سنة سبع هجريـة .

وأما حديث : « احتجبا منه » ... « أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه ؟ » فمحمول على اجتماع أم سلمة وميمونة مع ابن أم مكتوم في مجلس واحد ، وتحديق بصرهن اليه مقابلة ومواجهة !!.

يقول العلامة أبو الأعلى المودودي في كتابه « الحجاب » : (ان هناك فرقا دقيقا بين نظر المرأة الى الرجال . ونظر الرجال الى النساء من حيـث

الخصائص النفسية للصنفين ، وذلك أن في طبيعة الرجل الاقدام فهو اذا أحب شيئاً يسعى في احرازه والوصول اليه ، ولكن في طبيعة المرأة التمنع والفرار (لحيائها) ، وهي مادامت على فطرتها ولم تنسلخ منها ، لايمكن أن يكون فيها من الجرأة والوقاحة والاقدام ما تتقدم به بنفسها الى شيء تحبه وتعجب به ؛ وقد راعى الشارع عليه الصلاة والسلام هذا الفرق بين طبعي الصنفين فلم يشدد في النهي عن نظر المرأة الى الأجنبي تشديده في النهي عن نظر الرجل الى الأجنبية ، وقد اشتهر حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراها لعب الحبشة بحرابهم في المسجد مما يفيد أنه ليس في نظر النساء الى الرجال بمحظور على الاطلاق ، وانما المكروه اجتماع النساء والرجال في مجلس واحد وتحديق بعضهم الى بعض ، كنهي أم سلمة وميمونة أن يحتجبا من ابن أم مكتوم ـ وأيضا لايجوز من النظر ما يخاف منه الفتنة) .

ويقول العلامة ابن حجر القسطلاني في شرح البخاري : « واستدل بهذا الحديث ـ أي حديث نظر عائشة الى الحبشة ـ على جواز رؤية المرأة الأجنبية للرجل الاجنبي دون العكس ، ويدل له استمرار العمل على خروج النساء الى المساجد والأسواق والاسفار متنقبات لئلا يراهن الرجال ، ولم يؤمر الرجال قط بالانتقاب لئلا يراهم النساء ، فدل على اختلاف الحكم بين الفريقين .

وبهذا احتج الامام الغزالي للجواز فقال : لسنا نقول إنّ وجه الرجل في حق المرأة عورة كوجه المرأة في حق الرجل ، فيحرم نظر المرأة الى الرجل عند خوف الفتنة ، وان لم تكن فتنة فلا ، إذْ لم تزل الرجال على مر الزمان مكشوفي الوجوه ، والنساء يخرجن متنقبات .. فلو استووا لأُمِرَ الرجال بالتنقب أو منعن من الخروج ... »

والذي أخلص بعد ما تقدم أن نظر المرأة الى الاجنبي جائز بشرطين :
الاول : أن لايترتب على النظر مما يخشى منه الفتنة .
الثاني : أن لايكون التحديق في مجلس واحد مواجهة ومقابلة .

ي ـ أدب النظر الى عورة الصغير[1] :

قال الفقهاء : الصغير سواء أكان ذكراً أو أنثى لاعورة له إذا كان ابن أربع سنين فما دونها، ثم إذا زاد على الأربع فعورته القُبل والدُبر وما حولهما.. حتى إذا بلغ حدّ الشهوة صارت عورته كعورة البالغ على التفصيل الذي سبق ذكره وكلما عودناه الستر وهو صغير كان أفضل .

ك ـ حالات ضرورية يباح فيها النظر :

سبق أن ذكرنا أنه لايجوز للرجل أن ينظر الى امرأة أجنبية ولو كانت دميمة غير مشتهاة .. سواء أكان النظر بشهوة أو بغير شهوة ؟

لعموم قوله تعالى : « **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم** » ولشمول قوله عليه الصلاة والسلام : « اصرف بصرك »[2] .

ولكن يستثنى من هذا النظر حالات ضرورية ، وأمور طارئة .. نذكرها على الترتيب التالي :

١ ـ **النظر بقصد الخطبة :** سبق الكلام عليه بشكل مفصل في بحث : « أدب النظر الى المخطوبة » .

٢ ـ **النظر بقصد التعليم :** يجوز النظر الى وجه المرأة الأجنبية من غير زينة بقصد التعليم بشرط :

ـ أن يكون العلم الذي تتعلمه معتبرا شرعاً فيه صلاح الدين والدنيا .

---

(١) انظر « ردّ المحتار » لابن عابدين ج١ باب شروط الصلاة .
(٢) روى مسلم انه عليه الصلاة والسلام حين سئل عن نظر الفجاءة قال : « اصرف بصرك » .

ـ وأن يكون في حدود اختصاصها كتعليمها أصول التمريض ، وفن الولادة ..

ـ وأن لايخشى من النظر الى وجهها فتنة .

ـ وأن لايترتب على التعليم خلوة .

ـ وأن لايوجد نساء يقمن بالتعليم مقا مالرجال .

ولا شك أن الاسلام حين وضع هذه القيود .. أراد تكوين مجتمع نظيف طاهر .. لاتحوم حوله الشبه ، ولاتوجه اليه التهم .. حتى تبقى الفتاة صيّنة طاهرة ، لاتمتد اليها يد بإثم ، ولاتنظر اليها عين بخيانة !! .

وصدق الله العظيم القائل : ((**ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين**))

٣ ـ **النظر بقصد المداواة :** يجوز أن ينظر الطبيب من الأجنبية الى المواضع التي يقوم على علاجها ، لما روى مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أنها استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجامة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا طيبة أن يحجمها .

ومعالجة الطبيب للمرأة الأجنبية لاتجوز الا بشروط :

١ ـ أن يكون الطبيب تقيا أمينا عدلا ذا اختصاص وعلم .

٢ ـ أن لايكشف من أعضاء المرأة الا قدر الحاجة اذا تعين النظر .

٣ ـ أن لاتكون هناك امرأة مختصة تقوم مقام الطبيب في علمه واختصاصه .

٤ ـ أن تكون المعالجة بوجود محرم ، أو زوج ، أو امرأة ثقة كأمها أو أختها أو جارتها ..

٥ ـ أن لايكون الطبيب كافرا مع وجود مسلم .

فاذا توفرت هذه الشروط فيجوز للطبيب أن ينظر أو يلمس موضع العورة بالنسبة للمرأة لأن الاسلام دين يدفع عن الناس الحرج ، ويجلب

لهـم المصلحة والتيسير .. فمبدؤه في ذلك **« وما جعل عليكم في الدين من حرج »** .

« يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر »

٤ ـ **النظر بقصد المحاكمة والشهادة :** يجوز للقاضي والشاهد أن ينظر من المرأة الى الوجه والكفين وإنْ خافا الفتنة .. لما يترتب من النظر احقاق حق ، ودفع ظلم .. وانما جاز النظر لكون المتنقبة غير معروفة لدى القاضي ، ولدى الشاهد .. فتكشف عن وجهها في هذه اللحظات لتُعْرَف أنها هي المعنيّة حتى لاتلتبس الأمور ، وتضيع في المجتمع الحقوق ..

وما ذاك الا لأن الاسلام دين الواقع والحياة ، يحقق للناس مصالحهم ، ويحفظ لهم حقوقهم **« ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ؟ »** .

وفي هذا المقام أسوق هذه القصة التاريخية الخالدة . ليعرف أهل الحسية والغيرة من الرجال والنساء كيف كان السلف الصالح يتحرجون في أن تكشف المرأة وجهها أمام الرجال ، ولو كان الكشف جائزاً شرعاً ؟

جلس موسى ابن اسحاق قاضي الريّ والأهواز في القرن الثالث الهجري ينظر في قضايا الناس . وكان بين المتقاضيَيْن امرأة ادعت على زوجها أن عليه خسمائة دينار مهرا لها ، فأنكر الزوج أن لها في ذمته شيئا .

فقال له القاضي : هات شهودك .

فقال : قد أحضرتهم .

فاستدعَى القاضي أحدهم وقال له : أنظر الى الزوجة لتشير اليها في شهادتك ، فقام الشاهد وقال للزوجة : قومي .

فقال الزوج : ماذا تريدون منها ؟

فقيل له : لابد أن ينظر الشاهد الى امرأتك وهي مُسْفِرة لتصح عنده معرفته بها •

فكره الرجل أن تضطر زوجته الى الكشف عن وجهها للشهود أمام الناس •

فصاح : اني أشهد القاضي على أن لزوجتي في ذمتي هذا المهر الذي تدعيه ولاتسفر عن وجهها •

فلما سمعت الزوجة ذلك أكبرت في رجلها أنه يضن بوجهها على رؤية الشهود ، وأنه يصونها عن أعين الناس !!•

فصاحت تقول للقاضي : اني أشهدك على أني قد وهبت له هذا المهر ، وأبرأته منه في الدنيا والآخرة !!•

فقال القاضي لمن حوله : « اكتبوا هذا في مكارم الأخلاق » !!•

فما على المربين الا أن يأخذوا بآداب الاسلام في النظر سواء ما يتعلق : في أدب النظر الى المحارم ، أو في أدب النظر الى المخطوبة ، أو في أدب نظر الزوج الى زوجته ، أو في أدب نظر الرجل الى المرأة الأجنبية ، أو في أدب نظر الرجل الى الرجل ، أو في أدب نظر المرأة الى المرأة ، و في أدب نظر المرأة الكافرة الى المرأة المسلمة ، أو في أدب نظر الرجل الى الأمرد ، أو في نظر المرأة الى الأجنبي ، أو في أدب النظر الى عورة الصغير ، أو في أدب النظر بقصد التعليم ، أو في أدب النظر بقصد المداواة ، أو في أدب النظر بقصد المحاكمة أو الشهادة ••

كل هذه الآداب من النظر يجب على الاباء والأمهات والمربين جميعا أن يعطوا لأبنائهم القدوة العملية فيها ، ثم يلقنوها ابناءهم تعليما وتوعية .. ان أرادوا لهم الخلق الفاضل ، والشخصية الاسلامية المتميزة ، والسلوك الاجتماعي

الخير ، والتربية الاسلامية السامية .. والله سبحانه لن يتِرهم أعمالهم ، ولن ينقصهم أجورهم وثوابهم في يوم لاينفع فيه مال ولابنون !!..



٣ ــ تجنيب الولد الاثارات الجنسية :

من المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الاسلام على المربي أن يجنب ولده كل ما يثيره جنسيا ، ويفسده خلقيا .. وذلك حينما يبلغ الولد سن المراهقة ، وهو السن الذي يتراوح مابين العاشرة الى البلوغ .

ولقد أجمع علماء التربية والأخلاق أن مرحلة المراهقة هي من أخطر المراحل في حياة الانسان ، فاذا عرف المربي كيف يربي الولد ؟ . وكيف ينتشله من أوحال الفساد ، وبيئات الانحلال ؟ وكيف يوجهه التوجيه الأمثل ؟ فعلى الأغلب أن الولد ينشأ على الخلق الفاضل . والأدب الرفيع . والتربية الاسلامية السامية ..

ومما يدل على أن الاسلام أمر الأولياء والمربين في أن يَجنّبوا أولادهم إثارة الجنس وهياج الغريزة هذه النصوص التالية :

ــ قال تعالى في سورة النور : **« وليضربْن بخمُرهنّ على جيوبهن ولا يبدين زينتهنّ إلا لبعولتهنّ أو أبنائهن ... أو الطفل الذين لم يَظهَروا على عورات النساء ... »** .

فيؤخذ من هذا النصّ أن الولد إذا كان صغيراً لايفهم أحوال النساء وعوراتهن وإثارتهن فلا بأس بدخوله على النساء ، فأما إن كان مراهقاً أو قريباً منه ــ وهو السنّ الذي بعد التاسعة ــ فلا يمكّن من الدخول على النساء لكونه يفرّق بين الشوهاء والحسناء ، وتتحرك الشهوة في نفسه إذا رأى منظراً مثيراً ..

يقول الإمام ابن كثير في تفسير آية : **((أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء))** (يعني لصغرهم لايفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم ، وتعطفهن في المشية . وحركاتهن وسكناتهن .. فاذا كان الطفل صغيراً لايفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء . فأما إن كان مراهقا أو قريباً منه بحيث يعرف ذلك ويدريه . ويفرّق بين الشوهاء والحسناء . فلا يمكّن من الدخول على النساء . وقد ثبت في الصحيحين عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إياكم والدخول على النساء » قيل يا رسول الله : أفرأيت الحمو ؟ (أي قريب الزوج) قال : « الحمو الموت ») .

ــ روى الحاكم وأبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، **وفرقوا بينهم في المضاجع »** .

فيؤخذ من هذا النص أن الآباء والأمهات مأمورون شرعاً بأن يفرّقوا بين أبنائهم في المضجع إذا بلغوا سنّ العاشرة ، مخافة ــ اذا اختلطوا في فراش واحد ، وهم في سنّ المراهقة أو ما يقاربها ــ أن يروا من عورات بعضهم البعض في حال النوم أو في اليقظة .. ما يثيرهم جنسياً ، أو يفسدهم خلقياً..

وهذا دليل قاطع على أن الاسلام يأمر الأولياء بأن يتخذوا التدابير الإيجابية ، والأسباب الوقائية .. في تجنيب الولد الهياج الغريزي ، والإثارة الجنسية .. حتى ينشأ على الصلاح ، ويتربّى على الفضيلة والخلق الفاضل!!

ــ روى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم أردف الفضل بن العباس رضي الله عنهما يوم النّحر خلفه ــ وكان الفضل قد ناهز البلوغ ــ فطفق الفضل ينظر الى امرأة وضيئة من خثعم كانت تسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أمور دينها ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بذقن الفضل ، فحوّل وجهه عن النظر اليها ..

وفي رواية للترمذي : أن العباس قال للرسول صلى الله عليه وسلم : لوَيْتَ عنقَ ابن عمك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « رأيتُ شاباً وشابّة فلم آمَنْ عليهما الفتنة » .

يؤخذ من فعل النبي صلى الله عليه وسلم في تحويل وجه الفضل عن النظر إلى المرأة ، ومن قوله : « .. فلم آمن عليهما الفتنة » .

يؤخذ من هذا كله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يهتم في توجيه الولد المراهق ، أو البالغ الشاب .. في كل ما يصلحه خلقياً ، ويضبطه غريزياً .. مخافة أن يقع في الفتنة أو يتردّى في الفساد والانحلال !!..

وهذه لفتة تربوية كريمة من نبيّ الإسلام صلوات الله وسلامه عليه في إصلاح الجيل وتربية الأولاد . وتقويم اعوجاج المجتمع ..

وماأكثر مواقفه الإصلاحية ، ولفتاته التربوية عليه الصلاة والسلام !!.

فنستخلص من هذه النصوص التي أوردناها آنفاً أنه يجب على المربي أن يجنّب ولده كل ما يثيره غريزياً ، ويهيّجه جنسياً .. حتى لايقع في حبائل الفاحشة ، ويتردّى في مهاوي الرذيلة ، ويتقلّب في حمأة الفساد والانحلال.. ومسؤولية المربي في تجنيب الولد الإثارات الجنسية تتحقق في جانبين :

الأول : مسؤولية الرقابة الداخلية .

الثاني : مسؤولية الرقابة الخارجية .

ـ أما الرقـابة الداخليـة :

فيجب أن يتبع المربّي قواعد الاسلام في منع كلّ ما يهيّج الولد غريزيّاً ، ويثيره جنسياً :

● فدخوله على أهله وهو في سن التمييز في أوقات الراحة والنوم : من قبل صلاة الفجر ، ووقت الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء بدون استئذان .. مما يثيره جنسياً .. لأن الولد — على الغالب — يفاجأ باطلاع على حالة من تكشّف العورات لا يحسن أن يرى أهله فيها .

لذا وجب على المربّي — كما مرّ — أن يعلّم ولده الصغير أدب الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة .

أما إذا بلغ الولد سنّ البلوغ فعلى المربّي أن يعلّمه أدب الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة وفي غيرها ..

● ودخوله على النساء الأجنبيات وهنّ في أجمل زينة وهو في سن المراهقة — وهو السن ما بعد التاسعة — مما يثير الولد جنسياً ..

لذا وجب على المربّي — كما مرّ — أن يمنع ولده المراهق من الدخول على النساء الأجنبيات .

● ونومه مع إخوته البنين أو البنات في مضجع واحد وهو في سنّ العاشرة وما بعدها .. مما يثير الولد جنسياً ولا سيما حينما يضمّه وإيّاهم لحاف واحد .

لذا وجب على المربّي — كما مرّ — أن يفرّق بينهم في المضاجع .

● وتحديق نظره إلى مكان العورة المكشوفة من المرأة وهو في سنّ التمييز وما بعده .. مما يثير الولد جنسياً ..

لذا وجب على المربّي — كما مرّ — أن يعلم الولد منذ نشأته آداب النظر .

● وإفساح المجال له ليرى في البيت من شاشة التلفزيون المناظر المثيرة ، والتمثيليات الماجنة والدعايات الفاجرة .. مما يثير الولد جنسياً ..

لذا وجب على المربّي ــ كما مرّ ــ أن يمنع من البيت وجود التلفزيون لخطره الكبير على الفضيلة والأخلاق .

● وترك الحبل له على غاربه في أن يقتني ما شاء من الصور العارية ، والمجلات الماجنة ، والقصص الغرامية المهيجة والتسجيلات الغنائية المثيرة .. دونما سؤال ولا رقيب . مما يثير الولد جنسياً ..

لذا وجب على المربّي ــ كما مرّ ــ أن يراقب الولد ، وأن يلقي نظرة الى مكتبه ، ليعرف كيف يرشده وكيف يوجهه إذا رآه اقتنى شيئاً محرّماً ؟

● وإتاحة المجال له في أن يصادق من قريباته أو من بنات الجيران وهو في سنّ المراهقة من شاء بحجة الدراسة والاجتهاد .. مما يثير الولد جنسياً .. لذا وجب على المربّي أن لا يفسح المجال لولده ولا لابنته في توثيق العلاقة بين الذكور والإناث ، لما لهذه العلاقات من خطر كبير على الفضيلة والأخلاق ، الى غير ذلك من هذه المثيرات التي تفسد أخلاق الولد ، وترمي به في متاهات الانحلال والميوعة والإباحية ..

فعلى المربي أن يجنّبها الولد بتوجيهه الزكيّ ، وإرشاده السديد ، وحكمته الرشيدة . ولا يعدم وسيلة في اصلاح الولد ، وتربيته التربية الفاضلة .

ــ أما الرقابة الخارجية :

فهي لاتقل عناية واهتماما عن الرقابة الداخلية ، ذلك لأن وسائل إفساد الولد خلقياً أكثر من أن تحصى ، ولابأس فيأنأضع بين يديك ــ أخي المربي ــ أخطر هذه الوسائل التي تثير الولد جنسياً ، وتهيّجه غريزيّاً .. لتكون على رؤية تامة في كل ما يسبب إفساد الولد ، ويوقعه في مهاوي الهلاك :

١ ـ مفسدة السينما أو المسرح :

لما يعرض فيهما من مفـاتن الجنس ، واستثارات الشهوة ، ومظـاهر الفساد والإباحية ••

حتى ان السينما أو المسرح اليـوم أصبحتا ـ ويا للأسف ـ وسيـله للتحلل ، ومرتعاً للمجون والميوعة •• بل صارت التجارة بالأعراض والجنس ـ عن طريق السينما أو المسرح ـ باباً للرزق، وميداناً للسبق•• عند أصحاب المطامع الخسيسة ، وذوي النفوس الهابطة الدنيئة •• من يهود وغير يهود ، من مسلمين ينتسبون ظلماً وزوراً إلى الإسلام ومن غير المسلمين ••

٢ ـ مفسدة أزيـاء النساء الفاضحة :

لما تستلفت نظر المراهقين والشباب ، فلا يملك أحدهـم أن يشعر بشيء من الاستقرار أمام هذه المفاتن المبتذلة ، وأمام هذه الأزياء الفاضحة •• إنـه لايستطيع ملاحقة مواكب الحسان الفاتنات الكاشفات عن الجسد ببصره فضلا عما يندفع بغريزته إلى ما وراء ذلك •

فماذا يفعل المراهق أو الشاب أمام هذا التيار الجارف من المفاسد ؟

إن ذلك يرهق الأعصاب ، ويفسد الأخلاق ، ويصرف عن الجد والعمل البنّاء •

من الذي يخترع هـذه الأزيـاء ؟

إنهم حفنة من التجار أكثرهم من اليهود الذين يريدون أن تعمّ الفوضى كل الأنحاء ، وأن يجتثّوا أصول الأخلاق الفاضلة من المجتمعات •• لتنحـل قواها ويسهل السيطرة عليها وامتلاك زمامها !!••

إن أولئك يصدرون عن عقائد غير عقائدنا ، وأخلاق غير أخلاقنا •

إن شعور التبعية النفسية ، والإحساس بالنقص •• والانخراط في بوتقة

التقليد الأعمى .. هو الذي يحمل النساء غير الواعيات في بلدنا أن ينسقن بحكم عواطفهن وأهوائهن في تيار الأزياء الفاضحة التي تستهدف الفتنة والإغراء ..

ولست أدري كيف ترضى المرأة المسلمة أن تنقاد وراء ذلك التيار الآسن الذي يسلبها خصائصها وأصالتها ، ويحيلها إلى مسخٍ شائه باسم الرقيّ والتحضر والتقدمية .. ومما يجسّم الخطر أن تيار العبث بالأزياء لا يقف عند حدّ ، بل إنه يولع بكل غريب ، ويتجه إلى كل ما يلفت الأنظار ويثير العجب !!.

لقد تفنّنت الأزياء في إبراز الفتنة والإغراء بالانحراف فلم تدع لذلك وسيلة الا اتجهت اليها مهما بدت معيبة مسجوجة ، ومهما امتهنت كرامة الانسان، وأحالته الى سلعة أقلّ من الحيوان !!..

والمرأة المعاصرة طائعة ذليلة لكل ما يختاره لها العابثون ، وقد وقرَ في أذهان النساء أن التخلف عن هذه « الأزياء العالمية » كما يصفونها انقطاع عن الحضارة وتأخر عن موكب المدنية والتقدم ..

ولئن كانت المرأة الأوربية أو الأمريكية ... لاترى بأساً في اتباع هذا التيار الجارف من فوضى الأزياء ، فان المرأة المسلمة لابد أن ترى في هذا التيار بأساً وأي بأس !!؟

أن ترى فيه بأساً لما يصيب العزّاب من كَبْتٍ ، وما يجرّهم الى الفوضى الجنسية والانحلال . أن ترى فيه بأساً لما يدفع النساء الجاهلات الفقيرات إلى أن يتعاطين الزنى سرّاً لتحصل على المال ، حتى تظهر بمظهر فاتن جميل حين ترتدي هذه الأزياء !!..

أن ترى فيه بأساً لما يقع بين الأزواج والزوجات من مشاجرات وخصومات من أجل أن تشبع المرأة نهمها في ارتداء الزي الجديد .

إن المرأة المسلمة مطالبة أن تحيا في حدود أخلاقها ومبادئها وأصالتها الإسلامية ، وأن تحافظ على استقامة المجتمع ، وطمأنينته ، وأن ترحم المراهقين والعزّاب بما تظهر به من مظهر الحشمة والكمال ، وبما ترتديه من زي الجلابيب والحجاب .. وإلا .. فانها تعتبر شرعاً حائدة عن مبادئ الاسلام، ومسترسلة في متاهات الفسوق والعصيان، خاضعة للهوى ، منقادة للضلال..

((وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم)) . (الأحزاب : ٣٦)

٣ ـ مفسدة المواخير السرية والعلنية :

لما تحتويه من رجال فقدوا في رؤوسهم معاني النخوة والشرف والغيرة.. ونساء فقدن في نفوسهن رباط الكرامة والحياء والعفاف .. يجتمعون معاً في هذه الأوكار الآثمة لينطلقوا في حلبة الإباحية كالخنازير في الخسة والدناءة، وكالبهائم في السّفاد وهياج الغريزة ..

إنها ساحات للاباحية والمفاسد ، إنها أماكن للدعارة والخنا ... يغشاها في كل آن طلاّب المتعة والجسد ، وعشّاق الميوعة والانحلال ..

وهي عدوى أصابتنا من جراثيم التقليد الجاهل للحضارة الغربية ، أو رؤية قشورها دون جوهرها ، وهي دلالة على قتل الوقت بالعبث . وضياع قيمة الحياة ..

وإلاّ .. فما معنى أن يبدّد الانسان الأحمق .. وقته وماله في سبيل

الاطلاع على العورات ، وارتكاب المآثم ، والتدرّج نحو الإباحية ، واقتراف المنكرات .. وكلّها لاتستقيم معها أُولَى أو أخرى ؟!! .

وهذه المواخير سواء أكانت سرية أم علنية باب واسع لفوضى الغريزة ، والاتصال بالجنس .. فهي بيئات آسنة قذرة تنمو فيها جراثيم الخطيئة والإثم وتتعدد ألوانها . وفي مشاهدها المثيرة يفقد الإنسان زمام نفسه ، ويفسق عن أمر ربه ، ويتدرّج على سلّم الإباحية .. حين يرى الوجوه الآثمة ، والأجساد العارية ، والمفاتن المغرية ..

وفي ظلال المسكرات والمخدّرات تفتح الأبواب المغلقة ، وتوقظ الفتن لنائمة ، وينصرف الناس عن الجد والاستقامة وأداء الرسالة .. إلى ألــوان النزوات واللهو الحقير ، والاتصال الحرام ..

وفي العلاقات المنحرفة التي تنبت جذورها في هــذه البيئات الفاسدة ، والمواخير الآثمة تتهدّم أسَر ، وتتقوّض بيوت ، وتنحرف نساء ، وتُقبَر مروءات ، وتنتهك حرمــات ، وتبدّد أموال !!.

ولا يقف خطر هذه المواخير عند هذا الحدّ ، بل إنها تمتد بيــد الفساد إلى كثير من البنات اللائي تنزلق أقدامهن إلى هذه الهاوية ، استجابة لإغراء المــال ، وإشباع الوطر ، والتمتع باللذة العارضة التي يعقبها المصائب والآلام: وأريد في هذا المجال أن أضــع بين يديك ــ أخي المربي ــ هــذه الصور من انزلاق البنات في هاوية الرذيلة ، لتكون الرؤية لديك ظاهرة واضحة :

آ ــ بينما كانت معلمــة الرياضة تعطي درس الرياضة لطالبات الصف العاشر في إحدى المدارس الثانوية للبنات وإذ بطالبة تقع على الأرض فجــأة لدوار أصابها ، وفوراً تنقل الى المستشفى لإسعافها ، وبعــد فحصٍ طبّي لجسمها تبيّن أن الطالبة حبلى من الزنى .

ولما أخذ التحقيق مجراه تبيّن أن الطالبة هذه مرتبطة بوكرٍ من أوكار

الدعارة السريّة في البلد مع خمس طالبات من سنّهـا ، والأهـل والمدرسة لايعلمون من أمرهن شيئاً !!.

وتبيّن أيضاً نتيجة التحقيق أن طالبة من هذه الطالبات كانت مستهنـة الدعارة السرية قبل دخولها الىالمدرسة بوحي منأمّها الداعرة .. واستطاعت بأساليبها المغرية أن تزيّن لرفيقاتها طريق الفحشـاء والمنكر حتى أوقعتهن في هذا المصير المخزي ، والنهاية الأليمة ..

والمسؤولون في التعليم لفّوا الموضوع ، وطمسوا على الحادثة مخافـة الفضيحة . **ولا شك أن للصحبة الفاسدة أثرها الأكبر في الإفساد والإغواء ..**

ب ــ أب ماجن متحلل ليس له منهم سوى أن يجري وراء اللذة والجنس إشباعا لشهوته الآثمة .. ساقته نزوته الحيوانية يوماً الى وكْرٍ من أوكـار الدعارة السريّة ، فدخله وإذ بالقوّاد المشرف على الوكر يعرض على زبائنـه صور البغايا الزانيات ، فخطفت عينه صورة ابنة من بناته المتعلّمات فانذهل لجسامة المفاجأة ولكن ضبط أعصابه ريثما يتبيّن الأمر على حقيقته ..

فقال للقوّاد : أرغب صاحبة هذه الصورة .

فقال له : أدخل غرفة (كذا) سوف تراها حاضرة مهيّأة لك .

فدخل وإذ بابنته على أتم استعداد لاستقبال الزبائن !!..

ولكن الفتاة حين رأت أباها ماثلا أمامهـا سيطر عليها الذعر ، وملكهـا الخوف ، وصُدمت صدمة شديدة .. فما كان منها إلا أن أسرعت نحو الباب وهي في ذعرٍ أليم ، وصياح هائج .. تريد انقاذ نفسها من أبيها ..

أما الأب فقد تفجّرت في رأسه ينابيع النخوة والغيرة ، وسرى فيعروقه دم الانتصار للعرض والشرف .. فهجم على ابنته ــ بدونوعي ــ كالأسد

الكاسر يريد خنقها •• ولكن تواجُد الناس السريع حال دون ذلك •• وحتى هنا انسدل الستار ، وما عُرف ماذا تمّ في مصير الفتاة ؟

والذين عندهم دراية في ملابسات الحادثة قالوا : ان سبب انزلاق هـذه الفتاة هو الرفقة الفاسدة •• فابنة الجيران التي كانت ترافقها الى المدرسةهي التي زيّنت لها طريق الشر . وصيّرتها هذا المصير الآثم ••

ولم يَدُر بخلَد أحد من أهلها أن ابنتهم استعاضت عن المدرسة وكراً للدعارة قبرت فيه شرفها وعفافها !!••

ولا شك أن للصحبة الفاسدة أثرها الأكبر في الإغواء والافساد ..

ج ــ حدثني من أثق به من المدرسين المخلصين الغيورين أنه دخل احدى المقاهي في البلد ، ليبحث عن صديق له هناك ، وفي أثناء دخـوله لفت نظره دخول طلاب وطالبات يصعدون تباعاً إلى الطابق العلوي في المقهى الذيتواجد فيه : فدفعه حب الاطلاع لأن يعرف لماذا والى أين ؟

وما أن وصل بهو الطابق حتى انذهل من هول ما رأى •• رأى آكثر من يؤمّون الطابق طلاباً وطالبات ، رآهم في عناق ، في قبـلات ، في غزل ، في ضحكات فاجرة ، في إثارات داعرة ••

فتساءل كيف وصل هؤلاء الى بعضهم بعضا ؟ كيف تمت العلاقات ؟ من الذي أتى بهم الى هذا المكان ؟

دروس من العهر والانحلال يتلقونها من التلفاز ، ويتلقونها من السينما . ويتلقونها من المجلة المائعة ، ويتلقونها من القصة المثيرة ، ويتلقونها منالأغاني الرقيعة •• ويتلقونها من الشارع •• فكان من نتيجة ذلك هذا المصيرالمحزن، والنهاية الأليمة . والأهل لايعلمون من أمر أولادهم وبناتهم شيئاً !!•

شك أن للبيئة الفاسدة أثرها الأكبر في الاغــواء والإفساد ..

د ـ حدثني أكثر من واحد من مديرين ومديرات وإداريين وإداريات.. أنهم اطلعوا وهم في أعمالهم الإدارية على رسائل كثيرة تأتي الى المدرسة بواسطة البريد . تحمل في طيّاتها عبارات الغزل والعشق والغرام .. تدبّجها أقــلام طلاب أو طالبات قتلوا من دراستهم الوقت الكثير في سبيل ماذا ؟ في سبيــل رسالة يكتبها عاشق لعشيقته، أو تكتبها عشيقة لعشيقها.. وما ذاك إلا لإهمال الرقابة المنزلية من الأبوين . أو لإهمال التوجيه التربوي الواعي من المدرسة.. أو لتأثيرات الفساد الاجتماعي الذي استشرى في المجتمع في كل مكان .

فالولد سواء أكان ذكراً أم أنثى إذا كان خاوي العقيدة . فارغ الخلق، ميت الضمير .. يخالط الأشرار . ويصاحب الفجار .. فلا بــد أن ينتهي إلى هذا المصير المخزي ، والنهاية الأليمة ..

ولا شك أن للبيئة الفاسدة والصحبة الفاجرة أثرها الأكبر في الإغواء والافساد .

٤ ـ مفسدة المظاهر الخليعة في المجتمع :

يتلفت الشاب أو المراهق في الشارع وفي الساحات العامة فماذا يرى؟

يرى الصور العارية التي تملأ السينما والصحف والمجلات والإعلانات والشوارع والمنازل والنوادي والمسارح ..

يرى النساء الكاسيات العاريات وهن في أبهى زينــة . وأفتن منظر .. يرى الأزياء الفاضحة من نساء لايرعين للشرف حرمة ، ولا للأخلاق وزناً ..

يرى الطلاب والطالبات عند ذهابهم الى المدرسة وعند انصرافهم منهــا كأنهم جراد منتشر في اختلاطهم وازدحامهم .. وكم سمعنا كلمــات قــذرة وجهها طالب ماجن وضيع الى طالبة ماجنة مستهترة وهي سائرة في الطريق ؟

يرى المراهقين والمراهقات متجمعين على باب السينما ينظرون الى صور العُهْر والتحلل ، وقد يغري المراهق المراهقة ــ على موعد أو غير موعد ــ بدفع ثمن البطاقة ، حتى يشهدا معاً فيلماً ماجناً ، أو مسرحية مائعة ..

يرى كل ذلك وأكثر من ذلك وهو في سنّ المراهقة ، وثورة الشباب!!.

ولاشك أن للبيئة الفاسدة أثرها الأكبر في الإغواء والإفساد ..

٥ ــ مفسدة الصحبة السيئة :

سبق أن ذكرنا في القسم الأول في فصل : « أسباب الانحراف عند الأولاد .. » ما يلي : « ومن العوامل الكبيرة التي تؤدي الى انحراف الولد رفاق السوء والخلطة الفاسدة ، ولاسيما اذا كان الولد بليد الذكاء ، ضعيف العقيدة ، متميع الخلق .. فسرعان ما يتأثر بمصاحبة الفجار ، ومرافقة الأشرار .. وسرعان ما يكتسب منهم أحطّ العادات ، وأقبح الأخلاق .. بل يسير معهم في طريق الشقاوة بخطى سريعة ، حتى يصبح الإجرام طبعاً من طباعهم ، والانحراف عادة متأصلة من عاداتهم ، ويصعب بعد ذلك ردّه الى الجادّة المستقيمة ، وانقاذه من وهدة الضلال ، وهوّة الشقاء .. » .

ولقد رأيت ــ أخي المربي ــ حين تكلمنا عن « مفسدة المواخير .. » ما للصحبة الفاسدة من خطر كبير في جرّ المراهق أو المراهقة .. الى الفاحشة، وسوقهما الى بيئة الفساد والانحلال .. لأن الصاحب كما يقول الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام : ــ فيما رواه ابن حبان ــ « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم مَنْ يخالل » ، وكما قال أيضاً : ــ فيما رواه ابن عساكر ــ « إيّاك وقرين السوء فإنك به تُعْرَف » .

ورحم الله من قال :

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

٦ ـ مفسدة الاختلاط بين الجنسين :

لما لاختلاط البنين والبنات وهم في سن التمييز والمراهقة من أثر كبير على الفضيلة والأخلاق والعلم والاقتصاد والجسم والأعصاب •

وقد قامت بدعة الاختلاط بين الجنسين في المدارس ومكاتب الوظائف•• في بعض البيئات الاسلامية اليوم بحجة أن الاختلاط ما بين الجنسين يهذب الغريزة ، ويصرف كوامن الشهوة ويجعل اجتماع النساء بالرجال أمرا مألوفا وعادياً ••

وسبق أن ذكرنا في فصل « مسؤولية التربية العقلية » الردّ المقنع المدعوم بالحجة والدليل على كلّ مَنْ يزعم أن الاختلاط ما بين الجنسين يهذّب الغريزة . ويحدّ الشهوة، ويجعل اللقاء بين الرجل والمرأة أمراً طبيعياً مألوفاً••

ارجع ــ أخي المربي ــ الى الفصل المذكور ، واقرأ فيه بحث « الردّ على دعاة الاختلاط » تجد ما يشفي الغليل إن شاء الله •

تلكم ــ أيها المربون ــ أهم وسائل الإفساد في تمييع الولد خلقياً ، وإثارته جنسياً ؛ وهي وسائل مدمّرة ، وأسباب مهلكة كما رأيتم !!••

فما عليكم ــ إذن ــ إلا أن تقوموا بمسؤولياتكم كاملة في رقابة الولد وملاحظته سواء أكانت الرقابة داخلية أو خارجية ••

ولكن هل الرقابة وحدها تجدي أم هناك وسائل ايجابية أخرى يجب أن ينتهجها المربون في اصلاح الولد ؟

في تقديري أن هناك ثلاث وسائل ايجابية اذا انتهجها المربون انصلح الولد خلقيا ، وانضبط غريزيا •• وكان كالملك في طهره وصفائه ، وكالنبي في قدوته وأخلاقه ، وكالمرشد الرباني في روحانيته وتقواه •• وهذه الوسائل مرتبة كما يلي :

١ ــ وسيلة التوعية .

٢ ــ وسيلة التحذير ..

٣ ــ وسيلة الربط .

١ ــ وسيلة التوعيــة :

مما لايختلف فيه اثنان أن الولد اذا لقن منذ نعومة أظفاره أن هــذا الفساد الاجتماعي ، والانحلال الأخلاقي .. الذي عم المجتمعات الاسلامية في كل مكان هو من مخططات اليهودية والشيوعية والصليبية والاستعمارية .. فان الولد ــ اذا ما كبر ــ يصبح عنده من النضج والفهم والوعي مايردعه عن الاسترسال في الشهوات ، ومايرده عن كثير من المفاتن والمفاسد .. ولاشك أن وسائل هذا الإفساد عندهم **هو الجنس ، والسينما ، والمسرح ، والمجلة ، والصحيفة ، وبرامج التلفزيون والاذاعــة ، والأزيــاء ، ونشر الصور العارية ، ومواخير الدعارة السرية والعلنية .. وما شابه ذلك .. وسوف تجد ــ أخي المربي ــ هذه المخططات موسعة مع شواهدها .. في بحث « الاستشعار بالمسؤولية » من هذا الكتاب .**

وسبق أن ألمحنا عن هذه المخططات في فصل « مسؤولية التربية العقلية » في آخر الفصل المذكور .

فارجع ــ أخي المربي ــ الى هذين البحثين تجد مايشفي الغليل ان شاء الله . ولابأس في هذا المقام أن أعرض لك باختصار ــ أخي المربي ــ عن الخطوط العريضة لهذه المخططات لترسخ في ذاكرتك مكائد أعداء الاسلام في افساد المجتمع الاسلامي .

● **اليهــود والماسونية :**

ــ انهم تبنوا آراء « **فرويد** » الذي يفسر كل شيء في سلوك الانسان عن طريق الغريزة الجنسية ، والاسترسال في طريق الشهوة واللذة ..

ـ انهم تبنوا آراء اليهودي « **كارل ماركس** » الذي أفسد على الكثير عقائدهم وأخلاقهم ، وألغى الاديان وهاجم عقيدة الالوهية . ولما قيل لكارل ماركس : ما هو البديل عن عقيدة الألوهية ؟ قال : البديل هو المسرح . أشغلوهم عن عقيدة الالوهية بالمسرح .

ـ انهم تبنوا آراء « **نيتشه** » الذي ألغى الأخلاق ، وأباح لكل انسان أن يفعل ما يؤدي الى استمتاعه ...

ـ انهم يعملون لتنهار الاخلاق في كل مكان .. عن طريق الجنس والمرأة .. فمن أقوالهم وأقوال الماسونيين : « يجب علينا أن نكسب المرأة ، فأي يوم مدت الينا يدها فزنا بالحرام ، وتبدد جيش المنتصرين للدين » .

● **الاستعمار والصليبيــة :**

ـ يقول أحد أقطاب المستعمرين الكبار : « كأس وغانية ، تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع ، فأغرقوها في حب المـادة والشهوات » .

ـ ومما قاله « الفس زويمر » في مؤتمر المبشرين في القدس : « انكم أعددتم نشئا في ديار المسلمين لايعرف الصلة بالله .. وبالتالي جاء النشء الاسلامي طبقا لما أراد له الاستعمار ، لايهتم بالعظائم ، ويحب الراحـة والكسل ، ولايصرف همه في دنياه الا في الشهوات . فاذا تعلم فللشهوات ، واذا جمع المال فللشهوات ، وان تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود في كل شيء ... »

● **الشيوعية والمذاهب المادية :**

سوف تجد ـ أخي المربي ـ ما قاله الشيوعيون في وثيقتهم السرية

مفصلا في بحث « الاستشعار بالمسؤولية » . ولكننا نجتزىء هذا القول لارتباطه بموضوعنا :

« ونجحنا في تعميم ما يهدم الدين من القصص ، والمسرحيات ، والمحاضرات ، والصحف ، والمجلات ، والمؤلفات التي تروّج للالحاد وتدعو اليه ، وتهزأ بالدين ورجاله ، وتدعو للعلم وحده ، وجعله الاله المسيطر » .

(فمن هذه الأقوال والمخططات يتبين : أن اليهودية ، والماسونية ، والشيوعية والصليبية . والتبشير . والاستعمار .. متضافرون متفاهمون متعاونون .. على افساد المجتمعات الاسلامية عن طريق الخمر . والجنس ، والمسرح . والمجلات . والصحف . والبرامج التلفزيونية والاذاعية ، ونشر الكتب والمؤلفات اللادينية .. وترويج القصص والمسرحيات اللاأخلاقية ..

وقد وصلوا – ويالالاسف – الى هدفهم الخبيث . وغايتهم الدنيئة .. حتى رأينا شبابا وشابات من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا ، وينتسبون الى اسلامنا .. قد انطلقوا وراء الغرائز والشهوات . وانزلقوا في مزالق التحلل والميوعة والتقليد الأعمى .. وأصبحوا في حالة يرثى لها لاهمّ لهم ولا غاية سوى التقلب في حمأة الرذيلة والشهوة . والانصراف الى مشاهدة فيلم داعر ، أو مسرحية فاجرة ، أو تمثيلية ماجنة . أو ارتياد صالة يذبحون على أعتابها معاني النخوة والرجولة والشرف !!.. وهكذا يفعلون ..)[1]

فما عليك – أخي المربي – الا أن تقوم بدور التوعية تجاه أولادك وأفلاذ أكبادك .. حتى يعرفوا مايخطط لهم الاعداء ، ومايبيته المتآمرون .. ولا بأس أن تلقي في روعهم أنهم اذا تقلبوا في حمأة الفساد ، وانساقوا وراء

---

(١) من كتابنا « حكم الاسلام في وسائل الاعلام » ص ٥٨ – ٥٩ .

التحلل والاباحية •• فيكونون منفذين من حيث يعلمون أو لا يعلمون مؤمرات اليهودية والصليبية والشيوعية •• ومخططات الماسونية والتبشير والاستعمار •• في أرض الاسلام ، وبلاد المسلمين •• وفي تقديري أن هذا التلقين الواعي يلعب دورا كبيرا في اقناعهم العقلي والوجداني ، وبالتالي في كفهم عن الفواحش والمحرمات !! •

٢ ــ وسيلة التحذير :

هذه الوسيلة ــ في نظري ــ اذا انتهجها المربون في توجيههم وتوعيتهم تعد من أعظم الوسائل الايجابية في كف الولد عن المحرم . وزجره عن الفاحشة •• هذه الوسيلة تصور للولد حقيقة الاخطار التي تنجم عن الاسترسال في الشهوات والانزلاق في متاهات التحلل والاباحية •

وها أناذا أضع بين يديك ــ أخي المربي ــ أهم الاخطار التي تنجم عن الزنى والاتصال الحرام والعلاقات المشبوهة لتكون الرؤية لديك واضحة •• عسى أن تقوم بواجب التوعية والتحذير لولدك فيكف تلقائياً عن الفاحشة المحرمة ، والتحلل الممقوت ••

واليكم ــ أيها المربون ــ أخطار الفاحشة(١) :

آ ــ الخطر الصحي :

● **مرض السيلان :**

ينتقل بعملية الزنى •• ويسبب التهاباً حاداً أو مزمنا في الرحم والخصيتين ، وقد يؤدي الى العقم ، والى التهابات في المفاصل ، وقد يؤثر على المولود ، فيحدث التهابات في عينيه تؤدي الى العمى ••

---

(١) من كتاب « خطر الاختلاط والتبرج » للمؤلف عبد الباقي رمضون مع بعض التصرف .

● **مرض الزّهري :**

وسمي عاميا بداء الافرنجي لصدوره عن المجتمعات الافرنجية التي يكثر فيها الزنى ، وتفشو بين أبنائها الفاحشة .

● **مرض التقرّحات الجنسية :**

ينتقل بالمرض الجنسي المحرم ، ويسبب التهابات في العُقَد البلغمية ،قد تؤدي الى خرّاجات قيحيّة مزمنة ، والتهابات في المجاري البوليّة ، وآلاماً مفصلية ، وتورّمات في الأطراف ..

● **مرض القرح اللين :**

ينتقل عن طريق الزّنى ، ويسبّب تقرّحاً مؤلماً في الجهاز التناسلي قد ينتشر ليكتسح الجلد .

● **مرض النضج الجنسي المبكر :**

يصاب به بعض الأولاد نتيجة لتهيج الشهوة قبل أوانها ، واستثارة الغريزة قبل اكتمال غددها .. ويسبب تشوهات بدنية ، وأمراضا عصبية ونفسية ..

الى غير ذلك من هذه الأمراض الصحية والجسمية ..

ب ــ الخطر النفسي والخلقي :

قد يصاب هذا الشهواني المندفع نحو البهيمية بالأمراض التالية :

● **بمرض الشذوذ الجنسي** (اللواط أو السحاق) ، وهو مرض خطير ، من نتائجه : اكتفاء الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، هذا المرض أصيبت به مجتمعات كثيرة تدعي التقدم والحضارة كأمريكا وانكلترا .. فهناك نصف مليون من الرجال والنساء المصابين بهذا الشذوذ في مدينة « نيويورك » بأمريكا ، وهؤلاء علنيون مجاهرون محترفون ..

أما المتسترّون المستخفون فحدّث عن كثرة عددهم ولاحرج .

● **بمرض الهوس الجنسي** حيث ترى المريض مشغولا في جميع اوقاته بتخيلات شهوانية غريزيّة .. من نكاح ، وتقبيل ، وضم ، وعناق ، وتصورات لأعضاء المرأة من وجه ، وعينين ، وعنق ، وشفتين ، ونهدين ، وسوأة ، وفخذين ... وتراه منصرفاً من كل شيء .. فيكثر نسيانه ، ويقل اهتمامه ، وتشتد غفلته ، ويضعف انتباهه .. وتراه كأنه غبي مخمور ، أو كأنه مكروب محزون ... وتسبب هذه الظاهرة الأليمة نحولا في الجسم ، وضعفاً في الذاكرة ، وقلقاً في النفس ..

ومن أخطار الزنى الخلقية في المجتمعات الانسانية بشكل عام :

ــ الشباب الشارد السادر في الشهوة ، والمخمور في الحشيش والخمر والأفيون ..

ــ الجيل المتحلل المائع المريض جسمياً وعقلياً وخلقياً ونفسياً ..

ــ عصابات القتل والخطف والاغتصاب الجنسي ..

ــ عصابات التهريب للمخدرات كالأفيون والحشيش .

ــ تجار الشهوات والغرائز ، وبيع الفتيات ، وتأجير البغايا ..

ــ عصابات من الأطباء والمحامين والحكام ورجال القانون .. لتغطية الجرائم ، وهضم الحقوق لقاء الرشوة بالجنس والمال .

ــ نوادي العراة العلنية .. يتعرى فيها روادها من كل رداء للفضيلة بلا حياء ولا خجل ..

ــ مواخير مرخصة منتشرة هنا وهناك لتأجير العاهرات ..

ــ أفواج من المومسات يحترفن الزنى للعيش الكفاف ..

ـ الأغاني الفاحشة ، والموسيقى الراقصة المثيرة ، والمسرحيات الآثمه المهيجة ••

ـ كتب الجنس ، ومجلات العري ، وكباريهات الرقص والمجون ••

ـ أفواج (الهيبيين) الاباحيين المتشبهين بالحيوانات والخنافس ••

ـ أفواج (البوب) اللامنتمين الغارقين في السكر والزنى والفاحشة ••

ـ اباحيون مستهترون يكفرون بكل فضيلة ، ويستبيحون كل رذيلة ، ويسيرون مع الأهواء والنزوات ••

الى غير ذلك من مظاهر الفساد والاباحية التـي لايمكن حصرها ولاتعدادها ••

وكان من نتيجة ذلك : أن صرح « خروتشوف » سنة (١٩٦٢) بـأن مستقبل روسيا في خطر ، وأن شباب روسيا لايؤتمن على مستقبلها لأنه مائع منحل غارق في الشهوات •

وفي الوقت نفسه صرح « كنيدي » أيضا بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها منحل غارق في الشهوات ، لايقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الجسمية والنفسية ••

وقد سرى عدوى هذه الموجات الاباحية في المجتمعات الغربية والشرقية على المجتمعات الاسلامية ـ ويااللاسف ـ حتى أصبحنا نسمع عن كثير من أقبية الزنى ، ومواخير الفاحشة ، وأندية القمار ، ومسارح المجون ، وأوكار الخمر والحشيش ، وصالات العري والرقص •• منتشرة هنا وهناك تحت سمع وبصر المسؤولين ورجالات الحكم في أكثر البلاد الاسلامية ولاحول ولاقوة الا باللـه •

وأصبحنا نسمع ـ والأسى يحزّ في نفوسنا ـ عن تجار للغرائز والشهوات لشراء الفتيات وتأجير البغايا .. وهذا منتشر في طول البلاد وعرضها دونما نكير ولا نذير !! .

وأقبل كثير من شبابنا نحو اللذة والجنس والخمر دونما سائل ولا رقيب! .

وهذا يعرفه القاصي والداني من المسلمين والناس أجمعين

ج ـ الخطر الاجتماعي :

من القضايا المسلم بها أن الاسترسال في الفاحشة يضر بمصلحة الفرد والأسرة على حد سواء ، بل خطر على المجتمع بشكل عام .

● من هذه الاخطار تهديده الاسرة بالزوال ، لأن الشباب العَزَب حين يشبع نهمه الحيواني بالحرام لايمكنه بحال أن يفكر بتكوين أسرة وإنجاب أولاد .. وكذلك الزانية ، فانها لاترغب بالحمل ، ولاترضى بالولد لضرر الحمل الجسمي والنفسي عليها ، فهي تحاول التخلص منه بأية وسيلة !! .

● من هذه الأخطار ظلم المواليد والأطفال ، لأن المجتمع الذي يهرب من الزواج ، وينساق أبناؤه وراء الانحلال والاباحية .. يعج بأولاد لاكرامة لهم ولا أنساب .. وفي ذلك ظلم للاولاد وأي ظلم ؟!

ـ ظلم لهم لأن الولد محروم عطف الأبوين ، وأين له الحب والعطف والحنان وهو تربية المحاضن والمستشفيات ؟

ـ وظلم لهم لأن الولد حين يعي ويستشعر بأنه ابن الزنى والعار فانه يتعقد نفسيا ، وقد ينحرف سلوكياً ، وعلى الغالب يكون أداة اجرام على الفرد والمجتمع بل على الأمن والاستقرار !! .

● من هذه الأخطار شقاء الرجل وشقاء المرأة على السواء ، ذلك لأن المرأة والرجل لايجدان الحياة الهانئة السعيدة ، والعيش المستقر الكريم الا

في ظلال الزوجية القائمة على المودة والرحمة •• وهذا الأمر تراه معدوما في المجتمع الذي لايروج فيه سوق الزواج . وفي الأمة التي تسير وراء التسيب والانحــلال !!•

● من هذه الأخطار قطع صلة الرحم والقرابة لأن العزب حين ينساق وراء شهوته وغريزته في سوق الملذات والمحرمات •• تراه منبوذا محتقرا لدى الصلحاء من قرابته ورَحِمِه •• وهذا ولاشك مما يؤصل في نفسيته روح التمرد والعقوق ، ويؤجج بينه وبينهم نيران العداوة والبغضاء ••

وليس هناك ثمة من ذنب ــ بعد الاشراك بالله ــ يعدل العقوق وقطيعة الرحم في نظر الاسلام ؟

الى غير ذلك من الأخطار والمضار التي لاتخفى على كل ذي عقل وبصيرة ••

د ــ الخطــر الاقتصــادي :

مما لايختلف فيه اثنان أن الذين يقضون أوقاتهم في سوق الملذات والشهوات هم ممن تخلوا عن الزواج المشروع ، وانساقوا وراء الفاحشة الآثمة •• فهؤلاء يسببون انهيار الاقتصاد في الأمة وذلك :

لضعف القــوى •

وقــلة الإنتــاج •

واتخــاذ الكسب غير المشروع •

● **اما ضعف القــوى :**

فلأن العَزَب الذي ينساق وراء اللذة والفاحشة يمرض عقليا ، ويمرض جسميا ، ويمرض خلقيا ، ويمرض نفسيا •••

ولاشك أن المريض حين يمرض تضعف قواه ، وينحط جسمه ، وتنهار

عزيمته •• فلا يستطيع أن ينهض بمسؤولية على وجهها الأكمل ، ولا أن يضطلع بواجب على النهج الصحيح !!•

وفي ذلك تعطيل للاقتصاد ، وانهيار للحضارة ••

● **أما قلة الانتـاج :**

فلأن الأموال تبدد في طريق الميوعة والشهوات ، واشباع نهم الغريزة والجنس •• لا في طريق الانتاج ، ومصلحة الاقتصاد •• ولأن المتحلل الماجن لايخلص في عمله ، ولاينهض بمسؤوليته •• لانعدام الرادع الديني ،والزاجر الأخلاقي في قلبه وضميره •• وفي ذلك فساد للاخلاق ، وطعنة للاقتصاد ••

● **أما اتخـاذ الكسب غير المشروع :**

فلأن الماجن الوضيع الذي ليس له من تقوى الله رادع يريد أن يحصل على المال لإشباع نهمه المادي من أي طريق •• طريق الربا والميسر ، طريق اللهو والترف ، طريق الرشوة والاختلاس ، طريق الاتجار بالأعراض ، والاتجار بالصور العارية ، والاتجار بالمجلات الماجنة ، والاتجار بالأفلام الخليعة ، والاتجار بالمسكرات والمخدرات ، والاتجار بالكتب الفاحشـة والقصص الغراميـة ••

الى غير ذلك من هذه الوسائل غير المشروعة في جمع المال التي لاتعود على المجتمع الا بالخسران والضرر ، والفقر والبطالة ، وقتل القيم ومكارم الأخلاق •• اذ بها تهدر الطاقات المنتجة ، وتتعطل المكاسب المشروعة ، ويعيش المجتمع أسير الاستغلال واللصوصية ، وسجين الأنانية والمحسوبية ، وعبد الشهوة واللذة والهوى !!•

وفي ذلك تحطيم لتقـدم الأمـة ، وتضعيف لاقتصادها وانتاجها ••

هـ ـ الخطر الديني والأخروي :

وأخيرا فإنّ العزَب الذي لايستعفف عن محارم الله ، ولايصون نفسه

عن مزالق الشهوة والفتنة •• فانه يصاب بأربع خصال ذميمة عدد معالمها النبي عليه الصلاة والسلام •

روى الطبراني في الأوسط عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إيّاكم والزنى فانفيه أربع خصال : يذهب البهاء عن الوجه ، ويقطع الرزق، ويسخط الرحمن ، ويسبب الخلود في النار » •

ومن خطره الأخروي : أن الزاني حين يزني ينسلخ من ربقة الايمان ، فقد روى البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن •• »

ومن خطره الأخروي : أن الزاني اذا بقي مصّراً على المعصية من غير توبة حتى أدركه الموت فالله سبحانه يضاعف له العذاب يوم القيامة • قال تعالى في سورة الفرقان :

((والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلقَ أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلُد فيه مهاناً)) •

تلكم — أيها المربون — أهم الأخطار التي تنجم عن الزنى وارتكاب الفاحشة •• وهي أخطار أليمة — كما رأيتم — تضر بالصحة ، وتضر بالأخلاق، وتضر بالنفس ، وتضر بالعقل ، وتضر بالدين ، وتضر بالأسرة ، وتضر بالمجتمع ، وتضر بالاقتصاد ••

فالولد حينما يحذر — منذ نعومة أظفاره — من هذه الأخطار ، ويبصر هذه الأضرار •• فانه ينشأ حين ينشأ على الحَصَان والعفاف ، ويكف عن الفواحش والمحرمات ، ويتبع سبيل الاسلام في سلوكه وأخلاقه ، ولايفكرّ في اشباع الغريزة الا بالزواج المشروع ، والاتصال الحلال امتثالا لأمر النبي

صلى الله عليه وسلم القائل : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج •• » رواه الجماعة •

ومن التحذيرات التي يجب أن يتلقنها الولد ممن يشرفون على تربيته وتوجيهه :

تحذيره من الـردة •

وتحذيره من الالحـاد ••

وتحذيره من اللهـو والمحـرم •

وتحذيره من التقليد الأعمى •

وتحذيره من رفقة السـوء •

وتحذيره من مفاسد الأخلاق •

وتحذيره من الحرام بشكل عام •

وسوف تجد ـ أخي المربي ـ تفاصيل هذه التحذيرات في « قاعدة التحذير » في القسم الثالث من هـذا الكتاب فارجع إليه تجد فيه ما يبـل الصدى ان شاء الله •

ولاشك أن التحذير من الردة والالحاد يجنب الولد الانخراط في بوتقة الكفر والضلال والاباحيـة ••

وأن التحذير من اللهو المحرم يجنب الولد الاسترسال في حمأة الشهوات والملذات ••

وأن التحذير من التقليد الاعمى يجنب الولد تميع الشخصية وانتهاك الكرامـة ••

وأن التحذير من رفقة السوء يجنب الولد الانحراف النفسي والشذوذ الخلقي ..

وأن التحذير من مفاسد الأخلاق يجنب الولد التقلب في أوحال الرذيلة ومستنقع الفحشاء ..

وأن التحذير من الحرام يجنب الولد التعرض للمفاسد والأمراض والآفات النفسية ... وفي هذا اصلاح للولد ، وتثبيت لعقيدته ، وتقويم لخلقه ، وتقوية لجسمه ، ونضج لعقله ، وتكوين عظيم لشخصيته ..

وعلى مثل هذا فليعمل العاملون .

٣ ـ وسيلة الربط :

من المؤكد يقيناً أن الولد اذا ارتبط بروابط اعتقادية ، وروابط روحية، وروابط فكرية ، وروابط تاريخية ، وروابط اجتماعية ، وروابط رياضيّة .. منذ سن التعقل والتمييز الى أن يتدرّج يافعا ، الى أن يترعرع شابا .. فان الولد ـ ولاشك ـ ينشأ على الايمان ، ويتربى على التقوى .. بل يصبح عنده من مناعة العقيدة الربانية مايستعلي بها على الجاهلية ، وينتصر على الهوى ، ويستقيم على الحق والهدى ..

وهل من ارتباط أعظم من ارتباط العقيدة والفكر والروح ؟

وهل من صحبة أفضل من صحبة المرشد الرباني ، والرفيق الصالح ؟

وهل من سلوك أسمى من سلوكية الأنبياء والصحابة والسلف ؟

اذن فما على المربي الا أن يربط الولد بالعقيدة ، وأن يربطه بالعبادة ، وأن يربطه بالمرشد، وأن يربطه بالصحبة الصالحة ، وأن يربطه بالدعوة والداعية ، وأن يربطه بالمسجد والذكر والمراقبة والقرآن الكريم ، وأن يربطه بالتاريخ والأمجاد وسيرة الأنبياء والصحابة والصالحين ...

واذا أردت ــ أخي المربي ــ أن تقوم بمسؤولية الربط على وجهها الأكمل فاقرأ تفاصيل هذا كله في « **قاعدة الربط** » في القسم الثالث من هذا الكتاب تجد فيها مايوصلك الى المنهج الأقوم في تربية الولد ايمانيا ، واعداده خلقياً .. ان شاء اللـــه .

ومما ألفت نظرك اليه أن للتربية الايمانية[1] الأثر الأكبر في اصــلاح الولد ، وتقويم خلقه وسلوكه .. ذلك لأن الولد اذا تربى على الايمان بالله سبحانه ، ومراقبته في السر والعلن ، وخشيته في المتقلب والمثوى .. فانــه يصبح انسانا سويا ، وينشأ شابا تقيــا .. لاتستهويه مــادة ، ولاتستعبده شهوة ، ولايتسلط عليه شيطان ، ولاتلتعج في أعماقه وساوس النفس الامارة ... فاذا دعته امرأة ذات منصب وجمال قال : اني أخاف الله رب العالمين ، واذا وسوس له شيطان قال : ليس لك علي سلطان ، واذا زين له قرناء السوء طريق الفحشاء والمنكر .. قال : لاأبتغي الجاهلين !!.

هذا هو منهج الاسلام في الاصلاح والتربية ، فانه يبدأ باصلاح الفرد من داخل النفس الانسانية لا من خارجها ، يبدأ الاصلاح والتربية بطهارة الضمير ، وتهذيب الوجــدان ، وإرهاف الشعور .. والتدرج على مراقبــة الله عز وجل في السر والعلن ، والتحسس من أعماق القلب بأن الله سبحانه مع الانسان يرقبه ويراه ، ويعلم سره ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور .. وعلى مثل هذا فلينهج المربون ، وليعمل العاملون ..

والذي اخلص اليه بعد ما تقدم :

أن المربين جميعا من آباء وأمهــات ومصلحين ومعلمين .. إذا أخــذوا بوسائل الاسلام الايجابية : من توعية وتحذير وربط .. في اصلاح الولد وتربيته واعداده .. فان الولد يتجنب كل ما يثيره جنسيا ، ويفسده خلقيا ..

---

(١) ارجع الى فصل « مسؤولية التربية الايمانيــة » تجد فيــه ما يشفي الغليل ان شاء الله .

ويبتعد عن أسباب الزيغ والفساد ، وعن عوامل الميوعة والانحراف •• بل يكون في المجتمع قمر هداية ، وشمس اصلاح ، وملكا يمشي على الارض •• لصفاء نفسه ، وطهارة قلبه ، وكريم أخلاقه ، وجميل معاملته ، ولطف معاشرته ومظهر تقواه ••

اللهم وفق المربين جميعا لأن يأخذوا بمنهج الاسلام في تربية الاولاد •• حتى ينجوا من المسؤولية بين يديك في يوم لاينفع فيه مال ولابنون •• وحتى يروا الجيل المسلم في تطبيق للاسلام شامل ، وفي التزام لمبادىء القرآن كامل، وفي جهاد في سبيل الله دائم ، وفي عزة من المجد والكيان سامقة ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر اللـــه •



٤ ـ تعليم الولد أحكام المراهقة والبلوغ :

ومن المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الاسلام على المربين من آباء وأمهات ومعلمين ومرشدين •• تعليم الولد منـــذ أن يـميِّز الأحكام الشرعية التي ترتبط بميله الغريزي ، ونضجه الجنسي •• والذكر والأنثى في هذا التعليم سواء لكونهما مكلفين شرعـــاً ، ومسؤولين عن عملهما أمـــام الله عز وجل ، وأمام المربين ، وأمام المجتمع •• لذا وجب على المربي أن يصارح الصبي اذا بلغ سن المراهقة وهو السن الذي يتراوح مابين ١٢ الى ١٥ سنة أن يصارحه أنه اذا نزل منه منيٌّ(١) ذو دفق وذو شهوة •• أصبح بالغاً ومكلفاً شرعاً ، يجب عليه ما يجب على الرجال الكبار مـــن مسؤوليات وتكاليف ••

---

(١) المنيّ من الرجل يوصف انه غليظ ابيض كرائحة الطلع اي طلع النخلة وهي قريبة من رائحة العجين ، اما عند يبسه فرائحته كرائحة بياض البيض .

ووجب على المربي أيضا أن يصارح البنت اذا بلغت سن التاسعة فما فوق وتذكرت احتلاماً[1] ورأت الماء الرقيق الأصفر على ثوبها بعد الاستيقاظ ، أصبحت بالغة ومكلفة شرعاً ، يجب عليها مايجب على النساء الكبار من مسؤوليات وتكاليف .

وكذلك وجب على المربي أيضاً أن يصارح البنت أيضا أنهااذا بلغت سن التاسعة فما فوق ورأت دم الحيض أصبحت بالغة ومكلفة شرعاً . يجب عليها ما يجب على النساء الكبار من مسؤوليات وتكاليف ..

فالاسلام يحمّل الأبوين أولا وآخرا مسؤولية مصارحة الاولاد في هذه الأمور الهامة .. حتى يكونوا على توعية كاملة ، وفهم عميق في كل ما يتصل بحياتهم الجنسية ، وميولهم الغريزية .. وكل ما يترتب عن ذلك من واجبات دينية ، وتكاليف شرعية ..

وكم سمعنا عن بنات بقين سنين عدة وهن غير طاهرات لكونهن لايعلمن ماذا يترتب عن الجنابة والحيض من أحكام ؟

وكم سمعنا عن بنين بلغوا سن الشباب وهم في جنابة دائمة لكونهم لايعلمون ماذا يترتب عن الاحتلام والجنابة من أحكام ؟

وربما تصلي البنت ، ويصلي الولد وهما في جنابة أو في حال عذر ويظنان أنهما يؤديان حق الله في الطاعة والعبادة ..

اذن فمن المسؤول عن مصارحة الولد جنسيا ، وتوعيته غريزيا قبل أن يناهز الولد سن الاحتلام ، ويشارف على البلوغ ؟

---

(1) الاحتلام : هو ما يراه النائم في نومه والمراد به الجماع .

لاشك أن الأبوين مسؤولان أولا ، ثم من يشرفون على تعليمه وتربيته من المعلمين والمرشدين .. مسؤولون ثانيا ..

وإلا .. فالولد يكون أجهل مايكون في الأحكام التي تتصل بحق ربه، وحق نفسه ،وحق دينه ، وهو يظن أنه يحسن صنعا !!.

الآن أضع بين يديك — أخي المربي — أهم الأحكام الشرعية التي تتصل ببلوغ الولد ، ودخوله سن الاحتلام .. لتعلمها الصبي قبل أن يصل الى مقام الرجال ، وتعلمها البنت قبل أن تصل الى مقام النساء .

وإليك هذه الأحكام :

١ — الولد سواء أكان ذكرا أو أنثى اذا ذكر احتلاما ولم يجد على ثوبه بعد استيقاظه بللا لايجب عليه الغسل ،لما روى أحمد والنسائي عن خولة بنت حكيم أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المرأة ترى في منامها مايرى الرجل ، فقال : « ليس عليها غسل حتى تُنْزِل ، كما أن الرجل ليس عليه غسل حتى ينزل » .

وفي رواية النسائي : أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المرأة تحتلم في منامها ، فقال : « اذا رأت الماء فلتغتسل » .

٢ — الولد سواء أكان ذكرا أو أنثى اذا رأى على ثوبه بعد استيقاظه بللا ولم يذكر احتلاماً وجب عليه الغسل ، لما روى الخمسة الا النسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل ولايذكر احتلاما فقال : يغتسل ، وعن الرجل يرى أن قد احتلم ولايجد البلل ، فقال : « لاغسل عليه » ، فقالت أم سليم : المرأة ترى ذلك عليها الغسل ؟ قال : « نعم ، انما النساء شقائق الرجال » .

٣ — نزول المني من الرجل أو المرأة على سبيل الدفق والشهوة بالعادة

السرية أو غيرها .. يوجب الغسل ، لما روى أحمد وابن ماجه والترمذي عن علي كرم الله وجهه قال : « كنت رجلا مذاء ، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : في المذي[1] الوضوء ، وفي المني الغسل » .

وفي رواية لأحمد : « اذا حذفت الماء[2] فاغتسل من الجنابة ، فاذا لم تكن حاذفا فلاتغتسل » .

والحذف هو قذف المني من الذكر بشهوة ، وفي الحديث تنبيه أن مايخرج لغير شهوة إمّا لمرض أو بردة أو ضرب على الظهر أو حمل شيء ثقيل لايوجب الغسل .

٤ ــ وغيبة رأس الذكر (وهو مافوق موضع الختان ويسمى بالحشفة) في قُبُل أو دُبُر على الفاعل والمفعول به يوجب الغسل سواءأنزل أم لم ينزل .. لما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا جلس بين شُعَبِها الأربع (هي اليدانوالرجلان) ومس الخِتانُ الخِتانَ فقد وجب الغسل » .

وفي مسند عبد الله بن وهب أنه قال عليه الصلاة والسلام : « اذا التقى الختانان وغابت الحشفة وجب الغسل أنزل او لم ينزل » .

٤ ــ وانقطاع مدة الحيض[3] والنفاس[4] يوجب الغُسْل على المرأة ،

---

(١) المذي : ما يخرج من الرجل عند الملاعبة مع أهله او يخرج عند رؤية ما يثيره من النساء .
(٢) الماءَ : المنيّ .
(٣) الحيض : هو الدم الذي ينفضه رحم امراة بالغة لاداء بها ولا إياس (بنت خمسين سنة) ، واقل الحيض ثلاثة ايام ولياليها ، واكثره عشرة ، واقل الطّهر خمسة عشر يوماً ، ولا حدّ لاكثره .
(٤) النفاس : هو دمرحمامراة يعقبولادة الولد، ولا حد لاقلّه ، واكثره اربعون يوماً .

لقوله تبارك وتعالى : « **ولاتقربوهن حتى يطهرن** » بتشديد الطاء أي يغتسلن.

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن فاطمة بنت حُبَيْش كانت تستحاض[1] ، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال :«ذلك عِرْق" وليست بالحيضة ، فاذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة، واذا أدبرت فاغتسلي وصلّي»٠

وثبت الغسل من النفاس بالاجماع ، وبالقياس على الحيض ٠

٦ ــ فمن البديهي بعد أن تعلم الولد موجبات الغسل وجب أن يتعلم فرائضه وسننه وكيفيته ، حتى اذا وقع الولد في الجنابة عرف كيف يغتسل حتى يصبح طاهرا ؟ واليك ــ أخي المربي ــ فرائض الغسل ، وسننه ،وكيفيته حتى تعلمها ولدك :

أما الفرائض فغسل فمه وأنفه وجميع بدنه ٠

لقوله تبارك وتعالى :« **وان كنتم جنبا فاطهروا** » فما في غَسْلِهِ حرج كداخل العين يسقط ، وما لاحرج فيه يجب غسله ، وغسل داخل الفم والانف مما لاحرج فيه ٠

وروى أبو داود والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « تحت كل شعرة جنابةٌ فبلّوا الشعر ، وأنقوا البشرة » أي أنقوا بالماء جميع أجزاء البدن ٠

فبناءً على هذه الأوامر الشرعية يجب غسل كل جزء من أجزاء البدن

---

(١) الاستحاضة : هو الدم الذي تراه المراة قبل ثلاثة ايام وبعد عشرة ايام في الحيض ، وبعد اربعين يوما في النفاس .
هذه الأحكام على فقه أبي حنيفة رحمه الله .

بما لاحرج في غسله كالسرة ، وفرج المرأة الظاهري ، وتحت مافي الخاتم الضيق ، وظاهر الأذنين ، وما تحت الإبطين ..

أما السنن والكيفية : فيبدأ بغسل يديه ، وفرجه ، ويزيل النجاسة ، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ، الا رجليه فانه يؤخرهما الى آخر الغسل ، ثم يفيض الماء على بدنه ثلاثا ، ثم يغسل الرجلين في مكان لايجتمع فيه الماء ..

وأصل ذلك ماروى أصحاب « الكتب الستة » (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثتني خالتي ميمونة قالت : أدنيت (أي قربت) لرسول الله صلى الله عليه وسلم غسله من الجنابة (أي مايغتسل به) فغسل كفيه مرتين أو ثلاثا ، ثم أدخل يده في الاناء ، ثم أفرغ على فرجه وغسله بشماله ، ثم ضرب بشماله الأرض فدلكها دلكا شديدا (لنقائها من النجاسة) ، ثم توضأ وضوءه للصلاة ، ثم أفرغ على رأسه ثلاث حفنات ، كل حفنة ملء كفيه ، ثم غسل سائر جسده ، ثم تنحى عن مقامه ذلك فغسل رجليه ،ثم أتيته بالمنديل فرده) .

والرجل اذا كان له ضفائر من الشعر فيجب عليه حلّها حتى يصل الماء أثناء الشعر . أما المرأة فلا يجب عليها حل ضفائرها بل يكفيها أن يصل الماء الى أصول شعرها لما روى أبو داود من أنهم استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : « أما الرجل فلينشر رأسه (أي ينشر شعره) فليغسل حتى يبلغ أصول الشعر ، وأما المرأة فلا عليها أن تنقضه . فلْتَغرِفْ على رأسها ثلاث غرفات بكفّيها » وفي رواية لمسلم : « أفأنقضه، للحيضة والجنابة ؟ قال : لا إنّما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضي عليك الماء فتطهري » .

ومن سنن الغسل : البداءة بالنية ، والتسمية ، والسواك ، وتخليل اللحية والأصابع ، ودَلْكُ ما أمكن دلكه من الجسم ..

واذا لم يجد من يجب عليه الغسل الماء لبعده نصف ساعة ، أو خاف زيادة المرض باستعمال الماء ، أو ماوجد مايسخن به الماء في البرد ، أو خاف عدوا أو عطشا •••

فانه يجوز له في مثل هذه الاحوال التيمم وكيفيته : ضربتان على كل طاهر من جنس الارض كالرمل والحجر والتراب •• : ضربة لمسح وجهه ، وضربة ليديه مع مرفقيه ، لقوله تبارك وتعالى في سورة المائدة : **« فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه » ،** ولقوله عليه الصلاة والسلام ــ فيما رواه الدارقطني والحاكم وصححه ــ : « التيمم ضربتان : ضربة للوجه ، وضربة للذراعين الى المرفقين » •

ويشترط في التيمم النية من أجل أداء عبادة مقصودة لاتصح الا بالطهارة. وكيفيته واحدة لرفع الحدثين : الأصغر والأكبر أي للوضوء وللغسل •

٧ ــ ومن البديهي أن يتعلم الولد أيضا ما يحرم عليه اذا كان في حال جنابة حتى لايقع في المحرم •

واليك ــ أخي المربي ــ أهم هذه المحظورات التي حظرها الاسلام على الجنب وذوات الأعذار من النساء :

ــ يحرم على الحائض والنفساء الصوم والصلاة باجماع المسلمين . وبالنسبة للقضاء فانها تقضي الصوم ولاتقضي الصلاة ، لما روى الستة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « •• كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ، ولانؤمر بقضاء الصلاة » •

ــ ويحرم عليهما دخول المسجد ، لما روى أبو داود •• « •• فاني لا أحل المسجد لجنب ولا حائض » •

ـ ويحرم عليهما الطواف بالكعبة لأنه من المسجد للحديث الذي سبق ذكره .

ـ ويحرم على الازواج الاستمتاع من الحائض والنفساء ماتحت الازار فيما بين السرة والركبة .

لقوله تعـالى : ((**فاعتزلوا النساء بالمحيض**)) .

ولما روى أبو داود عن عبد الله بن سعدقال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امرأتي وهي حائض ؟ فقال : « لك مافـوق الازار » ، وفي المتفق عليه « أنه صلى الله عليه وسلم كان لايباشر احداهن حتى يأمرها أن تأتزر » .

ـ ويحرم على الجنب والحائض والنفساء قراءة شيء من القرآن الكريم، لما روى الترمذي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاتقرأ الحائض والجنب شيئا من القرآن » .

هذا اذا كانت القراءة على قصد التلاوة ، أما اذا كانت القراءة على قصد الذكر والثناء نحو : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، « الحمد لله رب العالمين » ، « هو الله أحد .. » أو علمت الحائض أو الجنب حرفا حرفا بقصد التعليم فلا بأس به بالاتفاق لأجل العذر والضرورة .

هل يجوز للحائض والنفساء أن تقـرأ القـرآن وتمسّ المصحف اذا كانت معلّمة أو متعلّمة ؟

في مذهب الامام أحمد قول ورواية عنه أن الحائض والنفساء يجـوز لها قراءة القرآن ، واختاره الشيخ ابن تيمية كما في « الانصاف » .

وعند الامام مالك يجوز للحائض والنفساء قراءة القرآن الكريم ، ومس

المصحف اذا كانت عالمة أو متعلمة كما في « الشرح الصغير » للدردير بحاشية الصاوي (ج١ : ٦٥ و ٩٢ ــ ٩٣) وفي ذلك يسر كبير على الطالبات والمعلمات .

ويجوز عند مالك أيضا للجنب ــ ومن باب أولى الحائض والنفساء ــ قراءة اليسير من القرآن للتعوذ عند النوم ، أوخوف ، أو للتبرك ، أو للرقيا (من ألم أو اصابة عين) ، أو للاستدلال على حكم شرعي[1] .

ــ ويحرم على غير المتوضيء والجنب والحائض والنفساء مس المصحف الا بغلاف منفصل ، لقوله تبارك وتعالى : « **لايمسه إلا المطهرون** » . ولما روى الحاكم في المستدرك وصححه عن حكيم بن حزام قال : لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال : « لاتمس القرآن إلا وأنت طاهر » . وفي البخاري عن أبي وائل أنه كان يرسل جاريته وهي حائض الى أبي رَزين لتأتيه بالمصحف فتمسك بعلاقته (أي بالخيط الذي يُعَلَّق به كيس المصحف) ، وأبو وائل ، وأبو رزين من كبار التابعين رضي الله عنهم وعن الصحابة .

ــ ويحرم على الجنب الصلاة لما فيها من قراءة القرآن كما سبق ذكره قبل قليل ، ويحرم عليه دخول المسجد ، ويحرم عليه الطواف ، للحديث الذي سبق : « لاأحل المسجد لجنب ولاحائض » .

أما صوم الجنب فانه صحيح ولكن يأثم صاحبه اذا كانت الجنابة سببا في تأخير الصلاة .

ــ المحتلم الذي استيقظ ورأى على ثوبه منياً ، فان كان رطبا فلا يطهر الا بالغسل ، وان كان يابسا فيطهر بالفرك ، لما روى الدارقطني في «سننه»

---

(١) ارجع الى ما كتبه العلامة الشيخ عبد الفتاح ابو غدة في تحقيقه لكتاب « فتح باب العناية » بشرح كتاب النقاية ج١ ص : ٢١٧ ــ ٢١٨ .

والبزار في « مسنده » عن عائشه رضي الله عنها قالت : « كنت أفرك المني من ثوب رسول الله صلى الله عليهوسلم اذا كان يابسا، وأغسله اذا كان رَطْباً»، وفي رواية : « فيخرج الى الصلاة وإنّ بُقَع الماء لفي ثوبه » .

فاحرص ــ أخي المربي ــ على تعليم هذه الأحكام لأولادك وهم في سن التمييز والتعقل حتى اذا بلغوا سن التكليف وأصبحت العبادة فرضا عليهم .. عرفوا ما يجوز فعله رما يحرم ، وعرفوا حكم الشريعة في كل ما يتعلق بالغريزة ، ويتصل بالبلوغ ، بل تشملهم خيرية التفقه بالدين ، ويحظون بفضيلة العلم والتعليم .. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل في الحديث الذي رواه الشيخان : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » .



٥ ــ الزواج والاتصال الجنسي :

الله سبحانه خلق الانسان وأودع فيه عدّة ميول وغرائز كلها ضرورية لحفظ جنسه ، وبقاء نوعه .. وأنزل من التشريعات والأحكام ما يلبّي حاجات هذه الميول والغرائز ، وما يكفل لها الاستمرار والنماء والبقاء ..

وما الزواج الذي شرعه الاسلام إلاّ تلبية لغريزة الميل الى الجنس الآخر .. ليسير الانسان مع فطرته الجنسية ، وميله الغريزي بكل تلاؤم وتجاوب واتّساق . دون أن تعترضه عقبة ، ودون أن يتأثر من فتنة الحياة ، وهياج الغريزة ، وأشواق الفطرة .. والآن أريد أن أضع بين يديك ــ أخي المربي ــ هذه الحقائق التي تتصل بالغريزة الجنسية ، وترتبط بحكمة الزواج .. وهذه الحقائق تتعلق بشيئين :

أ ــ نظرة الاسلام الى الجنس .

ب ــ لماذا شرع الله الزواج ؟ .

أما نظرة الاسلام الى الجنس :

١ ـ فقائمة ـ كما ذكرنا في القسم الأول ـ على إدراك فطرة الإنسان[1]، ورامية الى تلبية أشواقه وميوله .. حتى لا يتجاوز أي فرد في المجتمع حدود فطرته ، ولا يسلك سبيلا منحرفا يصطدم مع غريزته .. بل يسير على مقتضى المنهج القويم السويّ الذي رسمه الاسلام ألا وهو الزواج . وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودّة ورحمة .. » .

(الروم : ٢١)

ومن هنا يجب أن نعلم أن الاسلام حرّم العزوف عن الزواج والزهد فيه بنية التفرغ للعبادة ، والتقرب الى الله .. ولا سيما اذا كان المسلم قادرا على الزواج متيسرا له أسبابه ووسائله .. بل نجد في شريعة الاسلام أن الشريعة حاربت بشدة لاهوادة فيها كل دعوة الى رهبانية بغيضة ، وعزوبة ذميمة لكونها تتعارض مع فطرة الانسان ، وتصطدم مع غرائزه وميوله .

فقد روى البيهقي في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفيّة السّمحة » .

وروى الطبراني والبيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ كان موسِراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس منّي » .

---

(١) ارجع الى ما كتبناه في كتابنا « عقبات الزوج » في فصل « لارهبانية في الاسلام » ص ١٩ الطبعة الثانية ، وارجع الى ما كتبناه أيضا في القسم الأول من كتاب التربية تحت عنوان « الزواج فطرة انسانية » تجد البحث فيهما وافياً .

ومن مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم في تربية المجتمع ، ومعالجة آفات النفوس هذا الموقف : روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته ، فلما أُخْبِروا كأنّهم تقالّوها (وجدوها قليلة) ، فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟..

قال أحدهم : أمّا أنا فإني أصلّي الليل أبداً !!..

وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أُفْطِر !!.

وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوّج أبداً !!..

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أنتم قلتم كذا وكذا ؟ أمّا والله إني لأخشاكم لِلّه وأتقاكم له، ولكنّي أصوم وأُفطر ، وأصلّي وأرقُد، وأتزوّج النساء ، فمن رغب عن سنّتي فليس منّي » .

وهذا الموقف من رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم برهان على أن هذا الاسلام دين الفطرة ، وشريعة الحياة ، ورسالة الخلود .. الى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟

٢ ــ ومن نظرات الإسلام الصائبة الى الجنس اعتباره تصريف الشهوة بالحلال ، وإشباع الغريزة بالزواج .. من الأعمال الصالحة التي يستأهل صاحبها رضوان الله ، ويستحق الأجر والثواب ..

روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه أن أناساً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للنبيّ : يا رسول الله ذهب أهل الدّثور (الغنى) بالأجور، يصلّون كما نصلّي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدّقون بفضول أموالهم ..

قال عليه الصلاة والسلام : أو ليس الله قد جعل لكم ما تصدّقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وبكل تكبيرة صدقــة ، وبكل تهليلة صدقــة ، وبكل تحميدة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، وفي بُضْع أحدكم صدقة (أي الجماع) •

قالوا يا رسول الله : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟•

قال عليه الصلاة والسلام : أرأيتم لو وضعها في حرام كان عليه وزر ؟

قالوا : بلــى !!•

قال : فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر •

ألا فليفهم من يتهمون الإسلام بالكبت الجنسي هذه الحقائق في نظرة الاسلام الى الجنس ، وموقفه الصريح من الزواج ؟!!•

٣ ـ ومن الأمور التي يجب أن يعرفها الأزواج ألاّ يجعلوا من مفهوم « وفي بُضْع أحدكم صدقة » ميلاً كلياً إلى إشباع الشهوة وقضاء الوطر . والتقلب في مضاجعة الزوجات حيث يقعدهم ذلك عن واجبات دعوية ، ومهمات جهادية في سبيل الله ، ونصرة الاسلام •• ذلك لأن الإسلام أنتج لنا الإنسان القويّ المتوازن الذي يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة ، دون أن يغلّب حقاً على حق ، أو واجباً على واجب •• بل إذا تعارضت مصلحة الاسلام والجهاد والدعوة إلى الله مع مصلحة المعاش والزوجة والولد والمــال •• فينبغي على المسلم أن يغلّب مصلحة الجهاد والدعوة على كل مصلحة دنيوية ، ومنفعــة شخصية ، ومشاعر نسبية ووطنية وأسريّة •• لأن إقامة المجتمع الاسلامي ، وتثبيت دعائم الدولة المسلمة ، وهداية الانسانية التائهة الى الاسلام •• هي غاية الغايات ، بل هي أسمى الاهداف والأمنيات في نظر المسلم •• وهــذا صريح في موقف ربعي بن عامر حين وقف أمام رستم في حرب القادسية

ليقول له : « ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها . ومن جور الأديان الى عدل الاسلام » .

واليك — أخي المربي — بعض النماذج في تغليب السلف الصالح مصلحة الاسلام والجهاد على كل مصلحة ذاتية ، ومنفعة شخصية . ومشاعر أسرية ونسبية .. ولاسيما مشاعر الركون الى الأهل والزوجات :

أ — هذا الصحابي المؤمن حنظلة بن أبي عامر الذي تزوج جميلة بنت أبيّ ليلة الجمعة . وفي صباح ذلك اليوم نادى المنادي « حي على الجهاد »، فما أن سمعها حنظلة حتى تقلد سيفه ، ولبس درعه ، وامتطى جواده ، ثم سار الى القتال في غزوة أحد ، فلما بدأت الحرب قاتل قتال الأبطال . ثم انكشف المسلمون . فأخذ حنظلة يقاتل وهو يسر بعينيه بين صفوف المشركين في أحد حتى يجد أبا سفيان ، فلما وجده هجم عليه ، فوقع أبو سفيان ، وحنظلة يريد ذبحه بالسيف ، فصاح أبو سفيان مستنجدا بقريش ، فسمع الصوت رجال ، فهجموا على حنظلة وضربوه ضربة قاتلة حتى استشهد رضي الله عنه .

وهاهو ذا النبي صلى الله عليه وسلم يطلعه الله سبحانه على عالم الغيب فيقول لأصحابه : « اني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة »[1] ، ويسرع الصحابة الى حنظلة ينظرون اليه فاذا رأسه يقطر ماء .. فأرسلوا الى امرأته يسألونها فأخبرتهم انه ماسمع هيعة الحرب حتى خرج وهو جنب لم يغتسل فغسلته الملائكة !!.

ب — تزوج عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما « عاتكة بنت زيد » ، وكانت حسناء جميلة ذات خلق بالغ ، وأدب رفيع ، فشغلته عن مغازيه وجهاده، فأمره أبوه الصديق رضي الله عنه بطلاقها ، وقال معللا : « انها شغلتك عن مغازيك فطلقها » ، فطلقها ، فمر به أبوه وهو ينشد :

---

(١) حديث حنظلة رواه الترمذي والامام أحمد .

فلم أر مثلي طلّق اليـوم مثلها ولا مثلها في غيـر ذنب تطلّـق
لها خُلقٌ جزل ورأي ومنصب على كبر مني واني لوامـق[1]

فرقّ له أبوه ، فأمره أن يراجعها فراجعها ، ثم شهد مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة بالطائف فأصابه سهم . فمات بعده بالمدينة رضي الله عنه .

ج ـ روى الطبراني وابن اسحق.. أن أبا خيثمة رجع من سفر ـ بعد أن سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدة أيام ـ الى أهله في يوم حار ، فوجد امرأتيه في عريشين (أي خيمتين) لهما في بستان له ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له ماء فيه . وهيأت له فيه طعاما ؛ فلما دخل قام على باب العريش فنظر الى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشمس والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد ، وطعام مهيأ ، وامرأة حسناء في ماله مقيم ؟!!. ماهذا بالنصف ؟

ثم قال : والله لأدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم .. فهيأتا له زادا ، ثم قدّم ناضحه (أي بعيره) فارتحله وخرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك ..

ولاشك أن أمة الاسلام ، وشباب الاسلام حين يقدمون حب الله سبحانه . وحبّ رسوله عليه الصلاة والسلام وحب الجهاد في سبيل الله . وحب الدعوة الى الله على كل غال ورخيص في الحياة .. فالله سبحانه يمكن لهم في الارض ، ويبدّلهم من بعد خوفهم أمنا . ومن بعد ضعفهم قوة .. وتصبح الدنيا تحت سلطانهم ، والانسانية كلها منقادة لأمرهم أو نهيهم ... والا .. فليتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، وينزل بهم نقمته وعذابه ؛ والله لايهدي القوم الخارجين عن طاعته ، الحائدين عن هديه وصراطه !!.

---

(١) لوامق : لمحبّ .

وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

«قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين» .

(التوبة : ٢٤)

وعلينا ألا نغفل دور المرأة في واجب الدعوة والجهاد .. فالاسلام كلفها بمهمة الخروج الى الجهاد كلما سنحت الحاجة ، ودعت الضرورة .

وقد وقفت المرأة المسلمة فيما مضى الى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته تقاتل بالسيف دونهم ، وتسعف الجرحى ، وترعى المرضى ، وتنقل القتلى ، وتصنع الطعام ..

وإليكم الشواهد :

أ ـ روى مسلم عن الربيع بنت معوذ قالت : « كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونرد الجرحى والقتلى الى المدينة » ، وفي رواية أم عطية الأنصارية قالت : « غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم في رحالهم ، أصنع لهم الطعام ، وأداوي الجرحى ، وأقوم على الزمنى (أي المرضى) » .

ب ـ وروى ابن هشام في سيرته أن أم سعد بنت سعد بن الربيع دخلت على ام عمارة فقلت لها : ياخالة أخبريني خبرك ـ أي في غزوة أحد ـ فقالت : خرجت أول النهار ، وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاء فيه ماء ، فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه والدولة للمسلمين (أي النصر) . فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقمت أباشر القتال ، وأذبّ عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح الي ..

ج ــ وروى ابن هشام .. أن صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها حين رأت يهودياً يطوف في الحصن شدت وسطها وأخذت عمودا ثم نزلت من الحصن فضربته حتى قتلته .

والأمثلة على ذلك كثير أعظم من أن تحصى ، وأكبر من أن تستقصى!!.

أما واجبها في تبليغ الدعوة الى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. فانها كالرجل سواء بسواء قال تعالى :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم » .

لكم ــ أخي المربي ــ أهم النظرات الاسلامية التي يجب أن يتلقنها الولد وهو في سن التمييز حتى اذا تم أمر الخطوبة ، ودخل عتبة الزواج عرف أن الاتصال بالجنس هو وسيلة لتحقيق غاية نبيلة ألا وهي اقامة دولة الاسلام، وعندئذ يتوازن بعد الزواج ليؤدي كل ذي حق حقه في الحياة دون أن يتساهل في مسؤولية أو يتقاعس عن واجب ..

وهذا هو الاسلام في حقيقته وصفائه ومفاهيمه !!.

أما لماذا شرع الله الزواج ؟(١)

فسبق أن ذكرنا في القسم الاول من هذا الكتاب تحت عنوان « الزواج

---

(١) ارجع الى كتابنا « عقبات الزواج » تجد فيه البحث مفصلا وافيا إن شاء الله .

مصلحة اجتماعية » الحكمة من مشروعية الزواج ، وها نحن أولاء نأتي على أهم الفوائد التي يجنيها المتزوج من الزواج باختصار للاستذكار والعبرة :

ـ من الفوائد المحافظة على الأنساب ، قال تعالى :

« والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة »

(النمل : ٢٢)

ـ ومن الفوائد سلامة المجتمع من الانحلال الخلقي ، قال عليه الصلاة والسلام : « يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة[1] فليتزوج فانه أغض للبصر ، وأحصن للفرج •• » (رواه الجماعة) •

ـ ومن الفوائد تعاون الزوجين على مسؤولية الأسرة ،قال عليه الصلاة والسلام : « والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها •• » (رواه الشيخان) •

ـ ومن الفوائد سلامة المجتمع من الأمراض والآفات ، قال عليه الصلاة والسلام : « لاضرر ولاضرار » (رواه مالك وابن ماجه ••)

ـ ومن الفوائد السكن الروحي والنفسي ، قال تعالى :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة •• » •

(الروم : ٢١)

ـ ومن الفوائد انجاب ذرية الاسلام الصالحة ، قال عليه الصلاة والسلام: « تناكحوا تناسلوا تكثروا فاني مباه بكم الأمم يوم القيامة » (رواه عبد الرزاق والبيهقي) •

---

(١) الباءة : القدرة على الزواج .

فالولد ـــ أخي المربي ـــ حين يفهم هذه الحقائق عن الزواج فانه يندفع اليه بكليته ، ويسعى اليه ما استطاع الى ذلك سبيلا ..

وأريد أن أهمس في أذنك ـــ أخي المربي ـــ هذه النصيحة :

ان كنت ميسورا ـــ أيها الأب ـــ من الناحية المادية (فينبغي أن تساهم مساهمة فعالة في تسهيل أسباب الزواج لولدك لتنقذه من الهواجس النفسية، والتأملات الجنسية .. التي تسيطر على عقله وتفكيره ، وتقف عائقا في طريق غايته أو تعليمه .. وتنقذه أيضا من الانحلال الخلقي الذي يفتك بصحته ، ويسيء الى سمعته .. ولايتأتى هذا الا بتيسير أسباب الزواج من ناحية ، وامداده بالنفقة من ناحية أخرى ، وكل تهاون أو تقصير فيهذهالسبيل يُعرّض ولدك الشاب الى أوخم النتائج ، وأخطر العواقب !!.

وكثيرا مانسمع عن آباء أغنياء ميسورين يبخلون في تقديم المساعدات المادية والمعنوية لأبنائهم ، متذرعين بأن أبناءهم بلغوا السن التي تسقط عنهم تقديم المعونة ، ووجوب النفقة .. ولكنهم لو دروا أن المال الذي يقدمونه هو بمثابة قوارب انقاذ مما يعانونه من اضطراب بالتفكير . وفساد في الخلق، وقلق في النفس .. لما بخلوا وتقاعسوا في تقديم أقصى المؤازرة ، وتيسير أسباب الزواج !!.

ولماذا يبخل الأب الميسور على ولده ، ولماذا لاييسر له طريق الزواج ؟

هل سيخلد في الحياة ؟

هل المال الذي بحوزته سيأخذه معه الى الاخرة ؟

انه سيموت لا محالة ، وسيوضع في حفرة صغيرة ليس فيها أثاث ولا رياش ولازينة .. وسيؤول المال الى ورثته لامحالة ..

اذن فليجُدْ **الأب** الموسر بماله ، ولينفق مما جعله الله مستخلفا فيه وليبدأ بمن يعول ، وليسع جهده في تسهيل أسباب الزواج لولده ، وليستمع الى ما يقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم : « دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته على رقبة (اعتاق عبد) ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا ما أنفقته على أهلك » .

والله سبحانه لايضيع أجر من أحسن عملا .)[1] .

واذا أردت ــ أخي المربي ــ أن تعرف منهج الاسلام في اختيار الزوجة فارجع الى ماكتبناه في القسم الاول من هذا الكتاب تحت عنوان « الزواج انتقاء واختيار » تجد فيه ان شاء الله البحث وافيا كاملا .. فلا تجد بدا الا أن تختار لولدك الزوجة الصالحة التي اذا نظر اليها سرته ، واذا أمرها أطاعته، واذا غاب عنها حفظته في ماله وعرضه ، فاذا رزقه الله منها غلاما دعا ربه بهذا الدعاء ((**ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما**)) ، واعانته على تربيته واعداده ليكون عضوا نافعا في الحياة ..

بعد هذا كله نوضح **المراحل التي يجب أن يسير عليها المتزوج ليلة الزفاف** من حين أن يخلو بعروسه الى أن تتم العملية الجنسية .. ليعلم من يريد أن يعلم أن الاسلام بتشريعه الشامل قد علمنا كل شيء حتى آداب الزفاف ، وأصول المعاشرة الزوجية !!.

والمراحل هي اتباع الخطوات التالية :

١ ــ يستحب **أن يضع اليد على رأس العروس ويسمي الله سبحانه**

(١) من كتاب « عقبات الزواج » ص ٦٤ للمؤلف .
انصح كل اب ان يقرأ كتاب « عقبات الزواج » وطرق معالجتها على ضوء الاسلام ، ليعرف الحلول العملية التي وضعها الاسلام في تذليل عقبات الزواج .

ويدعو لها بالبركة ، لما أخرج البخاري وأبو داود وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا تزوج أحدكم امرأة .. فليأخذ بناصيتها ، وليسمّ الله عز وجل ، وليدع بالبركة وليقل : (اللهم اني أسألك من خيرها وخير ماجبلتها عليه — أي خلقتها وطبعتها عليه — ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه) » .

٢ — ويستحب للعروسين أن **يصليا ركعتين ويدعوا الله سبحانه بعد الصلاة ،** لما أخرج ابن أبي شيبة بسند جيد عن شقيق قال : « جاء رجل يقال له : أبو حريز فقال : اني تزوجت جارية شابة (أي بكرا) واني أخاف أن تفركني (أي تبغضني) ، فقال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه : « ان الإلفَ من الله ، والفِرْك من الشيطان يريد (أي الشيطان) أن يكره اليكم ما أحل الله لكم ، فاذا أتتك فأمرها أن تصلي وراءك ركعتين ، وقل : « اللهم بارك لي في أهلي وبارك لهم فيّ ، اللهم اجمع بيننا ماجمعت بخير ، وفرق بيننا اذا فرقت الى خير » .

٣ — ويستحب للزوج **أن يلاطف عروسه ويقدم لها شيئا تشربه أو تأكله** ... لما أخرج أحمد في مسنده أن أسماء بنت يزيد ابن السكن قالت : قيّنتُ (زيّنت) عائشة رضي الله عنها لجَلْوَتِها (للنظر اليهامجلوةمكشوفة) فجاء عليه الصلاة والسلام الى جنبها فأتي بعُس لبن (قدح كبير) فشرب ، ثم ناولها النبي صلى الله عليه وسلم فخفضت رأسها واستحيت ... »

وروى الترمذي والنسائي بسند جيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله » .

وروى الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » .

ولا شك أن في هذه الملاطفة ايناساً لها وزوالا لوحشتها ، وتمتينا لأواصر المودة والمحبة بينهما .. لأنه — كما يقولون — لكل داخل دهشة ، ولكل غريب وحشة .

٤ — من آداب المباشرة **أن ينخلعا من ثيابهما** ، لما للتجريد من الثياب من الراحة للبدن ، والسهولة في التقلب، والزيادة في المتعة، والأنس للزوجة..

والأفضل أن يكون التعري الكامل تحت لحاف واحد ، لما روى أحمد والترمذي وأبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الله تعالى حَيِيٌّ سِتِّير يحب الحياء والسَّتر » .

وأخرج الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « اياكم والتعري فان معكم من لايفارقكم الا عند الغائط (قضاء الحاجة) وحين يفضي الرجل الى أهله (أي الجماع) فاستحيوهم وأكرموهم » .

وسبق أن ذكرنا حديث عائشة رضي الله عنها حين قالت : «قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولم يرَ مني ولم أرَ منه » .

ومما يؤكد أفضلية الستر ، مارواه الترمذي بسند ضعيف : « اذا جامع أحدكم أهله فلا يتجرَّدان تجرد العَيْرَيْنِ » أي الحمارين .

٥ — ومن آداب المباشرة **الملاعبة والعناق والقبلة قبل أن ياتيها** ، لما روى ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس عنه عليه الصلاة والسلام : « لايقعنَّ أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة ، ليكن بينهما رسول » ، قيل : وما الرسول ؟ قال : « القُبْلَة والكلام » وروى أبو منصور أيضا عنه عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة من العجز :... وعدد منها : وأن يقارب الرجل

جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤنسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل أن تقضي حاجتها »[1] .

من هذا الحديث نستدل : أن على الزوج أن يلاحظ أثناء العملية الجنسية توافق زوجته معه في الحصول على اللذة والانزال .

يقول الامام الغزالي في احيائه : « .. ثم اذا قضى وطره (أي الزوج) فليتمهل على أهله حتى تقضي هي أيضا نهمتها ، فان انزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها ، ثم القعود عنها ايذاء لها ، والاختلاف في طبع الانزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقا الى الانزال ، والتوافق في الانزال ألذ عندها .. »[2].

٦ — ومن آداب الجماع **أن يدعو الزوج بهذا الدعاء** ، وذلك ما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (لو أن أحدكم أتى أهله قال : « بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنّب الشيطان مارزقتنا » ، فان قضى بينهما ولد لم يضره الشيطان أبدا).

٧ — **يجوز أن يأتي أهله في أية كيفية شاء مادام الاتيان في الفرج** ، لقوله تبارك وتعالى **« نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم »** ، والمعنى ائتوا نساءكم في موضع الحرث وهو الفرج كيف شئتم سواء أتيتموهن من أمام أو من خلف أو على جنب ..

روى البخاري عن جابر رضي الله عنه قال . « كانت اليهود تقول : إذا أتى الرجل امرأته من دُبُرها في قُبُلها (أي الفرج) كان الولد أحول!!.

---

(١) الحديثان وان كان فيهما ضعف فمعناهما صحيح ، لما للملاعبة من الملاطفة للزوجة ، والاستثارة للغريزة ، وتهيئة نفسية للمباشرة ، وتلذذ في الجماع ..

(٢) من كتاب « احياء علوم الدين » ج٢ ص : ٥٠ باب ادب المعاشرة .

فنزلت : **« نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم »** ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مقبلة ومدبرة اذا كان ذلك في الفرج » .

وأفضل هيئات الجماع أن يعلو الرجل المرأة ، وهي مستلقية رافعة رجليها ، ثم يحتضنها مابين يديها ورجليها .. حتى يقضي لذته ولذتها .

وهذه الهيئة من الجماع مأخوذة من وصف السيدة عائشة رضي الله عنها لحالة الجماع المعهودة ، وذلك في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري قال: اختلف رهط من المهاجرين والأنصار، فقال الأنصاريون: لايجب الغسل الا من الدفق أو الماء (أي المني) ، وقال المهاجرون : بل اذا خلط فقد وجب الغسل ، وقال أبو موسى : أنا أشفيكم من ذلك ، قال : فاستأذنت على عائشة فأذن لي ، فقلت : يا أماه اني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحييك قالت : لاتستحيي أن تسألني عما كنت سائلا عنه أمك التي ولدتك فانما أنا أمك ، قلت : فما يوجب الغسل ؟

قالت : على الخبير سقطت ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا جلس بين شعبها الأربع (أي بين يديها ورجليها) ، ومس الختان الختان فقد وجب الغسل » .

٨ ـ **واذا أراد العود في الجماع فيستحب له الوضوء لكونه أنشط** ، لما روى مسلم وأبو داود .. عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ بينهما وضوءا فانه أنشط للعود ».

والغُسْلُ أفضل ، لما روى أبو داود والنسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه طاف ذات يوم على نسائه ، يغتسل عند هذه . وعند هذه ، قال أبو رافع ــ راوي الحديث ــ : يا رسول الله ألا تجعله غسلا واحدا ؟ قال : « هذا أزكى وأطيب وأطهر » .

٩ ـ **الأفضل في حقهما المسارعة الى الاغتسال .. واذا تكاسلا فيستحب أن يتوضأا قبل النوم** ، لما روى مسلم عن عبد الله بن قيس قال : سألت عائشة رضي الله عنها قلت : كيف كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنابة ؟ أكان يغتسل قبل أن ينام أم ينام قبل أن يغتسل ؟

قالت : كل ذلك قد كان يفعل ، ربما اغتسل فنام ، وربما توضأ فنام .

قلت : الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة .

وانما كان الغسل أفضل لأن أحدهما اذا استيقظ سارع الى صلاة الفجر دون تكاسل أو فوات أو مشقة .. ولاسيما في فصل الشتاء حيث البرد والزكام ..

١٠ ـ ويجوز للزوجين أن يغتسلا معا في مكان واحد ، لما روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كنت أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء بيني وبينه واحد تختلف أيدينا فيه ، فيبادرني حتى أقول: دَعْ لي ، دَعْ لي ، قالت : وهما جنبان » .

ويجوز أن يغتسلا عريانيْن مع بعضهما ، ولكن الستر أفضل لحديث : « الله أحق أن يستحيا منه » رواه أصحاب السنن الا النسائي ..

على الزوجين أن يتنبها للمحظورات التالية :

١ ـ **يحرم على الزوجين التحدث الى الناس بما مارسا من عملية الوقاع اشارة أو كلاما** ، لما روى مسلم وابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي[1] الى المرأة ، وتفضي اليه ثم ينشر سرها » .

---

(١) يُفضي : كناية عن الجماع .

وروى أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سلّم (انتهى من صلاته) أقبل علينا فقال : « مجالِسَكم ، هل منكم الرجل اذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره ، ثم يخرج فيحدث فيقول : فعلت بأهلي كذا ، وفعلت بأهلي كذا ؟ فسكتوا .. فأقبل على النساء ، فقال : هل منكن من تحدث ؟ فجثت فتاة كَعَاب" (شابة) على احدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمع كلامها .

فقالت : إي والله ، انهم يتحدثون وانهن يتحدثن ، فقال عليه الصلاة والسلام : هل تدرون ما مثل من فعل ذلك ؟

ان مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهم صاحبه بالسكة (بالطريق) ، فقضى حاجته منها والناس ينظرون اليه » .

٢ ـ يحرم على الزوج أن يأتي أهله في الدّبُر ، لما أخرج النسائي وابن حبّان بسند جيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاينظر الله الى رجل يأتي امرأته في دبرها » .

وروى ابن عدي وأبو داود وأحمد عنه عليه الصلاة والسلام : « ملعون من يأتي النساء في محاشهنّ » يعني أدبارهن .

وروى أ صحاب السنن الا النسائي وسنده صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » .

وروى النسائي عن طاوو س قال : «سئل ابن عباس عن الذي يأتي امرأته في دبرها ؟ فقال : هذا يسألني عن الكفر » ، وسنده صحيح .

ولاشك ان اتيان الدبر مضر بالصحة والجسم ، ومناف لمبادىء الفضيلة والأخلاق ، وشارة فارقة من شارات الشذوذ والانحراف .. وقد فصلنا القول عن هذه الظاهرة الخبيثة في مسؤولية التربية الجسمية فارجع اليه — أخي المربي — تجد البحث وافيا كافيا مقنعا ان شاء الله .

٣ — **يحرم على الزوج أن يأتي أهله أيام الحيض والنفاس** ، لقوله تعالى : ((**فاعتزلوا النساء في المحيض**)) ، وسبق أن ذكرنا حديث « من أتى حائضاً ... فقد كفر بما أنزل على محمد » .

أما تحريم اتيان المرأة في النفاس فقد ثبت في القياس ، وذلك قياس النفاس على الحيض لاشتراكهما في العلة والسبب ، وثبت في الاجماع أيضا .

ولقد ذكرنا في البحث السابق أنه يجوز للزوج أن يستمتع من المرأة ما فوق الازار بين السرة والركبة في حالتي الحيض والنفاس ، ويحرم عليه الاستمتاع ما تحت الازار ، والحكمة في هذا التحريم الحد من انطلاقة النفس الأمّارة من أن تقع فيما هو محظور شرعا ومضر جسما .. ومن حام حول الحمى أو شك أن يقع فيه ، والمسلم عليه أن يحتاط لدينه وصحته ، ويأخذ بجانب الأتقى والأورع في سلوكه وتصرفاته ومعاملته ..

وقد ثبت طبياً أن الوقاع في زمن الحيض والنفاس يحدث الأضرار الآتية :

((١ — آلام أعضاء التناسل في الأنثى ، وربما أحدثت التهابات في الرحم في المبيض أو في الحوض حيث تضر صحتها ضررا بالغا ، وربما أدى ذلك الى تلف المبيض وأحدث العقم ..

٢ — إنّ دخول مواد الحيض في عضو التناسل عند الرجل ، قد يحدث التهاباً صديدياً يشبه السيلان ، وربما امتد ذلك الى الخصيتين فآذاهما ،

ونشأ من ذلك عقم الرجل ، وقد يصاب (بالزهري) اذا كانت جراثيمه في دم المرأة .

وعلى الجملة فقربانها في هذه المدة قد يحدث العُقْم في الذكر أو في الأنثى ، ويؤدي الى التهاب أعضاء التناسل ، واضعاف الصحة ، وكفى في ذلك ضرر وأيّ ضرر !!.

ومن ثم أجمع الأطباء المحدثون في بقاع المعمورة على وجوب الابتعاد عن المرأة في هذه المدة كما نطق بذلك القرآن الكريم المنزل من لدن حكيم خبير : **« ويسألونك عن المحيض قل هو أذىً فاعتزلوا النساء في المحيض ... »**[1] اهـ .

ومن ابتلي بوقاع زوجته وهي حائض أو نفساء فليكفر عن ذنبه بالتوبة الصادقة النصوح، واستغفار الله عز وجل والندم على ما فعل وهذا هو مذهب جمهور الفقهاء . وفي مذهب ابن عباس ، وقتادة والأوزاعي ، واسحق ، وأحمد في الرواية الثانية ، والشافعي في قوله القديم .. يتصدق ما يعادل دينارا أو نصف دينار[2] .. على حسب حاله من اليسر أو العسر ، أو على حسب حال الدم أحمر أو أصفر .. للحديث الذي رواه أصحاب السنن والطبراني .. عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في الذي يأتي امرأته وهي حائض قال : « يتصدق بدينار أو نصف دينار » ، وفي لفظ للترمذي : « اذا كان دماً أحمر فدينار ، وان كان دماً أصفر فنصف دينار » .

---

(١) تفسير « المراغي » من تفسير قوله تعالى : « ويسألونك عن المحيض قل هو أذىً ... » (البقرة : ٢٢٢) ، ونقل الشيخ المراغي هذه الأضرار عن كبار الأطباء المحدَثين .

(٢) الدينار يقدر بـ/١٢/درهما من فضة، والدرهم يساوي/٣/غرامات، وغرام الفضة يساوي بالعملة السورية بـ (١١٠) ق.س تقريباً .

ومما ينصح به الاطباء وأهل العلم والاختصاص :

١ ــ أن يكون معتدلا في قضاء الشهوة ، واشباع الوطر •• وحدود الاعتدال مرتان في كل أسبوع ، وله أن يزيد أو ينقص بحسب حاجته وحاجتها في الاعفاف والإحصان •• ولكن عليه ألا يُفْرِط ، لأن الكثرة تؤدي الى الإضرار بالجسم ، وانهيار في العقل ، وتعطيل عن العمل ، والانصراف عن حمل مسؤولية الاسلام ••

٢ ــ المداعبة أولا ثم قضاء الشهوة وقد سبق ذكر ذلك •

٣ ــ أن يتحين الزوج الوقت المناسب للوقاع ، لأن مزاج المرأة حساس . فاذا أتاها في وقت لايتفق مع مزاجها كأن تكون مريضة أو متعبة •• فربما آل الأمر الى الكره ، وزرع البغضاء والشحناء ، وأحيانا الى الفراق ••

٤ ــ على الزوج قبل أن ينزع أن يراعي حال زوجته في الحصول على اللذة ، واشباع الشهوة ، وقد سبق ذكر ذلك أيضا •

٥ ــ الجماع جائز في كل الشهور والأوقات والأيام ، وفي كل ساعة من ليل أو نهار الا ماحرمته الشريعة كأن يكونا صائمين صيام الفرض مثلا . أو كانت الزوجة في حالة الحيض أو النفاس ••

ولكن من السنة الوقاع يوم الجمعة وليلته •• للحديث الذي رواه البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح ، فكأنما قرب بَدَنَةً (جملا) ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن . ومن راح في الساعة الرابعة كأنما قرب دجاجة . ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة . فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » •

وفي الحديث الذي رواه أبو داود والنسائي •• « من غَسَّلَ[(١)] يوم الجمعة واغتسل . وبكر وابتكر (أي الى الصلاة) ومشى ولم يركب ، ودنا من الامام واستمع ولم يَلْغُ كان له بكل خطوة عمل سَنَةٍ : أجر صيامها وقيامها » •

٦ ــ على الزوجة أن تراعي مزاج زوجها فيما يرغب من تزين ، وملاطفة، ووقاع في أوقات مخصوصة ، فلا يحل لها أن تقف دون رغبته . أو تصوم نفلا بدون إذْنِه •• روى البخاري ومسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » وفي رواية : « حتى يرضى عنها » •

وروى البخاري عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لايحل لامرأة أن تصوم (أي نفلا) ، وزوجها شاهد (أي) حاضر مقيم في البلد الا بإذنه » •

تلكم أهم النظرات الى الجنس من وجهة نظر الاسلام ••

وتلكم أميز الآداب في الاتصال الجنسي من زاوية الشريعة الربانية الغراء ••

فاحرص ــ أخي المربي ــ أن تلقنها أولادك وهم في السن التي تؤهلهم للزواج حتى اذا دخلوا عتبته، وعصموا أنفسهم به عرفوا كيف يكون الاتصال؟ وكيف يتم الزواج ؟

الله أسأل أن يهيىء لشبابنا الزوجات الصالحات ، اذا نظر أحدهم الى زوجته سرته ، واذا أمرها أطاعته ، واذا غاب عنها حفظته بنفسها وماله •• اللهم آمين •



(١) من غسل : اي جامع امراته فأحوجها الى الغسل .

٦ ــ وليستعفف الذين لايجدون نكاحا(١) :

مما لايختلف فيه اثنان أن المال أساس السعادة ، وعصب الحياة .. اذا تيسر للانسان فانه يحل كل عقدة ، ويذلل في طريقه كل عقبة ، ويوصله الى كل غاية ..

وصدق من قال :

ان الدراهم في المواطــن كلها تكسو الرجال مهابــة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتــالا

وربما يوجد انسان ذو علم وخلق .. في بيئة اجتماعية متغطرسة ، تعتبر المال كل شيء ، فتراه غير مكترث به ، وغير مأبوه له .. لكونه فقير الحال ، ضيق اليد .. ولو كان امام الحرمين ، وعالم الثقلين .. ورحم الله من قال :

فصاحة حسان وخط ابن مقلــة وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم
اذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس ونودي عليه لايبــاع بــدرهم

ولقد صدق الشاعر حين صور لنا اعتبار المال في بيئته الجهل والغنى هو الاعتبار الأول حين قال :

تموت الأُسْدُ جوعا في البرايا ولحم الطــير ملقــى للكــلاب
وذو جهل ينــام عــلى حريــر وذو علــم ينــام على التــراب

---

(١) هذا البحث منقول طبق الأصل مع بعض التصرف والاختصار من كتابنا « عقبات الزواج » . . . الطبعة الثانية من ص ١٥٣ الى اخر الفصل ، وقد آثرت نقله لارتباطه ببحث « التربيــة الجنسيــة » الذي نحن بصدده الآن ، وستلحظ ــ أخي المربي ــ عند الانتهاء من قراءته وجه هذا الارتباط .

فالمال اذن ــ كما هو مشاهد ــ هو العصب الحساس لارتقاء سلم الحياة ، وهو الوسيلة الأساسية للوصول الى أي غاية . وهو الاعتبار الاول لدى أهل الجهل والضلال !!.

ولكن ماذا يفعل الشباب اذا رغبوا في الزواج . والمال غير متيسر لديهم. وماذا يصنعون إذا لم يروا ممن يعايشونهم تكافلا ولا عطفا ؟

انهم يريدون أن يعصموا أنفسهم بالزواج ولكن لايجدون السبيل اليه!

انهم يريدون أن يستجيبوا لدواعي الغريزةبالرباط المقدس ولكن تحول دونهم عقبات وعقبات(١) !!.

انهم يريدون أن يلبوا نداء الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوة الشباب الى الزواج ولكن لم يجدوا المال . ولم يجدوا من البيئة التي يعايشونها عطف الانسان على أخيه الانسان !!..

اذن ما السبيل الى احصان نفوسهم ، والحد من ثورة غرائزهم الجامحة ،

السبيل الى ذلك هو أن يستجيبوا لدعوة القرآن الكريم في التمسك بحبل الإعفاف والتسامي ، وهذا هو الطريق الوحيد في اصلاح نفوسهم ، وإحصان فروجهم ، والترفع عن هواجس نفوسهم الامارة بالسوء .

قال تعالى : « وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله » . (النور : ٣٣)

هذه الدعوة القرآنيةالى العفة تربية نفسية كريمة . تقوي في نفوس

---

(١) ارجع الى كتابنا « عقبات الزواج » وطرق معالجتها على ضوء الاسلام تجد ــ أخي المربي ــ العلاج الاسلامي الناجع لكل عقبة تقف في طريق الزواج . ولعلك تستأنس بها وتسير على نهجها ..

الشباب الارادة ، وترسخ في قلوبهم العزيمة ، وتجعل منهم أناسي كالملائكة ، وتمنحهم دائماً الطمأنينة والاستقرار !!.

ولكن ماهو المنهج الذي وضعه الاسلام في وصول الشاب الى قمة العفة والتسامي ؟

كنا تعرضنا لأصول هذا المنهج — أخي المربي — في « علاج ظاهرة العادة السرية واستئصالها »[1] في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

وهاأناذا أستعرض معك العناوين العريضة لأصول هذا المنهج مع ماجدّ لي من اضافات جديدة لاستكمال البحث . وعلى الله قصد السبيل .

أما العناوين العريضة فهي على الترتيب التالي :

١ — الزواج في سن مبكرة .

٢ — الاستمرار في صوم النفل .

٣ — الابتعاد عن المثيرات الجنسية .

٤ — ملء الفراغ بما ينفع .

٥ — الرفقة الصالحة .

٦ — الأخذ بالتعاليم الطبية .

٧ — استشعار خوف الله تبارك وتعالى .

أما الاضافات الجديدة لاستكمال المنهج فتتركز في نقطتين :

الأولى : غض البصر عن المحرمات .

الثانية : تقوية الوازع الديني .

---

(١) ارجع الى البحث ص ٢٣٠ من هذا الكتاب .

أما غض البصر عن المحرمات فكنا أفضنا القول عنه في بحث **((أدب النظر))** . .

وها أنا إذا ألفت ذهن القارىء مرة ثانية الى الخطر الذي يترتب عليه النظر باختصار ، ليكون المربي دائما على توعية واستذكار :

مما لاجدال فيه أن النظرة الى المرأة الأجنبية سهم من سهام ابليس ، فمن تركها مخافة الله أبدله الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه ..

ومما لاشك فيه أن النظرة التي تتبعها النظرة تؤدي الى الانجذاب الشهواني نحو المرأة أو نحو الرجل ، وهذا الانجذاب يتبعه الابتسامة ، والابتسامة يتبعها السلام ، والسلام يتبعه الكلام ، والكلام قد يتبعه الموعد واللقاء ، واللقاء يؤدي لا محالة الى نتائج وخيمة لاتحمد عقباها !!..

فقديما قال الشاعر :

كل الحوادث مَبْداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

وحديثا قال :

نظـرة فابتسامـة فسـلام فكـلام فموعـد فلقـاء

ويكفي النظرات الخائنة الى المرأة ضررا أنها تسد في الانسان منافذ التفكير الصافي ، وتشغله عن كثير من الواجبات . وتؤدي الى تفسخ الأمة وانحلالها ، وتجعل من الشباب المتفسخ المتميع .. شباب لهو وعبث .. يسيرون في الحياة بلاهدف ولا غاية !!..[1] بل هم أخطر مايكونون على الأمن والاستقرار ، وأضر مايكونون على الفضيلة والأخلاق !! .

---

(١) ارجع الى رسالتنا « الى كل أب غيور يؤمن بالله » تجد مايشفي الغليل في الحكمة من تحريم النظر والاختلاط ..

من أجل هذا أمر القرآن الكريم المؤمنين والمؤمنات بأن يغضوا أبصارهم، ويحفظوا فروجهم ...

قا تعالى في سورة النور : ((**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ..**))

فالعلاج الوحيد اذن في الوصول الى قمة العفة والتسامي هو غض البصر عن المحرمات ألا فليتذكر أولو الالباب !!.

أما تقوية الوازع الديني : فانا عرضنا في مواضع كثيرة من هذا الكتاب عن الوسائل في غرس العقيدة الربانية في نفس الولد ، وعن المراحل المتدرجة التي تؤدي الى ترسيخ التربية الايمانية في الطفل حتى اذا درج نحو المراهقة ، وشارف سنّ البلوغ ، ودخل عتبة الشباب .. انصلح حاله ، وازدانت أخلاقه .. وكان كالملك يمشي على الأرض . وكالعابد المتبتل يسير في الناس.

ومن المعلوم أن ربط الولد بالعقيدة الربانية ، وتربيته على مراقبة الله في السر والعلن ، وحضور مجالس العلم والذكر ، والمداومة على الفروض وصلاة النفل ، والمواظبة على تلاوة القرآن ، والتهجد في الليل والناس نيام ، والاستمرار على صيام المندوب والتطوع ، والاستماع الى أخبار الصحابة والسلف ، واستذكار الموت وما بعده ، والارتباط بالرفقة الصالحة والجماعة المؤمنة ..

كل ذلك اذا فعله الشاب قوي في نفسه الوازع الديني ، وتجنب مواطن الفساد ، وابتعد عن الميوعة والتحلل ، ووصل الى قمة العفة والتسامي .

واليكم ـ ياشباب ـ نموذجين عظيمين من العفة والتسامي للتأسي والاقتداء:

الأول : (يوسف عليه السلام شاب في ريعان الشباب مكتمل الرجولة ،

رائع الفتوة ، تدعوه الى نفسه امرأة ذات منصب وجمال ، والأبواب مغلقة . والسبل ميسرة كما حكى القرآن :

« وراودته التي هي في بيتهـا عن نفسه وغلقت الأبواب وقـالت هيت لك » ،

فماذا كان موقفه أمام هذا الاغراء ، وتلك الفتنة التي تخطف الابصار ؟

ألانت قناتــه فاستسلم وخان عرضا أؤتمن عليـــه ؟ كلا انما قال : **« معاذ الله انـــه ربي أحسن مثواي انه لايفلح الظالمون » .**

ولقد حاولت امرأة العزيز بكيدها ومكرها ، وبكل مالديها من ألوان الاغراء والتهديد أن تذيب من صلابته ، وتضعضع من شموخه ، وأعلنت ذلك للنسوة في ضيق وغيظ :

« ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمـره ليسجنن وليكونن من الصاغرين » .

ولكن الشاب يوسف عليه السلام اتجه بكليته الى الله يسأله المعونة والعصمـــة :

« رب السجن أحب الي مما يدعونني اليه ، وإلاّ تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين » .

كان فتنة بين ضمير المؤمن وخشيته الربانية .. ومغريات الاثم ،ففشلت المغريات ، وانتصر الايمان !!)[1] .

الثاني : وهذه امرأة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذهب زوجها الى الجهاد ، وغاب عنها كثيرا ، فتخيم عليها كآبة الوحشة ، وتهجم عليها

---

(١) من كتاب « الاسلام والمشكلة الجنسية » للدكتور مصطفى عبد الواحد .

هواجس الوحدة ، ويثور في عرقها دم الأنوثة ، وتتأجج فيها نار الغريزة .. فلا يصدها عن ارتكاب المحرم الا حاجز الايمان ، ووازع المراقبة لله .. وفي جنح الليل البهيم سمعها عمر رضي الله عنه تنشد :

لقد طال هذا الليل واسود جانبه وأرقني ألا حبيب ألاعبه
فوالله لولا الله تخشى عواقبه لحرك من هذا السرير جوانبه

وفي اليوم الثاني دخل عمر رضي الله عنه على ابنته حفصة أم المؤمنين، وقال لها : كم تصبر الزوجة على زوجها اذا غاب ؟

قالت : أربعة أشهر .

فأرسل الخليفة الراشد الى قواده المرابطين في جبهات القتال يأمرهم : ألا يحبسوا جنديا عن أهله أكثر من أربعة أشهر .

كانت فتنة بين استشعار هذه المرأة المؤمنة خشية الله .. وبين الدافع الى الاثم والفاحشة فهمدت الدوافع وانتصر الايمان !!.



تلكم أهم بنود المنهج في وصول الشاب المسلم الى قمة العفة والتسامي .. ولاشك أن الشاب اذا اتّبع أصول هذا المنهج ، وسار على بنوده بدقة وإحكام وتطبيق ومثابرة .. فانه ينتصر في الحياة على كل الوساوس الشيطانية والنفسية التي تعتلج بين جوانحه ، ويتغلب على كل الدوافع الغريزية التي تتوهج في أعماق كيانه .. بل يكون كالأنبياء في الأخلاق ، وكالملائكة في الطهر ، وكالسلف الصالح في العفّة .. حتى يأتي اليوم الذي يغنيه الله من فضله ، ويسهل عليه أسباب الرزق والمعاش .. والله سبحانه دائما يتولى المتقين الأبرار ويجعل لهم من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجاً . لأنه القائل في محكم تنزيله :

« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ».

والقائل أيضا : **« وليستعفف الذين لايجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله »** (النور : ٣٣)

وهذه العفة والتسامي ليس من الكَبْت في شيء ــ كما يتوهم البعض ــ لأن الكَبْت كما عرفه علماء النفس والتربية « هو استقذار العملية الجنسية، والاستشعار بالاثم لمن يزاولها ولو كان مزاولتها عن طريق الزواج » .. وهذا معناه هو الترهبن ، ولقد عقدنا بحثا خاصا في بحث « الزواج والاتصال الجنسي » ، ولقد رأيت ــ أخي المربي ــ كيف أن الاسلام ذم العزوبة ، ونفّر من الرهبانية ..؟ وكيف أنه شرع الزواج تلبية للفطرة ، واستجابة للغريزة .. فأين الكبت وهذا هو الاسلام في مبادئه وواقعيته ؟.

((وبناء على هذا فان الفتى الشاب حين يحس بالرغبة الغريزية فانه لايحتاج ــ في الاسلام ــ أن يستعيذ بالله من هذا الاحساس المجرد ، لأن الاسلام يقرر في صراحة أن هذه الرغبة أمر طبيعي لانكران له ولاخلاف عليه.

وعلى ذلك لايحتاج أن يكبت الشعور بهذه الرغبة ، لكي يتطهر في نظر الناس ونظر نفسه .. ولايحتاج كذلك أن يستشعر بالاثم من مجرد هذا الاحساس ، ومن ثم تنتفي كل الاضطرابات النفسية والعصبية التي تنشأ من الشعور بالاثم والتي تؤدي الى الجريمة في حالات الشذوذ .

ولكننا نعلم أن الاسلام لم يبح للفرد أن يطيع هذا الهاتف الغريزي حسبما اتفق .. وانما وضع لذلك الحدود الشرعية التي يكون مباحا في داخلها ، محرما فيما وراءها .

هذا صحيح ، ولكن هذا شيء والكبت شيء آخر .. فهذا التحريم

لما وراءها تعليق ينظم النشاطَ ولكن لايقطعه من منبته ، ولايُحرّم الاحساس به في أية لحظة بين الانسان ونفسه ..)[1] .

ومما يؤكد أن الكبت ليس له وجود في ظلال التربية الاسلامية أن انسانا ما ــ وهو في حياة العزوبة ــ اذا تملكته الشهوة ، وتحكمت فيه الغريزة ، وترجح لديه أن سيرتمي في أحضان الفاحشة .. فيجوز له شرعا أن يلجأ الى العادة السرية لتسكين غريزته والتخفيف من حدة شهوته .. أخذا بالقاعدة الأصولية التي تقول : « يختار أخفّ الضررين ، وأهون الشرّين »

لهذا قال الفقهاء : « ان الاستمناء باليد حرام اذا كان لجلب الشهوة وإثارتها وهي هادئة ، أما اذا غلبت الشهوة بحيث شغلت البال ، وأقلقت الخاطر ، وأوقفت على باب الفاحشة ، وتعين الاستمناء طريقا لتسكينها فان الأمر جائز ومكافىء بعضه بعضاً ، وينجو صاحبه رأسا برأس أي لاأجر عليه ولا وزر ، فلا يثاب ولايعاقب »[2] .

ألا فلتخرس ألسنة الذين يقولون إنّ الاسلام دين الكبت والرهبانية ، وإنّ نظرته الى الجنس نظرة استقذار وترفع وكراهية !!..

ولقد رأيت ــ أخي القارىء ــ أن هذا الادعاء ليس له أصل في مبادىء الاسلام الخالدة ..



(١) من كتاب « الاسلام والمشكلة الجنسية » للدكتور مصطفى عبد الواحد.

(٢) هذا النص الفقهي من كتاب « ردود على اباطيل » للعلامة المرحوم الشيخ محمد الحامد ص٤٢ وسبق أن ذكرناه في بحث « حكم العادة السرية » من هذا الكتاب .

وفي مسك الختام :

أثبت كلمة طريفة للكاتب الكبير الاستاذ علي الطنطاوي تمثل لونا من الوعي الاسلامي المعاصر للشباب ، فهي نموذج فريد للفهم البصير ، والاقناع الهادىء الذي يدعو الى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة .

يقول حفظه الله في رسالة له « **يابني** » :

(لماذا تكتب الي على تردد واستحياء ؟

تحسب أنك أنت وحدك الذي يحس هذه الوقدة في أعصابه من ضرم الشهوة ، وانك أنت وحدك الذي اختص بها دون الناس أجمعين ؟!.

لا يابني ، هون عليك ، فليس الذي تشكو داءك وحدك ، ولكنه داء الشباب . ولئن أرّقك هذا الذي تجد ، وأنت في السابعة عشرة ، فلطالما أرّق كثيرين غيرك ، صغارا وكبارا ، ولطالما نفى عن عيونهم لذيذ الكرى، ولطالما صرف عن درسه التلميذ ، وعن عمله العامل ، وعن تجارته التاجر ..

فماذا يصنع الفتى في هذه السنوات ، وهي أشدّ سنيّ العمر اضطرام شهوة ، واضطراب جسد ، وهياجا وغليانا ؟

ماذا يصنـــع ؟

هذه هي المشـــكلة !.

أما سنّة الله ، وطبيعة النفس ، فتقول له : تزوج .

وأما أوضاع المجتمع ، وأساليب التعليم فتقول له : اختر احدى ثلاث كلها شر ، ولكن اياك أن تفكر في الرابعة التي هي وحدها الخير ، وهي الزواج !.

١ ــ إمّا أن تنطوي على نفسك ، على أوهام غريزتك ، وأحـــلام

شهوتك ، تدأب على التفكير فيها ، وتغذيها بالروايات الداعرة ، والأفلام الفاجرة ، والصورة العاهرة حتى تملأ وحدها نفسك ، وتستأثر بسمعك وبصرك ، فلا ترى حيثما نظرت الا صور الغيد الفواتن ، تراهن في الكتاب إنْ فتحته ، وفي طلعة البدر ان لمحته ، وفي حمرة الشفق ، وفي سوادالليل ، وفي أحلام اليقظة وفي رؤى المنام ..

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

ثم لاتنتهي بك الحال الا الى الهوس أو الجنون أو انهيار الاعصاب .

٢ ـ وإمّا أن تعمد الى ما يسمونه « الاستمناء » (العادة السرية) .. وقد تكلم في حكمه الفقهاء ، وقال فيه الشعراء ... وهو إنْ كان أقل الثلاثة شرا وأخفها ضررا ، لكنه ان جاوز حده ركب النفس بالهم ، والجسم بالسقم ، وجعل صاحبه الشاب كهلا محطما ، كئيبا مستوحشا ، يفرّ من الناس ويجبن عن لقائهم ، ويخاف الحياة ويهرب من تبعاتها ، وهذا حكم على المرء بالموت وهو في رباط الحياة .

٣ ـ وإمّا أن تغرف من حمأة اللذة المحرمة ، وتسلك سبل الضلال ، وتؤم بيوت الفحش ، تبذل صحتك وشبابك ومستقبلك ودينك في لذة عارضة ، ومتعة عابرة ، فاذا أنت قد خسرت الشهادة التي تسعى اليها ، والوظيفة التي تحرص عليها ، والعلم الذي أملت فيه ، ولم يبق لك من قوتك وفتوتك ما تضرب به في لجّ العمل الحر .

ولاتحسب بعد أنك تشبع .. كلا انك كلما واصلت واحدة زادك الوصال نهما ، كشارب الماء الملح لايزداد شربا الا ازداد عطشا ، ولو أنك عرفت منهن آلافا منهن ثم رأيت أخرى متمنعة عليك ، معرضة عنك ، لرغبت

فيها وحدها ، وأحسست من الألم لفقدها مثل الذي يحسه من لم يعرف امرأة قط !!.

وهبك وجدت منهن كل ماطلبت ، ووسعك السلطان والمال ، فهل يسعك الجسد ، وهل تقوى الصحة على حمل مطالب الشهوة ؟

دون ذلك وتنهار أقوى الأجساد ، وكم من رجال كانوا أعاجيب في القوة ، وكانوا أبطالا في الرَّبْع والصّرْع والرمي والسّبْق ، ما هي الا أن استجابوا الى شهواتهم ، وانقادوا الى غرائزهم حتى أمسوا حطاما ..

ان من عجائب حكمة الله ، أنه جعل مع الفضيلة ثوابها : الصحة والنشاط .. وجعل مع الرذيلة عقابها : الانحطاط والمرض .. ولرب رجل ماجاوز الثلاثين ، يبدو مما جار على نفسه كابن ستين ، وابن ستين يبدو من العفاف كشاب في الثلاثين .

ومن أمثال الافرنج التي سمعناها وهي حق وصدق : « من حفظ شبابه حفظت له شيخوخته »[1] .

وكأني أسمعك تقول : هذا الداء فما الدواء ؟

الدواء أن تعود الى سنة الله وطبائع الاشياء التي طبعها الله عليها ؛ ان الله ما حرم شيئا الا أحل شيئا مكانه ، حرم المراباة وأحل التجارة ، وحرم الزنى وأحل الزواج ، فالدواء هو الزواج .

فاذا لم يتيسر لك الزواج .. فليس الا التسامي ، وأنا لاأريد أن

---

(١) يذكرني هذا المثل ما روي عن أحد السلف الصالح قوله : « هذه اعضاء حفظناها في الصغر فحفظها الله في الكبر » .

أعقّد هذا الفصل الذي كتبته ليكون مفهوما واضحا ، **بمصطلحات علم النفس** لذلك أعمد الى مثال أمثّله لك .

أترى الى ابريق الشاي الذي يغلي على النار ؟!

انك ان سددته فأحكمت سده ، وأوقدت عليه ، فجره البخار المحبوس، وان خرقته سال ماؤه فاحترق الابريق ، وان وصلت به ذراعا كذراع القاطرة. أدار لك المصنع ، وسير القطار ، وعمل الأعاجيب !..

فالاولى حالة من يحبس نفسه على شهوته ، يفكر فيها ويعكف عليها .

والثانية حال من يتبع سبيل الضلال ، ويؤم مواطن اللذة المحرمة .

والثالثة حالة المتسامي (المستعف) .

فالتسامي هو أن تنفس عن نفسك بجهد روحي أو عقلي أو قلبي أو جسدي .. يستنفد هذه القوة المدخرة ، ويخرج هذه الطاقة المحبوسة .. بالالتجاء الى الله والاستغراق في العبادة ، أو بالانقطاع الى العمل والانغماس في البحث ، أو بالتفرغ للفن والتعبير عن هذه الصور التي تصورها لك غريزتك ، بالألفاظ شعرا ، أو بالألوان لوحة ، أو بالجهد الجسدي والاقبال على الرياضة ، والعناية بالتربية الدينية أو البطولة الرياضية .. والانسان – يابني – محب لنفسه لايقدم أحدا عليها ، فاذا وقف أمام المرآة ، ورأى استدارة كتفيه ، ومتانة صدره ، وقوة يديه ، كان هذا الجسم الرياضي المتناسق القوي .. أحب اليه من كل جسد أنثى ، ولم يرض أن يضحي به ، ويذهب قوته ، ويعصر عضلاته ، ويعود به جلدا على عظم من أجل سواد عيني فتاة ولا من أجل زرقتهما ..

هذا هو الدواء : الزواج وهو العلاج الكامل ، فان لم يمكن فالتسامي وهو مسكن مؤقت ، ولكنه مسكن قوي ينفع ولايؤذي ..

أما ما يقوله المغفلون أو المفسدون ..

من أن دواء هذا الفساد الاجتماعي هو تعويد الجنسين الاختلاط حتى تنكسر بالاعتياد حدة الشهوة ، وفتح « المحلات العمومية » حتى يقضى بها على البغاء السري ، فكلام فارغ .. وقد جربت الاختلاط أمم الكفر كلها فما زادها الا شهوة وفسادا .. أما المحلات العمومية فاننا اذا أقررناها وجب أن نوسعها حتى تكفي الشبان جميعا ، واذن فينبغي أن يكون في القاهرة أكثر من عشرة آلاف بغي ، لأن في القاهرة مائة ألف شاب[1] على الأقل ..

واذا نحن جوزنا للشباب ارتيادها فاستغنوا بذلك عن الزواج ، فماذا نصنع بالبنات ؟ هل نفتح لهن أيضامحلات عمومية فيها «بغايا» من الذكور؟! كلام فارغ يابني والله ..

وماتقوله عقولهم ، ولكن غرائزهم ، ومايريدون اصلاح الاخلاق ، ولاتقدم المرأة ، ولانشر المدنية ، ولا الروح الرياضية ، ولا الحياة الجامعية ، انما هي ألفاظ يتلمظون بها ، ويبتدعون كل يوم جديدا منها ، يهولون بها على الناس ، ويروجون به لدعوتهم ، ومايريدون الا أن نخرج لهم بناتنا وأخواتنا ليستمتعوا برؤية الظاهر والمخفي من أجسادهن ، وينالوا الحلال والحرام من المتعة بهن ، ويصاحبونهن منفردات في الأسفار ، ويراقصونهن متجملات في الحفلات ، وينخدع مع ذلك بعض الآباء فيضحون بأعراضهم ليقال انهم من المتمدّنين ..

وبعد ، فيا ابني عليك بالزواج ، ولو أنك طالب لاتزال ، فان لم تستطعه فاعتصم بخوف الله ، والانغماس في العبادة والدرس ، والاشتغال بالفن وعليك بالرياضة فانها نعم العلاج)أهـ .

---

(١) هذا الاحصاء منذ /٢٥/ سنة في الحين الذي نشر المؤلف رسالته « يابني » .

أيها الشباب والشابات :

هذا هو الحل الوحيد لمشكلتكم الجنسية ، فاياكم أن تسعوا الى أدعياء التقدمية الذين يزينون لكم المنكر ، ويحسنون الفجور بقولهم إنّ حل المشكلة هو تهذيب الغريزة بالاختلاط منذ الصغر[1] ، أو إشباع الغريزة بالحرام .. فهؤلاء الهارفون بما لايفهمون ، والمتبجّحون بما لايعقلون .. ماهم في الحقيقة الا منفذون من حيث يعلمون أو لايعلمون مخططات اليهودية والصليبية ، ومؤامرات الماسونية والشيوعية .. لجر الشباب والشابات في المجتمعات الاسلامية الى وجودية فاجرة . واباحية داعرة ..

أتدرون من أجل ماذا ؟

من أجل أن ينصرف شباب الاسلام عن الجبهات المرسومة للكفاح والجهاد .

من أجل أن يطأطؤوا رؤوسهم لحكم الطغاة والمستبدين ..

من أجل أن يصفقوا لكل ناعق ، ويقبلوا حكم كل ملحد ..

من أجل أن يكونوا قطعانا تسوقها عصا العبيد ..

فحذار - ياشباب - من هذه الادعاءات الكاذبة .. فتحصنوا بالصبر ، واربطوا قلوبكم بالله ، وتوجوا رؤوسكم بعزة الاسلام .. وارفضوا بكليتكم دعوة كل اباحي فاجر ، وتبجح كل وجودي ملحد .. واسعوا الى مايقوله سبحانه في محكم تنزيله :

« ولاتتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ، وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل » (المائدة : ٧٧)



---

(١) ارجع الى رسالتنا « الى كل اب غيور يؤمن بالله » **فان فيها الرد** القاطع على هذا الافتراء بشكل لايترك شبهة لمرتاب .

٧ ـ هــل يجوز مصارحة الولد جنسيا ؟

يتساءل الكثير من المربين من آباء وأمهات .. هل يجوز للمربي أن يصارح الولد في كل ما سيطرأ عليه من ارهاصات المراهقة ، وظواهر البلوغ ؟

وهل له أن يحدّثه عن العضو التناسلي ووظيفته ، وعن الحمل والولادة وكيفيتهما ؟

وهل له أن يعرفه بكيفية الاتصال الجنسي اذا دخل عتبة الزواج ؟
كل هذه التساؤلات يتوقف الكثير عن الاجابة عليها لتحيرهم بين الجواز وعدمه .

الذي يبدو من الأدلة الشرعية التي سنعرضها فيما بعد أنه يجوز للمربي أن يصارح ابنه أو ابنته في القضايا التي تتعلق بالجنس ، وترتبط بالغريزة .. بل أحيانا تكون المصارحة واجبة اذا ترتب عليها حكم شرعي كما سيأتي بيانه .

واليكم هذه الأدلة مرتبة :

١ ـ آيات كثيرة تتحدث عن الاتصال بالجنس ، وعن خلق الانسان ، وعن الفاحشــة :

ـ « والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون » .

(المؤمنون : ٥ ـ ٧)

ـ « احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » . (البقرة : ١٨٧)

ـ « ويسالونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ، ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ..»

(البقرة : ٢٢٢)

ـ ((نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ..))
(البقرة : ٢٢٣)

ـ ((وان طلقتم النساء من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم)) (البقرة : ٢٣٧)

ـ ((ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ..)) (المؤمنون : ١٣)

ـ ((انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا))
(الدهر : ٢)

ـ ((وصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا)) (الأحقاف : ١٥)

ـ ((ولاتقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا)) (الاسراء : ٣٢)

ـ ((الزاني لاينكح الا زانية أو مشركة ، والزانية لاينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين)) (النور : ٣)

ـ ((ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ماسبقكم اليها من أحد من العالمين ، انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون))
(**الأعراف** : ٨٠ ـ ٨١)

فهذه الآيات القرآنية تتحدث بوضوح عمن يحفظ الانسان فرجه وعمن لايحفظه ، وعن الرفث (الجماع) ليلة الصيام ، وعن المحيض واعتزال النساء فيه ، وعن الموضع الذي يكون فيه منبت الولد ، وعن طلاق المرأة قبل مسها . وعن النطفة وتكوينها في رحم المرأة ، وعن خلق الانسان من أخلاط النطفتين الرجل والمرأة ، وعن حمل الولد في بطن أمه ومدة ارضاعه وعن الزنى وكونه فاحشة وساء سبيلا ، وعمن يأتون الرجال شهوة من دون النساء .. الى آخر هذه المعاني التي تتصل بالجنس ، وترتبط بالغريزة ..

فكيف يفهم الولد وهو في سن التمييز والتعقل تفسير هذه الآيـات وأمثالها اذا لم تتوضح لديه من قبل معلمه أو مربيه حقائقها وما يراد منها ؟

ولايمكن أن يقول متبصر عاقل : إنّ على المعلم أو المربي أن يطمس معاني هذه الآيات بتفسيرات أخرى لا تمت الى المعنى المراد بصلة ، أو أن يمر عليها مرور الكرام دون توضيح لها ، أو تفسير لمضمونها .. لأن هـذا المسلك غير سليم يتنافى مع قواعد التربية الاسلامية الأصيلة ، ويتناقض مع دعوة القرآن الكريم الى فهمه وتدبره .

قال تعالى : « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليذكر أولـوا الألباب » (ص : ٢٩)

بل نجد القرآن الكريم ينكر على من يقرؤون القرآن ولايتدبرون آياته .. ويعتبر من يفعل ذلك خاوي الروح ، مقفل القلب ، قاسي النفس ..

قال تعالى : « **أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها** » .

(محمد : ٢٤)

ومن هنا نعلم أن القرآن الكريم اشتمل على جملة ما اشتمل على ثقافـة جنسية لابأس بها بما فتح من آفاق ، ووضح من معالم ..

وهذه الثقافة ينبغي أن يتفهمها الصغار والكبار ، والشيب والشبان . والنساء والرجال ..

ومن ثمرات هذه الثقافة أن المسلم يعلم مايحل وما يحرم ، ويعـرف ما يأتي وما يذر .. حينما يريد إشباع الوطر ، وقضاء الشهوة .. .

ومن ثمرات هذه الثقافة أن المسلم يزداد قناعة وايمانا بالابداع الالهـي حينما يمر على الآيات التي تتحدث عن خلق الانسان وتكوينه ، وعن تطوره وهو في رحم امه من نطفة الى علقة . ثم الى مضغة ثم الى بشر سوي ..

ومن ثمرات هذه الثقافة أن المسلم يؤمن ايمانا جازماً يوما بعد يوم بصلاحية هذا الاسلام . وخلود مبادئه الشاملة على مدى الزمان والايام .. وأنه الدين الوحيد الذي يلبي حاجات النفس الانسانية ، ويواكب أطوار الحضارة والمدنية الى أن يرث الله الارض ومن عليها !!.

٢ ــ ومن الأدلة القوية التي تدل على أن المصارحة في قضايا الجنس أمر ضروري للولد تعليم الولد وهو في سن التمييز أحكام البلوغ ، وارهاصات المراهقة .. حتى اذا ظهرت عليه الظواهر عرف ماوجب عليهفعله ، وماوجب عليه تركه .. بل عرف الحلال والحرام ..

ولقد فصلنا القول فيه ــ في بحث سبق ذكره ــ تحت عنوان : « تعليم الولد أحكام المراهقة والبلوغ » .

ارجع اليه ــ أخي المربي ــ تجد فيه مايبلّ الصدى .

٣ ــ ومن الادلة القوية أيضا التي تدل على أن المصارحة في قضايا الجنس أمر لازم للولد تعليمه حينما يشارف على البلوغ ويدخل عتبة الزواج « أصول الاتصال الجنسي ، وآداب الاشباع الغريزي » .

ولقد فصلنا القول في هذه المسائل في بحث سبق ذكره قبل قليل تحت عنوان : « الزواج والاتصال الجنسي » .

ارجع اليه ــ أخي المربي ــ تجد مايشفي الغليل .

تلكم أظهر الأدلة في جواز مصارحة الولد وهو في سن التمييز عن قضايا الجنس ، ومسائل الغريزة .

فبعد هذا البيان قم ــ أخي المربي ــ بواجب التوعية الجنسيّة لأولادك . لأن الشرع يحتم عليك أن توضح لهم هذه الحقائق حتى لايقعوا في حبائل الجهل ، وموبقات الاثم ، ومتاهات الفوضى ...

ولكن أذكرك بشيئين هامين :

١ ــ أعط لكل مرحلة من مراحل السن حكمها في التعليم ، فلا يعقل أبدا أن تعلمه مثلا أصول الاتصال الجنسي ، وهو في سن العاشرة ، وتهمل تعليمه أحكام المراهقة والبلوغ •

٢ ــ من الأفضل أن تشرف الأم على تعليم البنت في هــذه القضايا الجنسية لأن أخذ البنت عن الام آخذ وألقن وأوعى •• وفي حال عدم وجود الأم تقوم بالمهمة أية مرشدة أخرى تقوم مقامها •



تلكم ــ أيها المربون ــ أهم الخطوط الرئيسية التي وضعها الاســلام في تربية الولد جنسيا ، وتكوينه سلوكيا ، وضبطه غريزيا ••

فما أحوج أهل الفكر والتربية والاصلاح أن يأخذوا بمنهج الاســلام في التربية الجنسية ، وأن يسيروا على هدي القرآن في الانضباط الغريزي •• عسى أن نجد أبناء الجيل الاسلامي وقد اكتملت شخصيتهم ، وصلحت سريرتهم ، وتقومت أخلاقهم ، وتحررت من الآفات النفسية والمفاسد الاجتماعية نفوسهم وقلوبهم •• وعندئذ يستطيعون أن ينهضوا برسالة ، ويقومــوا بمسؤولية ، ويرفعوا من سماء الوجود الانساني راية التوحيد ، وشعــار الاسلام ••

وأريد أن يفهم كل ذي عقل وبصيرة أن هذا الاسلام العظيم حــين عالج مشاكل الانسان وآفات المجتمع كان العلاج شاملا لكل الجوانب ، ومهيمنا على كل النواحي •• لأن الاسلام شرع الله الخالد أنزله الله سبحانه ليكون للعالمين هاديا ومبشرا ونذيرا •• فمن حكم به عدل ، ومن اهتدى به سعد ، ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم •

ولن يُنْقِذ العالم اليوم من فوضى الغريزة المتفلتة . والانحدار الخلقي الجارف .. الا النظرة الاسلامية الى الجنس ، لكونها تضع كل شيء موضعه وتتيح للانسان الحياة المتوازنة المتكاملة التي تحقق معنى الانسانية وترضي أشواق الانسان .

ولعل المسلمين يفقهون دينهم ، ويعيشون تحت ظلاله آمنين مطمئنين عسى أن يستعيدوا مكانتهم بين الأمم ، وكرامتهم تحت الشمس وماذلك على الله بعزيـز .



وبعد فيا أيها المربون :

اعرفتم مدى المسؤولية الشاقه الثقيلة الملقاة على عاتقكم ؟

أعرفتم أن مسؤولية التربية الايمانية هي الركيزة الاساسية التي يجب أن توجهوا اليها اهتمامكم ؟

أعرفتم آن مسؤولية التربية الخلقية هي من المسؤوليات الهامة التي يجب أن تعيروها نظرتكم ورعايتكم ؟

أعرفتم أن مسؤولية التربية الجسمية هي من وسائل القوة التي يجب أن تركزوا عليها جهودكم وعزائمكم ؟

أعرفتم أن مسؤولية التربية العقلية هي من ركائز المجد والمدنية والحضارة في أمتكم ووطنكم ؟

أعرفتم أن مسؤولية التربية النفسية هي من دعائم النّضج والاتزان في اعداد أولادكم ؟

أعرفتم آن مسؤولية التربية الاجتماعية هي من أميز هذه المسؤوليات التي يجب أن تلقنوها أفلاذ أكبادكم ؟

أعرفتم أن مسؤولية التربية الجنسية هي من القضايا الهامة الكبرى التي يجب أن تنشـّؤوا عليها مَنَ لهم حق التربية في أعناقكم ؟

اذا عرفتم هذا كله فعليكم أن تنطلقوا في مضمار التربية ، وتحمل المسؤولية .. غير متوانين ولا متواكلين ، حتى تروا زهرات حياتكم ، وثمرات قلوبكم كالملائكة طهراً ، وكالصحابة عزائم ، وكالأسود شجاعة ، وكالبدور نورا واشراقا ...

وبقدر العطاء الذي تعطونه ، والجهد الذي تبذلونه ، والعزيمة التي نطلقونها ، والمسؤولية التي تستشعرونها .. يتحقق الخير لأمتكم ، والصلاح لأبنائكم ، والتربية المثلى لذراريكم وأجيالكم !!..

ثم أتدرون — يامعشر المربين — كيف يتحقق هذا كله ؟ ، وكيف يتم الوصول الى قمة التربية الفاضلة ؟

بتقديري أن هذا يتحقق بأمرين أساسيين هامين :

الأول : بظاهرة المراقبة والملاحظة .

الثاني : بالاستفادة من الفراغ .

فبالمراقبة والملاحظة يتربى الولد ايمانياً ، ويتكون خلقياً ، ويقوى جسمياً ، وينضج عقلياً وعلمياً ، ويكتمل نفسياً واجتماعيا ..

وبالمراقبة والملاحظة ينجو الولد من رفاق السوء ، والخلطة الفاسدة ، وقرناء الفتنة والانحراف ..

وبالمراقبة والملاحظة يتحرر الولد من كل العوامل التي تؤدي الى انحرافه وشقائه : يتحرر من مشاهدات السينما ، والرائي (التلفزيون) لما يعرضانه من أفلام جنسية خليعة ، وروايات بوليسية محرّضة ، وتمثيليات موجهة ماجنة .. ويتحرر من قراءة المجلات الخلاعية المثيرة ، والقصص الجنسية المهيجة ، والمسرحيات اللا أخلاقية الهابطة .. التي تفتك بالفضيلة ، وتطعن الأخلاق الاسلامية في الصميم .

وبالمراقبة والملاحظة يسلم الولد من المذاهب الاجتماعية الضالة ، والعقائد الفكرية الكافرة .. بل يرتبط بالاسلام عقيدة وفكراً ومنهاجاً وسلوكاً .

وبالمراقبة والملاحظة يصل الولد الى قمة التربية الاسلامية الفاضلة ، ويكتمل روحاً وعقلا وأخلاقاً وعلما .. فيعطي لغيره القدوة الصالحة في الأخلاق ، والأسوة الحسنة في المعاملة .. بل يكون كتألّق البدر في السماء، وكالملك حين يمشي على الأرض .

أما الاستفادة من الفراغ فيتركز في بذل الجهد ، وتوجيه الطاقة حين يأوي المربي الى بيته ، ويجلس بين أهله وأولاده ، ففي هذه الأوقات من الفراغ يجب على المربي أن يضع البرنامج المناسب في اعداد الولد علمياً ، وتكوينه عقيدياً ، وتوجيهه خلقياً ..

فما أحسن الأب ، وما أجمل الأم !.. حين يقضيان سهرتهما عند المساء مع أولادهما ، وينظمان البرامج الهادفة في تلقين أفلاذ أكبادهما .. بل ما أعظم أجرهما عند الله عز وجل حين يجلسان مع الأولاد لسماع درس يحفظونه أو تفهيم مسألة يكتبونها ، أو عرض قصة يتعلمونها ، أو تلقين فضيلة يتوجهونها، أو تحسين تلاوة يلتقّونها ، أو اثارة مداعبة أدبية أو ممازحة ترفيهية يمرحون بها ويضحكون منها ...

وهذا المسلك الحق ــ والله ــ يحقق الخير كل الخير للولد، ويرتفع به نحو مدارج العز ، ومكارم الأخلاق ، بل يجعل منه انساناً سوياً ، ورجلا حكيماً ، ومسلماً فاضلا كريما ...

وهذا هو في الحقيقة سبيل التربية المثلى في اعداد الولد للحياة ، وتهيئته ليكون اللبنة الصلبة المتينة في بناء المجتمع الفاضل ، وتكوين الأجيال الصالحة المؤمنة.. وكم يكون الأب أو الأم أو المربي.. ظالماً للولد ، مستهتراً في حقه ، قاتلا لانسانيته ، حين يقضي أوقات فراغه في سهرة عابثة مع أصدقائه، أو في مقهى لاغية مع اللاهين والفارغين من أبناء حيه وجيرانه ، أو في مسرح آثم خليع .. مع المنحرفين والمتحللين من أبناء بلده وأقرانه ..؟

من لتربية الولد على الإيمان الحق والعقيدة الصحيحة الثابتة غير الأب والأم ؟.

ومن لتربية الولد على الخلق الفاضل والأدب الرفيع غير الأب والأم ؟.

ومن لتربية الولد على العقل السليم والجسم السليم والقوة المتينة غير الأب والأم ؟.

ومن لتربية الولد على تحصيل العلم ، والثقافات النافعة غير الأب والأم؟

ومن لتربية الولد على الأصول النفسية ومبادىء التعقل والاتزان .. غير الأب والأم ؟.

ومن لتربية الولد على مراعاة حقوق الآخرين والتزام آداب المجتمع .. غير الأب والأم ؟.

فمن يربي الولد على هذه الخصال ، ويغرس في نفسه هاتيك الفضائل اذا كان الأب لاهياً ، والأم عابثة ؟..

ورحم الله شوقي حين قال :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هم الحياة وخلفاه ذليلا
ان اليتيم هو الذي تلقى له
أماً تخلت أو أباً مشغولا

فالأبوان اذن هما المسؤولان أولا وآخراً في إعداد الولد على الإيمان والخلق ، وتكوينه على النضج العقلي ، والاتزان النفسي .. وتوجيهه الى التزود بالعلوم النافعة ، والثقافات المفيدة المتنوعة ..

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : « والرجل راعٍ في بيت أهله ومسؤول عن رعيته ... والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها .. » . (البخاري ومسلم)

والقائل : « ان الله سائل كل راعٍ عما استرعاه حفظ أم ضيع ... »

(ابن حبان)

والقائل : « ما نحل والد ولداً أفضلَ من أدب حسن » .

(الترمذي)

فما على الأبوين الا أن يستشعرا بمسؤوليتهما الكاملة ، وأن يستفيدا من أوقات فراغهما للنهوض بهذه الواجبات ، والقيام بهاتيك المسؤوليات ..

وعليهما أن يعلما أن أي تقصير في مسؤولية من هـذه المسؤوليات التي سبق الحديث عنها ، والتفصيل فيها .. يعرضهما للعقوبة بين يدي الله سبحانه وتعالى في يوم لاينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

وحسب الأبوين أن يضعا نصب أعينهما قوله تبارك وتعالى :

« يا أيها الذين امنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »

(التحريم : ٦)

ولا شك أنهما اذا استذكرا هذه الآية ، واستشعرا مراقبة الله في نفسيهما .. يكون اندفاعهما للتربية أقوى ، ونهوضهما بهذه المسؤوليات أكبر .. ألا فليعلم المربون واجبهم ، وليستفيدوا من أوقات الفراغ في تربية أولادهم ، وعليهم أن يعلموا أن الوقت كالسيف إنْ لم يقطعوه قطعهم ، وأن الواجبات أكثر من الأوقات ، وأن العُمُر ينقضي بالسرعة الفائقة .. فإذا لم يقدروا الأمانة الملقاة على عاتقهم حق قدرها ، وان لم يرعوا هذه المسؤوليات حق رعايتها .. فقد يفاجؤهم الموت بغتة وهم لا يشعرون ، بل يأتيهم العذاب فجأة ثم لا ينصرون . وصدق الله العظيم القائل في محكم التنزيل :

« وانيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون » (الزمر : ٥٥)

وأخيراً أريد أن ألفت نظر المربين جميعاً على اختلاف درجاتهم . وتباين مسؤولياتهم . ولا سيما الآباء والأمهات منهم أن هذه المناهج التي وضعتها في التربية ولا سيما التربية الاجتماعية تصلح للكبار والصغار ، والشيب والشباب ، والرجال والنساء ..

فاحرصوا — أيها المربون — على التزام مناهج الاسلام في التربية لأنفسكم قبل أن تلقّنوها أولادكم . لتعطوا في ذلك القدوة الحسنة لمن لهم في أعناقكم حق التربية والمسؤولية . ثم بالتالي ابذلوا الجهد في تعليمها أولادكم ، وتلقينها أفلاذ أكبادكم .. حتى ينشؤوا على العقيدة الصحيحة والاسلام الكامل . والخلق الرفيع .. وبذلك تكونون قد أعددتموهم لخوض غمار الحياة . وتحمل أشق المسؤوليات بقلوب مؤمنة ، ونفوس صابرة ، وأرواح طاهرة زكية ، وعقول ناضجة متزنة ، وأجسام جلدة قوية ....

فابذلوا جهدكم . واجمعوا أمركم . وسيروا على بركة الله ، فعين الله ترعاكم . والأجيال المقبلة تبارك لكم جهودكم وأعمالكم . والله عز وجل يثيبكم خيراً . ويدخر لكم في القيامة أجراً .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون » .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

فهرس القسم الأول

فهرس القسم الأول

فهرس القسم الأول

فهـرس القسـم الأول

فهرس القسم الأول

فهرس القسم الثاني

فهرس القسم الثاني

الموضوع	الصفحة

فهـرس القسـم الثاني

فهرس القسم الثاني

فهـرس القسـم الثاني

فهـرس القسـم الثاني

الموضـــــوع	الصفحة

فهـرس القســم الثاني

الموضــــــوع	الصفحة

فهرس القسم الثاني

فهرس القسم الثاني



بعونه تعـــالى

تم الجزء الأول من كتاب تربية الأولاد فى الاسلام

ويليه الجزء الثانى بإذن الله



Printed at

Kyodo-Shing Loong Printing Industries Pte Ltd Singapore